

بدائع الزهور في وقائع الدهور

الجزء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ بستر وأعن

أقول :

٣

مناقب الأشرف النورى قد شرفت على جميع ملوك الأرض فى الخبر
لأنه المقدر فى جيد الملوك ولا يُقاس قط عقود الجذع بالدرر
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسماية المباركة

٦

وكان مستهلّ المحرم يوم الاثنين ، فكان يومئذ خليفة الوقت أمير المؤمنين
المتوكل على الله محمد بن أمير المؤمنين المستمسك بالله بمقرب عزّ شرفهما ؛ و سلطان
مصر يومئذ الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيدى النورى عزّ نصره ؛
وأما السادة القضاة الأربعة : القاضى الشافى قاضى القضاة كمال الدين الطويل ،
والقاضى الحنفى قاضى القضاة حسام الدين محمود بن قاضى القضاة سرى الدين عبد البر
ابن الشحنة الحلبي ، والقاضى المالكي قاضى القضاة محيى الدين يحيى بن قاضى القضاة
برهان الدين الدميرى ، والقاضى الحنبلى قاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى ،
أيد الله بهم الإسلام .

١٥

وأما عدة الأمراء المقدمين فكان عدتهم يومئذ ستة وعشرين أميراً مقدّم ألف ،
منهم أرباب الوظائف ستة وهم : الأتابكى سودون من جاني بك المعجمى أمير كبير ،
وكانت يومئذ أمرية السلاح شاغرة ، والأمير أركاس من طراباى أمير مجلس ،
والقرّة الناصرى محمد نجل المقام الشريف أمير آخور كبير ، والأمير سودون
من يشبك الدوادارى رأس نوبة النوب ، والأمير أنصبأى من مصطفى حاجب
الحجاب ، والأمير طومان باى من قانصوه بن أخى السلطان أمير دوادار كبير ،
وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والأستادارية العالية وكاشف الكشاف .

٢١

وأما الأمراء المقدمون غير أرباب (٢٢ آ) الوظائف وهم : الأمير بخشبأى من

عبد الكريم وقيل من قائم نائب طرابلس كان ، والأمير قانصوه من كسباى بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقه ، والأمير قانصوه الفاجر ، والأمير قانصوه السيفى يشبك أبو سنة الوالى كان ، وقيل إن السلطان عيّن تقدمة إلى الأمير حسين ٣ نائب جدّة وتوجّهت إليه البشائر بذلك عن ما قيل ، والأمير تمر الحسنى المعروف بالزردكاش ، والأمير طقطباى العلای نائب القلعة ، والأمير قانصوه كرت من تمر باى ، والأمير جان بلاط المحمدى المعروف بالموتّر ، والأمير ثانى بك النجمى ، ٦ والأمير أرزمك الشرفى المعروف بالناشف ، والأمير ثانى بك من يشبك المعروف بالخازندار ، والأمير قانصوه من يشبك المعروف بروح لو نائب قطيا ، والأمير ٩ خاير بك السيفى أينال ، والأمير أذربك من طراباى المعروف بالمكحلّ ، والأمير بيبرس من عبد الكريم ، والأمير أبرك الأشرفى ، والأمير علان من قراجا وقد جمع بين التقدمة والدوادرية الثانية ، والأمير خُدا بردى الأشرفى نائب الإسكندرية ، والأمير أقبای من قانصوه وقد جمع بين أمرية آخورية الثانية والتقدمة ، والأمير ١٢ خاير بك العلای المعروف بالمهار .

وأما نواب البلاد الشامية والحلبية : فالقرّ السيفى سيباى من محتجا نائب الشام ، والقرّ السيفى خاير بك من مكباى نائب حلب ، وتمرّاز الأشرفى نائب طرابلس ، ١٥ وجان بردى الغزالى نائب حماة ، ويوسف الذى كان نائب القدس انتقل إلى نيابة صفد ، ونائب غزّة دولات باى وقد أضيف إليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزّة .

وأما الأمراء الطليخانات من أرباب الوظائف : فالأمير يوسف الناصرى الذى ١٨ كان نائب حماة شاد الشراب خاناه الشريفة ، والأمير مُغلباى الشرفى الزردكاش الكبير ، والأمير نوروز تاجر المالك ، والأمير قانصوه من دولات بردى أستاذار الصحبة ، والأمير قنّبك من يخشباى رأس نوبة ثانى ، والأمير طومان باى قرا ٢١ حاجب ثانى ، والأمير كرتباى الأشرفى والى الشرطة ، والأمير أزدصر المهندار ،

(٢-٤) والأمير قانصوه الفاجر ... عن ما قيل : كذا كتبها المؤلف فى الأصل على هامش

الصفحة . (٤) عن ما : عنا .

والشرفي يونس (٢ب) نقيب الجيوش المنصورة ، والأمير بخشبای قرا شاد الشون ،
والأمير يونس الترجمان ، ومعلم المعلمين البدری حسن بن الطولونی ، ولكن الوظيفة
بيد ولده أحمد من حين كفت بصره وانقطع .

٣

وأما الأمراء الرؤوس نُوب فكثير لم نورد لهم هنا خشية من الإطالة .

وأما أرباب الوظائف من أعيان المباشرين التعمين : فالمرّ القضيّ الحبي محمود

ابن أجا الحلبي كاتب السرّ الشريف ناظر ديوان الإنشاء أعزّه الله تعالى ، ونائبه المرّ

٦

الشهابي أحمد بن الجيعان ، والمرّ القضيّ محي الدين عبد القادر الشهير بالقصروي

ناظر الجيش الشريف ، والزيّني عبد القادر وأخوه أبو بكر أولاد الملك مستوفيان

ديوان الجيش الشريف ، والمرّ الملاي علي بن الإمام ناظر الخاصّ الشريف وناظر

٩

الأوقاف ، وكانت الوزارة يومئذ شاغرة من حين عُزل عنها يوسف البدری ، فكان

القاضي شرف الدين الصّغير ناظر الدولة ومتكلّمًا في ديوان الوزارة وقد جمع بين

نظارة الدولة وكتابة المالک ، وكانت وظيفة الأستاذية يومئذ بيد الأمير طومان

١٢

باي الدوادار ، والقاضي أبو البقا ناظر الاسطبل الشريف ومستوفى ديوان الخاصّ ،

والقاضي عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخاناه ، والقاضي عبد الكريم بن

اللدّني مستوفى الزردخاناه ، والقاضي زين الدين بركات بن موسى ناظر الحسبة

١٥

الشريفة وغير ذلك من الوظائف ، وناظر الأحباس بدر الدين بن العبسي ، ونقيب

الأشراف السيّد الشريف أفضل الدين محمد ، والأمير شرف الدين يونس النابلسي

أستادار المالية كان والآن صار متحدّثًا في استيفاء ديوان جيش الشام ، والقاضي

١٨

كريم الدين أخو القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان والشمسي محمد بن القاضي

صلاح الدين بن الجيعان متحدّثان في الخزانة الشريفة ، والشمسي محمد بن إبراهيم

الشرائشي متحدّث في وظيفة الزمامية ، والملاي (٣ آ) على البرماوي متحدّث

٢١

في جهات الديوان المُفرد وبرددارية السلطان ، وعبد العظيم الصيرفي متحدّث في

(١٦-١٧) وناظر الأحباس ... أفضل الدين محمد : كتبها المؤلّف في الأصل على الهامش .

(٢٢) وبرددارية : وبردارية .

الشون السلطانية وأمر العليق ، وغير ذلك من المباشرين وأعيان الدولة .
وأما الأعيان من الخُدام الطواشية : فإن وظيفة الرّماميّة لها مُدة وهي شاعرة
من حين توفى الأمير عبد اللطيف الرّمام ، والآن الأمير بشير من مصطفى رأس
نوبة السّقاء ، والأمير مُرهف من قانصوه ساق خوند ، والأمير سُنبل العثماني
مُقدّم المالك ، ونائبه جوهر الروي ، والأمير سرور الحسني شاد الحوش الشريف ،
وغير ذلك من أعيان الخُدام .

وفي هذه السنة تكملت خاصكية السلطان نحو ألف ومائتي خاصكي من
مشتراواته ، فقرّر منهم جماعة كثيرة أرباب وظائف : ما بين دواديرية سكين
وسلحدارية وزردكاشية وأمير آخورية وسّقاء ، وغير ذلك من الوظائف . وقد
تكامل في هذه السنة من الأمراء الطبلخانات والعشرات فوق الثلاثمائة أمير ،
وقد كثر المسكر وقلّ الرزق ، انتهى ذلك .

ولما كان مستهلّ الشهر يوم الاثنين جلس السلطان في الميدان ، وطلع إليه
الخليفة والقضاة الأربعة فهتّوا السلطان بالعام الجديد ، ثم رجعوا إلى دورهم . - ثم
في ذلك اليوم نزل الزيني بركات بن موسى المحتسب وصحبته الأمير كرتباي والى القاهرة
وأشهروا النّاداة في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن أحدا من الناس
لا يكثر كلاما ، وأن كل شيء على حكمه ، يعنى في أمر المشاهرة والمجامعة التي قرّرت
على الحسبة ، وأن أحدا لا يخرج من بعد العشاء ولا يمشى بسلاح ولا يتزايأ بزى
المالك ولا يغطى وجهه في الأسواق ومن فعل ذلك شُنق من غير معاودة ، وأن
لا أحد يحتمى على المحتسب . وقد تقدم القول في الجزء التاسع على أن المالك الجلبان
أثاروا فتنة كبيرة حتى حنق منهم السلطان وتوجّه إلى المقياس وأقام به ثلاثة أيام ،
فشّت الأمراء بينه وبين مماليكه بالصلح على أنه يعزل الوزير يوسف البذري من الوزارة
والأمير كرتباي من الولاية والزيني بركات بن موسى (٣ ب) من الحسبة ، ويبطل
المشاهرة والمجامعة التي قرّرت على السوق أرباب البضائع ، وتقدم القول بما كان
(٧) ومائتي : ومائتين . (١٩) الجزء : الجزء .

سبب ذلك ، فلما أن طلع السلطان إلى القلعة وبات بها ، فلما أصبح نادى في القاهرة بما تقدم ذكره ولم يفعل شيئا مما وقع الاتفاق عليه مع المالك الجلبان ، فشق عليهم هذه المنادة ، وأشيع إثارة فتنة ثانية وكثر القال والقال بين الناس ، وكانت الناس قد استبشروا بأن السلطان ينادى بإبطال المشاهدة والجماعة ، فلما نادى كل شيء على حكمه نزل على الناس مخدة بسبب ذلك . - وفي يوم الثلاثاء ثاني الشهر جلس السلطان في الحوش وعرض أغوات الطبايق ، فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام وقال لهم : لا تسمعوا للمالك القرانصة الذين يرمون بيني وبينكم الفتن وتشتتون العدو فينا وابن عثمان متحرك علينا ولا بد من خروج تجريدة عن قريب ، حصلوا معكم ذهب ينفعكم إذا سافرتم ، والذي هو منكم متزوج يطلق زوجته ، ما يبقى وراءكم التفاتة إذا سافرتم في التجريدة . فلما سمعوا ذلك شق عليهم وقصدوا يثيرون فتنة في ذلك اليوم ، وتزايد الاضطراب ولهج الناس بوقوع فتنة عظيمة ، وقد استوعدوا المالك ابن موسى المحتسب بالقتل لأنه لما نزل في ذلك اليوم ونادى بأن كل شيء على حكمه ، فتخلقت جماعته بالزعفران في عمامهم وشق من القاهرة ، فتسكد المالك الجلبان لذلك وقالوا : قد شمت فينا ، وقال المالك ولم يطلع من أيديهم شيء : وقد تخلق جماعته بالزعفران جكاره فينا والله ما زجع حتى نقتله . وقد تقدم القول بأن المالك قالوا للسلطان : سلمنا ابن موسى المحتسب نقتله بسبب غلو البضائع من كل شيء في الأسواق .

وفي يوم الأحد سابعه توفى الشرفي يحيى بن القاضي صلاح الدين بن الجيمان ، وكان شابا حسن الشكل ضخيم الجسد ، ومات وله من العمر نحو عشرين سنة ، وكانت (٤٤) جنازته حفلة . - وفي أثناء ذلك اليوم ركب الزيني بركات بن موسى وشق القاهرة ، وقبض على جماعة من السوق أرباب البضائع وضربهم ضربا مبرحا وأشهرهم في القاهرة ، وأشهر المنادة في ذلك اليوم وسعر اللحم والدقيق والخبز

(٧) الذين يرمون ... وتشتتون : الذي يرموا ... وتشتتوا . (١٣) عمامهم : عمامهم . (١٤) ولم : لم .

- والأجبان وسائر البضائع ، وكلّ ذلك من خوفه من المالك الجلبان .
- وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند ابن سوار الذى تعصّب له ابن عثمان عوضا عن على دولات ، فأحضر صحبته مقدمة فشروية للسلطان وجودها وعدمها ٣ سواء ، وهى خمسة عشر جملا بخاتيا وثمانية أكاديش وستة أبقال من غير زيادة على ذلك ، وأرسل يترقّق للسلطان فى مطالعته ، فاستشار السلطان الأمراء بأن يقبل منه تلك التقدمة أم يردّها عليه ، فأقامت الأمراء عند السلطان إلى قريب الظهر، ٦ ولم يُعلم ما وقع الاتفاق عليه فى ذلك اليوم . - وفيه خرج الأمير طومان باى الدوادر وصحبته الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين ، فتوجّها إلى جهة الفيوم ليكشف على الجسر الذى هناك ، وقد قيل إنه لما كان النيل عاليا فى هذه السنة انقلب، ٩ وكان السلطان قبل وقوع فتنة المالك المقدم ذكرها قصد أن يسافر إلى هناك بنفسه ويكشف عن أمر هذا الجسر فما تمّ له ذلك ، فرسم إلى الأمير الدوادر بأن يتوجه إلى هناك ويكشف عن أمر هذا الجسر . - وفيه نادى السلطان للمسكر بأن يطلعوا ١٢ إلى القلعة بسبب اللحوم المنكسرة لهم ، فطلع الجمّ الفغير من المسكر ، فالذى معه وصول باللحم المكسور نزلوه قدامهم ، والذى ما معه وصول قالوا له : حتى نكشف لك من الدقر- ، وكان أكثر المالك ما معه وصول باللحم المنكسر ، وقد تجمّد ١٥ للمسكر من اللحوم المكسورة فى ديوان الوزارة فوق الأربعين ألف دينار ، فنقل أمر هذا على السلطان جدّا . - وفيه نادى السلطان بأن الوزير (٤ب) يوسف البدرى يظهر وعليه أمان الله تعالى ، وكان محتفيا من حين استوعده المالك الجلبان بالقتل ، ١٨ فظهر فى يوم الثلاثاء تاسمه ، فلما قابل السلطان أخلع عليه كاملية بسمّور ونزل إلى داره .
- وفى يوم السبت ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط خمسة أنفار من المنسر الذى ٢١ شاع أمره فى القاهرة ، وقد قبض عليهم شيخ العرب ابن أبى الشوارب ، فرسم السلطان بتوسيطهم فى ذلك اليوم ، وكان فيهم شخص يُسمى أبو عزرايل وهو

كبيرهم ، فوسّطهم أجمعين . - وفي هذا الشهر أو في الشهر الذي قبله كانت وفاة الشيخ العارف بالله الولي المعتقد سيدى محمد بن عنان رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية ، وله شهرة بالصلاح والاعتقاد بين الناس .

٣ وفي يوم الاثنين خامس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير قانصوه حَبَّاتِيَّة ، وكان قد توجه إلى طرابلس بسبب جمع الأموال التي أفرداها السلطان على أهل طرابلس بسبب المشاة من العربان الذين يخرجون أمام العسكر في التجريدة ، فأحضر الأموال صحبته ودخلت إلى الخزانة الشريفة . - وفي يوم الثلاثاء سادس عشره فيه ابتدأ السلطان بتفرقة ثمن اللحوم التي كانت مكسورة للعسكر ، فصار يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية ، وكان فيهم من له عشرة أشهر مكسورة وفيهم من له ستة أشهر وفيهم من له أربعة أشهر . - وفي يوم الخميس ثامن عشره كان دخول الأمير قايتباي أحد الأمراء الطبلخاناه ، وهو قريب زوجة الأتابكي قائم التاجر ، على ابنة الأمير طُقطباي نائب القلعة أحد المقدمين ، فكان هذا العرس من الأعراس الحافلة ، قيل اجتمع فيه من المغانى خمسة وعشرون رَيسَةً ، ومدوا فيه أسمطة حفلة من الأطعمة الفاخرة ، وصنعوا فيه شموعا مُزهرة ما بين قصور وشمامات ، وكان من المهمات المشهورة .

١٥ وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه دخل أمير حاج الركب الأول ، وهو المقرّ العلای على بن الملك المؤيد أحمد ، فأخلع عليه السلطان ونزل إلى داره في موكب حفل . - وفي يوم (٥٥ آ) الثلاثاء ثالث عشرينه دخل الأمير علان أمير حاج ، ودخل مُحبته الحمل الشريف ، وكان يوما مشهودا ، فطلع الأمير علان إلى القلعة وأخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل إلى داره في موكب حافل ، وقد أثنوا عليه الحجاج خيرا مما فعله في طريق الحجاز من وجوه البرّ ، وقد حصل في هذه السنة للحاج مشقة عظيمة في مفارقة شعب بسبب السيل الذي نزل عليهم هناك ، وهلك من الحجاج في هذه

(٣-١) وفي هذا الشهر ... بين الناس : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(٦) الذين يخرجون : الذي يخرجوا .

السنة جماعة كثيرة ، وكان معهم الغلاء موجودا ، وكانت العربان طافشة في درب الحجاز ، ولا سيما ما وقع للمُبَشِّر في هذه السنة ، وقد تقدّم القول على أن العرب عرّوه وأخذوا كل ما معه ، حتى كُتِبَ الحُجَّاج فلم يصل لأحد من حُجَّاجه في ٣ هذه السنة كتاب ولا عُلِّمَ لهم خبر . - ولا حضر الأمير إعلان أشيع أنه قبض في مكّة على شخص يقال له الملعّم أحمد الشامى ، وكان أصله من عتالين الزردخاناه ، فوجدوا معه مالا يفتك فيه في مكّة ، فلما بلغ أمره للأمير إعلان قبض عليه ، ٦ وكان له رفيق فهرب من هناك ، فلما دخل أحمد الشامى هذا إلى القاهرة أسفرت القضية على أن أحمد الشامى كان اتفق مع جماعة من معلّمين دار الضرب التى كانت بالقلمة وسرقوا من مال السلطان اثني عشر ألف دينار ، وقد تقدّم القول على ذلك ، ٩ وغرّمها السلطان للمعلّم يعقوب اليهودى معلّم دار الضرب ، فلما حضر أحمد الشامى بين يدى السلطان اعترف بذلك ، فسلمه السلطان للوالى يعاقبه حتى يستخلص منه المال الذى أخذه ، ثمّ إن أحمد الشامى أقرّ على شخص كان معهم لا أخذوا المال ١٢ وهو كان بالقاهرة مقبلا ، فلما أقرّ عليه أحمد الشامى خاف على نفسه من الضرب فأحضر للسلطان أربعة آلاف دينار وقال : هذا هو القدر الذى نابنى من المال ولم يخصّنى شيء غير ذلك ، (٥ ب) فلم يكتف منه السلطان بذلك ورسم عليه ١٥ وشكّه في الحديد حتى يحضر بقية المال ، وكان هذا الشخص من معلّمين دار الضرب أيضا ممن فعل معهم ذلك ، وقد ظهر هذا المال الذى سُرق من دار الضرب بعد مدّة طويلة فمَدّ ذلك من جملة سعد السلطان . ١٨

وفى يوم الخميس خامس عشرينه حضر قاصد من عند ملك الحبشة ، أقول أن قُصَاد ملوك الحبشة لها مدة طويلة لم يدخل منهم أحد إلى مصر ، وقد دخل قاصد من عند ملك الحبشة في دولة الملك الأشرف قايتباى وذلك في سنة ست وثمانين وثمانمائة ، ٢١ وفى هذه المدّة لم يدخل إلى مصر قاصد من عند ملوك الحبشة سوى هذا القاصد لأن

(٣) كل ما : كلما . (٥) عتالين : كذا في الأصل .

(١٦ و ٨) معلّمين : كذا في الأصل . (١٥) فلم يكتف : فلم يكتفى .

- ٣ بلادهم بعيدة وما لهم شغل في مصر ؛ فلما حضر هذا القاصد عمل له السلطان موكبا بالحوش من غير شاش ولا قاش كما تقدم للأشرف قايتباي ، فجلس السلطان على المصطبة التي أنشأها بالحوش ونصب على رأسه السحابة الزركش ، واصطفت الأمراء من يمينه وعن شماله وكل واحد منهم في منزلته ، ثم طلع القاصد من الصليبة وصحبته الأمير أزدمر الهمندار وجماعة من الرؤوس النوب والماليك السلطانية وغير ذلك ، وكان القاصد معه من أعيان أمراء الحبشة نحو خمسة أنفار والبقية لبط ، وفيهم من هو عريان مكشوف الرأس وعلى رأسه شوشة بشعر ، وفيهم من في أذنه حلق ذهب قدر القرصة وفي أيديهم أساور ذهب ، وأما القاصد الكبير ذكروا على أنه ابن أمير كبير الحبشة ، وقيل إن أباه هو الذي حضر في دولة الأشرف قايتباي ، فكان على رأسه خوذة منخل أحمر وفيها صفائح ذهب وفيهم بمض فصوص ، وعلى رأس الخوذة درة كبيرة مثننة ، وعليه شاياء حرير ملون ، وعلى بقية أعيان أمراء الحبشة شايات حرير ملون وعلى رؤوسهم شدود حرير ، وذكروا أن فيهم شخصا شريفا ، فكان مجموع ذلك الحبشة الذين حضروا (٦ آ) إلى مصر نحو ستمائة إنسان ، وأوساطهم مشدودة بمجوايص كهيئة الزناير ، وكان معه لماشقا من الصليبة طبلين على حمل يضربون عليها ، وكان صحبتهم البترك الكبير وعليه برنس حرير أزرق وخلفه طراز ذهب ، واصطفت جميع النصارى الذين في مصر للفرجة عليهم ، وكان أعيانهم راكبة على خيول والبقية مشاة ، فطلعوا إلى القلعة من سلم المدرج ، والبترك ماش قدامهم ، فلما وصلوا إلى باب الحوش كان صحبتهم كراسى حديد عالية وقصدوا يجلسون عليها بمحضرة السلطان فامسكتهم الرؤوس نوب من ذلك ووقع في أيام الأشرف قايتباي مثل ذلك وطلعوا معهم بكراسى فامسكتهم من الجلوس عليها بمحضرة السلطان .
- ٢١ فلما وصل هذا القاصد إلى باب الحوش قبل الأرض ، فلما وصل إلى أوائل البساط قبل الأرض هو ومن معه من أعيان الحبشة ، ولم يدخل قدام السلطان غير سبعة أنفس والبقية لم يدخلوا ، فلما قربوا من السلطان قبلوا الأرض بين يديه ثالث مرة ،

ثم قدموا كتاب ملك الحبشة ، قيل إنه في ضمن غلاف من الفضة وقيل من الذهب ،
فلما قرئ على السلطان وجد فيه ألفاظا حسنة ونمنا عظيما للسلطان ، وأن قصادنا
أتوا إلى مصر ليزوروا القيامة التي بالقدس فلا تمنعهم من ذلك . فاستمروا على ٣
أقدامهم واقفين نحو خمس درج حتى قرأوا كتابهم ثم انصرفوا ونزلوا من القلعة ،
فرسم لهم السلطان بأن يقيموا في ميدان المهارة الذي بالقرب من قناطر السباع إلى
أن يسافروا ، وأرسل لهم خياما ضربت لهم من داخل الميدان ، ووكل بباب ٦
الميدان جماعة من المالك يمنعون من يدخل إليهم من العوام ، فلما نزلوا من القلعة
نزل معهم الوالى والمهندار وجماعة من الرؤوس النوب فوصلهم إلى الميدان خوفا
عليهم من العوام أن يرجوهم ، فكان لهم يوم مشهود . فإن قصاد ملوك الحبشة ٩
لا يدخلون إلى مصر إلا قليلا ، فإن بلادهم بعيدة ، حتى قيل إن هذا (٦ ب) القاصد
له تسعة أشهر مسافر حتى دخل إلى مصر . ثم إن القاصد أرسل إلى السلطان مقدمة
لم تكن كبيرة أمر ، قيل قومت بنحو خمسة آلاف دينار أو دون ذلك ، فلما ١٢
عابها وبخ الذى طلع بها وأحضر له قوائم بهدايا ملوك الحبشة إلى الملوك السالفة
مثل الأشرف يُرسبى والظاهر جقمق والأشرف قايتباى وغير ذلك من الملوك ،
وأحضر له عدة توارىخ بذكر هدايا ملوك الحبشة إلى ملوك مصر فقرئت عليه ، ١٥
ولكن ضعف أمر ملوك الحبشة بالنسبة إلى ما كانوا عليه من قديم الزمان ، حتى
نقل بعض المؤرخين أن كان لملوك الحبشة على النيل ستين مملكة لا ينازع بعضها بعضا
فيما بأيديهم من الأراضى التى هناك ، والآن قد ضعف أمرهم بالنسبة لما كانوا عليه ١٨
من قبل ذلك . وقد أرسل بعض ملوك الحبشة مقدمة للملك الناصر محمد بن قلاوون
في سنة اثنى عشرة وسبعمائة ، فقومت تلك المقدمة بمائة ألف دينار أو أكثر
من ذلك حتى عُدَّت من النوادر . ثم إن قاصد الحبشة أقام في الميدان ثلاثة أيام ٢١
وسافر هو ومن معه من الحبشة إلى القدس ليزوروا القيامة .

وفيه حضر الأمير طومان باى الدوادر ، وقد تقدم القول على أنه سافر إلى جهة

- القيوم هو والأمير أرمزمك الناشف ليكشفنا على الجسر الذى هناك وقد انقلب من الماء ، وكان السلطان قصد أن يتوجه إلى هناك بنفسه فأتى ذلك له ، فلما توجه الأمير الدوادر إلى هناك قدروا على عمارة هذا الجسر نحو ثلاثين ألف دينار ، فلما رجعا أخبرا السلطان بذلك . - وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين السكندرى وقرره إماما ، عوضا عن الشيخ عبد الدين الشاذلى الإمام بحكم وفاته ، وقيل إن شمس الدين السكندرى سعى في هذه الوظيفة بألف ومائتى دينار حتى قررها . - وفيه أكل السلطان تفرقة ثمن اللحوم (٧٢) التى كانت مكسورة للمسكر ، وقيل إن السلطان أخرج من الخزائن الشريفة خمسة عشر ألف دينار وسلمها للقاضى ترف الدين الصغير ناظر الدولة ليشتري بها أغناما بسبب تفرقة لحوم المالك ، وقال : ما بقيت أكرس للمسكر لحوما . وقد ثقل عليه ما أصرفه للمسكر بسبب اللحوم التى كانت منكسرة لهم ، حتى قيل إنه أصرف في حركة تفرقة ثمن اللحوم فوق الأربعين ألف دينار عما قيل ، واستمرت الوزارة شاغرة من حين عزل عنها يوسف البدرى وقد استعفى من ذلك . - وفيه نادى السلطان للمسكر بأن كل من كان له فرس أو أكثر في الديوان يطلع يقبض ثمنه ، ومن حين تحقق السلطان أن ابن عثمان زاحف على البلاد السلطانية وهو يأخذ بخواطر المالك القرانصة ويرضيهم بكل ما يمكن ، وأصرف لهم اللحوم التى كانت منكسرة ، وأعطاهم ثمن الخيول التى كانت لهم في الديوان . - وفيه أخرج السلطان خراجا من ممالكه الفورية ففرق عليهم في ذلك اليوم زرديات وسيوفا وراكيش وقسيًا ونشابا ، وكانوا نحو ثلثمائة مملوك . - وفيه توفى الأمير قنك من تبوك أحد الأمراء الطبلخانات ، وهو ابن عم الأتابكي أزيك من ططخ ، وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة . ٢١

وفيه أرسل السلطان إلى عبد الرزاق أخى على دولات ، وإلى أولاد على دولات الكبار والصغار ، ثمانية آلاف دينار ، قُسمت بينهم ، وأرسل يقول لهم :

٢٤ اعملوا بهذه النفقة يرقمكم واخرجوا سافروا قبل خروج التجريدة فاجمعو عساكركم

من التركان إلى أن أحضر أنا والعسكر . - وفيه أرسل السلطان مكاحل حديد ومدافع صوان إلى ثغر الإسكندرية وتمضى في مراكب إلى هناك ، فكانوا نحو مائتي مكحلة ، وقد بلغه بأن ابن عثمان جهّز عدّة مراكب نجىء على السواحل ٣ للديار المصرية . - وفيه نادى السلطان في القاهرة بأن أصحاب الدكاكين والأملّك يقطعون الأراضى من الأسواق والشوارع ، فامتثلوا ذلك وشرعوا في العمل ، لكن حصل (٧ ب) للناس مشقة زائدة في المصرف على ذلك لجماعة الوالى والترابة ٦ في شيل التراب ، وقد وقع له مثل ذلك في أوائل سلطنته في سنة تسع وتسعمائة وقطع الطرقات قاطبة وادّعى أن الأراضى قد علّيت ، وقد تقدّم لى أنى قلت في ذلك :

في دولة النورى رأينا العجبُ وقد حمّلنا فوق ما لا نطيق
وقد كفى في عامنا ما جرى من قلة الأمن وقطع الطريق

١٢ وفي يوم الخميس خامس عشرينه أظهر السلطان العدل وأشهر المنادة عن لسان السلطان في سواحل مصر العتيقة وبولاى بأن المكوس التى كانت تؤخذ على الغلال بطالة ، وكانت مظلمة عظيمة من البدع المنكرة وهو أنه كان يؤخذ على كل أردب قمح أو شعير أو فول يُباع أو يُشترى نصف فضة ، وكان الأشرف قايتباى أبطل ذلك ، فلما تسلطن ابنه الناصر أعاد هذه المظلمة ، فلما تسلطن الأشرف قانصوه النورى تزايد الأمر حتى صار يؤخذ على كل أردب غلال ثلاثة أنصاف من البائع والمشتري وصار يُسمى الموجب ، ثم انتقلوا من الغلال إلى أن جعلوا على البطيخ ١٨ مكسا أيضا ، فاستمر ذلك مدة طويلة إلى أن ألهم الله تعالى السلطان إلى إبطال ذلك جميعه . - وفي يوم السبت سابع عشرينه كان دخول الأمير ألامس أحد الأمراء العشرات على ابنة الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير كان ، فكان ذلك المهم ٢١ من المهمات المشهورة ، وحضر فى المدة الأتابكى سودون المعجمى والقرى الناصرى

(٥) والشوارع : والشوارع . (٨) الأراضى : الأرضى .

(١٣) التى : التى .

محمد نجل المقام الشريف ، وسائر الأمراء من كبير وصغير ، وكان يوما مشهودا . -
 وفي يوم الاثنين تاسع عشر منه أكل السلطان تفرقة ثمن الخيول التي كانت للمسكر
 في الديوان ، وكذلك أكل تفرقة اللحوم التي كانت مكسورة للمسكر ، وعوق ٣
 بمض لحوم كانت (٨ آ) مكسورة لجماعة من مباشرى الزردخانة . - وفي ذلك اليوم
 طرق السلطان أخبار ردية بسبب ابن عثمان ، فتأكد لذلك وخلا هو والأمراء
 يضربون مشورة في أمر ابن عثمان . - وفي يوم الثلاثاء سلخ هذا الشهر أشهر ٦
 السلطان المنادة في القاهرة للمسكر بالمرض يوم الخميس ثاني صفر ، وأن لا يتأخر
 عن المرض أحد من المسكر من كبير ولا صغير ، فاضطربت لذلك أحوال المسكر
 قاطبة . ٩

وفي صفر كان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة
 للتهنئة بالشهر ، فقال السلطان للخليفة لما جلس : اعمل يرقك إلى السفر وكُن على
 يقظة فإنى مسافر إلى حلب بسبب ابن عثمان . وقال للقضاة الأربعة مثل ذلك : اعملوا ١٢
 يرقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحتي . فقالوا : الرسوم مرسومك . -
 وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على شخص من القراء يقال له شهاب الدين بن الروي
 وقرره إمامه ، عوضا عن عبد الرزاق الإمام بحكم وفاته ، وقيل إنه سقى في هذه ١٥
 الوظيفة بألف دينار حتى قرّر بها . - وفي يوم الخميس ثانيه جلس السلطان بالميدان
 وعرض المسكر من كبير وصغير وكتب الجميع ، فعرض في ذلك اليوم أربع طباق
 ولم يعف من المسكر أحدا . - وفي ذلك اليوم كانت وفاة الأمير خير بك من أبنال ١٨
 أحد الأمراء المقدمين ، ويُعرف بكاشف الغريبة ، وأصله من ممالك الأمير أبنال
 الأشقر أمير السلاح كان ، وقد ساعدته الأندار حتى بقى كاشف الغريبة ، ثم أنتم
 عليه السلطان بتقدمة ألف ، وسافر إلى الحجاز باش المسكر في التجريدة التي ٢١
 خرجت بسبب الجازاني وانتصر على العربان من قبيلة بني إبراهيم فخره وسهم

(٢) التي : التي . (٤) من مباشرى : من مباشرين . (٦) يضربون : يضربوا .
 (١١) للتهنئة : للتهنة . (١٧) ولم يعف : ولم يعفى .

وأرسلها إلى القاهرة ، وكان مسعود الحركات ، فلما مات نزل السلطان وصلى عليه وكانت جنازته مشهودة ، وكان (٨ ب) في سعة من المال تخلف من الوجود ما لا يحصى . - وفي يوم السبت رابعه عرض السلطان ممالك الأمير خاير بك المتوفى وأخذ منهم ما اختاره وأرسلهم إلى الطباقي ، ثم رسم على دوا دار الأمير خاير بك وعلى مباشريه وشكهم في الحديد ، وكان الأمير خاير بك كتب وصية وبراً لجماعته ، فلم يلتفت السلطان إلى وصيته . - وفي أثناء هذا الشهر كانت وفاة الشيخ نور الدين علي المحلى رحمة الله عليه ، وكان يعرف بقرية ، وكان من أعيان علماء الشافعية وله شهرة زائدة بين الناس .

ومن الحوادث في ذلك اليوم ما وقع لعلم الدين جلبي السلطان وهو أنه كان ساكناً في الحسينية ، وكان السلطان رسم للوالى بأن يباشر قطع أراضي الأسواق بنفسه ، فلما انتهوا في القطع إلى الحسينية جاءوا بممالك الوالى إلى الحسينية وأخذوا حميراً من حمام الحبائل الذي هناك حتى يشيلوا عليها التراب الذي يقطعونه ، فنعمهم من ذلك جماعة علم الدين لأن الحسينية كانت في حمايته ، فاتقع جماعة علم الدين مع ممالك الوالى ، فجاء عبد علم الدين وقال لأستاذه عن ذلك ، وكان علم الدين في الحمام ، فقال علم الدين : اضربوا ممالك الوالى ، فاتكوا فيهم وضربهم ضرباً مبرحاً حتى فجعوا بعضهم وكسروا أيدي بعضهم . فلما سمع الوالى بذلك ركب وأتى إلى علم الدين ، فأغلظ عليه علم الدين في القول وربما سفه على الوالى ، فقبض الوالى على عبد علم الدين الذى ضرب ممالك الوالى فوضعه في الحديد ، ثم طلع الوالى إلى السلطان وأحضر ممالكه الذين ضربوا بين يدي السلطان ، فلما عين السلطان ذلك شق عليه ما فعله علم الدين في حق الوالى ، فلما طلع علم الدين إلى عند السلطان وظن أن السلطان يقوم في ناصره ، فلما عين السلطان علم الدين رسم لتقيب الجيش بأن يقبض على علم الدين ويمضى به إلى الوالى يوسطه وصمم السلطان على توسيطه ، فقبض لتقيب الجيش على

(٥) مباشرية : مباشرته . (٦-٨) وفي أثناء ... بين الناس : كتبها المؤلف في الأصل

على الهامش . (١٢) الذى هناك ... يقطعونه : الذى هناك ... يقطعونه . (١٩) الذين : الذى .

علم الدين وأقلمه (٩٩) سلاريه من عليه وفكك أزرار ملوطته وأركبه على بغلة ومضى به إلى عند الوالى ليوسطه ، فاستدرك الوالى فارطه فى هذه الواقعة وركب فى أثناء ذلك اليوم وأتى إلى أمير كبير سودون المعجمى وتراى عليه بسبب علم الدين الجلبى بأن يطلع يشفع فيه عند السلطان من التوسيط ، فطلع أمير كبير وشفع فيه فقبلت شفاعته . ثم إن الوالى ألبس علم الدين كاملية صوف بسمور وطلع إلى السلطان ليُبوس الأرض فنتَر فيه السلطان لما رآه وقال له : ازم يبتك ولا تُرنى وجهك أبداً ، فقبل إن علم الدين خدم السلطان بمال له صورة حتى رضى عليه وخدم الوالى أيضا بمال لكنه استمر ممنوعا من الطلوع إلى القلعة من بعد ذلك . وقد ترايد هذا الأمر الفشروى حتى خرج عن الحد ، وكان علم الدين لما قرّبه السلطان طاش وكان فى خدمة السلطان من حين كان أمير عشرة ، وكان علم الدين عنده بشمقدارا وهو صبي أمرد ، فلما تسلطن السلطان صار علم الدين عنده من المقرّيين ، وصار يلبس سلارى بصمور بكم قصير مثل الأمراء العشرات ، ويشقّ القاهرة والركبدار يمشى فى شقته يُفسيح له الطريق وخلفه بشمقدار وعلى كتفه فوطة حرير وهو راكب على بغلة عالية ، فكانت المالكى كلما رأوه يلعنونه فى الباطن وربما يُوعدونه بالقتل فإن أصله كان من أبناء الساسة الذين بالحسينية ، وأمه كانت ضائمة وعنده كثافة فى طبعه وقلة فضيلة ، فكان كما قيل :

نَقَصَتْ عَقْلًا وَفَهْمًا وَزِدَتْ لُحْمًا وَشَحْمًا

وَرِثَتْ طَالُوتَ جِسْمًا وَلَمْ تَرِثْ مِنْهُ عِلْمًا

وفى يوم الاثنين سادس صفر جلس السلطان بالميدان وعرض من المسكر فى ذلك اليوم أربع طباق . - ومن الحوادث اللطيفة فى ذلك اليوم أن السلطان أمر بإبطال المشاهرة والجامعة التى كانت على الحسبة ، وأشهر المنادة فى مصر والقاهرة بذلك وأن مكس البحرين الذى كان يؤخذ على اللال بطلال ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء

(٥) بسمور : بصمور . (١٤) يلعنونه ... يوعدونه : يلعنوه ... يوعدوه .

(١٥) كثافة : كتافه . (٢١) التى : الذى .

بالنصر ، وانطلقت له النساء (٩ ب) بالزغاريت من الطيقان ، ونقّط الناس
المشاعلية بالفضة الذين بشروا بذلك ، وكان يوما مشهودا ، وقد قلت في هذه الواقعة
هذه الأبيات :

٣

قد جاد سلطان الورى بَعْدَهِ في القاهرة
مُدَّ رخص الأسعار مع إبطاله المشاهره
كم جايِع من فرحة يدعو له مجاهره
وكم حزين قلبه بالكسر أضخى جابه
وقد عفى غلالنا من المكوس الجايه
وأصرف اللحم الذى أرضى به عساكره
فارتفعت أيدي الورى له بفضل شاكره
وحاز أجرا ناله من الدنيا والآخرة
وقد علا تاريخه فوق النجوم الزاهره
لأنه في عصره بين الملوك نادره
فيالها من سنة خيراتها مبادره
فكم له في الخير من أفعال يرّ ظاهره
يا ربّ فاجعل يده بكل باغ ظافره

٦

٩

١٢

١٥

وكانت هذه المشاهرة من أكبر أسباب الفساد في حق المسلمين ، فإن الوسائط
السوء حسّنوا للسلطان عبّره بأن يجعل على السوق كل شهر مالا يردونه للمحتسب ،
فتزايد الأمر إلى أن صار مقرّر على السوق في كل شهر فوق الألف دينار ترد للخزائن
الشريفة ، فكان الزيني بركات بن موسى المحتسب يرد في كل سنة للخزائن الشريفة
من المشاهرة والمجامة نحو ستة وسبعين ألف دينار من هذه الجهة وغيرها من الجهات

٢١

(٩) أرضى : أرضا . (١٢) النجوم الزاهره : أضاف المؤلف بخطه في الأصل على الهامش
العبارة الآتية : النجوم الزاهره اسم تاريخ الجمال يوسف بن تقي بردى المؤرخ .
(١٩) الألفين : الألفين .

التي متكلم عليها الزيني بركات بن موسى ، وكان جماعة من الأمراء الذين بنير أقاطيع
 محققا له في كل شهر على الزيني بركات بن موسى بما يتحصل من المشاهدة (١٠ آ)
 ٣ والجامعة ، فكانت السوق تجور في أسفار البضائع ولا يجسر من الناس أحد
 يكلمهم فيقولون : علينا مال السلطان نورده في كل شهر . فاستمر ذلك من أول
 دولة السلطان إلى الآن ، ألهم الله تعالى السلطان إلى إبطال ذلك . - وفيه وجد مملوك
 ٦ من ممالك السلطان مقتولا بباب الوزير ، وكان ذلك المملوك من ممالك السلطان
 من جلبانه ، وكان مسارعا ، فلا يعلم من قتله ، فتأكد المالك بسببه .

وفي يوم الثلاثاء سابعه عرض السلطان الأمراء القدامى والأمراء الطبلخانات
 ٩ والعشرات ، وقد دار نقيب الجيش على الأمراء القدامى وأعلمهم أن المرض يوم
 الثلاثاء فطلعو أجمعين ، فقبل عين في ذلك [اليوم] من الأمراء القدامى ستة عشر
 أميرا . وأما الأمراء الطبلخانات والعشرات فلم يُعَفِ منهم إلا القليل وعينهم أجمعين ثم
 ١٢ قال لهم : الذي له عُذر يعوقه عن السفر يذكره لي ، فأعفى منهم جماعة . - وفي يوم
 الخميس تاسمه أكمل السلطان عرض المسكر قاطبة ولم يُعَفِ منهم أحدا . - وفي ذلك
 اليوم أخلع السلطان على القاضي بركات بن موسى وقرره ناظر الذخيرة الشريفة كما كان
 ١٥ شمس الدين بن عوض ، ولم يُعَد الزيني بركات بن موسى إلى الحبسة ، فنزل من القلعة
 في موكب حفل وصحبته الأمير طومان باي الدوادار وقدامه السعاة ماشية وشق من
 الصليبية ، واستمرت الحبسة شاغرة إلى الآن لم يل بها أحد .

١٨ وفي يوم الجمعة عاشره صلى السلطان صلاة الصبح ونزل إلى الميدان ، ثم خرج من
 باب الميدان الذي عند باب القرافة وتوجه من هناك إلى الروضة وعدى إلى القياس
 وأقام به ذلك اليوم ، وأشيع أن السلطان يتوجه من هناك إلى الفيوم ليكشف عن
 ٢١ أمر الجسر الذي هناك انقلب من الماء ، وقد توجه الأمير طومان باي الدوادار
 والأمير أرزمك الناشف إلى هناك قبل ذلك وكشفوا عن أمر هذا الجسر ، فقدروا

(١) الذين : الذي . (١١ و١٣) فلم يعف : فلم يعف . (١٥ و١٧) الحبسة : الحبسة .

(١٧) لم يل : لم يل .

- (١٠ ب) بأن يتصرف على عمارته ثلاثين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، فلم يكتف السلطان بهذه الأخبار وتوجه إلى هناك بنفسه ليكشف عن أمر هذا الجسر . وكان صحبته من الأمراء المقدمين وهم : الأتابكي سودون المعجمي والأمير ٣ أركاس أمير مجلس والأمير سودون الدواداري رأس نوبة النوب والأمير أنصباي حاجب الحجاب والأمير طومان باي الدوادار والأمير تمر الزردكاش أحد المقدمين ، وبعض أمراء عشرات ونحو خمسين خاصكيا وبعض جماعة من المباشرين . فأقام ٦ في المقياس يوم الجمعة وصلى هناك صلاة الجمعة ثم عدى إلى الجزيرة ونصب له وطاق عند الأهرام ، فقام ذلك اليوم هناك ثم توجه إلى الفيوم من تحت الجبل .
- ومن الوقائع الغريبة أن السلطان لما غضب على علم الدين الجلبى بسبب ما تقدم ٩ فاستمرّ علم الدين ممنوعا من طلوعه للقلمة ، فقال السلطان لمحمد المتهار : ابصر لنا جلبى يخلق رأسى ، فأعرض عليه عدة جلبية فما أعجبه منهم أحد ، فقال له محمد المتهار : عندنا صبي صغير أمرد يسمى عبد الرزاق أصله من باب الوزير وهو يتيم ١٢ وكان يخلق لجماعة من الخدام وهو يخلق مليح ، فقال السلطان : احضره حتى يخلق لى ، فلما خلق له أعجبه خلاقته فاستقرّ به جلبى السلطان عوضا عن علم الدين ، فسافر هذا الصبي صحبة السلطان إلى الفيوم وأنعم عليه بكسوة حفلة يلبسها وأخرج له ١٥ إكديشا وبقلة وصار جلبى السلطان في ساعة واحدة ، وإذا أعطى لا منع والله عند القلوب المنكسرة جابر ، فعُدّ ذلك من النوارد ، والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجده ، وقيل في الأمثال : في الناس من تسعده الأقدار وفعله جميعه إدار . ١٨
- وفي يوم الاثنين ثالث عشره خرج عبد الرزاق أخو على دولات وأولاد على دولات الذين كانوا حضروا إلى مصر ، فلما أرسل إليهم السلطان ثمانية آلاف دينار عملوا بها يرقهم وخرجوا وسافروا في ذلك اليوم وقصدوا التوجه إلى حلب . ٢١
- وفي يوم الخميس سادس عشره جلس نائب القلمة ومقدم الماليك عند باب القلة ونفقوا الجماعية على المسكر في غيبة السلطان على جارى المادة .

- وفي يوم الأحد تاسع عشره حضر السلطان (١١ آ) من الفيوم وعدى من
الجزيرة فلاقاه الخليفة والقضاة الأربعة ، فشقّ من الصليبة وقدمه القضاة الأربعة
والأتابكي سودون المجمى وسائر الأمراء المقدمين وأعيان المباشرين ، وانسحبت ٣
الجناب قدامه ، وطلع إلى القلعة في موكب حفل ، فكانت مدّة غيخته في الفيوم
تسعة أيام فكشف على الجسر الذي هناك وعاد ، ودخل عليه تقادم كثيرة من
الكُشّاف ومن المدركين ما بين خيول وأغنام وأبقار مما أشيع بين الناس ، ٦
وغير ذلك من التقادم الناحرة . وقيل لما توجه الخليفة ليسلم على السلطان فلم يجتمع به
هناك فطلع بمد المصر إلى القلعة وسلم على السلطان وهنأه بالسلامة . -
ومن الحوادث في ذلك اليوم أن السلطان لما عدى من الجزيرة كان في ذلك اليوم رياح ٩
عاصفة ففرقت مركب قدام المقياس وقد ازدحمت فيها الخيول وشبت على بعضها ،
فأشيع أن المركب قد انقلبت بمن فيها ثم خمدت تلك الإشاعة عن ذلك الخبر .
وفي يوم الاثنين عشرينه كان فطر النصرارى وهو أول يوم في الخمسين وعيد ١٢
النصارى ، وكانت خمسين مباركة لم يظهر فيها شيء من أمر الطاعون بالديار المصرية
ولا بأعمالها قاطبة . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أشيع بين الناس أن النيل ١٥
قد زاد ذراعين ، فطلع ابن أبي الرداد وأخبر السلطان أن النيل قد زاد نصف ذراع ،
وكان النيل يومئذ في اثنتي عشرة ذراعا وثلاثة أصابع ، فزاد على ذلك نصف ذراع
وكان ذلك في شهر برمّهات ، وسبب هذه الزيادة أن الأمطار كانت كثيرة بأعلا ١٨
بلاد الصعيد فأنحدر منها السيول إلى النيل فزاد هذه الزيادة في غير أوانها ، وقد وقع
مثل ذلك في بعض السنين الماضية وزاد فيها النيل في غير أوانه بسبب السيول فزاد
نحو ذراعين . - وفي يوم السبت خامس عشرينه جلس السلطان في الميدان وعرض ٢١
الأمراء الطبلخانات والعشرات ورءوس النوب (١١ ب) فلما عرضهم قال لهم :
اعملوا يرقمكم وكونوا على يقظة من السفر فإني أتفق وأخرج في جمعة واحدة ، فزولوا
على ذلك .

- وفى يوم الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساع^(١) ، وقيل اثنان ، من عند نائب حلب ، وأخبرا بأن نائب حلب أرسل مطالعة على أيديهما ، فلما قرئت على السلطان فإذا فيها أن شاه إسماعيل الصوفى ملك العراقين جمع من العساكر ما لا يحصى عددهم وهو ٣ زاحف على بلاد ابن عثمان ، وكان فى سنة عشرين وتسعمائة حصل بينه وبين سليم شاه ابن عثمان ملك الروم وقعة مهولة ، وقد تقدم القول على ذلك ، وانكسر منه شاه إسماعيل الصوفى كما تقدم ، فاستمرّ الصوفى من حين جرى له ما جرى وهو فى جمع ٦ عساكر واستعان بملوك التتار ، ف قيل إنه جمع الجمّ الغفير من العساكر فإن ابن عثمان كان قد قتل غالب عسكره فى الوقعة المقدم ذكرها ، فلما راج أمر الصوفى وجمع العساكر قصد الزحف على بلاد ابن عثمان ف قيل إنه كبس على جماعة ابن عثمان الذين كانوا فى آمد وقد ملكها من يد الصوفى ، فلما تحارب معه وانكسر الصوفى فجعل ابن عثمان فيها نائبا من قبله ، فأشيع أن الصوفى كبس على من كان بآمد على حين غفلة وقتل من كان بها من العثمانية واستخلصها من يدى جماعة ابن عثمان وانتصر عليهم ، ١٢ فلما طرق السلطان هذا الخبر اجتمع بالأمرء فى الميدان وأقاموا فى ضرب مشورة بسبب ذلك إلى قريب الظهر ، وقد أشيع بأن السلطان قال : أنا أخرج بنفسى وأقعد فى حلب حتى نرى ما يكون من أمر الصوفى وابن عثمان ، فإن كل من انتصر منهما على غريمه لابد أن يزحف على بلادنا . فانفضّ المجلس على أن لابد من خروج تجريدة تقيم بحلب ويحرسون البلاد ، وأشيع فى ذلك اليوم بإحضار الكُشّاف ومشايخ العربان وأزمهم بأن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ١٨ (١٢ آ) ويوزعوا ذلك على سائر البلاد من الشرقية والغربية وجهات الصعيد ، وهذا أكبر أسباب الفساد فى حق الجند والمقطعين فإن الكُشّاف ومشايخ العربان يأخذون فى هذه الحركة من البلاد المثل عشرة أمثال لأنفسهم ، والأمر فى ذلك ٢١ لله تعالى .

(١) ساع : ساعى . (٢) أيديهما : أيدهما . (٩) الذين : الذى .

(١٧) ويحرسون : ويحرسوا . (٢١) يأخذون : يأخذوا .

وفي ربيع الأول كان مستهل الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة
وهنوا السلطان بالشهر . - وقيل إن السلطان في ثاني الشهر أرسل شمس الدين بن
٣ ناسي وبركات بن الظريف شيخ القراء إلى الخليفة وهو يقول له : اعمل يركك إلى السفر
فإن لا بد من سفر السلطان إلى حلب وأنه يتفق ويخرج في شهر واحد ، فتأكد الخليفة
لهذا الخبر . - وفي يوم الأحد نأثه جلس السلطان بالميدان وعرض خاصكته الخواص
وعين منهم جماعة إلى السفر ، ثم طلع ودخل إلى قاعة اليسرية وفتح الخواصل وأخرج
٦ منها عدة سروج بلور وعقيق وكنائش زركش وسروج ذهب وبركستوانات فولاذ
مكفتة بذهب وغير ذلك ، وأفرد منهم ما حسن بباله لأجل الطلب إذا خرج وسافر ،
وهذا كله حتى يشاع بين الناس سفر السلطان إلى حلب . ٩

وفي يوم الثلاثاء خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض الأمراء الطليخانات
والعشرات وألزم كل أمير بأن يستخدم عنده ممالك بحسبها يعمل إقطاعه ، فأفرد على
١٢ جماعة منهم خمسة عشر مملوكا وعلى جماعة منهم عشرة ممالك وشيء منهم قيل خمسة
وشيء ثلاثة وشيء اثنين وشيء واحد ، وقرر معهم أنه بعد المولد يمرضهم قدامه
بالميدان وهم باللبس الكامل والخيول المكففة ، وكل من لا يفعل ذلك يخرج عنه
١٥ أمرته ويجعله طرخان . - وفي يوم الثلاثاء المذكور أعلاه نزل القاضي شهاب الدين بن
الجميعان نائب كاتب السر عن لسان السلطان إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله بسبب
عمل يرق الخليفة ، وقد كشفوا في الدفاتر القديمة أن الخليفة إذا سافر صحبة (١٢ ب)
١٨ السلطان يكون جميع عمل يرقه على السلطان ، فكتب الخليفة قوائمه بمصروف عمل
اليرق فكان ذلك بنحو عشرة آلاف دينار ، وقيل خمسة آلاف دينار ، فأخذ الشهابي
أحمد تلك القوائمه وطلع إلى القلعة حتى يمرضهم على السلطان . - وفي أوائل هذا
٢١ الشهر أخلع السلطان على الأمير طراباي الذي كان قبل ذلك نائب صفد وأعاده إلى
نيابة صفد كما كان ، وعزل عنها يوسف الذي كان نائب القدس وولى نيابة صفد عن
قريب وله دون السنة وعزل عنها .

وفي يوم الأربعاء سادسه جلس السلطان بالميدان وعرض ممالكه الجلبان قاطبة ٢٤

وعينهم إلى السفر صحبته أجمعين، ولم يعف منهم سوى المالك الصغار الكتابية الرد . -
وفي يوم الخميس سابعه رسم السلطان للطواشية بأن تدور على المالك البطالة وأولاد
الناس الذين كان السلطان قطع جوامكهم بأن يطلعوا يوم السبت للمرض ، فالذى ٣
يصلح للسفر يعيد السلطان له جامكته ويكتبه للسفر ، ثم من بعد ذلك ظهر بأن
إشاعة ردّ الجوامك التى قُطعت بطالة . - فلما كان يوم السبت تاسعه جلس السلطان
بالميدان وعرض جماعة من المالك القرانصة من الشيوخ والعواجز وأولاد الناس ٦
أصحاب الجوامك ، فلما عرضهم عيّن منهم جماعة للشرقية يكونون مع الكاشف حيثما
يسرح ، وعيّن منهم جماعة مع كاشف الغربية ، وجماعة منهم إلى البحيرة ، وجماعة
منهم إلى الطرانة ، وجماعة إلى المنوفية ، وجماعة إلى منفوط ، وجماعة إلى الجيزة ، ٩
وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف ردّ العربان إذا ظهر منهم فساد فى البلاد فى غيبة
السلطان إذا سافر ، وقد قويت الإشاعات بسفر السلطان إلى حلب ، وقد دارت
الطواشية على المالك القرانصة وأولاد الناس بسبب هذا العرض حتى عيّن منهم هذه ١٢
الجماعة إلى هذه الجهات المذكورة لا بسبب ردّ الجوامك التى كانت قُطعت للمالك
العواجز وأولاد الناس ، وقد أسفرت هذه الواقعة على ما ذكرناه أعلاه . -
وفى يوم الأحد (١٣ آ) عاشره نزل السلطان وعدّى إلى برّ الجيزة وعرض جمال ١٥
الأمير خاير بك كاشف الغربية الذى توفى ، ثم عاد وطلع إلى القلعة ودخل إلى قاعة
البيسرية وعرض ذلك اليوم بكاتر وقرّقات وجواشن وغير ذلك أشياء كثيرة
من آلة السلاح من حواصل الذخيرة . ١٨

وفى يوم الاثنين حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى على العادة
ونصب الخيمة العظيمة التى صنعها الأشرف قايتباى ، قيل إن مصروفها ستة وثلاثون
ألف دينار ، وهذه الخيمة كهيئة قاعة وفيها ثلاثة لواوين وفى وسطها قبة على أربعة ٢١
أعمدة عالية ، لم يُعمل فى الدنيا قطّ لها نظير ، وهى من قماش ملون ، وهذه الخيمة

(١) ولم يعف : ولم يعف . (٢) سابعه : سادسه . (٣) الذين : الذى .
(٤) التى : الذى . (٥) يكونون : يكونوا . (٦) حيثما : حيث ما .

لا ينصبها إلا ثلاثمائة رجل من النواتية ، فنصبها بالحوش ، ونصب الشربدارية في الحوش أحواض جلد ممتلئة بالماء الحلو ، وعلقوا شوكت بالكيزان الفاخرة ، وزينوا بالأواني الصيني والطاسات النحاس ، وأوسعوا في زينة الشرا بجاناه أكثر من كل سنة ، ثم جلس السلطان في الخيمة وحضر الأتابكي سودون المعجمي وسائر الأمراء من المقدمين وغيرها ، وحضر القضاة الأربعة وأعيان الناس من المباشرين على العادة ، ثم حضر قراء البلد قاطبة والوعاظ على الدادة ، ثم مد السلطان السباط الحافل وأوسع في أمره ، وكان ذلك اليوم مشهودا وأبهج مما تقدم من الموالد الماضية .

- ٩ وفي ذلك اليوم توفى قاضي القضاة محي الدين بن النقيب رحمة الله عليه ، وهو محي الدين عبد القادر بن علي بن مصلح الشافعي ، وكان يقرب للخواجاء شمس الدين ابن قضا الجوهري ، وكان من أهل العلم والفضل لكنه كان بجاق النفس ويُنسب إلى شح زائد ، وله في ذلك الأمر أخبار شنيعة لم نذكرها هنا لكنها شائعة بين الناس ، ومات وقد ناف عن السبعين سنة من العمر وقارب الثمانين ، وكان سبب موته أنه كان كثير المشي في الأسواق بقبقاب سحك ، فتوجه إلى خان الخليلي فرفسه فرس فوقع على نخذه فانكسر فحملوه إلى خلوته التي بالمدرسة المنصورية فأقام أياما (١٣ ب) ومات ، وكان منفصلاً عن القضاء ، وقد ولي منصب القضاء ست مرات ونفذ منه في هذه الست ولايات ستة وثلاثين ألف دينار ، وكانت مدة إقامته في هذه الست ولايات نحو سنتين ، وكان قليل الحظ عند الناس قاطبة ، وكان يسمى على القضاة التوليتين ولا يزال عليهم حتى يعزلهم ويتولى منصب القضاء ، فمُزل به قاضي القضاة زين الدين زكريا وقاضي القضاة ابن أبي شريف وقاضي القضاة القلقشندي وقاضي القضاة كمال الدين الطويل وبدر الدين المكيبي وعلاي الدين بن النقيب ، وكان يسمى عليهم بجملة مال ولا يقيم في منصب القضاء غير أشهر ويُعزل ، فنفذ منه هذه الأموال الجزيلة ولم يحك في كل ولاية غير أشهر ويُعزل ، وقد قلت
- (١) ثلاثمائة رجل : ثلثمائة رجلا . || الشربدارية : الشربدارية .

في ذلك مداعبة لطيفة :

- مَنْصَبُ الْحَكَمِ فِي الْقَضَا قَالَ لَهَا كَشَفَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنْ هُمُومٍ
 زَالَ عَنِّي ابْنُ النَّقِيبِ وَإِنِّي كُنْتُ مَعَهُ فِي قَبْضَةِ التَّرْسِيمِ ٣
 وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَتَحَصِّلَ ابْنِ النَّقِيبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ وَظَائِفِهِ نَحْوُ أَشْرَفِيِّينَ مِنْ
 خَبَزٍ وَجَوَامِكٍ ، فَكَانَ يَحْرِمُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالشَّرْبِ وَالْمَلْبُوسِ وَيَحْصِلُ الْمَالِ
 وَيَسْمَى بِهِ فِي وَظِيفَةِ الْقَضَاءِ وَلَا يَمُكِّثُ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلَ . - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا تَوَفَّى ٦
 الْمَهْتَارَ حَسَنَ الشَّرْبِ دَارَ مَهْتَارِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ فِي سَعَةِ مِنَ الْمَالِ وَصَادَرَهُ السُّلْطَانُ غَيْرَ
 مَا مَرَّةً ، فَلَمَّا مَاتَ خَتَمَ السُّلْطَانُ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَوْلَادِهِ . - وَفِي يَوْمِ
 الثَّلَاثَاءِ ثَانِي عَشْرِهِ تَوَفَّى الشَّيْخَ مُحَمَّدَ الدِّينِ الْحَلْبِيَّ إِمَامَ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٩
 عِنْدَهُ ، وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ .

- وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشْرِهِ وَرَدَ عَلَى السُّلْطَانِ مَطَالَعَةٌ مِنْ عِنْدِ سَيَايَ نَائِبِ الشَّامِ
 وَقَدْ بَلَغَهُ حَرَكَةُ (١٤ آ) سَفَرِ السُّلْطَانِ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ فَأَرْسَلَ يَقُولُ لَهُ : يَا مَوْلَانَا ١٢
 السُّلْطَانُ إِنْ الْبِلَادَ الشَّامِيَةَ مَغْلِيَّةً وَالْعَلِيقَ وَانْتَبَهَ مَا يَوْجَدُ وَالزَّرْعَ فِي الْأَرْضِ
 لَمْ يُحْصَدْ وَلَا ثَمٌّ عُدُوٌّ مَتَحَرِّكٌ فَلَا يَتَعَبُ السُّلْطَانُ سِرَّهُ وَلَا يَسَافِرُ وَإِنْ كَانَ ثَمَّ عَدُوٌّ
 مَتَحَرِّكٌ فَنَحْنُ لَهُ كَفَايَةٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ السُّلْطَانُ إِلَى كَلَامِهِ وَاسْتَمَرَّ بِأَقْيَا عَلَى حَرَكَةِ السَّفَرِ ١٥
 إِلَى حَلَبَ . - وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشْرِهِ أَخْلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ أَرْزَمَكَ النَّاشِفِ
 أَحَدَ الْمُقَدِّمِينَ وَقَرَّرَهُ أَمِيرَ حَاجِ بَرَكَبِ الْمُحْمَلِ ، وَأَخْلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ بُرْسَبَايَ الْفِيلِ أَحَدَ ١٨
 الْأَمْرَاءِ الطَّبَلْخَانَاتِ وَقَرَّرَهُ أَمِيرَ حَاجِ بِالرَّكَبِ الْأَوَّلِ ، فَتَزَلَا مِنَ الْقَلْعَةِ فِي مَوْكَبِ
 حَفَلٍ . - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَخْلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ أَلْمَاسَ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ ،
 وَيُعرفُ بِدَوَادِرَ سَكِينِ ، وَقَرَّرَهُ فِي وِلَايَةِ الشَّرْطَةِ بِالْقَاهِرَةِ ، عَوَظًا عَنِ الْأَمِيرِ كَرْتَبَايَ
 بِحَكْمِ انْتِقَالِهِ إِلَى تَقْدِيمَةِ أَلْفَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ كَرْتَبَايَ مِنْ أَعْيَانِ مَمَالِيكَ السُّلْطَانِ وَوَلِي ٢١
 كَشَفَ الشَّرْقِيَّةَ وَوِلَايَةَ الْقَاهِرَةِ ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ بِتَقْدِيمَةِ أَلْفَ ، وَقِيلَ إِنَّ الْأَمِيرَ
 أَلْمَاسَ سَمِيَ فِي الْوِلَايَةِ بِوَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، مِنْهَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مَعْجَلًا

والعشرين الأخرى يردّها على نقدرات متفرقة . - وفي ذلك اليوم أدخل السلطان على مملوكه الأمير ماماي الصغير وقرره في نظر الحسبة الشريفة ، عوضا عن الزيني بركات ابن موسى بحكم انتقاله إلى أستاذارية الذخيرة ، فكانت مدة إقامة الزيني بركات ابن موسى في الحسبة إحدى عشرة سنة إلّا أشهر وعُزل والناس عنه راضية ، وقيل إن الأمير ماماي الصغير سمى في الحسبة بخمسة عشر ألف دينار حتى وليها ، وكانت الحسبة والولاية في قديم الزمان من أقلّ الوظائف ووليها جماعة كثيرة من أبناء الناس والفقهاء ، ولكن عظم أمر هاتين الوظيفتين في هذا الزمان إلى الغاية وصارتا من أجلّ الوظائف ، وهذه الأموال العظيمة التي سعوها بها هؤلاء ما يستخلصونها إلّا من أضلاع (١٤ ب) المسلمين والأمر لله .

وفي ذلك اليوم نفق السلطان على العسكر نفقة السفر ، وقد تحقّق أمر خروج التجريدة ، فنفق على كل مملوك مائة دينار ، وجامكية أربعة شهور بثمانية آلاف ، وثمن جل سبعة أشهرية . ثم إن السلطان كتب أولاد الناس قاطبة إلى السفر ولم يعطهم نفقة بل أعطاهم جامكية أربعة شهور معجلاً بثمانية آلاف ، وكان سبب ذلك أن القاضي شرف الدين الصغير كاتب الماليك قال للسلطان : نظرنا في بعض التواريخ أن الملك الظاهر برقوق لما خرج إلى التجريدة لم ينفق على أولاد الناس شيئا ، فأعجب السلطان منه ذلك وقطع نفقة أولاد الناس قاطبة ، فكثّر عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب ذلك ، وكانت هذه الواقعة من أعظم مساوئه في حق أولاد الناس وحصل لهم كسر خاطر . - وفي يوم الأحد سابع عشره ظهر أحمد بن الصايغ الذي كان ضدّ الزيني بركات بن موسى في الحسبة ، وكان له مدّة وهو مخنّف فظهر في ذلك اليوم وقابل السلطان ، ثم خدّ أمره ولم ينتج مع وجود الزيني بركات بن موسى . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره فيه توفيت خوند جان سُكر الجركسية ، مُستولدة السلطان ، وهي أم ولده الذي توفي في الفصل سنة عشر وتسعمائة ، وكانت دينة

(٧) هاتين : هذين . (٨) ما يستخلصونها : ما يستخلصوها .

(١٣) ولم يعطهم : ولم يعطهم . (١٩) مخنّف : مخنّف .

خيرة قليلة الأذى ، فلما أشيع موتها طلع الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء وأعيان ما في المباشرين ، فصلى عليها الخليفة عند باب الستارة ، ونزلوا بها من سلم المدرج وهي في بشخانة زركش ، ونهبت الكفارة من قدامها قبل أن تنزل من القلعة ، ومشى الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء قدامها من القلعة إلى مدرسة السلطان التي في الشرابشين ، فدُفنت هناك على أولادها ، ولم يدخلوا بها من باب زويلة بل دخلوا بها من خوخة أيدغمش ، وكانت جنازتها حفلة وكثر عليها الأسف والحزن من الناس .

وفي يوم الخميس عشرينه وقف جماعة من أولاد الناس (١٥ آ) إلى السلطان بسبب النفقة ، فلما وقفوا له ساعدهم الأمير علان الدوادر وبقية الأمراء فلم يرث لهم السلطان ، وقال لهم : أنا ما عندي نفقة ، الذي ما له قدرة على السفر يرد الأربعة شهور الذي أخذها وأنا أترك له شهر ويقعد يستريح وعننى يقطع جامكيته . فردّ جماعة كثيرة من أولاد الناس الأربعة شهور التي أخذوها واستمرّ أمرهم مبنياً على السكون . - ١٢

وفي يوم الأربعاء ويوم الخميس نفق السلطان على العسكر بقية النفقة . - وفي يوم السبت ثالث عشرينه أكل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من قرانصة وجلبان ونادى لهم في الحوش أن السفر أول الشهر ، فاضطرب أحوال العسكر وارتجت القاهرة وعزّ وجود الخيل والبغال ، وصارت الممالك يهجمون الطواحين ويأخذون منها الخيول والبغال والأكاديش ، ففُلقت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من الأسواق وكذلك الدقيق ، ووقع القحط بين الناس وضجّ العوام وكثر الداء على السلطان ، ١٨

وغُلقت أسواق القماش من الممالك واختفى الصنایمية والخياطون واضطربت أحوال القاهرة ، واختفى جماعة من التجار خوفاً من الممالك ، واختفى طائفة من الفلمان لأجل السفر ، وصارت أحوال مصر مثل يوم القيامة كل واحد يقول : روى روى . ٢١

(٩) فلم يرث : فلم يرث . (١٢) التي : الذي .

(١٦) يهجمون ... ويأخذون : يهجموا ... ويأخذوا . (١٩) والخياطون : والخياطين .

(٢٠) لأجل : من لأجل .

وقد أعاب المسكر على السلطان هذا الراج الذي يقع منه ، ولم يعيش على طريقة الملوك
السالفة عند خروجهم للسفر ، ولم يكن أمر يستحق لهذا الراج العظيم ، ولا جاءت
الأخبار بأن ابن عثمان قد وصل إلى حلب ، ولا جاليشه ، ولا تحرك من بلاده ،
وقد أعاب على السلطان أيضا عرضه لمسكر مصر قاطبة في أربعة أيام وتفق عليهم
مع العرض فخشوا أن يشاع هذا الخبر في بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفي أن السلطان
قد عرض عساكره في أربعة أيام فينسبونهم إلى قلة وأن ماتم بمصر عساكر ، وربما
يطمع العدو إذا سمع ذلك وما كان هذا عين الصواب (١٥ ب) وهذه الأحوال كلها
غير سالحة .

وفي يوم السبت المقدم ذكره أرسل السلطان نفقة الأمراء المتقدمين ، فأرسل
للأتاكي سودون المجي خمسة آلاف دينار ، والأمير أركاس أمير مجلس والأمير
سودون الدواداري رأس نوبة النوب والأمير أنصباي حاجب الحجاب لكل واحد
منهم أربعة آلاف دينار ، وبقية الأمراء المتقدمين الذين بغير وظائف لكل واحد
منهم ثلاثة آلاف دينار . وأين هذه النفقة من النفقة التي كان يرسلها الأشرف
قايتباي للأمراء المتقدمين عند خروجهم إلى تجاريد ابن عثمان ، فكان يرسل للأتاكي
أزبك وحده ثلاثين ألف دينار والأمير تراز أمير السلاح عشرين ألف دينار وأمير
مجلس مثل ذلك ، وبقية الأمراء أرباب الوظائف لكل واحد منهم خمسة عشر ألف
دينار ، وبقية الأمراء المتقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عد ذلك
من النوادر الغريبة ، ولم يفعل الأشرف قايتباي ذلك إلا في آخر تجاريد ابن عثمان
سنة خمس وتسعين وثمانمائة ، فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مائة ألف دينار
وكسور ، وأن الحسام من النجلى . - وفي يوم الأحد رابع عشرينه نزل السلطان
وتوجه إلى مدرسته التي بالشرابشين فأقام بها إلى بعد العصر ، فأشيع أنه قد عرض

(١) يقع : كذا في الأصل . II ولم يعيش : ولم يعيش .

(٦) فينسبونهم : فينسبونهم .

(١٢) الذين : الذي .

موجود خوند فإن حواصلها كانت هناك ، فظهر لها موجود عظيم ما بين ذهب عين وتحف وفصوص وقاش فاخر .

- ٣ وفي يوم الاثنين خامس عشرينه نفق السلطان على الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات وصار يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية ، فأعطى لكل أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ، وأعطى لكل أمير عشرة مائتي دينار . ولم يرسل للخليفة نفقة وكان قاعدا ينتظر ذلك ، فأرسل له نوبة خيام جديدة ولم يرسل له نفقة ، فحصل ٦ للخليفة غاية المشقة وتراى على جماعة من الأمراء فى أن يقرضوه مبلغا بفائدة ودخل فى جملة دين لم يثر به ، (١٦ آ) وهذا الأمر قط لم يتفق بأن السلطان إذا سافر إلى البلاد الشامية وصحبته الخليفة أن يخرج بلا نفقة ، وكان عادة جميع برك الخليفة ٩ إذا سافر يكون على السلطان ، وكان يرسل إليه السلطان خمسمائة دينار لأجل جوامك غلمانه ، فلم يلتفت السلطان إلى شيء من ذلك وشح معه فى أمر النفقة ، وكان الخليفة مظلوما مع السلطان فى هذه الواقعة . - ثم إنه عرض المالك القرانصة الشيوخ ١٢ المواجز وكتب منهم جماعة إلى الشرقية والغربية والصعيد وألزمهم بأن يخرجوا بلا نفقة ، وكانوا نحو خمسمائة مملوك .

- ١٥ وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى الريدانية ورتب الفراشين كيف ينصبون الوطاق إذا برز السلطان ، ورتب منازل الأمراء كيف تكون إذا نزل السلطان بالريدانية . - وفى ذلك اليوم رسم السلطان لولده أمير آخور كبير بأن يعمل يرقه ويسافر صحبته ، وكان فى الأول رسم بأن يكون مقبلا ١٨ بباب السلسلة إلى [أن] يحضر السلطان ، ثم بطل ذلك وشرع فى عمل يرق . - وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه الموافق لسادس بشنس القبطى فيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض . - وفيه كان أول جمعة خوند زوجة السلطان التى توفيت فصنع لها ٢١ السلطان مدة حفلة ، وحضر هناك الخليفة والقضاة الأربعة وجماعة من الأمراء

(١) كانت : كانوا . (٥) مائتي : مائتان . (١٤) مملوك : مملوكا .

(١٦) ينصبون : ينصبوا .

المقدمين ، وحضر قراء البلاد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة مشهودة بمدرسة السلطان التي بالشرابيين .

٣ وفي ربيع الآخر كان مستهل الشهر يوم السبت ، فجلس السلطان بالميدان ، وطلع إليه الخليفة والقضاة الأربعة فهنّوه بالشهر وعادوا إلى دورهم . - وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على ولد المهتار حسن الشربدار الذي تقدم ذكر وفاته ، وقرره في وظيفة أبيه في مهتره الشراب خاناه عوضاً عن أبيه بحكم وفاته . - وفي يوم الأحد (١٦ ب) ثانيه فرق السلطان على مماليكه الجلبان لبوس خيل حرير ملون وخوذ وأتراس وبذلات ما بين زنود وركب فولاذ وغير ذلك من آلة السلاح التي في الزردخاناه ، فتراجمت عليه المالك وصاروا يخطفون اللبوس الملاح بأيديهم ، ولا يرضون بالذي يفرقه السلطان لهم فمعجز عن رضاهم في ذلك اليوم ، وقد زاد تمردهم في هذه الأيام إلى الغاية . - أعجوبة : قيل إن في يوم الاثنين ثالثه أحضر بين يدي السلطان امرأة ولدت مولوداً له رأسان في حق واحد وله أربع أيدي وأربع أرجل ، فلما شاهدها السلطان تعجب من ذلك ، وقد وقع مثل ذلك في زمن الإمام على رضي الله عنه .

١٥ ومن جملة إنعام الله تعالى على المسلمين أن السلطان أبطل تلك العربان الذين كان أفردهم على البلاد الشرقية والغربية والصعيد ، وقد تقدم القول على أن السلطان قصد أن يأخذ معه في التجريدة جماعة من الخيالة من فرسان العرب يكونون أمام المسكر وقت الحرب ، فأحضر مشايخ العربان والكُشّاف وأفرد عليهم نحو خمسة آلاف خيال ، فزلوا إلى البلاد قاطبة وصاروا يفردون على كل بلد خيالين بمائة دينار وعلى البلد الكبيرة أربعة خيالة بمائتي دينار ، فلما سمعوا أهل النواحي من الفلاحين بذلك أخذوا من البلاد وتركوا زروعهم في الأرض ورحلوا وخرب بعض بلاد في هذه

(٩) يخطفون : يخطفوا . // بأيديهم : بأيدهم . (١٠) ولا يرضون : ولا يرضوا .

(١٢) مولوداً : مولد . (١٥) الذين : الذي . (١٦) أفردهم : أفردما .

(١٧) يكونون : يكون . (١٩) يفردون : يفردوا . (٢٠) أربعة : أربع .

- الحركة ، فلما بلغ الأمراء ذلك وقفوا للسلطان وشكوا له من ذلك وعلى أن غالب البلاد خرب وأخلا منها الفلاحون ، وأغلظوا الأمراء على السلطان في القول ، وقالوا له : نحن نسافر معكم وتخرب بلادنا فمن أين نأكل ونسدّ ديننا إذا سافرنا ؟ ٣
- فاستحى منهم السلطان وأمر بإبطال ذلك ، وأخرج مراسيم شريفة إلى الكُشّاف ومشايخ العربان بإبطال ما كان رسم به في الأول وإعادة ما أخذ من الفلاحين بالنواحي ، فخرجت المراسيم الشريفة إلى البلاد بمنع ذلك ، ولو استمرت على قوله الأول لخربت مصر ٦
- عن آخرها ووقع بها الغلاء العظيم من خراب البلاد فله الحمد على ذلك (١٧ آ) . ومن الحوادث أن السلطان صادر ابنة الأمير خاير بك كاشف الغريبة أحد الأمراء المقدمين ، وهى زوجة الأمير تانى بك الخازندار أحد الأمراء المقدمين ، وهى التى كان وقع لها ذلك الأمر الفاحش المقدم ذكره ، فلما صادرها قرّر عليها مالا ثقيلا له صورة ، فأرسل رسم على جماعة من الطواشية ، فلما تحققت ذلك شرعت في بيع جهازها وجميع ما تملكه من صامت وناطق ، وكان سبب ذلك أن لما توفى والدها الأمير خاير بك ١٢
- تسكلموا الأعداء في حقها بأنها أخذت من موجود أبيها ثلاث قدور فيها مال جزيل له جرم ، فأرسل خلفها ، فلما حضرت بين يديه سألها عن ذلك فأنكرت وحلفت أنها مارأت هذه القدور الذهب التى اتهموها بها ، فحقق منها السلطان وقال لها : ١٥
- أنسى ذنبك ، يعنى عن أمر الصبي الذى وجدوه عندها ، فحلف السلطان إن لم تحضر بالمال الذى أخذه من مال أبيها وإلا يفرقها وصمم على ذلك . فلما جرى ذلك شرعت في بيع جهازها حتى رد المال الذى قرّر عليها ، فصار في كل يوم سبت وثلاثاء يحضر ١٨
- الزبني بركات بن موسى وجماعة من المباشرين ويبيعون قماشها مثل التركة . وقد وقع لها كما وقع لابنة يشبك الدوادار زوجة الأمير قانى باى أمير آخور كبير ، وقد وقع لها مثل هذه الواقعة بعينها وصودرت وباعت جهازها وقماشها وجواربها مثل التركة ٢١
- وغلقت ما قرّر عليها من المال ، وقد تقدم ذكر ذلك .

(١٠) مالا ثقيلا : مال ثقل . (١٥) اتهموها بها : اتهموها بهم .

(١٨) وثلاثاء : وثلاث . (١٩) ويبيعون : ويبيعوا .

- وفي يوم الخميس سادسه أصرف السلطان للمسكر المتوجه إلى السفر ثمن اللحوم
 المنكسرة لهم عن ثلاثة شهور لكي يتوسموا بذلك ، ولم يصرف للذي تأخروا بمصر
 ٣ شيئا وأحاطهم على الطباخين يصرفون لهم في غيبته . - وفي ذلك اليوم برز السلطان
 خامه وتوجه به إلى الريدانية وقد تحقق أمر سفره (١٧ب) إلى البلاد الشامية ، ثم نادى
 للمسكر في الميدان أن كل من جهز يرقه وما بقى له عاقه يخرج ويسافر ويتقدم قبل
 ٦ خروج السلطان ، ولكن إلى الآن لم يعلق السلطان الجاليش ، وكان عادة السلاطين
 المتقدمة إذا سافروا إلى البلاد الشامية يملقون الجاليش قبل خروجهم بأربعين يوما فلم
 يمش السلطان على طريقة الملوك السالفة . - وفي يوم الخميس المذكور أرسل السلطان
 ٩ إلى أمير المؤمنين محمد التوكل على الله نفقة السفر على يدى حسام الدين الألواحى بواب
 الدهيشة ألف دينار ، وكان الساعى له في ذلك الأمير طومان باى الدوادر الكبير ،
 ولولا هو ما كان يرسل له شيئا فإن القضاة الأربعة أرسل يقول لهم : اعملوا يرقكم ،
 ١٢ ولم يرسل لهم من النفقة درهم الفرد ، وقد حصل لهم غاية الكلفة والمشقة ، لأن
 من حين سافر الأمر يرُسبأى إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانائة لم يخرج الخليفة
 ولا القضاة الأربعة إلى البلاد الشامية صحبة السلطان ، وكان للقضاة والخليفة عادة
 ١٥ على السلطان إذا سافر إلى البلاد الشامية يرسل لهم نفقة فتناقل السلطان عن ذلك .
 ثم بعد أيام أرسل السلطان إلى الخليفة سيفاً مسقطاً بالذهب على يدى شخص من
 الزردكاشية يقال له محمد العادلى ، وقد تقدم القول على أنه أرسل قبل ذلك إلى الخليفة
 ١٨ نوبة خام جديدة ، فكان مجموع ما حصل له من السلطان من الإنعام من ذهب
 وغير ذلك دون الألفى دينار ، وقد تكلف الخليفة في هذه الحركة على مصروف بركة
 وغير ذلك فوق الخمسة آلاف دينار وقيل أكثر من ذلك .

(٢) ثلاثة شهور : ثلاث شهور . (٣) يصرفون : يصرفوا . (٧) يملقون : يملقوا .

(٨) فلم يمش : فلم يمشى . (١١) شيئا : شئ . (١٧) أرسل : كتبت هذه

الكلمة في الأصل مرة أخرى على الهامش . (١٩) الألفين : الألفين .

- وفي يوم الجمعة سابعه خرج جماعة كثيرة من المالك السلطانية وتوجهوا إلى السفر نحو البلاد الشامية ، وقد نادى لهم السلطان من قبل (١٨ آ) ذلك بأن كل من جهز يرقه من المسكر يتقدم ويسافر قبل خروج السلطان ، فصار يخرج في كل يوم جماعة ٣ من المسكر شيئا فشيئا ويسافرون . - وفي ذلك اليوم حضر خليفة سيدي أحمد البدوي رحمة الله عليه وقد حضر بطلب من السلطان ، فلما مثل بين يديه قال له : اعمل يركك حتى تسافر صحبتي إلى حلب . فلما سمع ذلك تملأ وأظهر أنه ضعيف ولا يقدر يسافر ، ٦ فحنق منه السلطان وألزمه بالسفر ولم يقبل له عذرا . وأرسل يقول لخليفة سيدي أحمد ابن الرفاعي رحمة الله عليه : اعمل يركك حتى تسافر صحبتي . ثم أرسل إلى القضاة الأربعة يقول لهم : اعملوا يرككم حتى تسافروا صحبتي ، فلما تحققوا القضاة سفر السلطان أخذوا في أسباب عمل يركهم ، وعينوا معهم جماعة كثيرة من النواب ، فثقلوا من أمر السفر ، فعند ذلك أفردوا القضاة الأربعة على نوابهم مبلنا له صورة على كل واحد منهم على قدر مقامه ، فقامت الدائرة والأشلة على القضاة بسبب ذلك ، فلما بلغ السلطان ١٢ ذلك أنكر على القضاة هذه الفعلة . - فلما كان يوم الجمعة طلع قاضي القضاة الشافعي كمال الطويل وصلى بالسلطان صلاة الجمعة ، ثم استأذن عليه وهو بالدهيشة فأذن له بالدخول ، فلما جلس بين يدي السلطان شرع يحلف له أنه لم يدخل كيسه مما أفردوه ١٥ على النواب شيئا وإنما النواب الذين تعينوا للسفر قالوا : اجملوا كلفتنا على النواب الذين يقيمون بمصر ، فلما سمع السلطان ذلك قال : لا تشوشوا على أحد من النواب ولا تأخذوا منهم شيئا بالنصب فالذي يسافر من تلقاء نفسه يسافر والذي ما يسافر ١٨ لا تنصبوه بالسفر . فبطلت تلك الحادثة الشنيعة والله الحمد بعد ما كان جماعة من النواب شرعوا في بيع قاشهم وكتبهم وحصل لهم الضرر بسبب ما أفردوه عليهم كما تقدم ، ولم يقع للقضاة مع نوابهم مثل ذلك لما سافر الأشرف برسباي إلى آمد . ٢١
- وفيه عرض السلطان غلمان البيوتات من الفراشين (١٨ ب) والبايية وغللمان

(٤) ويسافرون : ويسافروا . (٦) ولا : ولم . (٧) يقول : يقل .

(١٦) الذين : الذي .

الركب خاناه والشرب دارية وغللمان الزردخاناه من النفطية وغير ذلك. وطلب أمير علم
الذى يحكم على الطبّال والزمار وألزمه بأن يصرف على من سافر صحبته من الطبّال
والزمار والمنفرين من كيسه وقال له : أنت تأكل معلوم هذه الوظيفة عدّة سنين ٣
فانفق على المطبلين والمزمرين من عندكم وإلا عندنا من يلى هذه الوظيفة ويفعل ذلك .
ثم عرض مغاني الدكة وهم أحمد بن أبي سنة والموجب والملاوى وعينهم بأن يسافروا
صحبته . ثم عرض جماعة من البنائين والحجارين والنجارين وعين منهم جماعة بأن ٦
يسافروا صحبته ، فلما عرض هؤلاء المذكورين لم ينفق عليهم شيئا بل أصرف لهم
جامكية ثلاثة شهور لا غير ولم يعطهم نفقة وقال لهم : اتوا تاكلوا جوامك السلطان
كم سنة فعند ما سافرت تطلبوا منى نفقة . وكان قبل ذلك لما قرّروا القضاة على نوابهم ٩
مبلغا مساعدة للنواب الذين يسافرون صحبة السلطان ، فأفرد شمس الدين بن الظريف
نقيب القراء على جماعة من القراء والوعاظ والمؤذنين مبلغا له صورة مساعدة للقراء
والوعاظ والمؤذنين الذين يسافرون صحبة السلطان كما فعلوا القضاة مع نوابهم . ١٢

وفى يوم الأحد تاسعه حضر إلى الأبواب الشريفة المعجمى الشنقجى نديم
السلطان الذى كان توجه بأفيال إلى نائب الشام ونائب حلب ، وقد أبطأ مدّة طويلة
حتى أشاعوا موته غير ما مرّة ، فظهر أن السلطان كان أرسله إلى شاه إسماعيل الصوفى ١٥
فى الخفية فى خبر سرّ للسلطان بينه وبين الصوفى ، كما أشيع بين الناس بذلك .

وفى يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر خرج طلب السلطان ، وكان من ملخص أمره
أنه خرج بالطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشى به (١٩ آ) من الرملة ونزل به ١٨
من حدرة البقر وطلع به من الصليبة . وكان ما اشتمل عليه ذلك الطلب أنه جرّ فيه
خمس عشرة نوبة هجن بأكوار زركش وكنائيش زركش ، وخمس عشرة نوبة
بأكوار نخل ملون ، وأما الخيول فتلاثمائة فرس ، منها مائة فرس بيركستوانات ٢١

(١) الركب خاناه : الركب خاه . (٢) صحبته : صحبه . (٨) ولم يعطهم : ولم يعطيهم .
(١٠ و ١٢) الذين يسافرون : الذى يسافروا . (٢٠) خمس عشرة : خمسة عشر .
(٢١) ثلاثمائة : ثلثماية .

- فولاذ مكفت بذهب ، وشيء مخمل ملون ، ومنها ثلاث طوايل بكنائيش زر كش
 وجواغين مكفتة بالذهب وسروج ذهب ، ومنها ثلاث طوايل بمراق وسروج بداوى
 وطبول بازات ، وكان فى الطلب أربعة وعشرون تختا بأغشية حرير أطلس أصفر ٣
 وكجاوتان مخمل زر كش، وهما الجوشنان ، وكان فيه ست خزائن بأغشية حرير أصفر،
 وكان فيه محقتان على أنبال بأغشية حرير أصفر . وكان بالطلب خمس أرؤس خيل
 خاصات ، منها اثنتان بأرقاب زر كش وكنائيش وسروج بلور مزينة بذهب ، وشيء ٦
 عقيق ، وطبول بازات بلور مزينة بذهب . وكان به فرسان بكنائيش وسروج ذهب ،
 وعليهما غواشى ذهب ، وعليها هلالات ذهب عوضا عن الطيور . وكان راكبا
 بالطلب بعض أمراء عشرات رؤوس نوب بالشاش والقماش ، وبعض خدام من ٩
 الطواشية . وكان راكبا به من المباشرين القاضى كاتب السر محمود بن أجا والقاضى
 ناظر الجيش محي الدين القصروى والقاضى ناظر الخصاص علاى الدين بن الإمام
 والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر والقاضى أبو البقا ناظر ١٢
 الاسطبل والقاضى بركت بن موسى المحتسب والقاضى شرف الدين الصنغير كاتب
 الماليك وناظر الدولة والشرفى يونس النابلسى الأستاذ ار كان والقاضى كريم الدين
 ابن الجيعان وأولاد الملوك وغير ذلك من المباشرين . ثم جاء الصنجرى السلطانى ، ١٥
 وانجرت الكوسات والصناجرى السلطانية والخليفية . وكان به أربعة طبول وأربعة
 زمور وعشرة أحمال كوسات ، وكان عادة طلب السلطان أن يكون به أربعون حملا
 (١٩ ب) من الكوسات . فشقق طلب السلطان من الرملة ، واصطف العسكر ١٨
 والجمل الغفير من الناس بالرملة بسبب الفرجة على الطلب . فلما مر الطلب لم يعجب
 الناس ، واستقلوا الخيول التى به ، وقال من أدرك طلب الأشرف برسباى لما خرج
 إلى آمد كان فى طلبه أربعائة فرس مزينة بالبركستوانات الخمل الملون والفولاذ . ٢١
 وميز بعض الناس طلب يشبك الدوادار لما خرج إلى سوار على طلب السلطان

(١٦) وانجرت : وإن سجرت . (٢٠) التى : الذى .

(٢١) أربعائة فرس : أربع مائة فرسا .

وشكره على هذا الطلب فإنه كان أرتب من طلب السلطان . ونزل من على باب الوزير ودخل من باب زويلة وشقّ من القاهرة ، وكان يوما مشهودا حتى رجّت له القاهرة في ذلك اليوم ، فاستمرّ ينسحب حتى خرج من باب النصر وتوجّه إلى الخيم الشريف بالريدانية . - وفي ذلك اليوم خرج سنيح أمير المؤمنين المتوكل على الله وكان قدامة طبلان وزمران ونفير .

٦ ولم يخرج في ذلك اليوم غير طُاب السلطان فقط ، وكانت العادة القديمة أن السلطان يخرج عقيب طلبه ثم تنسحب أطلاب الأمراء بعده شيئا بعد شيء ، فلم يمش السلطان على النظام القديم وخالف عوايد الملوك في أشياء كثيرة من أفعاله ، منها أنه لم يُلقَ الجاليش على الطبلخاناه كمادة الملوك السالفة ، فإنهم كانوا يُلقون الجاليش ويعرضون المسكر ثم ينفقون عليهم نفقة السفر ، ويستمرّ الجاليش معلقا إلى أن يخرج السلطان ولو بعد شهرين . وقد حُكي عن الظاهر برقوق لما جرّد إلى تمرلنك خرج طلبه ينسحب من باب الميدان ، وكان الظاهر برقوق يرتب طلبه بنفسه وهو راكب على فرسه وفي يده طبر ، وصار يكرّ بالفرس من باب الميدان (٢٠ آ) إلى رأس الصوة . ومنها أن السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون إلى البلاد الشاميّة عند ما تنقل الشمس إلى برج الحمل في أوائل فصل الربيع والوقت رطب ، وأما الفوري فإنه سافر في قوة الحرّ والشمس في برج السرطان ، فحصل للدسك مشقّة في الطريق . وأما من العادة القديمة أن السلاطين كانت تخرج من بين التراب عند خروجهم إلى البلاد الشامية ولا يشقّون من القاهرة إلا عند عودهم ، وكان السلطان الفوري لا يقتدى إلا برأى نفسه في جميع الأمور .

وفي يوم الخميس ثالث عشره أشيع بين الناس أن شخصا من ممالك السلطان الجلبان يقال له جانم الإفرنجى ، وكان مجرما عاقبا مسرفا على نفسه ، فبلغ السلطان

(٧) فلم يمش : فلم يمشى . (٩ و ١٠) يلقون ... ويعرضون ... ينفقون : يلقوا ... ويعرضوا ... ينفقوا . (١١) ولو : لو . (١٤) المتقدمة : كذا في الأصل . (١٨) يشقون : يشقوا . (٢١) الإفرنجى : أضاف المؤلف هنا كلمتي « وقيل النصراني » ثم شطبها .

أنه لما خرج حجة المالك السلطانية الذين تقدموا قبل خروج السلطان فصار جاثم هذا
 يخطف كل شيء لاح له ويؤذى الناس بطول الطريق ، فلما بلغ السلطان ذلك أرسل
 ٣ مراسيم شريفة إلى أرباب الإدراك بأن يقبضوا عليه ويشنقوه حيث وجد ، فقبل إنهم
 قبضوا عليه وشنقوه على شجرة في بلبس وهو بقاشه بسيفه وتركاشه ، ووضعوا
 غلمانا في الحديد إلى أن أتوا بهم إلى المقشرة . - وفي يوم الجمعة رابع عشره نزل
 السلطان من القلعة وتوجه إلى القرافة وزار قبر الإمام الشافى والإمام الليث رضى الله
 ٦ عنهما ، وكان صحبته ولده أمير آخور كبير ، وقيل تصدق في ذلك اليوم بمبلغ له جرم . -
 وفي ذلك اليوم برز سنيح السلطان وتوجه إلى الريدانية ، وكذلك الأمراء خرج
 سنيحهم في ذلك اليوم .

٩ فلما كان يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر خرج السلطان الملك الأشرف
 أبو النصر قانصوه النورى عز نصره قاصدا نحو البلاد الشامية والحلبية . وللناس
 مدة طويلة لم يروا سلطانا خرج إلى البلاد الشامية على هذا الوجه من حين (٢٠ ب)
 ١٢ توجه الأشرف برسباى العلى إلى آمد وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانائة ، المدة
 نحو سبع وثمانين سنة . - فلما كان صبيحة يوم السبت المذكور اجتمع سائر الأمراء
 ١٥ المقدمين عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقاش ، فأخلع السلطان في ذلك اليوم
 مئثرا وأطلسين على الأمير أركاس من طراباى أمير مجلس وقرره في أمرية السلاح ،
 وكانت شاغرة من حين قرر الأمير سودون المعجمى فى الأتابكية ، فكان عدة الأمراء
 ١٨ المقدمين الذين تعينوا للسفر حجة الركاب الشريف وهم خمسة عشر أميرا ، منهم
 أرباب وظائف خمسة وهم : المقر الأتابكى سودون من جاني بك الشهير بالمعجمى
 والمقر السيفى أركاس أمير السلاح والمقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف أمير آخور
 كبير والمقر السيفى سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والمقر السيفى أنصباى من
 ٢١ مصطفى حاجب الحجاب . وأما الأمراء المقدمون الذين بنير وظائف وهم : قانصوه بن
 سلطان جر كس وتمر الحسنى الشهير بالزردكاش والأمير علان من قراجا الدوادار الثانى
 (٢٢ و ١) الذين : الذى .

أحد المقدمين والأمير قانصوه كُرت والأمير جان بلاط الشهير بالموتر والأمير تانى بك
الشهير بالخازندار والأمير بيبرس قريب السلطان والأمير أرك الأشرفي والأمير أقبای
الطويل أمير آخور ثانی أحد المقدمين والأمير كُرتباى الأشرفي الذى كان والى القاهرة ٣
أحد المقدمين . وأما الأمراء الطبلخانات من أرباب الوظائف منهم : الأمير يوسف
الناصرى شاد الشراب خاناه والأمير مُغلبای الشریفى الزردكاش الكبير والأمير
قنبك من ينجشباى رأس نوبة ثانی والأمير طومان باى قرا حاجب ثانی وغير ذلك من ٦
الأمراء الطبلخانات . وأما الأمراء العشرات فعین منهم السلطان جماعة كثيرة
يخرجون للسفر صحبة الركاب الشريف . وأما الأمراء الذين تخلفوا بالقاهرة وهم : المقر
(٢١ آ) السيفى طومان باى أمير دوادار كبير ابن أخى السلطان وقد تمین أن يكون ٩
نائب الغيبة عن السلطان إلى أن يحضر، والأمير طُقطباى نائب القلعة أحد المقدمين
والأمير أرمزمك الشهير بالناشف والأمير تانى بك النجمى أحد المقدمين وكان قرّر
أمير الحاج ركب الحمل والأمير أربك الشهير بالكحل أحد المقدمين والأمير قانصوه ١٢
الشهير بأبى سنة أحد المقدمين والأمير قانصوه الفاجر أحد المقدمين والأمير ينجشباى
أحد المقدمين وكان توجه إلى الفيوم بسبب عمارة الجسر الذى هناك والأمير خاير بك
الممار أحد المقدمين وكان مقما بئر رشيد بسبب عمارة الأبراج التى هناك والصور ١٥
والأمير خُداردى نائب الإسكندرية أحد المقدمين وكان مقما بها والأمير قانصوه
الشهير بروح لو أحد المقدمين نائب قطيا وكان مقما بها .

فلما أشرقت شمس يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر المقدم ذكره انسحبت ١٨
أطلاب الأمراء المقدمين الذين توجهوا صحبة الركاب الشريف ، فكان أولهم طُلب
الأمير كُرتباى أحد المقدمين وهو الذى كان والى القاهرة ، ثم طُلب الأمير أقبای
الطويل أمير آخور ثانی أحد المقدمين ، وبعده طُلب الأمير تانى بك الخازندار ، وبعده ٢١
طُلب الأمير علان من قراجا الدوادار الثانى أحد المقدمين ، وبعده طُلب الأمير أرك
الأشرفي أحد المقدمين ، وبعده طُلب الأمير بيبرس قريب السلطان ، وبعده طُلب

- الأمير جان بلاط الشهير بالموتز ، وبعده طلب الأمير قانصوه كُرت ، وبعده طلب
الأمير تمر الحسنى الشهير بالزردكاش ، وبعده طلب الأمير قانصوه بن سلطان جر كس ،
وبعده طلب الأمير أنصبای من مصطفى حاجب الحجاب ، وبعده طلب الأمير سودون ٣
عُرف بالدوادارى رأس نوبة النوب ، وبعده طلب المقرّ الناصرى محمد نبجل المقام
الشریف أمير آخور كبير ، وبعده طلب الأمير أرككس من طرابای أمير مجلس
وقد قرّر في ذلك اليوم أمير السلاح ، (٢١ ب) تم من بعد ذلك مثنى طلب الأتابكي ٦
سودون من جاني بك الشهير بالمجمى وكان طلبه غاية في الحسن . فلما انقضى أمر
الأطلاب خرج السلطان من باب الاسطبل الذى عند سلم الدرج ، فخرج وقدامه
النفير السلطاني المسمى بالبرغشى ، وهو في موكب عظيم قلّ أن يبق يتفق لسلطان ٩
أن يقع له موكب مثل ذلك الموكب . فكان أول الموكب الأفيال الثلاثة وهي مزينة
بالصناجق ، ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ، ثم الأمراء الرؤوس النوب
بالمصىّ يفسّحون الناس ، ثم ترادفت الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات قاطبة ، ١٢
ثم أرباب الوظائف من المباشرين منهم : المقرّ القضى محبّ الدين محمود بن أجا الحلبي
كاتب السر الشريف والقاضى ناظر الجيش محي الدين عبد القادر القسروى والقاضى
ناظر الخصاص علاى الدين بن الإمام والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب ١٥
السرّ ومستوفى ديوان الإنشاء الشريف والقاضى شرف الدين الصّغير ناظر الدولة
الشريفة وكاتب العساكر المنصورة والقاضى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة
واستادار الذخيرة والشرقى يونس النابلسى كاتب جيش الشام وأستادار المالية كان ١٨
والقاضى أبو البقا ناظر الاسطبلات الشريفة وأولاد الجيعان كُتاب الخزائن الشريفة
وأولاد الملكى كُتاب استيفاء الجيش وكُتاب الزردخاناه وغير ذلك من أرباب
الوظائف من المباشرين والشرقى يونس ققيب الجيوش المنصورة . ٢١
وكان حاضراً هذا الموكب السادات الأشراف أخوة الشريف بركات أمير مكة
فكانوا قدام الأمراء المقدمين ثم تقدمت الأمراء المقدمون قاطبة وصحبهم ولد السلطان

- القرّ الناصرى أمير آخور كبير وإلى جانبه الأتابكى سودون المعجى . ثم بعد ذلك
- تهدمت السادة القضاة الأربعة مشايخ الإسلام وهم : قاضى القضاة الشافى كمال الدين
- ٣ الطويل وقاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن شحنة وقاضى القضاة المالكى
- (٢٢ آ) محيى الدين يحيى بن الدميرى وقاضى القضاة الحنبلى شهاب الدين أحمد الفتوحى
- الشهير بابن النجار ، ثم من بعدهم أتى أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله
- ٦ يعقوب المباسى وهو لابس العمامة البغدادية التى بالمذبتين وعليه قبا بملبكى بطرّز
- حرير أسود ، ولم يكن على رأسه صنّجق خليفتى ، وقد اختصر هذا الخليفة أشياء
- كثيرة مما كان يُعمل للخلفاء المتقدمين من أقاربه . ثم مشى الجناب السلطانية
- ٩ فكان قدامه طوالتان خيل بمراقى وسروج بنواشى حرير أصفر ، وطبول بازات ،
- وطوالتان خيل بكنايش وسروج ذهب وميآر زركش ، وبعضهم بسروج بلور
- مزيك بذهب ، ومشي عقيق مزيك بمينة ، وقد تقدم أمر الطلب بما شُرح من وصفه
- ١٢ قبل ذلك ، ثم تقدمت جماعة من الرؤوس نوب مشاة والشاوشية والطبردارية مشاة
- قدامه بالأطبار ، ولم يكن قدامه الأوزان ولا شباة سلطانية كما هى عادة السلاطين
- فى الموابك . ثم مشى البُقع والجامع بالأعطية الحرير الأصفر ومشي البخورى
- ١٥ بالبخره . ثم أقبل السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه النورى عزّ نصره ،
- وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة ، وكان السلطان راكباً على فرس أشقر على
- بسرج ذهب وكنبوش ، وعلى رأسه كلفتاة ، وهو لابس قبا بملبكى أبيض بطرّز
- ذهب على حرير أسود عريض ، قيل فيه خمسمائة مثقال ذهب بنادقة ، وكان ذلك اليوم
- فى غاية الأبهة والعظمة فإنه كان حسن الهيئة تملأ منه الميون مبعجلاً فى الموابك .
- ثم أقبل الصنّجق السلطانى على رأسه ، وخلفه مقدم المالىك سُنبُل العثمانى وصحبته
- ٢١ السلحدارية بالشاش والقماش والجمّ الفغير من الخاصكية والجدارية ، فدخل من
- بابى زويلة وشقّ من (٢٢ ب) القاهرة فى ذلك الموكب الحافل ، فارّجت له القاهرة
- فى ذلك اليوم ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من العوام وغيرهم ، وانطلقت له النساء
- ٢٤ بالزغاريت من الطيقان ، فاستمرّ فى ذلك الموكب حتى خرج من باب النصر ،

وكان يوما مشهودا ، ثم وصل إلى المخيم الشريف بالريدانية .

- ثم في عقيب ذلك اليوم نزل حوايج خاناه فيها مال ما بين ذهب وفضة ، قيل إن
 ٣ ضمنها من الذهب ألف ألف دينار خارجا عن المادّن ، وقد فرّغ الخزان من الأموال
 التي جمها من أوائل سلطنته إلى أن خرج في هذه التجريدة ، وفرّغ أيضا حواصل
 الذخيرة عن آخرها ، وأخذ ما فيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة مما كان بها
 ٦ من ذخائر الملوك السالفة ، من سروج ذهب وبلّور وعقيق وكنائش زركش وطبول
 بازات بلّور ومينة وبركستوانات مكفتة وأكوار زركش وغير ذلك من التحف
 الملوكية ، فنزل جماعة من كتّاب الخزانة صحبة الحوايج خاناه وجماعة من الخزندارية
 وهم بالشاش والقماش ، فكانت تلك الحوايج خاناه محملة على خمسين جملا . قيل إن
 جميع هذه الأموال أودعها الغوري بقلمة حلب ، فلما جاء ابن عثمان وضع يده على ذلك
 المال جميعه كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه . ثم نزلت الزردخاناه وهي محملة
 ١٢ على مائة جبل ، وقدامها طبلان وزمران وعيدان نقر على جمال ، فتوجهوا إلى الوطاق . -
 وفي يوم الأحد سادس عشره أرسل السلطان نادى للعسكر في القاهرة بأن السلطان
 يرحل من الريدانية يوم الجمعة عشرينه ، فلا يتأخّر من العسكر الذى تعين للسفر أحد
 ولا يحجّج بحجّة ولا عُذر .

- ١٥ فلما أقام السلطان في الوطاق تعين من نواب السادة القضاة جماعة يسافرون صحبة
 الركاب الشريف . وسافر صحبته الأشراف إخوة الشريف بركات أمير مكة . فن نواب
 الشافعية الشيخ زين العابدين نجل قاضى القضاة كمال الدين والقاضى شمس الدين بن
 ١٨ وحيش والقاضى شمس الدين التفهني إمام الأمير أركاس أمير سلاح والقاضى زين الدين
 الظاهري ، فجملة ذلك أربعة من نواب الشافعية . وتعين من مشايخ العلم من الشافعية
 ٢١ الشيخ جمال الدين الصائى مفتى (٢٣ آ) المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبى قارى
 الحديث الشريف . وأما نواب السادة الحنفية فبنهم أربعة الشيخ شمس الدين السيد
 الشريف البردبني والقاضى زين الدين الشارنقاشى والقاضى شرف الدين البلقيني
 (٩-١١) قيل ... موضعه : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

- والقاضي غرس الدين خليل . وأما نواب السادة المالكية ففهم القاضي شمس الدين
 الدَّيْنِي والقاضي مُعِين الدين بن يعقوب . وأما نواب السادة الحنابلة ففهم القاضي
 شهاب الدين الهيتمي والقاضي شمس الدين الطرابلسي . وأما من توجه صحبة الركاب ٣
 الشريف من مشايخ الحقيقة ففهم السادة الأشراف القادرية وخليفة سيدي أحمد بن
 الرفاعي رضي الله عنه ومنهم الشيخ محمد بن كَشْك وخليفة سيدي أحمد البدوي
 رضي الله عنه والشيخ عفيف الدين بن شيخ مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها . ٦
 وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من أئمة السلطان ففهم قاضي القضاة الحنفى كان
 شمس الدين السمديسي والشيخ شهاب الدين بن الرومي . وأما من توجه من مشايخ
 القراء صحبة السلطان ففهم شمس الدين بن الظريف والرومي والخواص وحسن الطننتاي ٩
 وابن القاضي خليل وأبو الفضل الفار وابنا عثمان الاثنان . وأما المؤذنون ففهم
 نور الدين الخواص ونور الدين الحسنى وجلال وناصر الدين . وأما من توجه صحبة
 السلطان من الموقمين القاضي رضي الدين الحلبي وعمر بن مُعِين الدين وعلم الدين العباسي ١٢
 ومحب الدين الظاهري وشمس الدين الجيزي وسعد الدين بن الرومي . وأما من توجه
 صحبة السلطان من كُتَّاب الخزانة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن الجيمان
 أخو الشهابي أحمد وشمس الدين محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيمان ، وقد تقدم ١٥
 ذكرهم عند خروج السلطان وغير ذلك . وأما كُتَّاب الزردخانة القاضي زين [الدين]
 ابن عبد الباسط والقاضي عبد الكريم بن اللاذني وغير ذلك من المباشرين . وأما
 من توجه صحبة السلطان من الأطباء محمد بن الرئيس شمس الدين القوصوني (٢٣ ب) ١٨
 وهو رأس الأطباء الآن وصحبته جماعة من الأطباء . ومن الكحالين عبد الرحمن بن
 الشريف ومحمد بن العفيف وآخرين من الكحالين . ومن المزيّنين عبد القادر المرشدي
 وآخرين من الجرايحية . وأما من توجه صحبة السلطان من مغاني الدكة نور الدين ٢١
 المحوجب وأحمد الأسمر بن أبي سنة وأحمد المحلاوي . وتوجه صحبة السلطان جماعة كثيرة
 من البنائين والتجارين والحدادين كما جرت به العوايد القديمة عند خروج السلاطين
 إلى التجاريد . وسافر صحبته شيخ المشايخ المسمى بسلطان الحرافيش وجنده ومنجقه ٢٤

وطبله فكان قدام طُلب السلطان لما دخل إلى دمشق وحلب .

- فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر رحل من الخيم الشريف ثلاثة من
 ٣ الأمراء المقدمين وهم : الأمير كرتباى الأشرفى الذى كان والى القاهرة وبقى مقدم ألف
 وكان جملة ما معه من مماليكه أربعين مملوكا ، والأمير أرك الأشرفى وكان جملة ما معه
 من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا ، والأمير بيبرس قريب السلطان وكان جملة ما معه
 من مماليكه أربعة وأربعين مملوكا . - ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشره رحل من الأمراء
 ٦ المقدمين ثلاثة وهم : الأمير تانى بك الخازندار وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين
 وخمسين مملوكا ، والأمير قانصوه كُرت وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين وستين
 مملوكا ، والأمير قانصوه بن سلطان جرکس وكان جملة ما معه من مماليكه سبعين
 ٩ مملوكا . - وفى يوم الخميس عشرينه رحل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم : الأمير علان
 وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وسبعين مملوكا ، والأمير جان بلاط الموتر وكان جملة
 ما معه من مماليكه ستة وثلاثين مملوكا ، والأمير تمر الزردكاش وكان جملة ما معه من
 ١٢ المالكين اثنين وسبعين مملوكا . - وفى يوم الجمعة حادى عشرينه رحل من الأمراء
 المقدمين من أرباب الوظائف ثلاثة وهم : الأمير أنصباى حاجب الحجاب وكان جملة
 ما معه من مماليكه أربعين مملوكا ، والأمير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب وكان
 ١٥ جملة ما معه من مماليكه أربعة وستين مملوكا ، والأمير أرككس أمير السلاح وكان جملة
 ما معه من مماليكه سبعة وستين مملوكا . وأما الأتابكى (٢٤ آ) سودون العجمى هو
 والمقر الناصرى ولد السلطان أمير آخور كبير والأمير أقبابى الطويل أمير آخور ثانى
 ١٨ فإنهم ما يرحلون إلا فى ركاب السلطان ، فكان جملة ما مع الأتابكى سودون من مماليكه
 مائة خمسة وثلاثين مملوكا ، وولد السلطان عشرين مملوكا كتابية صفار للخدمة ، وكان
 جملة ما مع الأمير أقبابى الطويل من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا ، فكان مجموع
 ٢١ ممالك الأمراء المقدمين الذين توجهوا صحبة السلطان تسعمائة أربعة وأربعين مملوكا
 على ما قيل . ويقال إن عدة المالك السلطانية الذين خرجوا فى هذه التجريدة من
 (١١) الموتر : الموتر . (١٥) رأس : راس . (١٧) مماليكه : المماليكه . (٢٣) الدين : الذى .

قرانصة وجلبان وأولاد ناس خمسة آلاف نفر على ما قيل ، والله أعلم ، وقيل تأخر
بالقاهرة من الممالك انقرانصة والشيوخ المواجر والماليك الجلبان في الطباق بالقلمة
وأولاد الناس نحو ألفي نفر على ما قيل . - وفي يوم الجمعة حادى عشرينه رحل من
الريدانية الأتابكي سودون المعجمى هو ومماليكه وتأخر ابن السلطان والأمير أقبای
الطويل أمير آخور ثانى ، وأشيع أنهما يرحلان صحبة السلطان .

- ٦ ولما كان السلطان بالخيم الشريف ورد عليه مطالمة من عند نائب حلب بأن
ابن عثمان أرسل قاصدا إلى حلب ، فموقفه نائب [حلب] عنده وأخذ منه كتاب
ابن عثمان وأرسله إلى السلطان ، فوصل إليه وهو بالخيم بالريدانية ، فلما فضّه السلطان
٩ وقرأه فإذا فيه عبارة حسنة وألفاظ رقيقة منها أنه أرسل يقول له : أنت والذى
وأسألك الدعاء وإنى ما زحفت على بلاد على دولات إلا ياذنك وأنه كان باغيا على
وهو الذى أثار الفتنة القديمة بين والدى والسلطان قايتباى حتى جرى بينهما ما جرى
١٢ وهذا كان غاية الفساد فى مملكتمكم وكان قتله عين الصواب ، وأما ابن سوار الذى
ولى مكانه فإن حسن بياكم أن تبعوه على بلاد أبيه أو تولوا غيره فالأمر راجع إليكم
فى ذلك ، وأما التجار الذين (٢٤ ب) يجلبون المالك الجراكسة فإنى ما منعهم إنما
١٥ هم تضرروا من معاملتكم فى الذهب والفضة فامتنعوا من جلب المالك إليكم ، وإن
البلاد التى أخذتها من على دولات أعيدها لكم وجميع ما يرومه السلطان فملناه .
فلما سمع السلطان ذلك أحضر الأمراء المقدمين وقرأ عليهم كتاب ابن عثمان الذى
١٨ حضر فأنشرح السلطان والأمراء لهذا الخبر واستبشروا بأمر الصالح والعود إلى
الأوطان من قريب ، وكان هذا كله حيلة وخداعا من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك
مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد . - وفى عقيب ذلك حضر الأمير أيتال
٢١ باى دودار سكين الذى كان توجه إلى حلب بسبب كشف أخبار ابن عثمان ، فلما
حضر وجد السلطان قد برز خامه إلى السفر وخرج من القاهرة ، فأخبر أن قاصد

(٢) والشيوخ : والشيوخ . (٣) ألى : ألتين . (٥) يرحلان : يرحلا .

(١٤) الذين : الذى || يجلبون : يجلبوا .

ابن عثمان قد وصل إلى حلب وأن ابن عثمان يقصد الصلح بينه وبين السلطان فقدم
أينال باى للسلطان هناك مقدمة حافلة . - وقيل في ليلة رحيل السلطان من الوطاق
بالريدانية أحضروا مشاعل موقدة فطار منها شرارة على خيمة السلطان فاحترق منها ٣
جانب ، فلم تتفاعل الناس بذلك .

ومما وقع للسلطان وهو بالوطاق أن ليلة رحيله من الريدانية أخلع على الأمير
طومان باى الدوادار كاملية بسمور حافلة وقرره نائب الغيبة بالقاهرة إلى أن يحضر ، ٦
وأخلع على القاضي بركات بن موسى وقرره في الحسبة عوضا عن الأمير ماماي إلى
أن يحضر ، وجعل الزينى بركات بن موسى متحدثا في جميع جهات السلطنة إلى أن
يحضر السلطان ، فتضاعفت عظمة الزينى بركات إلى الغاية وصار في مقام نظام الملك ٩
وهو المتصرف في أمور المملكة ، والأمير الدوادار معه كاللؤلؤ يدوره كيف شاء ،
وأخلع على الأمير ألامس والى القاهرة وأقره في الولاية وأوصاه بحفظ القاهرة وعدم
الظلم ، وأخلع على الأمير ماماي المحتسب ورسم له بالسفر معه إلى حلب . فرجع ١٢
الأمير الدوادار من عند السلطان وشق من الصليبية في موكب حافل وقدامه المشاعلية
تنادى بالأمان والاطمان والبيع والشري (٢٥ آ) وأن أحدا لا يمشى من بعد العشاء
بسلاح ، وأن لا يملوكا ولا غلاما يشوش على متسبب وأن من كان له ظلامة أو حق ١٥
شرعى على أحد ولم يدفعه له فعليه بباب الأمير الدوادار ، فارتفعت له الأصوات
من الناس بالدعاء ، وما حصل للناس منه في غيبة السلطان إلا كل خير ، وكان
الأمير الدوادار محببا للرعية قليل الأذى في حق الناس ، فلما شق من الصليبية شق ١٨
في موكب حفل وقدامه السعاة والنفطية والسقاين والجمل الغفير من المالك السلطانية
فتوجه إلى داره في ذلك الموكب ، وقد قلبت في هذه الواقعة :

لقد شرف الأكران نائب غيبة أمير دوادار إلى النهي والأمر ٢١
كريم شجاع في المعامع فارس له نصرة في الحرب بالبيض والسمر

(٢-٤) وقيل ... بذلك : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (٣) منها : منهم .

(١٢) الأمير : أمير .

- إذا يشتكى المظلوم من جور ظالمٍ له طلعةٌ بالعدل تؤذن بالفجر
فيا ربّ كن عوناً له ومساعدًا على كل ما يخشاه من حادث الدهر
وأبقِ ابن موسى لارعيةٍ إنه لكل كليم القلب أمنٌ من السحر
جنابٌ كريمٌ وهو ناظر حسبة ومولده قد كان في ليلة القدر
وللسادة الأشراف ينظر بالتقى ونال بهذا غاية الفوز بالأجر
وصار لديوان الذخيرة ناظرًا وعامله في عنق أعدائه يُبْرى
عزيزٌ بمصر حاز طلعة يوسف أعوذه بالنجم والنور والحشر
- وفي يوم السبت ثاني عشرين ربيع الآخر رحل السلطان من الخيم الشريف
بالريدانية وصحبته الخليفة والقضاة الأربعة وولده المقرّ الناصري أمير آخور كبير
وأقبای الطويل أمير آخور ثاني ، فصلی صلاة الصبح ورحل وتوجه إلى خانقة
سرياقوس ، فكانت مدة إقامته في الوطاق بالريدانية سبعة أيام . فلما توجه إلى خانقة
سرياقوس أقام بها يوما وليلة ورحل عنها يوم الأحد ثالث عشرينه . - وفي يوم الاثنين
رابع عشرينه فرّقت الجامكية الثالثة على العسكر الذي تأخر بمصر ، فجلس الأمير
طقطباي عند سلم الدرج (٢٥ ب) ونفقت الجامكية بمحضرتها ، وهذه أول جامكية
نفقت في غيبة السلطان . - وفي ذلك اليوم رسم الأمير الدوادار للأمرء المقدمين الذين
عقبتهم السلطان إلى الشرقية والغربية بأن يخرجوا ويسافروا لأجل حفظ البلاد من
فساد العربان ، فتوجه الأمير ثاني بك النجمي إلى نحو الشرقية ، والأمير أربك
المكحل إلى نحو الغربية والأمير قانصوه الفاجر إلى المنوفية ، والأمير قانصوه أبوسنة
إلى البحيرة ، والأمير يخشباي كان مسافرا إلى جهة الفيوم بسبب عمارة الجسر الذي
هناك ، ثم نادى الأمير الدوادار في القاهرة بأن المالك السلطانية المتمنين إلى الشرقية
والغربية يخرجون محبة الأمرء الذين سافروا فلا يتأخر عن ذلك أحد من المالك
المعينة إلى السفر ، فامتثلوا ذلك .

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه توفي الأمير نوروز تاجر المالك أحد الأمرء

- الطلبخانات ، وكان أصله من ممالك الأشراف قايتباي ، وكان قد شاخ وكبر ونقل بالشحم حتى عجز عن الحركة واستمر على ذلك حتى مات ، فأشيع أن السلطان أنعم على مملوكه ماماي الصغير الذي قرّر في الحسبة بترك نوروز ووظيفته وخبوله وبفاله ٣ وخامه على ما قيل والله أعلم . - وفي ذلك اليوم أظلم الجو وأرعد وأبرق ومطرت السماء مطرا غزيرا ، وكان ذلك في أول يؤونة من التهور القبطية ، فاستمر المطر عمّالا ثلاثة أيام متوالية حتى عُدّ ذلك من النواذر ، وقام عقيب ذلك رياح عاصفة واصفرا الجو ٦ صفرة عظيمة وقت المغرب ، فتفاهل الناس بوقوع فتن في الوجود وكذا جرى فيما بعد .
- وفي يوم الاثنين رابع عشرينه جاءت الأخبار من عند السلطان أنه لما رحل من الخانكاه وجد في وطاقه شخص من الساسة زعموا أنه فداوى علم الدين جلبي ٩ السلطان الذي تغير خاطره عليه كما تقدم ذكر ذلك ، فزعموا أعداء علم الدين أنه أرسل ذلك الفداوى ليقول الصبي عبد الرازق الذي صار جلبي السلطان عوضا عن (٢٦ آ)
- علم الدين ، فقبضوا على ذلك الرجل الذي زعموا أنه فداوى وأحضروه بين يدي السلطان ١٢ فقرّره فأنكر فرسم بشنقه . ثم إن السلطان أرسل يقول للأمير ألس والى القاهرة بأن يكبس على علم الدين الجلبي وعلى أقاربه ويقبض عليهم ويشنق علم الدين على باب داره ، فلما بلغ علم الدين الجلبي ذلك اختفى وهرب من داره ، ثم إن والى قبض على ١٥ جماعة من الساسة من أقارب علم الدين ووضعهم في الحديد ، فأشيع أنهم سجنوهم في المقشرة إلى أن يحضر السلطان . وكان قبل ذلك حرق للسلطان والأمراء عدة شون
- دريس في الحسينة بنحو ألى دينار ، فنسبوا أن ذلك من فعل جماعة من الساسة من ١٨ أقارب علم الدين الجلبي ، وإذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها ، واستمرّ الطلب الحثيث على علم الدين الجلبي إلى أن يظفروا به ، فقيل إن والى لما هرب علم الدين أرسل مماليكه باللبس الكامل إلى ناي وطنان في طلب علم الدين فلم يظفروا به . ٢١
- وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه خرج الأمير الدوادار وسافر بسبب سدّ جسر الفيض وجسر أبي المنجا وقد أعيا الخولة سدّها ، وكان النيل قد زاد قبل المنادة ،
- (٥) عمالا : عمال . (١٢) وأحضروه : وأحضره . (١٨) ألى : ألفين .

وكان في اثني عشر ذراعا ، فتعب الأمير الدوادار في سد تلك الجسور غاية التعب ، وكسر مراكب في أساس ذلك السدين والماء يقوى على ما يصنعون ويقلب الجسور حتى أعيا أمرها جميع المهندسين . ٣

وفي جمادى الأولى خرج الأمير مامى الصغير المحتسب وسافر ولحق بالسلطان ، وخرج صحبته شخص صبي صغير عمره نحو ثلاث عشرة سنة وهو يقال له قاسم بن أحمد بك بن أبي يزيد بن عثمان ، وكان عمه سليم شاه بن عثمان لما قتل أخاه أحمد بك ففر ابنه قاسم هذا هو ولالاه ودخل إلى حلب في الخفية ، فلما بلغ السلطان ذلك أحضره إلى مصر في الخفية وأقام بها إلى أن خرج السلطان إلى البلاد الشامية فأخذه صحبته ليبلغ بذلك مقاصده فلم يُفد من ذلك شيئا ، (٢٦ ب) فلما خرج صحبة الأمير مامى خرج وقدامه جنائب ، وكان السلطان أقام له برك ويرق وتسكف عليه بنحو ألقي دينار حتى يظهر أمره ويشاع ذكره في بلاد ابن عثمان بأن في مصر من أولاد ابن عثمان ولد ذكر ، وظن السلطان أن عسكر ابن عثمان إذا سمعوا ذلك يخامرون على سليم شاه ويأتون إلى هذا الصبي قاسم ، فلم يظهر لهذا الأمر نتيجة ولا أفاد منه شيئا ، فشق من الصليبية وعلى رأسه عمامة تركمانية وفي وسطه خنجر ، وقيل إن في أذنيه بلخشة مثمنة ، وصحبته جماعة من العمانية ، وخرج صحبة الأمير مامى والأمير أينال باي دوادار سكين الذي كان حضر من البلاد الشامية فرسم له السلطان بالعود ثانيا بصحبته إلى حلب .

ومن الحوادث في غيبة السلطان أن الأمير ألامس والى الشرطة صار يحجر على الناس بأن يعمروا على الحارات والأزقة دروبا في أماكن شتى ، فعمروا دربا في رأس سوق الدريس ، ودربا في الحسينة ، ودربا على قنطرة الحاجب ، ودربا عند حدرة الفول ، وآخر عند خوخة القطانين ، وآخر عند القس ، وعدة دروب في أماكن شتى ، وسد عدة خوخ كانت بالقاهرة ، وصار على رءوس الناس طيرة بسبب المناسر والحريق ، ٢١

.. (١١) ألقى : ألفين . (١٢) يخامرون : يخامروا . (١٣) ويأتون : ويأتوا .

ثم نادى فى القاهرة بأن يملقوا على كل دكان قنديلا ، وأن أحدا لا يخرج من بيته من بعد العشاء ولا يمشى بسلاح . - ومن الوقائع اللطيفة أن الأمير الدوادار فى غيبة السلطان لم يشوش على أحد من أجناد الحلقة ولا ألزمهم بالمبيت فى القلعة فى غيبة السلطان ، وكانت المادة القديمة أن السلطان إذا سافر نحو البلاد الشامية تتسلط نقباء القصر على أولاد الناس من أجناد الحلقة ويلزمونهم بالمبيت فى القلعة فى كل ليلة فى مدة غيبة السلطان إلى (٢٧ آ) أن يحضر من السفر ، فيحصل لهم مشقة زائدة ويقاسون تعباً كل ليلة فى طلوعهم إلى القلعة ويباتون بها عن بيوتهم فى الشتاء ، والذى ما يبات بالقلعة يقوم له ببديل يبات عنه بالقلعة ، وكان ذلك يعمل إلى أيام الأشرف قايتباى لما كان يسافر ، فلم يمترض الأمير الدوادار لما سافر الغورى لأحد من أجناد الحلقة فكتب ذلك فى صحيفة الأمير الدوادار ودعوا له أولاد الناس الذين أبطل عنهم هذه السنة السيئة .

- ومن الحوادث فى غيبة السلطان أن شخصا من ممالك السلطان الجلبان قصد ١٢ يشتري قمحا من مركب على شاطئ البحر ، فلما اشترى ذلك القمح لم يجد ترأسا يحمله فوجد شخصا من الفلاحين الصاعدة ومنه حمار وزكينة ، فأخذ ذلك المملوك الحمار والزكينة من ذلك الرجل فلم يعطه الرجل الحمار ، فغضبه ضربا مبرحا على رأسه حتى ١٥ سال دمه ، فألقى الرجل نفسه فى البحر فأغى عليه فمات ، فعند ذلك تكاثرت الناس على ذلك المملوك ومسكوه وأتوا به إلى بيت الأمير الدوادار نائب الفسنة ، فوضعه فى الحديد وأرسله إلى الوالى ليسجنه إلى أن يحضر السلطان ، فلما بلغ خشداسينه ذلك ١٨ أتوا إلى بيت الدوادار فوجدوه غائبا نحو جسر الفيض بسبب سده ، فقبل للماليك إن ذلك المملوك الذى قتل قد سلمه الأمير الدوادار إلى الوالى ، فعند ذلك نزل من الطابق الجم الغفير من الماليك الجلبان ووجهوا إلى بيت الوالى وخلصوا ذلك المملوك الذى ٢١ قتل الفلاح وقصدوا أن يحرقوا بيت الوالى وينهبوه ، فتغافل الأمير الدوادار عن أمر

(٤) تتسلط : تتسلط . (٥) ويلزمونهم : ويلزمهم . (٧) ويقاسون تعباً : ويقاسوا تعباً .

وبياتون : وبياتوا . (١٠) الذين : الذى . (١٥) فلم يعطه : فلم يعطيه .

ذلك القتل وراحت على من راح .

- ومن الحوادث في غيبة السلطان أن شخصا من الطواشية يقال له عنبر مقدم
 ٣ طبقة الأشرفية ، وكان ساكنا بالقلمة في خرائب التتار ، وكان متهما بالمال وعنده
 ودائع من جوامك الماليك ، فنزل عليه الحرامية وهو راقد في بيته وضربوه على رأسه
 بالمُجلبات حتى أشيع أنه قد مات ، وأخذوا كل ما في بيته ، وقتلوا عبده وجاريته ،
 ٦ ولم تنتطح في ذاك شاتان ، حتى تحيّر الأمير طُقطباى نائب القلمة في هذه الواقعة
 كيف جرت (٢٧ ب) في وسط القلمة والأبواب تُفلق من بعد المغرب ، فمُد ذلك
 من العجائب . - وفي يوم الثلاثاء حادى عشره توفى قاضى القضاة الشافعية كان ،
 ٩ وهو جمال الدين إبراهيم بن الشيخ علاى الدين القلقشندى رحمة الله عليه ، وكان من
 أهل العلم والفضل والدين وله سند عالٍ في الحديث الشريف ، وولى منصب قضاء
 الشافعية في دولة الفورى مرتين ، وكان قد كبر سنّه وشاخ وقد قارب التسعين سنة
 ١٢ من العمر ، وكان من أعيان علماء الشافعية رحمة الله عليه .
- وفيه وردت الأخبار بأن السلطان دخل إلى الصالحية في يوم الثلاثاء خامس
 عشرين ربيع الآخر ، وقيل إنه لما أراد الرحيل منها أذن للخليفة والقضاة الأربعة
 ٢٥ بأن يتقدموه إلى غزة ، ثم وصل إلى قطيا فلاقاه الأمير قانصوه روح لو نائب قطيا
 ومدة له هناك مدة حافلة وقدم له مقدمة جيّدة على ما قيل . ومن الإشاعات التى أشيعت
 أن في أثناء الطريق سُرقت بغلة قاضى القضاة الحنفى ثم ظهرت من بعد ذلك وتكلف
 ١٨ عليها الحلوان حتى رجعت إليه . وأشيع أن بقجة فيها قماش لقاضى القضاة الحنبلى
 سُرقت من خيمته . وأشيع أن قد سُرق للسلطان جمل عليه مال له صورة فقبض على
 من فعل ذلك ووسط من الجمالة ثمانية أنفار ، وكل ذلك إشاعات ليس لها صحّة .
- ٢١ ثم وردت الأخبار بأن السلطان دخل إلى مدينة غزة المحروسة يوم الخميس رابع
 جمادى الأولى فلاقاه الأمير دولات باى نائب غزة ومدة له مدة حافلة ، فشقّ السلطان
 مدينة غزة في موكب حافل وقدمه الخليفة والقضاة الأربعة ، فقبل أقام بغزة خمسة أيام
 ٢٤ ورحل عنها . وأشيع أن السلطان لما كان بغزة أخلع على جمال الدين الألواحى بواب

الدهيشة وقرره معلم المعلمين، عوضا عن الشهابى أحمد بن الطولونى بحكم انفصاله عنها، وكان هذا من غلطات الزمان فى تولية الوظائف إلى غير أهلها .

- وفى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى طلع ابن أبى الرداد بيشارة (٢٨ آ) ٣ النيل المبارك فأخذ القاع فجاءت القاعدة اثنتى عشرة ذراعا وهذا من النوادر الغريبة ، وقيل قد بقى عن ميعاد الوفاء ستة وتسعين إصبعا . وللناس مدة طويلة من أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون ما رأوا القاعدة جاءت اثنتى عشرة ذراعا فإن فى أيامه ٦ فى سنة إحدى وستين وسبعمائة جاءت القاعدة اثنتى عشرة ذراعا ، وكان الوفاء فى سادس مسرى وبلغت الزيادة فى تلك السنة إلى ما يقرب من أربعة وعشرين ذراعا، هكذا نقله المقرئ فى الخطط وأورد ذلك الشيخ جلال الدين الأسيوطى فى كتابه ٩ المسمى بكوكب الروضة ، فحصل للناس فى تلك السنة بسبب ذلك الضرر الشامل واستسقوا الناس فى هبوطه حتى انهبط بمد ما مكث إلى آخر توت . ثم فى أيام الأشرف برسبى فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة جاءت القاعدة إحدى عشرة ذراعا ١٢ وعشرة أصابع ، وكان الوفاء ثانى مسرى وبلغت الزيادة فى تلك السنة إلى عشرين إصبعا من عشرين ذراعا وثبت إلى أواخر بابة . فلما جاءت القاعدة فى هذه السنة اثنتى عشرة ذراعا خشت الناس أن النيل يملك على الأراضى وقت أوان الزرع وأن ١٥ يف فى غير أوانه ، فما حصل فى هذه السنة إلا كل خير ووقى النيل فى أوانه وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . - وفى يوم السبت سابع عشرينه توفى الأمير جانى باى من طبقة الزمامية ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وأصله من ممالك الأشرف ١٨ قايتباى ، وكان لا بأس به . - وفيه أخرجوا فلوس جدد وأبطالوا الفلوس العتق ، فنادوا بأن الفلوس العتق بنصفين الرطل والجدد معاددة كل واحد بدرهم ، فوقف ٢١ حال الناس بسبب ذلك وصارت البضائع تباع بـسعرين سعر بالفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق .

وفى جمادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء فتوجه جماعة من نواب القضاة

- وأعيان الناس إلى بيت الأمير الدوادار وهنّوه بالشهر . - وفي هذا الشهر وردت الأخبار بأن السلطان دخل إلى دمشق المحروسة يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الأولى
- ٣ فلاقاه (٢٨ ب) سيباي نائب الشام ، ولاقاه سيباي نائب الشام من النية وبركة طبرية على ما قيل من الأخبار ، ودخل في موكب حافل وعسكر بالشاش والقماش وقدامه الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء من المقدمين والأمراء الطبلخانات والعشرات
- ٦ وأرباب الوظائف من المباشرين والجم الغفير من العسكر ، ولاقاه أمراء الشام وعساكرها ، وحل على رأسه ملك الأمراء سيباي نائب الشام القبة والجلالة كما جرت بذلك العوايد من قديم الزمان ، فزُينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودُقت له البشائر
- ٩ بقلعة دمشق ، ونثر على رأسه بعض تجار الفرنج الذى هناك ذهباً وفضة ، وفرش له سيباي نائب الشام تحت حافر فرسه الشقق الحرير ، فزاحمت عليه المالك بسبب نثار الذهب والفضة فكاد السلطان أن يسقط من على ظهر فرسه من شدة ازدحام الناس
- ١٢ عليه ، فمنهم من نثار الذهب والفضة ومن فرش الشقق تحت حافر فرسه. ولما دخل إلى دمشق نثر على رأسه القنصل وتجار الفرنج دنائير ذهب ، ونثر المعلم صدقة اليهودى معلم دار الضرب بالشام فضة جديدة ، وفُرشت له الشقق من مدرسة النائب بها الآن ،
- ١٥ وزُينت له المدينة سبعة أيام ، فكان له بدمشق يوم مشهود ، وعُد ذلك من المواعيد المشهودة ، فاستمرّ في هذا الموكب الحافل حتى دخل من باب النصر الذى بدمشق وخرج إلى الفضاء منها وتوجه إلى المصطبة التى يقال لها مصطبة السلطان ، وهى
- ١٨ بالقابون الفوقانى ، فنزل هناك ورسم لبعض حجاب دمشق بمهارتها وكانت قد تشعّعت من قدم السنين ، وهذا الموكب لم يتفق لسلطان من بعد الأشراف بُرسبای لما توجه إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة سوى للملك الأشراف قانصوه الغورى . ثم إن
- ٢١ السلطان أقام بالمصطبة التى بالقابون نحو تسعة أيام ، وقيل إن قاضى القضاة الشافى

(٣-٤) ولاقاه ... الأخبار : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

(١٢) حافر فرسه : حافر سه (١٢-١٥) ولما دخل ... سبعة أيام : كتبها المؤلف

فى الأصل على الهامش . (١٧ و ٢١) المصطبة : المسطبة .

- كمال الدين الطويل خطب بجامع بنى أمية جمعيتين ، ولم يحضر السلطان هناك صلاة الجمعة ، وقيل استمرت مدينة دمشق مزينة سبعة أيام . ثم إن السلطان رحل من هناك وتوجه إلى حمص . ثم رحل عنها وتوجه إلى حماة فلاقاه نائبها جان بردى الغزالي ٣ وقيل إنه مدّ له هناك مدة حافلة أعظم من مدة نائب الشام على ما أشيع ، وقيل إن السلطان لما أن رحل عن حماة ترك بها قاسم بك بن أحمد بن عثمان الذى تقدم ذكره عند ما خرج من مصر وسافر حجة (٢٩ آ) الأمير مامى المحتسب كما تقدم . ٦
- ومن الحوادث أن فى ليلة الاثنين رابع عشر هذا الشهر خُسف جرم القمر خسوفا فاحشا حتى أظلمت الدنيا ، وأقام فى الخسوف فوق من خمسين درجة وتغطى بالسواد جميعه ، واستمرت فى الخسوف إلى ثلث الليل الأخير . - وفى يوم الاثنين رابع عشره ٩ رسم الأمير الدوادر بشنق شخص من العربان المفسدين ، فشنق على قنطرة الحاجب . - وقد ضبط الأمير الدوادر أحوال الديار المصرية فى غيبة السلطان ضبطا جيدا ، ورسم للأمير ألباس والى القاهرة بأن يطوف فى كل ليلة من بعد العشاء وعين معه نحو مائة ١٢ مملوك من المالك الجلبان يطوفون معه ، كل ليلة تنزل جماعة من المالك من طباقهم بالنوبة ويطوفون مع الوالى إلى طلوع الفجر ، فلم يقع فى غيبة السلطان فى القاهرة إلا كل خير وكان ذلك على غير القياس . وكان الأمير الدوادر فى كل وقت يجمع ألباس ١٥ والى القاهرة ويحيط عليه بسبب ما أخذه من الناس لأجل الدروب وقد أفشى الظلم البين ، فكان يتفق مع أرباب الأدراك والخفراء ويجبون سكان الخطط والحارات لأجل عمارة الدروب ، فنجى من الناس فى هذه الحركة أموالا لها صورة ، فكانت ١٨ الخفراء إذا وقفوا على باب أحد من السكان يقررون عليه من الدراهم بحسب ما يختارونه من ذلك ، فإذا هرب صاحب الدار أسمروا الباب على أولاده وعياله وزوجته حتى يحضر ويدفع لهم ما قرروه عليه ، والامراة الأرملة يسْمرون بابها عليها ويتركونها ٢١

(١٣) مملوك : ملوك . (١٧) ويجبون : ويجبوا . (١٩) يقررون ...
 يختارونه : يقرروا ... يختاروه . (٢٠) صاحب : صحاب . (٢١) يسْمرون ...
 ويتركونها : يسْمروا ... ويتركوها .

بالجوع والمطش حتى ترمى لهم من الطاق اللحاف والطراحة ، فكانوا يقررون على
 بيوت الفقراء من الناس شيء أشرفى وشيء أشرفين ، وأما بيوت أعيان الناس
 فكانوا يقررون عليهم شيء خمسة أشرفية وشيء عشرة أشرفية بحسب ما يختارونه ،
 ٣ ففعلوا مثل ذلك بخط المقس وبخط باب البحر وسويقة اللبن والحسينة (٢٩ ب)
 وسوق الدريس وخط بركة الرطلى وغير ذلك من الأماكن والخطط ، ففعلوا فى هذه
 الحركة من وجوه المظالم ما لا فله هناك ، وهم يزعمون أن بذلك تقعا للمسلمين فى عمارة
 الدروب ، فحبوا فى هذه الحركة ما لا له صورة ولم يصرفوا منه إلا اليسير . ثم حسنوا
 للوالى عبارة بأن يجيى سوق جامع ابن طولون من مشهد السيدة نفيسة إلى آخر سوق
 ٩ جامع ابن طولون من جميع الأملاك والدكاكين التى هناك ، وزعموا أنهم ينشوا سورا
 من حدة ابن قميحة إلى باب القرافة ، وزعموا أن ذلك يمنع هجمة العربان على حين غفلة ،
 وكل هذا حيلة على أخذ أموال المسلمين ، فشرعوا فى كتب أسماء الدكاكين والأملاك .
 ١٢ فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك زجر ألماس الوالى وحط عليه ، وكان قد أشاع ذلك عن
 لسان الأمير الدوادار فخلف الدوادار أيمانا عظيمة أنه ما له علم بذلك ، وربما أشيع أنه
 لكَم ألماس الوالى بسبب ذلك ، وأبطل هذه الحادثة الموهلة فدعوا له الناس قاطبة .
 ١٥ ثم إن جماعة حاجب الحجاب قصدوا أن ينشوا مظلمة أخرى ، وهو أنهم قصدوا أن يجيبوا
 من أملاك بركة الرطلى ما لا له صورة بسبب قطع طين فم البركة فإنه كان قد على جدا حتى
 امتنع المراكب من دخول البركة ، فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك أبطل هذه الفعلة
 ١٨ ورسم بسد فم البركة حتى لا تدخل فيها المراكب ، ثم تزايد الأمر فى ذلك حتى يكون
 ما سنذكره فى موضعه .

وفى يوم السبت تاسع عشره حضر الأمير الدوادار وكان قد توجه إلى الفيوم
 ٢١ ليكشف على الجسر الذى عمره الأمير ينجشباى هناك ، فكشف عليه وعاد بعد أيام .

(١ و ٣) يقررون : يقرروا . (٣) يختارونه : يختاروه . (٩) التى : التى . ١١
 ينشوا : كذا فى الأصل ، ويعنى « ينشئون » . (١٢) زجر : جزر . (١٥) ينشوا :
 كذا فى الأصل ، ويعنى « ينشوا » . (١٦) على ، أى صار عاليا . (١٩) سنذكره : سنذكره .

- وفي مدة غيبة السلطان كان الأمير الدوادار يركب كل يوم ومعه الأمراء والعسكر الذين بمصر فيسير إلى نحو المطرية وبركة الحاج ، فإذا رجع يدخل من باب النصر وقدامه الجَمّ النفير من الأمراء والعسكر ، وكل هذا لأجل العرب والفلاحين حتى لا يطمعوا ويقولوا إن (٣٠ آ) ما بقى في مصر عسكر ، وكان هذا من الآراء الحسنة.
- وفي يوم الاثنين حادى عشرين جمادى الآخرة الموافق لسابع عشرين أبيب، فيه كان وفاء النيل المبارك . وفتح السد في يوم الثلاثاء ثانى عشرينه ، الموافق لسابع عشرين ٦ أبيب ، وقد وافى قبل دخول مسرى بأربعة أيام ، وللناس مدة طويلة من سنة خمس وأربعين وثمانمائة ما رأوا النيل وافى في سابع عشرين أبيب إلا في هذه السنة ، فلما وفى النيل في تلك السنة في سابع عشرين أبيب فصنّف مناديوّ البحر هذه الكلمات ، ٩ وقالوا : النيل أوفى في أبيب ، خُسْ يا حبيب ، وقد بقينا في هَنا ، يا فرحنا ، وكلمات أخر غير ذلك . فلما وافى النيل توجه الأمير طومان باى الدوادار نائب الغيبة لفتح السد ، فنزل في الحراقة وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ، ثم نزل من المقياس في ١٢ الحراقة وصحبته جماعة من الأمراء المقدمين الذين كانوا بمصر ، منهم : الأمير طقطباى نائب القلعة والأمير أرزمك الناشف وآخرون من الأمراء ، فتوجه لفتح السد وكان يوما مشهودا ، فلما فتح السد عاد إلى داره في موكب حافل وقدامه الأمراء بالشاش والقماش ١٥ وجماعة من المباشرين ، فتوجه إلى داره ، فلما فتح السد جرى الماء في الخلجان بعزم قوى وسرّ الناس في ذلك اليوم بوفاء النيل قبل ميعاده ، وقد قيل في المعنى :
- ١٨ تَمَتَّعَ بماء النيل يوم وفائه فقد طاب منه الشرب وهو لنا طَبّ
وقد سكبت منه الجنادل فيضها فأضحى بلا شك حلاوته سكب
- ومن الحوادث أن الأمير الدوادار نائب الغيبة منع الناس أن لا يسكنوا بالجرس الذى ببركة الرطلى ولا فى المسطاحى ، ومنع المراكب أن لا يدخلوا فى بركة الرطلى ولا ٢١ فى الخلجان قاطبة ، وعمل جسرا على خليج الزربية عند تنطرة (٣٠ ب) بموردة

(٢) الذين : الذى . (٩) مناديو : مناديون .

(٢٠) يسكنوا : يسكنون .

الجبس، فأل أمر الجزيرة الوسطى إلى الخراب ولم يُسكن بها بيت ولا فُتح بها دكان، ومنع المقاصفة أن لا ينصبوا مقصفا في الجسر ولا في الزريبة، فلم يُكرَ في الجسر بيت ولا دكان ولم يُسكن المسطاحى ولا حكر الشامى ولا الزريبة، وصارت بيوت بركة الرطلى خاوية على عروشها، ولا سيما بيوت أولاد الجيعان وبيت كاتب السر وغير ذلك من بيوت الأعيان، فحصل للناس في هذه السنة غاية الانكاد بسبب ذلك وخسروا الناس كرى بيوتهم، وأشيع بسدّ خوذة الجسر، فتلطف القاضي بركات ابن موسى المحتسب بالأمير الدوادار على [أن] يسمح للناس في دخول المراكب على العادة وأن يُسكن الجسر فأبى من ذلك، وقال إن العوام يفسدون نساء الأغوات المسافرين صحبة السلطان في هذه النيلية، واستمرّ مصمّما على منع ذلك، ثم في أواخر النيلية شفع القاضي بركات بن موسى في خمس مراكب للبياعين بأن يدخلوا في البركة على العادة، فدخل الحلوانى والجبان والفاكهانى والعداس والسويحأتى لا غير، فأقاموا أياما يسيرة فلم يجدوا من يبيعون عليه، فمضوا إلى حال سبيلهم، واستمرت بركة الرطلى ليس بها ديار ولا نافخ نار، فعند ذلك عمل فيها الشيخ بدر الدين الزيتونى هذه الرثية اللطيفة في واقعة الحال، فقال :

١٥	سألت إله العرش ينعم بالنصر	لسلطاننا الفورى فهو أبو النصر
	ملك عزيز أشرف ومظفر	مؤيد دين ظاهر كامل القدر
	لغيبته أضحى على الكون وحشة	بها بركة الرطلى مدمعها يجرى
١٨	يحقّ لنا نرّنى المقاصف بالبكا	خصوصا من المسطاح مع لثة الجسر
	لقد كان فيه للخليع تواصل	لعمرك إن الوصل خير من الهجر
	وكان به جميزة طاب ظلها	فناح عليها الطير والوحش في القفر
٢١ (٣١٩)	على ما جرى للجسر ساقية بكت	وصاحت بقلب صار في غاية الكسر
	وساروجة يبكى بجامعه دما	وقد أصبح الشامى يبكى على الحكر
	وأنتحت بيوت الجسر خالية فلا	لصاحبها سكنى ولا واحد يكرى

- وقد أصبحت تلك القصور خواليا
على بركة الرطلَى نوحوا وعدّوا
وكان بها للقادريّ حلاوة
وكان بها الفكاه يسعى بمركب
وزهر ونسرين وآس ونوفر
وكان بها الجبان يلقى بمركب
وكان بها للآكلين قطائف
لها رونق في الصحن من فستق بها
وكان بها الحشاش يسرد بهجة
وكان بها السكير في غاية الهنا
وكان بها للراكين مراكب
وكم داخل فيها مغنٍ ومنشد
وكم آلة للمطربين عهدتها
وقد درست تلك المآهد كلها
وشق شقيق الروض فيها ثيابه
وقد لبس الشحرور سود ثيابه
(٣١ب) وسالت دموع السحب من أعين السما
وقد كُست شمس الضحى في ممائها
جزيرتنا الوسطى خراب لأنها
وقد أخذوا أنقاضها لمبيعها
وقد أصبح النوقى في غاية الضنا
وباع قاش الستر منها وقلمها
فيا مقلتي جودى بدمعى تحسّرا
رعى الله أياما تقصّت بطيها
- فيا وحشة السكان من كل ذى قصر
لما حلّ فيها من نكال ومن خسر
مشبكها يشدو من المسك والعطر
بخوخ ورماف يبشر بالبسر
لها بهجة للمرء طيبة النشر
فيجمع بين النار والماء في البحر
بها عطش تُسقى من الفيث بالقطر
وسكرها يروى حديث أبي ذرّ
فقد قطعوا لذاته صار في فكر
يدير كؤوس الراح في ليلة البدر
مسترة فيها وأخرى بلا ستر
بنغمته كم من خفيف وكم شعر
وجنك وعواد يغرد كالقمر
وناخت بها الغريان والبوم في الوكر
وأرى غصين الدوح ما فيه من زهر
وأبدا خرير الماء لطم من النهر
وصار يضاء الصبح كالليل إذ يسرى
وأظلم نور البدر في الخسف للفجر
بها وضعوا سدّا لماء بها يجري
ولم يبق فيها من بناء سوى الجدر
ولا يلتقى فيها معاش ولا مُكر
وباع المداوى حيث يدرى ولا يدرى
ويا مهجتي صبرا وناهيك بالصبر
ونحن بمصر في أمان وفي بشر

- وكان الدوادار الكبير هو الذي أشار بهذا النع بالنهى والأمر
أراد بهذا النع صون حريم من غدا صحبة السلطان والبنت فى الخدر
فكان بهذا رأى أكرم صائن ٣
ولولا ابن موسى كان فى البعض شافعا
لما سمحوا فيها لمركب بايع
فيا ربنا أنعم علينا بنصرة ٦
وأنعم بمود الكل فى خير مقدم
وصلّى على المختار من آل هاشم
كذا الآل والأنحاب والتبع الذى ٩
عليهم صلاة الله ما هبت الصبا
وناظمها العوفى يدعوا لكل من رأى عيب زيتونى وينعم بالستر
انتهى (٣٢ آ) ذلك . - وفى يوم الجمعة خامس عشرينه توفى الشيخ تاج الدين ١٢
الذاكر رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية وله شهرة طائلة بالصلاح بين
الناس ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى طراباى قرا أحد الأمراء العشرات .
وفى رجب كان مستهل الشهر يوم الخميس ، فتوجه جماعة من نواب القضاة إلى ١٥
بيت الأمير الدوادار نائب النية وهتوه بالشهر . - وفى يوم الجمعة تاسمه توفى تغرى
بردى المعروف بالششمانى ، وكان يدعى أنه من الأمراء العشرات ، وكان قبل ذلك
من جملة السقاة ، فات عن عدة أقاطيع ورزق مشتراواته ، وكان فى سعة من الرزق ، ١٨
وكان ينسب إلى شخ زائد وبخل . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة شخص من الأمراء
العشرات يقال له مسaid ، وكان مسافرا صحبة السلطان فى التجريدة ، وكان أصله من
ممالك الأشرف قايتباى . - وفيه دخل الأمراء الذين كانوا توجهوا إلى نحو الشرقية ٢١
والغربية كما تقدم ذكر ذلك ، فرجموا عند ما أوفى النيل وتقطعت الطرقات بالمياه . -

- وفيه تقلّعت الناس بسبب الفلوس الجدد فصارت البضائع تباع بسمعين ، ووصل
 صرف النصف الفضة بالفلوس إلى ستة عشر درهما من الفلوس ، وكانت الفلوس
 الجدد تصرف معاددة وهي في غاية الخفة فتضرّر الناس لذلك ، فقلّعت الدكاكين ٣
 بسبب ذلك ، وتشحّط الخبز وسائر البضائع ، وكادت أن تنتشى من ذلك غلوة .
 وفيه وردت الأخبار بأن السلطان وصل إلى حلب فدخلها في يوم الخميس
 عاشر جمادى الآخرة ، وكان لدخوله يوم مشهود ، وقدامه الخليفة والقضاة ٦
 الأربعة وسائر الأمراء ، كموكبه بالشام ، وحمل القبة والجلالة على رأسه ملك
 الأمراء خاير بك نائب حلب كما فعل سيباي نائب الشام . وفي حال دخول
 السلطان إلى حلب وصل إليها قُصّاد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، ٩
 ف قيل إن ابن عثمان أرسل إليه قاضي عسكره وهو شخص يقال له ركن (٣٢ ب)
 الدين ، وأحد أمرائه يقال له قراجا باشاه ، وصحبهم سبعمائة عليقة ، فنزلوا بمدينة
 حلب . وبلغني من الكتب الواردة بالأخبار أن السلطان لما حضر بين يديه قاضي ١٢
 ابن عثمان وقراجا باشاه شرع يمتبهم في أفعال ابن عثمان وما يبيلغه عنه في حقه وأخذه
 إلى بلاد على دولات ، فقال له قاضي ابن عثمان وقراجا باشاه : نحن فوّض لنا أستاذنا
 الأمر وقال مهما اختارهم السلطان افعلوه ولا تشاوروني . وكل هذا حيل وخداع ١٥
 حتى يبطل همه السلطان عن القتال ويثني عزمه عن ذلك ، وقد ظهر مصداق ذلك فيما
 بعد . ومن جملة مخادعة ابن عثمان إلى السلطان أنه أرسل يطلب منه سكر وحلوى
 فأرسل إليه السلطان مائة قنطار سكر وحلوى في علب كبار ، وكل ذلك حيل منه . ٨
 ثم إن قاضي ابن عثمان أحضر فتاوى عن علماء بلادهم وقد أفتوا بقتل شاه إسماعيل
 الصوفي وأن قتاله جائز في الشرع ، وأرسل يقول في كتابه : السلطان والذي وأسأله
 الدعاء لكن لا يدخل بيني وبين الصوفي فإني ما أرجع عنه حتى أقطع جادته من على ٢١
 وجه الأرض فلا تدخل بيننا بشيء من أمر الصلح . وأظهر أنه قاصد نحو الصوفي
-
- (٨) دخول : دخول . (١١) وأحد : وإحدى . (١٣) يبيلغه : كذا في الأصل .
 (١٨-١٧) ومن جملة ... حيل منه : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

ليحاربه ، والأمر بخلاف ذلك . وذكروا أنه على القيسارية يقصد التوجه إلى محاربة
الصوفي . ثم إن السلطان أخلع على قُصَاد ابن عثمان الخلع السنية ، وقيل إن ابن عثمان
أُرسل إلى السلطان مقدمة حافلة ، وللخليفة وأمير كبير سودون المعجمي ، فكان ما ٣
أُرسله ابن عثمان إلى السلطان من المقدمة أربعين مملوكا وأبدان سمور وأثواب مخمل
وأثواب صوف وأثواب بعلبكي وغير ذلك . وكان ما أُرسله إلى الخليفة بدنين سمور
وثوب مخمل بكفوف قصب وثوبين صوف عال ، وأُرسل إليه قاضي عسكر ابن عثمان ٦
ثوبين صوف وسجادة عال ، وأُرسل إليه قراجا باشاه ثوبين صوف وسجاد وبغلة .
وأُرسل ابن عثمان إلى أمير كبير مقدمة أيضا حافلة ما بين سمور ومخمل (٣٣ آ) وصوف
ومن الممالك اثنين . ثم إن السلطان عين مغلباي دوادار سكين بأن يتوجه إلى ابن ٩
عثمان وعلى يده مطالعة من عند السلطان إلى ابن عثمان تتضمن أمر الصلح بينهما ،
والأمراء والعسكر منتظرون ردّ الجواب عن ذلك . وقد نظمت هذه القصيدة في معنى
واقعة سفر السلطان من حين خروجه [من] مصر إلى دخوله مدينة حلب ، وقد قلت ١٢
في ذلك :

ادعوا بنصر للمليك الأشرف	سلطان مصر ذى المقام الأشرف
١٥ قد قدر الرحمن نقل ركابه	نحو الشام وحسبها المستظرف
اختار أن يطاء البلاد لكشفها	ففتت تجود له بجود التحف
خضعت له النواب طوعا باللقا	من غير حرب أو حسام مشرف
١٨ لو كان ذو القرنين حيا في الورى	لاقاه بالإكرام والفضل الوقى
تاريخه فاق السلوك تماظما	فاصغ له واسمع بغير تكلف
عائنته يوما مضى في موكب	يزهو على برقوق زهو الأشرف
٢١ عوذت طلعتة بسورة يوسف	وجميع عسكره بأى الزخرف
ركب الخليفة والقضاة أمامه	وجيوشه من حوله بالرهف
في غزة قد كان يوم دخوله	يوم الخميس بعسكر مترادف

- قالت دمشق فرحة لما أتى أهلا بمن بين الرعاية منصفى
وتهلت بالنور جبهة ربوة لما اكتست بالزهر حلة يوسف
وحماة أحماها بصاح عدله فأتاعه العاصى بغير توقف ٣
واشتاقه نهر الفراء أما ترى تياره بالماء فى عزم وفى
واستأنست حلب به مذ زارها واستوحشت مصر له بتكلف
شرفت به حلب وقالت فرحة يا حبذا من قادم مستظرف ٦
سلطاننا الفورى صار مؤيدا مذ حقه الرحمن باللفظ الخفى
فأله يقيه على طول المدا ما أسكرت ربح الصباء بقرقف
قد ضاء لابن إياس شعرا قاله لكن نظمى قد أتى بتضف ٩
(٣٣ ب) ثم الصلاة على النبي المصطفى خير البرية يا له من مسعف
والآل والأصحاب ما جنّ الدجى أو ضاء مصباح بلبل أو طُفِ
وختامها مسك يفوح إذا بدا سلطان مصر ذى المقام الأشرف ١٢

- وأما ما حكى : أن السلطان لما دخل إلى حلب رسم لقاضى القضاة الشافى كمال
الدين الطويل بأن يخطب فى الجامع الكبير الذى بحلب ، فاجتمع بالجامع الجَمّ الفقير
من أهل حلب ، فخرج قاضى القضاة كمال الدين ورقى المنبر وخطب خطبة بليغة وأورد ١٥
أحاديث شريفة فى معنى الصلح وأذن مؤذّنو السلطان بالجامع وقرءوا حزب السلطان
هناك ، وعملت الوعاظ بالجامع ، ولم يحضر السلطان ولم يصلّ صلاة الجمعة هناك كما
فعل بدمشق ، فأعابوا عليه ذلك ، فكان قاضى القضاة كمال الدين يخطب بالجامع ١٨
الكبير مدة إقامة السلطان بحلب . - ومن الحوادث التى وقعت من السلطان بحلب
أنه أنعم على قانصوه نائب قلعة حلب بتقدمة ألف ، وعلى يوسف الناصرى شاد اشرباب
خاناه الذى كان نائب حماة وعلى طراباى نائب صفد وعلى كمرآز نائب طرابلس بتقدّم ٢١
ألف ، ومنها أنه نفق على أولاد الناس الذين توجهوا صحبتته بلا نفقة لكل منهم
بثلاثين دينارا ، وكان رسم لهم قبل ذلك لكل واحد بخمسين دينارا فعارضهم فى ذلك
(٧) باللفظ : باللفظ . (١٦) مؤذّنو : مأذّنون . (١٧) ولم يصل : ولم يصل .

- كاتب المالك وجعلها ثلاثين ديناراً ، وأصرف للعسكر ثمن اللحم عن ثلاثة شهور ،
 ثم إن السلطان فرق على ممالكه الجابان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح لم يُعبر
 عنها ، و فرق عليهم أيضاً خيولاً ما لها عدد ، وصار ينعم عليهم بالمطايا الجزيلة من مال
 وخيول خاص وسلاح بطول الطريق ، ولم يعط المالك القرائنة شيئاً فعز ذلك عليهم
 في الباطن . ثم إن السلطان قرأ ختمة في الميدان الكبير بحلب في يوم الخميس ليلة
 الجمعة وحضر أمير (٣٤ آ) المؤمنين التوكل على الله والقضاء الأربعة ومشايخ الزوايا ،
 فصلى أمير المؤمنين بالسلطان في الخيمة التي بالميدان صلاة العصر وصلاة المغرب ، فأنعم
 السلطان على أمير المؤمنين في ذلك اليوم بأربعمائة دينار ومائة رأس غنم ، وابن
 السلطان بثلاثين رأس غنم ، وأنعم على قاضي القضاء الشافعي بسبعين ديناراً ، ونوابه
 ومن معه من العلماء بسبعين ديناراً ، والقاضي الحنفي بالشرح ، وأنعم على القاضي
 المالكي بخمسين ديناراً ، ونوابه الثلاثة بثلاثين ديناراً ، وكذلك قاضي القضاء الحنبلي ،
 وأنعم على مشايخ الزوايا لكل واحد منهم بخمسين ديناراً ، وأنعم على الفقراء الذين
 سافروا صحبته لكل واحد منهم بعشرة دنائير ، وأنعم على الفقراء الذين حضروا هذا
 الختم من فقراء حلب وغيرها لكل واحد منهم بخمسة دنائير . - وفي عقيب ذلك
 أحضر السلطان الأمراء المقدمين والنواب والأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات
 وحلفهم على مصحف شريف بأنهم لا يخونوه ولا يغدروا به ، فحلفوا كلهم على ذلك .
 ثم نادى للعسكر بالعرض في الميدان الذي بحلب ، فعرضوا وهم باللبس الكامل ،
 وأدخلهم من تحت سيفين هيئة قنطرة كما هي عادة الأتراك ، وعندهم أن هذا هو القسم
 العظيم ، ثم إن السلطان أرسل خلف قاسم بك بن أحمد بك بن عثمان الذي خرج من
 مصر صحبة السلطان كما تقدم ، وكان السلطان لما توجه إلى حلب ترك قاسم بك في حماة
 فطلبه وأخلع عليه وأشهر أمره بحلب .

ثم وردت الأخبار إلى حلب بأن سليم شاه بن عثمان قبض على قاصد السلطان

(٤) ولم يعط : ولم يعطى . (١٢) الزوايا : الزوايه . (١٦) ولا يغدروا به :
 ولا يغدروه . (١٧) باللبس : باللبس .

- الذى جهزه إلى ابن عثمان ، وهو مغلباى أحد الدوادارية السكين ، ووضعه فى الحديد .
- وكان السلطان جهز الأمير كرتباى الأشرفى أحد الأمراء المقدمين الذى كان والى القاهرة إلى ابن عثمان وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف دينار ، وأخلع على قاضى ٣
- عسكر ابن عثمان ووزيره قراجا باشاء الذى تقدم ذكر حضورها إلى حلب (٣٤ ب)
- خلما سنيّة بطرز يلبنماوى عراض ، وأذن لهم بالمود إلى بلادهم ، وكان هذا عين الغلط من السلطان الذى أطلق قصاص ابن عثمان قبل أن يحضر مغلباى دوادار سكين ويظهر ٦
- له من أمر ابن عثمان ما يعتمد عليه ، فلما وصل الأمير كرتباى عينتاب بلنه أن ابن عثمان قد أبى من الصلح وأنه بهدل مغلباى ووضعه فى الحديد وقصد شنقه حتى شفع فيه بعض وزرائه وقصد خلق لحيته وقد قاسى منه من البهدة ما لا يمكن شرحها ، ٩
- فلما تحقق الأمير كرتباى ذلك رجع إلى حلب وأعلم السلطان بما فعله سليم شاه بن عثمان ، وأن طوالع عسكره قد وصل إلى عينتاب فهرب نائبها ، وملك عسكر ابن عثمان قلعة ملطية وبهسنا وكركر وغير ذلك من القلاع ، فلما وصل كرتباى بهذه الأخبار ١٢
- الردية إلى السلطان اضطربت أحواله وأحوال العسكر قاطبة . ثم إن السلطان أخلع على الأمير عبد الرزاق وولاه على إقليم أولاد ذو القادرية ، فخرج من حلب وصحبته ملك الأمراء خاير بك فى موكب حفل ، فخرج نائب حلب وأمراء حلب وعساكرها ١٥
- ونزلوا عن حلب بيوم وصحبته من المشاة خمسة آلاف ماشٍ ، ونفق عليهم السلطان جامكية شهر واحد . ثم خرج بعده ملك الأمراء سيباى نائب الشام وتمراز نائب طرابلس وطراباى نائب صفد ونائب حمص ونائب غزة ، فخرجوا من حلب يوم السابع ١٨
- عشر من شهر رجب ، وقد أشيع أن ابن عثمان ماشٍ من جهة . وابن سوار ماشٍ من جهة ثم [إن] السلطان نادى للعسكر بالرحيل من حلب والنزول على حيلان لقتال الباغى ابن عثمان ، وأن السلطان والأمراء عن قريب يخرجون إلى القتال ، والذى ٢١
- يريد الله تعالى هو الذى يكون . وهذا ما نقل من شرح كتاب أمير المؤمنين الذى أرسله إلى والده أمير المؤمنين يعقوب ، ثم ذكر فيه عن أمر الأسعارب حلب فالشعير كل أردب

بسبعة وعشرين نصفًا والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والجن بنصفين الرطل واللحم
 بتسعة دراهم بالرطل المصرى والدبس بنصف فضة الرطل بالمصرى ، وتناهى سعر
 القمح إلى أشرفين كل (٣٥ آ) أردب والكرسنة عقيق الجمل كل أردب بمائة ٣
 أربعة وعشرين درهما . ثم إن السلطان أرسل إلى الأمير الدوادار مثالا شريفا يتضمن
 الوصية بالرعية ، وأن الممالك الجلبان الذين بالطباق يكفوا الأذى عن الناس ولا
 يشوشوا على أحد من التسيبين ، وأن الأمير الدوادار يعرض جميع من في الحبوس قاطبة ٦
 من رجال ونساء ويطلق منهم جماعة من الديونين وغيرهم ، ولا يترك بالحبوس غير
 أصحاب الجرائم ومن عليه دم ، وكذلك من في الحجرة من النساء ، وأرسل أيضا
 يقول له: إن كان درب الحجاز أمانا من فساد العربان فيخرج الحاج من القاهرة، وإن ٩
 كان الدرب مخوفا فلا يسافر أحد من الحاج في هذه السنة ، وأرسل مثالا شريفا إلى
 الممالك الجلبان الذين في القلعة بالطباق بأنهم لا ينزلون من الطباق إلى المدينة ولا
 يشوشون على أحد من الناس قاطبة ومن يفعل ذلك يُشنق من غير معاودة ، فقرأ ١٢
 عليهم هذا المثال بالقلعة بين يدي الأمير طقطبى نائب القلعة ، وأرسل بالسلام على
 الأمراء والعسكر قاطبة .

١٥ وفي شهر شعبان كان مستهل الشهر يوم الجمعة ، ووافق ذلك أول النوروز من
 السنة القبطية ، فمد ذلك من النوادر ، وقد دخلت سنة قبطية في أول يوم من
 الشهور العربية ، ولا سيما يوم الجمعة وهو يوم فيه ساعة إجابة . - وفي يوم السبت
 ١٨ ثانياه أخلع الأمير الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له جاني بك القصير ، وهو
 من ممالك السلطان ، وقرره في كشوفية منفلوط عرضا عن أينال من جاني بك
 الذى كان بها وقد ضعف بصره . - وفي يوم الأحد ثالثه عرض الأمير الدوادار
 ٢١ المحاييس الذين في السجون الأربعة ، وعرض النساء اللاتي بالحجرة ، فأطلق منهم
 جماعة من عليهم دين ، وقيل صالح عن جماعة من ماله وأرضى أصحاب الديون،

(١١ و ١٠) الدين : الذى . (٢١) اللاتي : الذى .

- واستتاب جماعة من الحرامية ، ورسم (٣٥ب) بتوسط جماعة ممن عليهم دم ، وأبقى منهم جماعة في السجون إلى أن يحضر السلطان ، ثم إن الأمير الدوادار تصدق على الفقراء بمبلغ له صورة ، ورسم بقراءة ختمات في جميع الأسواق ، وقال : ادعوا للسلطان بالنصر . - وفي يوم الاثنين رابعه أخلع الأمير الدوادار على الأمير يوسف البدرى وأعادته إلى الوزارة كما كان ، وهذه رابع ولاية له بالوزارة . - وفي ذلك اليوم نودى في القاهرة بسفر الحاج على العادة ، وكان أشيع بطلان الحاج في هذه السنة .
- ٦ وفي يوم الثلاثاء خامسه في ليلة الأربعاء توفى قاضى القضاة الحنفية كان برهان الدين إبراهيم بن الكركى ، وهو إبراهيم بن الشيخ زين الدين عبيد الرحمن بن محمد ابن إسماعيل الكركى الحنفى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حثما من أعيان الحنفية ، سمع على ٩ الشيخ محيى الدين الكافيجى والشيخ سيف الدين وآخرين من علماء الحنفية ، وكان إمام الأشرف قايتباى ورأى في أيامه غاية العز والمظمة ، وولى عدة وظائف سنّية ، منها مشيخة مدرسة أم السلطان التى بالتبانة ، ومنها استيفاء الصحبة ، ثم ولى قاضى قضاة الحنفية مرتين ، ثم ولى مشيخة المدرسة الأشرافية بـرسباى ، ومات وهو على مشيخة المدرسة الأشرافية ، وقاسى شدايد وعثمان الأشرف قايتباى ، وكان بشوش الوجه وعنده رقة حاشية ولطافة غير كثيف الطبع ، ومات وهو فى عشر الثمانين ، وكان سبب موته أنه كان ساكنا ١٥ على بركة الفيل فزل يتوضأ على سلم القيطون وفى رجله قبقاب ، فزلت رجله بالقبقاب فوق فى البركة وكانت فى قوة ملثها أيام النيل ، فلما وقع ثقل عليه الثياب فأت من وقته رحمة الله عليه فأت شهيدا ، فماش سميذا ومات شهيدا ، وكان فى ١٨ أرغد عيش من المال والجاه . - وفيه أخلع الأمير الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له قجاس ، وقرره فى كشف المنوفية (٣٦ آ) عوضا عن قانسوه الذى كان بها .
- ٢١ وفيه جاءت الأخبار من حلب بوفاة شمس الدين محمد بن ناشى شيخ سوق الكتبتين ، وكان من القرنين عند السلطان ، وكان رئيسا حثما ، وكانت وفاته فى شهر رجب بحلب ، وكان على حسن السلطان حاز عدة وظائف سنّية . - وفيه جاءت ٢٤ الأخبار بوفاة الأمير يوسف الشهير بالمقطش الذى كان نائب صفد وعُزل عنها ، توفى

- بجلب . وأشيع وفاة أبرك الذى كان كاشف إقليم الجيزة، وكان من الأمراء العشرات،
توفى بجلب . وأشيع ب وفاة جماعة كثيرة كانوا صحبة السلطان فحصل لهم وخم ، فمات
٣ فى غزة وفى الشام وفى حلب من الأمراء العشرات والخاصكية والغلمان وغير ذلك
ما لا يحصى عددهم ، ماتوا من كثرة الأوخام التى كانت معهم بطول الطريق . - وفيه
جاءت الأخبار بصحة ما تقدم ذكره أن السلطان لما كان بجلب أنعم بتقادم ألوف على
٦ جماعة كثيرة من الأمراء منهم : الأمير يوسف الناصرى شاد الشرب خاناه ، ومنهم
طراباى من يشبك نائب صفد ؛ ومنهم قانصوه أستاذار الصحة ، ومنهم قانصوه
الأشرقى نائب قلعة حلب ، ومنهم تماراز نائب طرابلس ، وآخرون ، والذى يظهر من
٩ أمر السلطان أنه كان يقصد أن يبطل جماعة من الأمراء المقدمين العواجز ويجمع هؤلاء
الأمراء عوضا عنهم . - وفى يوم الجمعة خامس عشر شعبان توفى الحاج على البرماوى
برددار السلطان والمتحدث على جهات الديوان المفرد ، وقد رأى من العزّ والمظمة
١٢ ما لا رآه غيره من البرددارية وساعدته الأقدار حتى وصل إلى ما وصل إليه فى هذه
الوظيفة ، وكان سبب موته أن طلعت له شقفة فى ظهره فانقطع نحو اثنى عشر يوما
ومات ، وكان أصله من فلاحى برمة يبيع الخام والطرح فى الأسواق وهو راكب على
١٥ حمار ، وقيل أخوه هو الذى كان يبيع الخام ، إلى أن فتح عليه وكان لا بأس به ، وعنده
لبن جانب مع تواضع زائد ، وأما ما ظهر له من الوجود بعد موته من الذهب العين :
خمس آلاف دينار وستمائة دينار ، (٣٦ ب) ووُجد له فى مكان اثنا عشر ألف دينار
١٨ ذهب عين بُرُسِيَّهية ، ووُجد له من الحجورة والمهارة نحو خمس وأربعين رأسا ،
ومن الجاموس مائة رأس ، ومن الغنم الضأن ألف نعجة ، ووُجد له بالدوايب أربعمائة
ثور ، وضاع له عند الفلاحين فى البلاد أكثر من ذلك ، فقوم ذلك الموجود بنحو
٢١ مائة ألف دينار .

وفى يوم السبت سادس عشر شعبان أشيعت هذه الكاينة العظيمة التى طمّت
وعمت وزُلّت لها الأنظار ، وما ذاك أن أخبار السلطان والعسكر انقطعت مدة

طويلة ، ثم حضر كتاب على يد ساع مطرد من عند الأمير علان الدوادار الثانى أحد
الأمراء المقدمين ، فذكر فيه أن السلطان كان يكذب في أمر سليم شاه بن عثمان
ويصدق إلى أن حضر مُغلباى دوادار سكين وهو في حال النحس ، بزمت أقرع على ٣
رأسه ، وهو لا بس كبر عتيق دنس ، وراكب على إكديش هزيل ، وقد نُهب بركة
وأخذت خيوله وقاشه ، وأخبر أن ابن عثمان أبي من الصلح وقال له : قل لأستاذك
يلاقيني على مرج دابق ، وأخبر أنه وضعه في الحديد وقصد أن يخلق لحيته وقدمه ٦
إلى المشنقة عدة مرار حتى شفع فيه بعض وزرائه ، وحمله الزبل من تحت خيله في
قفة على رأسه ، وقاسى منه من البهدة ما لا خير فيه . فلما سمع السلطان ذلك تحقق
وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان ، فقبل إنه أنتم على مُغلباى بألف دينار وخيول ٩
وقاش وبرك في نظير مذهب له .

والذى استفاض بين الناس من أخبار السلطان أنه صلى الظهر وركب وخرج
من ميدان حلب يوم الثلاثاء في العشرين من رجب ، وصحبته أمير المؤمنين التوكل على ١٢
الله والقضاة الأربعة ، وكان تقدمه نائب الشام ونائب حلب وجماعة من النواب ،
نفرجوا بأطلاب حربية وطبول وزمور ونُفوط حتى رجّت لهم حلب ، فلما خرج
السلطان من حلب توجه إلى حيلان فبات (٣٧ آ) بها . - فلما أصبح يوم الأربعاء ١٥
حادى عشرين رجب رحل السلطان من حيلان وتوجه إلى مرج دابق ، فأقام به إلى
يوم الأحد خامس عشرين رجب ، وهو يوم نحس مستمر ، فما يشعر إلا وقد دهمته
عساكر سليم شاه بن عثمان فضلى السلطان صلاة الصبح ثم ركب وتوجه إلى زغزغن ١٨
وتل الفار ، وقيل هناك مشهد نبى الله داود عليه السلام ، فركب السلطان وهو
بتخفيفه صغيرة وملوطة بيضاء وعلى كتفه طبر ، وصار يرتب المساكر بنفسه .
فكان أمير المؤمنين عن ميمنته وهو بتخفيفه وملوطة ، وعلى كتفه طبر مثل ٢١
السلطان ، وعلى رأسه الصنجق الخليفة . وكان حول السلطان أربعمون مصحفا في
أكياس حرير أصفر على رؤوس جماعة أشراف ، وفيهم مصحف بخط الإمام عثمان
(١٤) حربية : حربه .

ابن عفان رضى الله عنه . وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم : خليفة سيدي أحمد البدوي ومعه أعلام حمراء ، والسادة الأشراف القادرية ومعهم أعلام خضراء ، وخليفة سيدي أحمد بن الرفاعي ومعه أعلام خضراء ، والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة رضى الله عنها بأعلام سود . وكان الصبيّ قاسم بك بن أحمد بك ابن عثمان المقدم ذكره واقفا بإزاء الخليفة وعلى رأسه صنجق حرير أحمر . وكان الصنجق السلطاني واقفا خلف ظهر السلطان بنحو عشرين ذراعا ، وتحتة مقدم المالك سنبل العثماني والسادة القضاة والأمير تمر الزردكاش أحد القدمين . وكان ميمنة المعسكر سييبي نائب الشام ، وعلى اليسرة خاير بك نائب حلب .

١ فليل أول من برز إلى القتال الأتابكي سودون العجمي وملك الأمراء سييبي نائب الشام والمالكي القرائنة دون المالكي الجلباني ، فقاتلوا قتالا شديداً وجماعة من النواب فهزموا عسكر ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة وأخذوا منهم سبعة صناجق ، وأخذوا المسكاحل التي على العجل ورمات البندق ، فهم ابن عثمان بالهروب أو يطلب الأمان ، وقد قُتل من عسكره فوق العشرة آلاف إنسان ، وكانت النصرة لعسكر مصر أولاً ، (٢٧ ب) وباليث لو تمّ ذلك ، ثم بلغ المالكي القرائنة أن السلطان قال للمالكي الجلباني : لا تقاتلوا شي وخلو المالكي القرائنة تقاتل وحدهم ، فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال ، فبينما هم على ذلك وإذا بالأتابكي سودون العجمي قد قُتل في المعركة ، وقُتل ملك الأمراء سييبي نائب الشام ، فانهزم من في الميمنة من المعسكر . ثم إن خاير بك نائب حلب انهزم وهرب فكسر اليسرة ، وأسر الأمير قانصوه بن سلطان جركس وقيل قُتل ، ويقال إن خاير بك نائب حلب كان موالسا على السلطان في الباطن ، وهو مع ابن عثمان على السلطان ، وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد فكان أول من هرب هو قبل المعسكر قاطبة .

وكان ذلك خذلانا من الله تعالى لعسكر مصر حتى نفذ القضاء والقدر ، فصار السلطان واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المالكي ، فشرع يستغيث للعسكر :

(١٩-٢١) ويقال ... قاطبة : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

- يا أغوات هذا وقت المروّة قاتلوا وعلى رضاكم . فلم يسمع له أحد قولاً وصاروا يتسحبون من حوله شيئاً بعد شيء ، فالتفت للفقراء والمشايخ الذين حوله وقال لهم : ادعوا إلى الله تعالى بالنصر فهذا وقت دعاكم ، وصار ما يجده من ممين ولا ناصر ، ٣ فانطلق في قلبه جرة نار لا تطفى ، وكان ذلك اليوم شديد الحر ، وانعقد بين المسكرين غبار حتى صار لا يرى بعضهم بعضاً ، وكان نهار غضب من الله تعالى قد انصب على ٦ عسكر مصر وغلّت أيديهم عن القتال ، وقد قلت في هذه الواقعة :
- لما التقى الجيشان مع سلطاننا في مرج دابق قال : هل من مسعف
فله أجاب لسان حال قائلاً عرّضت نفسك للبلا فاستهدف ٩
واشتدّ بالجلبان رغب قلوبهم وغدّوا يقولوا أي أرض نختنق
والنهب أطمعهم لذّل نفوسهم حتى أتاهم بالقضاء المتلف
- فلما اضطربت الأحوال ، وتزايدت الأهوال ، نخاف الأمير تمر الزردكاش على ١٢ الصنجق فأنزله وطواه وأخفاه ، ثم تقدّم إلى السلطان وقال له : يامولانا السلطان إن عسكر ابن عثمان قد أدركنا فأنج نفسك واهرب إلى حلب . فلما تحقّق السلطان ذلك نزل عليه في الحال خلط فالج أبطل شقته وأرخى (٣٨ آ) حنكه ، فطلب ماء ١٥ فأتوه بماء في طاسة ذهب ، فشرب منه قليلاً وألقت فرسه على أنه يهرب ، فشى خطوتين وانقلب من على الفرس إلى الأرض ، فأقام نحو درجة وخرجت روحه ومات من شدة قهره ، وقيل قُغت مرارته وطلع من حلقه دم أحمر . وقيل إنه لما رأى الكسرة عليه ابتلع فصّ ماس كان معه ، فلما نزل جوفه غاب عن الوجود ١٨ وسقط عن فرسه ومات من وقته ، على ما قيل من هذه الإشاعة . فلما أشيع بموته زحف عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان ، فقتلوا الأمير بيبرس أحد ٢١ المقدّمين قريب السلطان ، والأمير أقبای الطويل أمير آخور ثاني أحد المقدّمين ،

(١) هذا : أدنى . || المروّة = المروءة . (٢) الذين : النى .

(١٠) المتلف : المتلفي : (١٣) فأنج : فأنجوا . (١٧-١٩) وقيل ... الإشاعة :

كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (١٨) فص : فصا .

وقتلوا جماعة من الخاصكية ومن غلمان السلطان ممن كان حوله .

وأما السلطان فن حين مات لم يُعلم له خبر ، ولا وقف له أحد على أثر ، ولا ظهرت جثته بين القتلاء ، فكان الأرض قد انشقت وابتلعت في الحال ، وفي ذلك ٣
عبرة لمن اعتبر ، فداسوا العثمانية المصاحف التي كانت حول السلطان بأرجل الخيول ، وقُدم المصحف العثماني وأعلام الفقراء وصناجق الأمراء ، ووقع النهب في عسكر مصر ، وزال مُلك الأشرف النورى على لح البصر فكانه لم يكن ، فسبحان من لا يزول مُلكه ولا يتغير ، بعد ما تصرف في مُلك مصر وأعمالها والبلاد الشامية والحلبية وأعمالها ، فكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما ، ٦
فإنه وَلِيَ مُلك مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة ، وتوفى في الخامس والعشرين ٩
من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، فكانت الناس معه في هذه المدة في غاية الضنك ، وقد قلت في المعنى :

١٢ اعجبوا للأشرف النورى الذى مذ ترايد ظلمه فى القاهره

زال عنه مُلكه فى ساعة خسر الدنيا إذا والآخرة

وقد أقامت هذه الوقعة من طلوع الشمس إلى بعد الظهر ، وانتهى الحال على أمر ١٥
قدّره الله تعالى ، فقتل في تلك الساعة من عسكر ابن عثمان ومن عسكر مصر ما لا يحصى عدده ، فقتل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم : الأتابكي سودون المسمى وبيرس قريب السلطان وأقبای الطويل ، وأسر قانسوه بن سلطان جرّكس وقتل ١٨
سيبای نائب الشام وتمراز نائب (٣٨ ب) طرابلس وطرابای نائب صفد وأصلان نائب حمص ، وغير ذلك جماعة كثيرة من أمراء دمشق وأمراء حلب وطرابلس ، وقتل من أمراء مصر جماعة كثيرة من أمراء طبلخانات وعشرات وخاصكية ، ٢١
وأكثر من قتل من عسكر مصر المالك القرانصة ، ولم يُقتل من المالك الجلبان إلا القليل ، فإنهم لم يقاتلوا في هذه الوقعة شيئا ، ولا ظهر لهم فروسية فكانهم حُشِبَ مسندة ، وقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى ضبطه . وقتل من أمراء مصر

(٤) التى : الذى . (٦) من : ما . (٢٢) شيئا : شئ . (٢٣) ما لا يحصى : لا ما يحصى .

ومن دمشق وحلب فوق الأربعين أميرا . وقتل في ذلك اليوم القاضي ناظر الجيش عبد القادر القسروى ، وجماعة كثيرة من الجند يأتى الكلام على ذلك فى موضعه ، فكانت ساعة يشيب منها الوليد ، ويذوب لسلطوتها الحديد ، فصار فى مرج دابق ٣ جث مرمية وأبدان بلا رهوس ووجوه معفّرة فى التراب قد تفتّرت محاسنها ، وصار فى ذلك المكان خيول مرمية موتى بسروج مفرق وسيوف مسقطة بذهب وبركستوانات فولاذ وخوذ وزرديات وبقيج قاش فلم يلتفت إليها أحد ، وكل من المسكرين اشتغل ٦ بما هو أهم من ذلك ، وقال بعض المواليا فى المعنى :

صفق جوادى وقد جسيّت يوم الحرب عودى ففنت صوارم شرقها والغرب طربت عادت تنقط فى سماع الحرب روس الأعادى وترقص داخله فى الضرب ٩
ثم إن ابن عثمان زحف بمسكره وأتى إلى وطاق السلطان ونزل فى خيامه ، وجلس فى المدوّرة ، واحتوى على الطشتخاناه وما فيها من القماش ، وعلى الشراب خاناه وما فيها من الأواني الفاخرة ، وعلى الزردخاناه وما فيها من السلاح ، وعلى خزائن ١٢ المال والتحف ، ونزل كل أمير من أمرائه فى وطاق أمير من أمراء السلطان واحتوا على ما فيها ، فاحتوى على وطاق خمسة عشر أميرا مقدم ألف ، خارجا عن الأمراء الطبلخانات والمشرات والمسكر ، وكذلك عسكره احتوى على خيام (٣٩ آ) ١٥
العسكر المصرى والشامى والحلبى وغير ذلك من المساكر ، كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

ولم يقع قط للملك بنى عثمان أخت هذه النصره على أحد من الملوك قاطبة ، بل ١٨ إن تيمورلنك زحف على بلاد بنى عثمان وحارب أحد أجدادهم ، وهو شخص يقال له يلدزم ، فلما حاربه انكسر فأمره تيمور ووضعه فى قفص حديد وصار يمجى عليه فى بلاد المعجم ، فما طاق ابن عثمان ذلك فابتلع له فصّ ماس فأت وهو فى ذلك القفص ٢١ الحديد . ولم يقع قط لأحد من سلاطين مصر أنه وقع له مثل هذه الكائنة ،

(٣) يذوب : يذيب . (١١) الطشتخاناه : الطسخاناه . (١٢) من السلاح : فى السلاح .

(١٤-١٥) فاحتوى ... والمسكر : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

ومات تحت صنجه في يوم الحرب ، وانكسر على هذا الوجه أبدا ، ولا يُسمع بمثل ذلك ، ونهب ماله وبركه بيد عدوه ، غير قانصوه النورى ، وكان ذلك في الكتاب مسطورا . وكان السلطان والأمراء ما منهم أحد ينظر في مصالح المسلمين بين العدل والإنصاف ، فرُدَّت عليه أعمالهم ونياتهم وسلط الله تعالى عليهم ابن عثمان حتى جرى لهم ما جرى ، فكان كاقيل في المعنى :

٦ أين الملوك الذي في الأرض قد ظلموا والله منهم لقد أخلى أما كنهم فاستغنى بالسمع عن مرآهم عظة فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

ثم إن ابن عثمان تحول عن مرج دابق ودخل إلى حلب فلما كان من غير مانع ، فزل بالبيدان الذي بها في مكان كان به السلطان ، وهذا ما انتهى إلينا من ملخص هذه الواقعة مع ما فيها من زيادة ومن نقصان ، فهذا ما كان من أمر السلطان وابن عثمان . وأما ما كان من أمر الأمراء والعسكر بعد الكسرة فإنهم توجهوا إلى حلب وأرادوا الدخول بها ، فوثب عليهم أهل حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سلاحهم وخيولهم وبركهم وودائعهم التي كانت بحلب ، وجرى عليهم من أهل حلب ما لا جرى عليهم من عسكر ابن عثمان ، وكان أهل حلب بينهم وبين المالك السلطانية حظ نفس من حين توجهوا قبل ذلك صحبة قاني باي أمير آخور كبير ، فزلوا في بيوت أهل حلب غصبا وفسقوا في نساءهم وأولادهم وحصل منهم غاية الضرر لأهل حلب ، (٣٩ ب) فاصدقوا أهل حلب بهذه الكسرة التي وقعت لهم فأخذوا بثأرهم منهم . فلما رأوا الأمراء وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب على حمية وتوجهوا إلى دمشق ، فدخلوها وهم في آنحس حال لا برك ولا قاش ولا خيول ، ودخل غالب العسكر إلى الشام بعضهم راكب على حمار ، وبعضهم راكب على جمل ، وبعضهم عربان وعليه عباءة أو بشت ، ولم يقع لعسكر مصر كائنة قط أعظم من هذه الكائنة ، فأقام الأمراء والمباشرون والعسكر في الشام حتى يتكاملوا البقية ويظهر

(٤) وسلط : وسلطت . (٦) الذي : كذا في الأصل . (١٧) وقعت : قمت .

(٢٢) والمباشرون : والمباشرين .

- السالم من العاطب ، وقيل إن الأمراء لما دخلوا إلى الشام صاروا في حرّ الشمس لم يجدوا ما يستظلون به حتى صنعوا لهم الغلمان عرايش من فروع الشجر يستظلون تحتها .
- وأما ما كان من أمر سليم شاه بن عثمان بعد أن ملك حلب ، فإلذى استفاض ٣ بين الناس أن ابن عثمان أقام بالميدان الذى بحلب فتوجّه إليه أمير المؤمنين المتوكل على الله ، والقضاة الثلاثة وهم : قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة محيى الدين بن الدميرى المالكي وقاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، وأما ٦ قاضى القضاة الحنفى محمود بن الشحنة فإنه هرب مع العسكر وتوجّه إلى الشام ، ونهب جميع بركه وقماشه ، ودخل إلى الشام فى أنحس حال . - وقيل لما دخل أمير المؤمنين على ابن عثمان وهو بالميدان قام له وعظّمه وأجلّه وجلس بين يديه فأشيع أنه قال له : ٩ أصلكم من أين ، قال له : من بغداد ، فقال له ابن عثمان : نعيدكم إلى بغداد كما كنتم ، والأقوال فى ذلك كثيرة . فلما أراد الخليفة الانصراف أخلع عليه دُلّامة حرير من ملايسه ، وأنعم عليه بمال له صورة ورده إلى حلب ووكل به أن لا يهرب من حلب . ١٢ وقيل لما دخل عليه قضاة القضاة وبّجهم بالكلام وقال لهم : إئتوا تأخذوا الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعوا بالمال حتى تتولوا القضاء ، ليش ما كنتوا تمنعوا سلطانكم عن الظالم التى كان يفعلها بالناس . وأشاعوا من هذه أخبار العجايب والغرائب ، ١٥ والموّل فى ذلك على الصحة .
- وأخبرنى من رأى سليم شاه بن عثمان أنه مربوع (٤٠ آ) القامة ، واسع الصدر ، أقنص العنق ، مكرفس الأكتاف ، فى ظهره جنبه ، مترك الوجه ، واسع العينين ، ١٨ ذرّية اللون ، وافر الأنف ، ملئ الجسد ، حليق اللحية ليس غير الشوارب ، كبير الرأس ، عمامته صديرة دون عمامم أمرائه . فلما ملك حلب سلموه أهلها المدينة بالأمان ، وهرب قانصوه الأشرقى نائب قلعة حلب وتوجّه إلى الشام مع العسكر وترك أبواب ٢١ قلعة حلب مفتحة ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أرسل إليها شخصا من جماعته ، وهو أعرج

(١) دخلوا : خلوا . (١٣-١٤) تلاحظ غامية الأسلوب .

(١٨) جنبه : كذا فى الأصل ، ولعله يعنى « حنية » . (٢٢) شخصا : شخص .

أجروود وفي يده دبوس خشب . فطلع إلى قلعة حلب فلم يجد بها مانعا يردّه ، فغتم على الحواصل التي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك . وقد فعل ابن عثمان أباحة أنه أخذ قلعة حلب بما فيها بشخص أعرج وفي يده دبوس خشب وهو أضعف من في عسكره ، وقيل في المعنى :

لا تحقرنّ ضعيفاً في غصاميّة إن الذبابة تدمى مقلة الأسد

- ٦ وأشيع أن ابن عثمان من حين استولى على حلب لم يدخل مدينتها غير ثلاث مرات ، المرة الأولى دخلها وطلع إلى القلعة بسبب عرض حواصلها ، فلما عرضها رأى ما أدهشه من مال وسلاح وتحف ، فاحتوى على ما كان من المال نحو مائة ألف ألف دينار ، والكنائش الزركش وأرقاب الزركش والقبّة والطير والسروج الذهب والبلور والطبول بازات المينة واللجم المرصعة بالقصوص الثمينة والبركستوانات الفولاذ والمحمل الملون والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ، فرأى ما لا قط رآه ولا فرح به أحد من أجداده ولا أحد من ملوك الروم ، والذي جمعه الفوري من الأموال من وجوه المظالم والتحف التي أخرجها الفوري من الخزائن من ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك بني أيوب الأكراد وغيرها ومن ملوك الترك والجزا كسة ، احتوى عليها سليم شاه بن عثمان من غير تعب ولا شق ، هذا خارجا عن ما كان للأمراء القديمين والأمراء (٤٠ ب) الطليخانات والعشرات والمباشرين والعسكر قاطبة من الودائع بحلب من مال وسلاح وقماش وبرك ، فاحتوى ابن عثمان على ذلك جميعه . وقيل إنه ملك ثلاث عشرة قلعة من معاملة بلاد السلطان ، واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك من التحف . فكان الذي ظفر به سليم شاه بن عثمان في هذه السنة من الأموال والسلاح ما لا ينحصر ولا يضبط ، واحتوى على خيول وبغال وجمال ما لا يحصى عددهم ، واحتوى على خيام وبرك ، ولا سبّا ما كان مع السلطان والأمراء والعسكر ، وقد قُسم له ذلك من القدم ، كما يقال في المعنى :

(١) مانعا : مانع . (١٣ و ٢) التي : الذي . (٢٠-٢٢) واحتوى ... والعسكر : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (٢٢) والأمراء : وأمهراء .

ألا إنما الأقسام تحرم ساهرا وآخر يأتي رزقه وهو نائم

- ودخل المرة الثانية فصلى صلاة الجمعة في جامع الأطروش الذي بحلب ، وخطب باسمه ودُعي له على المنابر في مدينة حلب وأعمالها ، ولما صلى بها صلاة الجمعة زينت له ٣ مدينة حلب ووقد له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الأصوات بالدعاء ، والتفت عليه الخوارج إبراهيم السمرقندي والخوارج يونس العادلي والمعجمي الشنقيشي ، وكانوا هؤلاء من أخصاء الغوري ، وكانوا مع ابن عثمان في الباطن ويكاتبونه بأحوال السلطان ٦ وما يقع من أخبار الملكة ، فلما فُقد السلطان أظهروا عين المحبة لابن عثمان ، وصاروا يحطون على الغوري ويذكرون أفعاله الشنيعة إلى ابن عثمان ، وصاروا من جماعته ونسيوا إحسان الغوري لهم ، كما يقال في المعنى :

- ٩ لقاء أكثر من يلقاك أوزار فلاتبالي أصدوا عنك أوزاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار وفهام منكر للمرء أوعار
١٢ لهم لديك إذ جاءوك أوطار إذاقضوها تنحوا عنك أوطاروا

- ومن كان موالسا على السلطان في الباطن وهو خاير بك نائب حلب ، فإنه أول من كسر عسكر السلطان هو ، وهرب عن ميسرة السلطان حتى انكسر فتوجه إلى حماة ، فلما ملك ابن عثمان حلب أرسل خلفه وأخلع عليه وصار من جملة أمرائه ، ولبس ١٥ (٤١ آ) زى التراكمة العمامة المدورة والدلامة ، وقصص ذقنه ، وسماه ابن عثمان خاين بك ، كون أنه خان سلطانه وأطاع ابن عثمان فسماه بذلك ، فلما جرى ذلك تسحبت مماليك خاير بك نائب حلب وتوجهوا صحبة العسكر إلى مصر ، ودخل هو تحت طاعة ١٨ ابن عثمان . وهذه الواقعة تقرب من واقعة ابن العلقمي وزير بغداد لما والس على الخليفة المستعصم بالله وملك هلاكه . ملك التتار مدينة بغداد وقتل الخليفة المستعصم فصار ابن العلقمي من المقرّبين عند هلاكه ، ثم أقلب عليه وقتله وصابه وقال له : أنت ٢١

(٥) الشنقيشي : كذا في الأصل ، وفي مواضع أخرى « الشنقي » ، انظر هنا فيما سبق

س ٣٣ س ٢٠ . (٦) ويكاتبونه : ويكاتبوه . (٨) يحطون ... ويذكرون :

يحطوا ... ويذكروا .

ما كان في وجهك خير لأستاذك يكون في وجهك خير لي . وربما يقع لخاير بك نائب حلب مثل ذلك .

٣ ثم إن ابن عثمان دخل إلى مدينة حلب ثالث مرة بسبب أنه دخل بها الحتام وأنعم على معلم الحمام بمبلغ له صورة . - واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة ، الشافعي والمالكي والحنبلي ، في الترسيم بحلب لا يخرجون منها إلا أن يأذن لهم ابن عثمان . وأقام بحلب جماعة كثيرة من أعيان الناس بعد الكسرة ، منهم : القاضي عبد الكريم بن الجيعان كاتب الخزائن الشريفة ، وعبد الكريم بن نخيرة أحد كتّاب الماليك ، وعبد الكريم بن اللاذني مستوفى الزردخانه ، والرئيس محمد بن القيصوني ، وإمام السلطان السمديسي الذي كان قاضي قضاة الحنفية ، وإمام السلطان ابن الرومي ، والخواص مؤذن السلطان ، ورفيقه رصاص المؤذن ، ويحيى بن بكير وأخوه وجماعة آخرون ما يحضرنى أسماؤهم الآن ، فهؤلاء تخلفوا بحلب بعد الكسرة وغير ذلك آخرون . - وقيل لما دخل ابن عثمان إلى مدينة حلب نادى فيها بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن كل من كان عنده ودعة للأمرأ أو للعسكر من خيول وسلاح وقماش يحضر ما عنده ، وإن غمز عليه ولم يحضر ما عنده شفق من غير معاودة .

١٥ وأما من قتل في هذه المعركة من الأمراء وأعيان الناس ، فالذي يحضرنى من ذلك وتحققته : فالأتابكي سودون المعجمي ، وملك الأمراء سيباي من بختجا نائب الشام ، والأمير قانصوه بن سلطان جرّكس وقيل لم يقتل بل أسر ، والأمير بيبرس قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التي بالقرب من الجودرية ، والأمير أقباي الأشرفي الطويل أحد (٤١ ب) المقدمين أمير آخور ثاني ، فهذا الذي قتل من الأمراء المقدمين في هذه الوقعة . وأما من قتل بها من النواب : تمتاز الأشرفي نائب طرابلس وطراباى نائب صفد وأسلان نائب حمص ، وجماعة كثيرة من أمراء الشام وحلب وغير ذلك .

(١) لخاير بك : لخير بك . (٨) اللاذني : اللاذني .

(١٠) أسماؤهم : أسمايهم . (٢٠-٢١) وأما من قتل بها من النواب ... وغير ذلك :

كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

وأما من قُتل من الأمراء الطبلخانات والعشرات فجماعة كثيرة منهم : طومان باي
قرا حاجب ثاني ، وجاني بك المادلي شاد الشراب خاناه كان ، وقانصوه حبابية ،
وبُرد بك رأس نوبة عصاه ، ونوروز رأس نوبة عصاه ، وقانصوه الذي كان أستاذار ٣
الصحبة ، ويخشباي قرا شاد الشون ، وقيت الأحول ، وقرقاس المقرى توفى بالشام ،
ويوسف المقطش الذي كان نائب صفد .

ومن الأمراء العشرات : جاني الحمدي ، وجان بردي الذي كان كاشف الرملة ، ٦
وبُرسباي أحد أمراء العشرات ، وتوفى أقباي الذي كان كاشف الشرقية ، وملاج
الذي كان نائب القدس ، وأزبردي ، وطراباي أخو الأتابكي قيت الرجي ، وخُدا بردي ،
وقانم الأعرج ، وجانم الطويل ، وقايتباي أخو أسطمر ، وتوفى مساید ، وتوفى ٩
طراباي قرا ، وأقطوه الطويل خادم السادة ، وجان بلاط الذي كان والي قطيا ،
وبرشباي أحد الأمراء العشرات ، وصهره ، وتوفى لاجين ناظر مقام سيدي أحمد
البدوي رضي الله عنه توفى بغزة ، وقانصوه الناصري ، وتوفى طراباي الأشرفي ، ١٢
وتوفى أبنال خازندار الأمير قاني باي أمير آخور كبير وكان من الأمراء الطبلخانات ،
وغير ذلك ممن يأتي ذكره ، حتى قيل مات في هذه الواقعة من أمراء مصر والشام
وحلب وغير ذلك نحو من أربعين أميراً لم يحضرني أسماؤهم الآن ، وقتل أزيك المجمل ١٥
أمير طبلخاناه ، وقتل جان بلاط الساقى أمير طبلخاناه ، وتوفى شاد بك نائب
المهندار ، وتوفى الأمير إياس المشطوب رأس نوبة عصاه من العشرات .

وأما من توفى من المباشرين : القاضي ناظر الجيش عبد القادر القسروي قتل ١٨
بوطاق السلطان ، وقتل محمد بن المغيف رئيس السكhalين ، وتوفى جلال الدين أحد
كتاب المالك توفى بغزة عند المود ، وأشيع موت خليفة سيدي أحمد البدوي
رضي الله (٤٢ آ) عنه ، وغير ذلك ممن لا يحضرني أسماؤهم ، وتوفى القاضي جمال الدين ٢١
عبد الله مباشر وقف قاني باي الجرکسي قيل إنه قتل في الواقعة . وأما من توفى من

(١٣ و ١٤) الطبلخانات : الطبلخاناة . (٤) وقرقاس : وقرقا من .

(٢١ و ٢٢) أسماؤهم : أسماؤهم .

أولاد الناس الشرفى يونس بن قانصوه بن بنت قرقاش أحد الطبردارية ، وشخص
يقال له محمد بن قرقاس الجمالى أحد الطبردارية أيضا ، وقتل إبراهيم قرابة الشرفى
يونس نقيب الجيوش المنصورة، وآخرون من الأعيان ما يحضرنى أسماؤهم الآن ، وقتل
بعد الوقعة عبد الكريم بن اللاذنى مستوفى الزردخانة قتل بحباب ، وقتل ابن على
الزردى بحلب أيضا .

- ٦ ومن هنا زجع إلى أخبار القاهرة بعد هذه الحركة ، فإن لما ورد كتاب الأمير
علان الدوادر الثانى بما وقع من أمر هذه الوقعة وقتل الأمراء ، فقام العزاء والصراخ
فى بيت الأتابكى سودون المعجمى وكان أميرا دينا خيرا لين الجانب ، وكان يعرف
٩ بسودون من جاني بك ، وأصله من ممالك الأشرف قايتباى وولى عدة وظائف سنية ،
منها أمرية مجلس وأمرية السلاح والأتابكية ، وأظهر الفروسية فى هذه الوقعة ،
واستمر يقاتل حتى قتل من على ظهر فرسه رحمة الله عليه . فقام نعى السلطان فى ذلك
١٢ اليوم ، ونعى الأمراء الذين قتلوا فى هذه الوقعة ، وصار فى كل حارة نعى بسبب من قتل
من العسكر ، ورجت القاهرة فى ذلك اليوم وكثر الاضطراب والقال والقتل بالقاهرة .
وفى يوم الأحد سابع عشر شعبان وردت الأخبار على الأمير الدوادر بأن عربان
١٥ بنى عطية والنعام نهبوا ضياع الشرقية ، وأخذوا منها نحو أربعمئة رأس من الغنم
منها للسلطان والدوادر ، ودخلوا وادى العباسية ، فلما بلغ الأمير الدوادر ذلك
صلى الظهر ثم ركب وخرج إليهم وصحبته خمسمئة مملوك وكبس عليهم ، فهربوا من
١٨ وجهه وغنموا ما نهبوه من الأموال والماشى والفلال وغير ذلك ، فرجع الأمير الدوادر
إلى داره . - وفيه أخلع الأمير الدوادر على الزينى بركات بن موسى وشق القاهرة ،
وأشهر النداء بالأمان والاطمان وأن المشاهدة والجامعة بطالة وجميع المظالم (٤٢ ب)
٢١ الحادثة بطالة ، وأن الزينى بركات بن موسى على عادته ولا يجتمى أحد عليه ،
وقد تضاعفت حرمة وتنافذت كلمته فوق ما كان واجتمع معه عدة وظائف سنية ،

(٣) أسماؤهم : أسماؤهم . (١١) ظهر : ظهره . (١٢) الذين : الذى .

(١٥) رأس : رأسا . (١٦) منها : منهم .

وصار هو المتصرف في جميع أمور المملكة ليس على يده يد . - وفي يوم الاثنين ثامن عشره نفق الأمير الدوادار الجامكية على العسكر الذي بالقاهرة ، فجلس الأمير طقطباى نائب القلعة عند سلم المدرج ونفق الجامكية هناك ، والإشاعات قاعة بموت ٣ السلطان والأحوال مضطربة .

- وفيه رسم الأمير الدوادار بمرض من في السجون حتى النساء التي بالحجرة ، فلما عرضهم أفرج عن جماعة كثيرة منهم : جاني بك دوادار الأمير طراباى وكان له مدة ٦ وهو في المقشرة بسبب المال الذى تبقى عليه من حين كان متحدثا في نظر الديوان المفرد ، وأفرج عن القاضى بدر الدين بن ثعلب قاضى أسيوط وكان له مدة وهو في المقشرة على مال من بقايا مصادرة ، وأفرج عن ولده شمس الدين وأخيه نجم الدين ، وأفرج عن ٩ صلاح الدين بن كاتب غريب بن أخى أبى الفضل ، وأفرج عن المعلم شنشوا الذى كان يهوديا وأسلم وقد تقدم سبب سجنه ، وأفرج عن المعلم يعقوب الصغير اليهودى معلم دار الضرب ، وأفرج عن جماعة كثيرة من المال والفلاحين والأعيان ممن كانوا في ١٢ السجون ، وأفرج عن النساء التي كانوا بالحجرة ، ولم يبق في السجون غير أصحاب الجرائم ومن عليه دم قديم ، ولم يترك بالسجون إلا القليل ممن قتل أو سرق وقطع أيدي جماعة وأطلقهم ، ثم [أمر] بتوسيط جماعة من المجرمين منهم شخص يسمى ١٥ عبد القادر أبو أذية وآخرين منهم ، وقطع أيدي جماعة من الحرامية . ثم أفرج [عن] الشيخ صلاح الدين بن أبى السعود بن القاضى إبراهيم بن ظهيرة قاضى قضاة مكة ، وكان له مدة وهو في الحديد في بيت (٤٣ آ) الزينى بركات بن موسى فى الترسيم ، فأقام على ١٨ ذلك مدة طويلة حتى أفرج الله عنه ، وكان سبب ذلك أن شخصا يقال له إبراهيم السمرقندى رافعه عند السلطان على أنه لقي خبية في مكة لبمض التجار فيها مال جزيل ، فأرسل السلطان أحضره على غير صورة من مكة ، فلما حضر قال له : المال الذى لقيته ٢١

(٥) رسم الأمير الدوادار : رسم السلطان . (١١) يهوديا : يهودى .

(١٣) السجون : السجنون . (١٣) التي كانوا : كذا في الأصل . || ولم يبق :

أحضره ، فأنكر ذلك ، فوضعه السلطان في الحديد وسلمه إلى ابن موسى فأقام عنده في الترسيم في الحديد مدة طويلة بغير ذنب .

- ٣ وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أخلع الأمير الدوادار على الشهابي أحمد بن البدرى حسن بن الطولوني وأعادته إلى وظيفته معلم المعلمين ، وكان السلطان أخرجها عنه وجعل جمال الدين الألواحى بواب الدهيشة متكلماً في المصلحة عوضاً عن ابن الطولوني . - وفيه رسم الأمير الدوادار نائب الغيبة بإشهار المناداة في القاهرة بأن جميع المكوس الحادثة بطلاة ، وتجري على ما كانت عليه أيام الأشرف قايتباي من غير زيادة على ذلك ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء . - وفي ذلك اليوم شقّ الزيني بركات بن موسى القاهرة وسرّ سائر البضائع جميعاً ، حتى السكنافة سحرها بدرهمين الرطل وكانت بأربعة دراهم كل رطل ، وسرّ الأجبان واللحوم . - وفي أثناء هذا الشهر فتح سد أبي المنجا ، وكان النيل يومئذ في عشرين ذراعاً سوى ، ووافق ذلك ثاني عشرين توت أول الشهور القبطية . ١٢

- وكان الأمير الدوادار في مدة غيبة السلطان يركب كل يوم ويسير نحو المطرية ، فإذا رجع يدخل من باب النصر ويشقّ من القاهرة وقدامه الأمراء المقدمين الذين تخلفوا بمصر والحجم الفغير من العسكر ، فيشقّ القاهرة وقدامه السعاة والعبيد النفطية ، ومما ليكه بسيوف وبأيديهم رماح بشطقات حرير ملون (٤٣ ب) فترجّ له القاهرة وترتفع له الأصوات بالدعاء من الناس ، فكانت نفسه تحدّثه بالسلطنة قبل وقوعها ، وقد عظم أمره جداً . - وفي يوم الجمعة لما تحقق موت السلطان فلم تدعُ الخطباء في ذلك اليوم على المنابر باسم سلطان بل دعوا باسم الخليفة فقط ولم يذكروا اسم سلطان ، وبعضهم قال : اللهم ولّ علينا خيارنا ولا تولّ علينا شرارنا ، واستمرّ الحال على ذلك مدة طويلة ومصر بلا سلطان ، وكذلك البلاد الشامية . ٢١

وفي هذه الأيام وقع الفساد من العربان في الشرقية وغيرها من البلاد ، فنهبوا عدة

(١١) النيل يومئذ : النيل يوم يومئذ . (١٤) الذين : الذى .

(تاريخ ابن لياس ج ٥ - ٦)

- بلاد من المنزلة وغيرها من ضواحي الشرقية ولم يبقوا لهم مواشى ولا بقرًا ولا غنما ،
حتى أخذوا سينة النساء ، وقتل من الفلاحين في هذه الحركة ما لا يحصى عددهم ،
ومن القصاد ، وانقطعت جميع الطرقات من المسافرين ولا سيما لما تحققوا موت السلطان ، ٣
وصارت مصر في اضطراب والإشاعات قادمة بالأخبار الردية عما جرى للعسكر
والسلطان . وكان أكثر من شئ هذه الغارات أولاد شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر
وجماعة من العشير . وفعلوا ما هو أعظم من ذلك بالعسكر والتجار الذين دخلوا صحبة ٦
القفل ، فقتلوا من العسكر والتجار ما لا يحصى عددهم وأخذوا أموالهم وجمالهم ،
والذى سلم عروءه ، وجرى على العسكر من العربان ما لا جرى عليهم من عسكر
ابن عثمان ، ووقع لهم ذلك بين قطيا والصالحية عند ما وصلوا إلى الأمان . ٩
وفي هذا الشهر أشيع أن المالك الجلبان يقصدون ينزلون من الطباقي وينهبون
خان الخليل ثم يحرقونه ويقتلون من به من تجار الأروام ، وقالوا المالك : هؤلاء
التجار من جهة ابن عثمان وقد شتموا بأستاذنا لما مات . فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك ١٢
أحضر أغوات الطباقي وقال لهم : ما أعرف تحميد هذه الفتنة إلا منكم . فتنموم
(٤٤ آ) من النزول من الطباقي ، ولولا الأمير الدوادار قام في هذه الحركة حتى خمدت
هذه الفتنة لخربت مصر عن آخرها من المالك الجلبان . - وفيه اهتم الأمير الدوادار ١٥
بعمل طوارق خشب وكفيات وبندقيات وغير ذلك من آلات الحرب ، وأشيع أنه
يتسلطن قبل مجيء العسكر ، وكان القائم في ذلك الأمير طقطباي نائب القلعة والأمير
علان الدوادار الثانى أحد المقدمين . - وفيه في يوم الجمعة الثانية لم تذكر الخطباء اسم ١٨
سلطان في الدعاء كما فعلوا في الجمعة الماضية . - ومن العجائب من حين ورد كتاب
الأمير علان بما جرى للعسكر من أمر الكسرة وموت السلطان ، لم يرد من بعد ذلك
أخبار صحيحة وانقطعت الأخبار عن مصر نحو أربعين يوما لم يرد فيها خبر صحيح ، ٢١
وكثر القال والقليل في ذلك على أنواع شتى ، ومن جملة ما أشيع أن جان بردى الغزالى
نائب الشام منع الأخبار أن لا تصل إلى مصر وعوق العسكر بالشام .

وفيه وردت الأخبار من عند الأمير حسين نائب جدّة والرئيس سلمان العثماني ،
 أنهما لما توجهوا إلى الهند صحبة العسكر المتقدم ذكرهم ، وصلا إلى كمران وهي ضيعة من
 ضياع الهند فأنشأوا هناك قلعة ذات أبراج فكلل بناؤها في نحو خمسة أشهر . ثم إن
 الأمير حسين أرسل طائفة من العسكر نحو مكان يسمى اللحية ، وأرسل طائفة من
 العسكر إلى مكان يسمى مور ، وأقام الأمير حسين هو وبقيّة العسكر في مكان يسمى
 بيت الفقيه فأقاموا بها نحو شهر . ثم إن الأمير حسين والرئيس سلمان والعسكر توجهوا
 إلى نحو زبيد من ضياع الهند ، وحاصروا صاحبها عبد الملك أخا الشيخ عامر ، فملكوا
 منه زبيد وذلك صبحّة يوم الجمعة في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين
 وتسعمائة ، فوجدوا بها من (٤٤ ب) الأثم ما لا يحصى عددهم ، ثم ذكروا في
 الكتاب أن الأمير حسين بعد أن فتح زبيد توجه إلى حصار مدينة عدن وأنه أشرف
 على أخذها ، ولما ملكوا زبيد أقام بها شخص من مماليك الأشرف النوري وهو من
 الأمراء العشرات يسمى برسباي ، هو وبعض جماعة من المماليك وأولاد الناس الذين
 كانوا صحبتهم ، والتفّ عليهم جماعة من العربان نحو عشرة آلاف إنسان ، فلما ملك
 برسباي زبيد تسلطن بها ورتّب له دوادارا وخازندارا وأمراء وأرباب ووظائف كعادة
 السلاطين ، وغنم منها أموالا جزيلة هو ومن معه ، وقيل توجه إلى حصار عدن أيضا
 وملكها كما قيل .

وفي هذا الشهر عرض الأمير الدوادار العسكر الذي في القاهرة ، وكان ذلك
 العرض في بيته ، وكان سبب هذا العرض أن بلغ الأمير الدوادار أن عدة مراكب
 وصلت إلى ثغر الإسكندرية نحو رشيد ، نفّس أنها من عند ابن عثمان فبادر وعرض
 العسكر وقال لهم : كونوا على يقظة وجهزوا يركبكم حتى نستصحّ هذا الخبر ، فانفصل
 المجلس على ذلك وانصرف العسكر .

وفي شهر رمضان كان مستهل الشهر يوم السبت ، فتوجه لبيت الأمير الدوادار

(٦٠١) والرئيس : والرايس . (٣) فأنشأوا : فأنشأوا .

(١٢) الذين : الذي .

- جماعة من نواب القضاة وهنّوه بالشهر ، وتوجه قاضى القضاة محمود بن الشحنة الحنفى ، وكانت القضاة الثلاثة والخليفة فى أسر سليم شاه بن عثمان بحلب لا يمكنهم من العود إلى مصر . - وفى يوم الأحد ثانيه كان أول بابيه من الشهور القبطية ، فثبت فيه النيل المبارك على عشرين ذراعاً سوى ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك ، واستمر فى ثبات إلى أول هاتور . - وفيه وردت الأخبار على يد ساع بأن الأمراء والمسكر دخلوا إلى الشام وهم فى آنحس حال ، وقد نهب بركههم وخيولهم وجمالهم وجميع ما يملكونه ، وكذلك المسكر ، وأخبر ذلك الساعى أن أهل الشام لما تحققوا موت السلطان وثب بعضهم على بعض ، ونهب زُعر الشام حارة السمرة وأخذوا أموالهم وقتلوا منهم جماعة واضطرب أحوال البلاد الشامية غاية الاضطراب .
- ١ وفىه دخل قاضى القضاة الحنفى محمود بن الشحنة وقد نهب جميع بركه وكل ما يملكه ، وأخبر أن ابن عثمان ملك ثلاث عشرة قلعة وخطب باسمه فيها ، ومشى حكمه من الفرات إلى حلب ، وأخبر أن الخليفة والقضاة الثلاثة فى الأسر عند ابن عثمان بحلب ، ولولا هرب محمود مع المسكر (٤٥ آ) وإلا كان أسر معهم ، وأخبر أن إبراهيم السمرقندى ويونس العادلى والمعجمى الشنقى الذين كانوا من أخصاء السلطان الغورى ، فلما مات التفوا على سليم شاه بن عثمان ، وصاروا من جماعته وصاروا يتقربون إلى ابن عثمان بمرافعة جماعة الغورى ، ولم يتذكروا شيئاً من إحسان الغورى لهم ، ولا سيما ما أحسنه الغورى إلى المعجمى الشنقى من سلاريات وشق وسمور ومال وإنعامات جزيلة فلم يثمر معهم إحسانه لهم ، فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك رسم للوالى بأن يكبس على بيت السمرقندى ويونس العادلى ، فتوجه الوالى إليهم وقبض على عيال السمرقندى ويونس العادلى وحریمهم وحاشيتهم ، ووضع عبد السمرقندى فى الحديد ، وختم على حواصل السمرقندى ويونس العادلى ، وظهر أنهم كانوا موالسين على السلطان ، وكانوا يكتبون سليم شاه ابن عثمان فى الباطن بأحوال السلطان وأمور المملكة ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه .

(٥) ساع : ساعى . (٦) يملكونه : يملكوه . (١٤) الذين : الذى .

(١٥) يتقربون : يتقربوا . (١٧) يثمر : ثمر . (٢١) يكتبون . يكتبوا .

- وفي يوم الجمعة سابعه صلى الأمير الدوادار صلاة الجمعة وخرج إلى ملاقاته الأمراء
المقدمين الذين حضروا من الشام وقد بلغه وصولهم إلى بابيس ، فدخل القاضي كاتب
٣ السر محمود بن أجا وهو في محفة ، وصحبته الشهابي أحمد بن الجيعان ، ودخل الأمير
أركاس أمير سلاح وهو عليل في محفة ، ودخل الأمير أنصبای حاجب الحجاب ،
والأمير تمر الزردكاش ، والأمير علان الدوادار الثاني ، وآخرون من الأمراء . ثم دخل
٦ بقية العسكر وهم في أسوأ حال من العرى والجوع والضعف ، وجميع الأمراء والعسكر
دخلوا وأطواقهم مفككة وأظهروا الحزن على السلطان ، وصار الأمراء والعسكر
يدخلون شيئا بعد شيء . - وفي يوم الخميس ثالث عشره دخل الأمير سودون الدواداري
٩ رأس نوبة النوب ، والأمير قانصوه كرت ، والأمير جان بردى الغزالي الذي كان
نائب حماة ، ودخل (٤٥ ب) المقر الناصري محمد نجل السلطان الغوري ، والأمير
أبرك الأشرفي ، والأمير تاني بك الخازندار ، والأمير كرتباي ، والأمير جان بلاط
١٢ الموتور . فلما تكامل دخول الأمراء سلم عليهم الأمير الدوادار ورجع إلى داره .
ودخل صحبة الأمراء قانصوه الأشرفي الذي كان نائب قلعة حلب وسلم القلعة بما فيها
من الأموال والسلاح والقماش والكنائش الزركش والسروج الذهب وغير ذلك
١٥ من التحف ، قتسلمها ابن عثمان من غير أن يحاصر القلعة ، فسلمها قانصوه هذا
بالأمان من غير قتال ولا محاصرة مع أن قلعة حلب حصينة مانعة ، فلما قابل الأمير
الدوادار وبّخه بالكلام ورسم بسجنه في البرج الذي بالقلعة واستوعده بكل سوء .
١٨ فلما دخل الأمراء إلى القاهرة اجتمع رأى الجميع على سلطنة الأمير طومان باي
الدوادار وترشح أمره أن يلي السلطنة ، فصار يمتنع من ذلك غاية الامتناع والأمراء
كلهم يقولون له : ما عندنا نسلطان إلا أنت طوعا أو كرها . ثم إن الأمير الدوادار ركب
٢١ وصحبته جماعة من الأمراء المقدمين منهم الأمير علان والأمير أنصبای حاجب الحجاب
والأمير تمر والأمير طقطباي نائب القلعة وآخرون من الأمراء ، وتوجهوا إلى عند

(٢) الذين : الذي . || وصولهم : وصولهم . (٦) أسوأ : أسوء .

(١٠) الناصري : الناصر . (١٢) الموتور : الموتور .

- الشيخ أبي السعود الذى فى كوم الجارح ، فلما تكامل المجلس ذكروا للشيخ أمر سلطنة الدوادار وأنه امتنع من ذلك ، فأحضر لهم الشيخ مصحفا شريفا وحلف عليه الأمراء الذين حضروا صحبة الأمير الدوادار بأنهم إذا سلطنوه لا يخونونه ولا يغدرونه ٣ ولا يخامرون عليه ويرضون بقوله وفعله، خلفوا الجميع على ذلك ، ثم إن الشيخ حلفهم أنهم من اليوم لا يرجعون يظلمون الرعية ولا يُجَدِّدون مظلمة ويبطلون جميع ما أحدثه الغورى من المظالم، ويبطلون ما كان على الدكاكين من المشاهدة والمجاعة ، وأن يجروا الأمور على ما كانت عليه أيام الأشرف قايتباى ، ويمشوا فى الحسبة (٤٦ آ) على ضريبة يشبك الجمالى لما كان محتسبا ، خلفوا على ذلك كلهم . ثم إن الشيخ قال للأمرء: إن الله تعالى ما كسركم وذلکم وسلط عليكم ابن عثمان إلا بدعاء الخلق عليكم فى البر والبحر . فقالوا له الأمرء : تبنا إلى الله تعالى عن الظلم من اليوم . ثم انفض ذلك المجلس وخرجوا من عند الشيخ أبي السعود على أن يسלטوا الأمير الدوادار ، وأخذ الشيخ عليهم العهد بجميع ما حلفوا عليه بحضرته كما تقدم ، وترشح أمر الدوادار ١٢ إلى السلطنة ، فتسلطن كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه .

- ومن هنا نرجع إلى أخبار الأشرف الغورى فإنه خرج من القاهرة يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، واستمر نافذ الكلمة وافر الحرمة إلى أن دخل إلى حلب وأقام بها ، وأرسل إليه ابن عثمان عدة قُصَاد وهو تارة يظهر الصلح وتارة يأبى ، والسلطان . سلوب الاختيار معه فى جميع ما يرسل يقوله له ، ويخلع على قُصَادِهِ الخلع السنية وينعم عليهم بالمطايا الجزيلة ، إلى أن حضر مُغلباى دوادار سكين ١٨ الذى كان أرسله إلى ابن عثمان ، فلما رجع من عنده وهو فى غاية البهدة كما تقدم ، وكان السلطان أرسل مُغلباى هذا إلى ابن عثمان وهو لا بس آلة الحرب باللبس الكامل ، فشق ذلك على ابن عثمان وبهده ، فلما حضر إلى عند السلطان وأعلمه أن ابن عثمان قد أبى من الصلح ، فلما تحقق السلطان أن ابن عثمان قد وصل إليه ، فنادى للعسكر بالرحيل والخروج من حلب ، فخرج العسكر قاطبة وهم كالنجوم الزاهرة من آلة السلاح ٢١

والخيول النارية وكل فارس مُقَوِّمٌ بألف راجل من عسكر ابن عثمان ، فتوجهوا إلى مرج دابق ونزلوا به . فأقام السلطان بمرج دابق إلى يوم الأحد خامس عشرين رجب من هذه السنة . ٣

فلما بلغه أن عسكر ابن عثمان قد وصل إلى تل الفار ، ركب صبيحة يوم الأحد المذكور وهو يوم نحس مستمر ، فبرز فيه إلى قتال ابن عثمان فكانت الكسرة أولاً على عسكر ابن عثمان ، ثم بدل الله تعالى هذا الأمر وعادت الكسرة على عسكر مصر . ٦ فلما رأى السلطان عين الغلب من عسكره أراد أن يرجع إلى حلب ، فلما ألفت فرسه (٤٦ ب) لهرب وينجو بنفسه ، فاعتراه سارقة من الرجفة فأغنى عليه ، فسقط من على ظهر فرسه إلى الأرض ، فطلعت روحه في تلك الساعة وهو ملقى على الأرض ، فرجعت عليه عساكر ابن عثمان ففرّ من كان حوله من العلمان والسهلجدارية والماليك وتركوا جثته على الأرض ، فكان آخر العهد به ولم ير له جثة ولا رأس ولا يُعرف له مكان قبر فكأنما ابتلعت الأرض ولم يقف له أحد من الناس على خبر . ومن ١٢ المعجائب أنه لم يدفن في مدرسته التي أصرف عليها نحو مائة ألف دينار ، فصار مرماً في البراري وقد تناهشته الذئاب والنمور ، فمات وله من العمر نحو ثمانى وسبعين سنة . ١٥ ومن المعجائب والغرائب أن الطواشي مُختص ، الذي كان بنى أساس مدرسة الغورى أولاً وأخذها منه غصبا في المصادرة ، سأل الغورى أن يجعل له في المدرسة مكاناً يُدفن فيه إذا مات فمنه الغورى من ذلك ، فنع الله تعالى الغورى من الدفن في مدرسته ، وصار لا يُعرف له مكان قبر فعُدّ ذلك من العبر ، انتهى . ١٨

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، فكانت هذه المدة على الناس كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . ٢١ وكانت صفته طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير ، أبيض اللون ، مدور الوجه ، مشحم العينين ، جهورى الصوت مستدير اللحية ، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلاً .

(١١) ولم ير : ولم يرى . (١٥ - ١٨) ومن المعجائب والغرائب ... انتهى : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (٢٢) جهورى : جهوى .

- وكان ملكاً مهاباً جليلاً مبجلًا في المواقب مليء العيون في النظر، ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية وحبه لجمع الأموال لكان خيار ملوك الجراكسة بل وخيار ملوك مصر قاطبة . وكان يوكب يوم الاثنين والخميس بالحوش السلطاني ، ويوم السبت والثلاثاء بالميدان ، فينزل من السبع حدرات وقدامه طوالتين خيل بسروج ذهب وكنائش وميآثر زركش . وكان يكثر في الأسفار من ركوب الحجرة بالسروج البداوى والركب العراض . وكان يشد في وسطه حياصة ذهب عوضاً عن الشدة البعلبكي . وكان يلبس في أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والماس وعين الهر . وكان مولماً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والبخور . وكان ترفاً في مأكله ومشربه وملبسه ، ويحب رؤية الأزهار والقواكه ، ويميل إلى أبناء العجم ، وربما كان يميل إلى مذهب النسيمية من ميله إلى معاشره الأعاجم . وكان مولماً بفرس الأشجار ، وحب الرياضات ، وسماع الطياري المفردة ، ونشق (٤٧ آ) الأزهار العطرة والبخور . وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء . وكان يستعمل الأشياء المفرحة ، وكان نهماً في الأكل ، وكان يغوى طيور السموع . وكان يُعرف بقانصوه من بيردى النورى . واستمر يرتع في ملك مصر على ما ذكرناه من التمتع والرفاهية ، وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة والأمراء والنواب والعسكر في قبضة يده لم يختلف عليه اثنان ، إلى أن وقعت الوحشة بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم ففرج إليه ، وجرى له هذه الكاينة العظمى التي لم تقع قط لملك من ملوك مصر ولا غيرها من الملوك ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً ، وقد قلت في معنى ذلك :

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| طالع توارخ الملوك فهل ترى | سمعت لهم بمجواث مما جرى |
| لا زالت الأيام يبدو فعلها | بمجائب وغرائب بين الورى |
| لكن هذا حادث ما مثله | سبقت لسلطان ولا متأثراً |
| والأشرف النورى كان مليكنا | لكنه قد جار فينا واقترى |
| والموت أوجب هزمه مع جيشه | قد كان ذلك في الكتاب مسطراً |

- أعماله رُدَّت عليه بما جنى والدهر جازاه بأمر قُدِّرا
 وكان للغورى محاسن ومساوى لكن مساوئه أكثر من محاسنه ، فأما ما عُدَّ
 ٣ من محاسنه فإنه كان رضى الخلق يملك نفسه عند الغضب وليس له بادرة بحدة عند قوة خلقه، ومنها أنه كان له الاعتقاد الزائد فى الصالحين والفقراء ، ومنها أنه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم، ومنها أنه كان ماسك اللسان عن السب للناس فى شدة غضبه،
 ٦ ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وله نظم على اللغة التركية، وكان مغرما بقراءة التواريخ والسير ودواوين الأشعار ، وكان قريبا من الناس يحب المرح والمجون فى مجلسه غير كثيف الطبع فى ذاته ، وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ولم يكن عنده شيم ولا تكبر نفس ولا رقاعة زائدة بخلاف عادة الملوك فى أفعالهم .
 ٩ وأما ما عُدَّ من مساوئه فإنها كثيرة لا تحصى ، منها أنه أحدث (٤٧ ب) فى أيام دولته من أنواع المظالم ما لا حدث فى سائر الدول من قبله ، ومنها أن معاملته فى الذهب والفضة والفلوس الجدد أحسن المعاملات، جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل صرفها
 ١٢ ولا يجوز فى ملة من الملل ، ومنها ما قرره على الحسبة فى كل شهر وهو مبلغ ألفين وسبعمائة دينار فكانت السوق تباع البضائع بما تختاره من الأثمان ولا يقدر أحد يكلمهم فيقولون : علينا مال السلطان ، فكانت سائر البضائع فى أيامه غالية بسبب ذلك ، وقرر على دار الضرب مالا له صورة فى كل شهر فكانوا يصنعون فى الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا ، فكان الأثر فى الذهب إذا صفوه يظهر فيه ذهب
 ١٨ يساوى اثنا عشر نصفًا ، وقد سلم السلطان دار الضرب إلى شخص يسمى جمال الدين فلعب فى أموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين المتقدمة حتى صار لا يلوح لأحد من الناس منهم لا دينار ولا درهم ، فلما شق جمال الدين قرر فى دار الضرب المعلم يعقوب اليهودى فشى على طريقة جمال الدين، وقد استباح أموال المسلمين فكان النصف الفضة ينكشف فى ليلته ويصير من جملة الفلوس الحمر ، فاستمر الغش فى معاملته فى مدة دولته إلى أن مات ، وقد ورد فى الحديث الشريف : من غشنا

فليس منا . ومن مساوئه أنه كان سجن الرئيس كمال الدين بن شمس المزين بالمقشرة ، وأقام بها أياما ، وكان من القريين عنده . ومن مساوئه أنه كان يضع يده على أموال التركات الأهلية ويأخذ مال الأيتام ظلما ، ولو كان للميت أولاد ذكور وإناث ٣ فيمنعهم من ميراثهم ، ويخالف أمر الشرع الشريف .

ومنها أنه كان يولى الكشاف ومشايخ العربان على البلاد ، ويقرر عليهم الأموال الجزيلة ، فتفرده الكشاف ومشايخ العربان على بلاد المقطعين والأوقاف ، فيأخذ ٦ كل منهم المثل أمثال ، فضعف أمر الجند من يومئذ وتلاشى حال البلاد . وكذلك كان يولى النواب على أعمال جهات البلاد الشامية والحلبية ، ويقرر عليهم الأموال الجزيلة في كل سنة بقدر معلوم ، فيأخذونه من الرعية بالظلم والعسف ، فكان كل أحد منهم ٩ يتمتى الرحيل من بلاده إلى غيرها من عظم الظلم الذى يصيبهم من النواب ، ولا سيما ما حصل (٤٨ آ) لعربان جبل نابلس بسبب المال الذى أفرده عليهم لأجل المشاة عند خروج التجريدة ، فما حصل على أهل البلاد الشامية بسبب ذلك خير . ١٢

وكان حسين نائب جدة يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال ، فامتنت ١٠ التجار من دخول بندر جدة وآل أمره إلى الخراب ، وعزّ وجود الشاشات من مصر والأزر والأنطاع ، وأخرب البندر . وكذلك بندر الإسكندرية وبندر دمياط ، فامتنت ١٥ تجار الفرنج من الدخول إلى تلك البنادر من كثرة الظلم ، وعزّ وجود الأصناف التى كانت تجلب من بلاد الفرنج . وكان كل أحد من الأراذل يتقرّب إلى خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم ، فقرّر على بيع الغلال قدرا معلوما يؤخذ على كل ١٨ أردب ، وهى ثلاثة أنصاف من البائع والمشتري ، وكذلك على البطيخ والمان ، حتى حرّج على بيع الملح . وجدّد فى أيامه عدة مكوس من هذا النخط ما لا فعله هناد فى زمانه . ولم يفقه من أعيان التجار أحد حتى صادره وأخذ أمواله ، ولا سيما ٢١ ما جرى على الشيرازى والحلبى التاجر وغيره من التجار . وصادر حتى أمير المؤمنين

(٤١) ومن مساوئه ... الشرع الشريف : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

(٣) التركات الأهلية : الترك الأهلية . (١٢) خير : خيرا . (٢٠) مكوس : مكوسا .

الستمسك بالله يعقوب وأخذ منه مالا له صورة ، ودخل في جملة ديون حتى أورد ما قرّر عليه . وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال ، منهم القاضي بدر الدين بن منهر كاتب السر كان ، ومنهم شمس الدين بن عوض ، ومعين الدين بن شمس ، وعلم الدين كاتب الخزانة ، وغير ذلك جماعة كثيرة من المباشرين والعمال ، ماتوا في سجنه بسبب المال والمصادرات .

٦ ومن أفعاله الشنيعة ما فعله مع أولاد الناس من خروج أقاطيعهم ورزقهم من غير سبب ، وأعطى ذلك إلى مماليكه الجلبان . ومنها قطع جوامك الأيتام من الرجال والنساء والصغار ، فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك . ومنها أنه أرسل فكّ رخام قاعة ناظر الخاص يوسف التي تسمى نصف الدنيا ، فوضع ذلك الرخام في قاعة اليعسرية التي بالقلعة . ومنها أنه قطع المعتدات التي كانت تسامح بها الناس من الديوان المفرد من تقادم السنين ، وجدّد أخذ الحمايات من المقطعين (٤٨ ب) من قبل أن يزيد النيل وتُزرع الأراضي ، فكانت المقطعون تقاسى من البهدة ما لا خير فيه . ثم ترايد شحّه حتى صار يحاسب السواقين الذين في سواقى القلعة ، والخلوة الذين في سواقى الميدان ، بجملة روث الأبقار وما يتحصل من ذلك في كل يوم ، وقرّر عليهم بيعها بمبلغ يردّونه للذخيرة . وكانت أرباب الوظائف من المباشرين والعمال معه في غاية الضنك لا يغفل عنهم من المصادرات ساعة واحدة ، وصادر حتى المغاني النساء من الرؤساء . وكان من حين توفى الأمير خاير بك الخازندار يباشر أمر ضبط الخزانة بنفسه ، ما يدخل إليها وما يخرج منها ، ويعرضون عليه الأمور في ذلك جميعه من الوصولات بما يصرف من الخزائن في كل يوم ، فكانت هذه الأموال العظيمة التي تدخل إليه يصرفها في عمائر ليس بها نفع للمسلمين ، ويزخرف الحيطان بالذهب والسقوف ، وهذا عين الإسراف لبيت مال المسلمين . وكان يهرب من المحاكات كما يهرب الصغير من الكتّاب ، وما كانت له محاكمة تخرج على وجه مُرضٍ بل على أمور مستفجة . وكان يتناقل عن

(٦) أولاد : أولاده . (١٢) المقطعون : المقطعين . (١٣) الدين : الذى . || الدين :

التي . (١٦) الرؤساء : الروساء .

أمر القتل ويدفع الأخصام إلى الشرع ويُضَيِّع حقوق الناس عليهم . وكان يكسل عن علامة المراسيم فلا يُعَلِّم على المراسيم إلا قليلا ، فيوقف أشغال الناس بسبب ذلك ، حتى كانت تُشترى العلامة العتيقة بأشرفى حتى تلتصق على الرسوم لأجل قضاء الحوائج . ٣ ولو شرحنا مساوئه كلها لطال الشرح في ذلك . انتهى .

وأما من تولى الخلافة في أيامه فأمر المؤمنين عهد المتوكل على الله نجل أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب . - وأما قضاة الشافعية فأولهم شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين زكريا ، وقاضي القضاة محيى الدين عبد القادر بن النقيب تولى وظيفة القضاء في أيامه خمس مرار ، وقاضي القضاة برهان الدين بن أبى شريف المقدسى ، وقاضي القضاة شهاب الدين بن فرفور الدمشقي ، وقاضي القضاة جمال الدين القلقشندي تولى القضاء في أيامه مرتين ، وقاضي القضاة كمال الدين محمد بن على الشهير بالطويل القادري ، وقاضي القضاة بدر الدين (٤٩٩ آ) محمد المكي ، وقاضي القضاة علاي الدين بن النقيب ، ثم أعيد قاضي القضاة كمال الدين الطويل وقد ولى القضاء في دولته أربع مرار . - وأما قضاة الحنفية فالقاضي برهان الدين بن الكركي أولا ، ثم القاضي سري الدين عبد البر ابن الشحنة ، ثم القاضي شمس الدين محمد السمديسي ، ثم القاضي حسام الدين محمود بن الشحنة . - وأما قضاة المالكية فالقاضي عبد الفنى بن تقى أولا ، ثم القاضي برهان الدين الدميري ، ثم ولده محيى الدين يحيى ، ثم جلال الدين بن قاسم ، ثم أعيد محيى الدين بن الدميري ثانيا . - وأما قضاة الحنابلة فالقاضي شهاب الدين أحمد الشيشيني ، ثم ولده عز الدين محمد ، ثم شهاب الدين الفتي - وحى . ١٨

وأما كُتَّاب سرّه فالقاضي محب الدين محمود بن أجا الحلبي . - وأما نظار جيشه فالقاضي شهاب الدين أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخصاص ، والقاضي عبد القادر القسروي . - وأما نظار خاصّه فالقاضي علاي الدين بن الصابوني أولا ، ثم علاي الدين بن الإمام ، ثم ناصر الدين الصفدي ، ثم أعيد ابن الإمام ثانيا . - وأما وزراؤه فالأمير طُقطبای من ولى الدين وقد جمع بين الوزارة والأستادارية ، ثم الأمير تغرى

- برمش ، ثم الأمير يوسف البدري . - وأما أستاذارياته فالأمير تغري بردى من يلباي
- انقادري ، ثم الأمير تمرباي خازندار الملك العادل طومان باي ، ثم الشرفي يونس
- النايلسي ، ثم قرر الأمير طومان باي الدواداري في الأستاذارية مضافا لما بيده من ٣
- الدوادارية الكبرى واستمر بها إلى أن تسلطن . - وأما من ولي الحسبة في أيامه
- الأمير قرقاس المقرى ، والأمير جان بردى الغزالي ، ثم أعيد قرقاس المقرى ، ثم الزيني
- بركات بن موسى ، ثم الأمير ماماي الصغير . ٦
- وأما أتابكيتته فأولهم قيت الرجبي ، وقرقاس من ولي الدين ، ودولات باي من
- أركاس ، وسودون العجمي . - وأما دواداريتته فأولهم مصر باي ، ثم أزدُمر من على
- باي ، ثم طومان باي الذي تسلطن بعده . - وأما حُجَّاب حُجَّابه فالأمير خاير بك ٩
- من ملباي الذي قرّر في نيابة حلب ، والأمير أنصباي من مصطفى . - وأما بقية
- الأمراء من أرباب الوظائف على حكم ما تقدم من أخبارهم . - وأما نوابه بالشام
- دولات باي من أركاس (٤٩ ب) ثم قانصوه الحمدي الشهير بالبرجي ، وسيباي من ١٢
- بختجا . - وأما نوابه بحلب أركاس من طراباي ، وسيباي من بختجا ، وخاير بك
- من ملباي . - وأما نوابه بحماة جانم ، ويوسف الناصري ، وجان بردى الغزالي . -
- وأما نوابه بطرابلس أركاس من طراباي أيضا ، ويخشباي من عبد الكريم ، ١٥
- وسودون من يشبك ، وجانم ، وأبرك الأشرفي ، وتمرّاز الأشرفي . - وأما نوابه بصفد
- قانصوه قرا ، وقاني باي العثماني ، وسودون الدواداري ، ويخشباي من عبد الكريم ،
- وطراباي من يشبك ، وجان بردى الغزالي ، ويوسف المقطش ، وطراباي الأشرفي . - ١٨
- وأما نوابه بغزة ملاح الذي كان نائب القدس ، وأزبك الصوفي الذي كان نائب القدس ،
- وأقباي الذي كان كاشف الشرقية ، وآخر من ولي بها في أيامه دولات باي الأعمش
- وقد جمع بين نيابة القدس والكرك ونيابة غزة ، وولي بها آخرون غير هؤلاء ممن ٢١
- ذكر .

وأما ما أنشأه من المائر التي بالقاهرة ، فن ذلك الجامع والمدرسة اللتان أنشأهما

(١٥) أركاس : وأركاس .

- في الشراشيين، والوكالة والحواصل والربوع التي أنشأها خلف المدرسة عند المصبعة. ومن إنشائه المأذنة التي أنشأها في الجامع الأزهر وهي برأسين، وأنشأ هناك الربع والخوانيت التي بالسوق خلف الجامع. وأنشأ الربوع التي بخان الخليلي، وجدّد عمارة ٣ خان الخليلي وأنشأ به الحواصل والدكاكين. وأنشأ في باب القنطرة ربعين ودكاكين، وكذلك الرمين التي بين الصورين والطاحون عند المصبعة. وأنشأ البيت الذي في البندقانيين لولده وتناهى في زخرفه، وأنشأ هناك ربما ووكالة، وأنشأ الميدان الذي ٦ تحت القلعة، ونقل إليه الأشجار من البلاد الشامية، وأجرى إليه ماء النيل من سواق نقالة، وأنشأ به المناظر والبحرة والمقعد والبيت برسم المحاكات. وأنشأ جامعا خلف الميدان عند حوش العرب بخطبة ومأذنة. وجدّد غالب عمارة القلعة منها ٩ الدهيشة، وقاعة البيسرية، وقاعة العواميد، وقاعة البحرة، وأنشأ المقعد (٥٠ آ) القبطي الذي بالحوش، وجدّد عمارة المطبخ الذي بالقلعة، وجدّد عمارة القصر الكبير الذي بالقلعة، وسائر البيوتات التي بها، وجدّد عمارة سبيل المؤمني وجعل سقفه ١٢ عقود بالحجر. وأنشأ الربع والدكاكين التي بسوق عبد النعم. وأنشأ الربع والوكالة التي في الجسر الأعظم. وأنشأ سوقا للرفيق بالقرب من خان الخليلي. وجدّد عمارة ميدان المهارة الذي بالقرب من قناطر السباع وبناء بالنقص الحجر المشهر بعد ما كان مبنيا بالطوب اللبن. وأنشأ المجرة ونقلها من درب الخولى إلى موردة الخلفاء. وجدّد ١٥ عمارة المقياس، وأنشأ به القصر على تلك البسطة التي كانت بها، وأنشأ بها المقعد المطل على البحر، وأنشأ على أبوابه قصرين، وجدّد عمارة قاعة المقياس، والجامع ١٨ الذي هناك. وجدّد عمارة قنطرة بنى وائل، والقنطرة الجديدة، وقنطرة الحاجب، وقنطرة الخروبي وعلاها حتى صارت المراكب تدخل من تحتها، وجدّد عمارة قناطر السباع. وأنشأ المصاطب وعليها الدعائم عند قبة الأمير يشبك التي بالمطرية. وأنشأ ٢١ بالطينة على ساحل البحر الملح قلعة لطيفة بها أبراج وجامع بخطبة. وأنشأ بئر رشيد

(١٠٣ و ١٠٤) التي : الذي . (١٠٥) المصبعة : كذا في الأصل ، ولعلها «المصبعة» .

(١٦) مبنيا : مبنى . (٢٠) وعلاها : وعلى ها .

سورا وأبراجا لحفظ الثغر . وجدّد عمارة أبراج الإسكندرية . وأصلح طريق العقبة ، ودوّار حقف ، وأنشأ هناك خانا بأبراج على بابه ، وجعل فيه الحواصل لأجل ودائع الحجاج ، وأنشأ في الأزمن أيضا خانا وجعل فيه الحواصل مثل الخان الذي في العقبة ، وحفر هناك الآبار في عدّة مواضع من مناهل الحجاج . وأنشأ بمكة المشرفة مدرسة ورباطا للمجاورين والمنقطعين هناك ، وأجرى عين بازان بعد ما كانت قد انقطعت من سنين . وأنشأ بمجدة سورا على ساحل البحر الملح وفيه عدّة أبراج بسبب حفظ بندر جدّة من الفرنج ، وجاء هذا السور من أحسن الباني هناك . وأنشأ على شاطئ البحر الملح بالينبع الصغير سورا وأبراجا منيعة . وله غير ذلك من الآثار الحسنة عدّة مبان بها نفع للمسلمين . - وفي الجملة إن السلطان الغوري كان خيار ملوك الجراكسة على عوج فيه ، ولم يحمي من بعده أحد من الملوك يشابهه في أفعاله ولا علوّ همته ولا عزمه في الأمور ، وكان كفئا تاما (٥٠ ب) للسلطنة ، مبجلا في المواكب تملأ منه الميرون . ١٢

وأما من توفى في أيامه من أعيان العلماء ومشايخ الإسلام وقضاة القضاة فن ذلك : توفى الشيخ بدر الدين بن عبد الرحمن الديري رحمة الله عليه ، وكان من أعيان علماء الحنفية مفتيا مدرسا أصيلا عريفا ، ولي مشيخة الجامع المؤيدي وكان من خيار أبناء الديري . وتوفى الشيخ شهاب الدين خليفة سيدي أحمد بن الرفاعي رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الحقيقة . وجاءت الأخبار بوفاة قاضي القضاة الحنبلي بهاي الدين بن قدّامة ، توفى بدمشق ، وولى قضاء الحنابلة بمصر والشام . وتوفى الحافظ العلامة جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطي ، وكان من أعيان علماء الشافعية ، بلغت مصنفاته ستمائة تأليف ، وكان بارعا في علم الحديث ، توفى في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ٢١ عشرة وتسعمائة . وتوفى قاضي القضاة المالكي برهان الدين الدميري سنة ثلاث عشرة وتسعمائة . وتوفى الشيخ ناصر الدين محمد بن جرباش ، وكان من أعيان علماء الحنفية . وتوفى الشيخ علاي الدين الملة المعجمي الشافعي ، شيخ تربة جاني بك نائب جدّة ، وكان

من أعيان علماء الشافعية . وتوفي الشيخ إبراهيم الواهبي الشاذلي رحمه الله تعالى ،
 وكان من أعيان مشايخ الصوفية . وتوفي العلامة تقى الدين الأوجاق شيخ الحديث رحمه
 الله . وتوفي قاضي القضاة الحنبلي شهاب أحمد الشيشيني ، وكان علامة في مذهبه توفي ٣
 سنة تسع عشرة وتسعمائة ، وتوفي الشيخ عبد الباسط بن خليل المؤرخ ، وكان من
 أعيان الحنفية ، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة عشرين وتسعمائة . وتوفي الشيخ محمد
 بن زُرعة المجدوب ، وكان له كرامات خارقة توفي سنة عشرين وتسعمائة . وتوفي ٦
 الشيخ العارف بالله محمد بن عنان رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية .
 وتوفي قاضي القضاة الشافعية كان محي الدين عبد القادر بن النقيب ، وكانت وفاته سنة
 اثنتين وعشرين وتسعمائة . وتوفي قاضي القضاة كان جمال الدين إبراهيم بن علاي الدين ٩
 القلقشندي الشافعي ، وكان من أعيان علماء (٥١ آ) الشافعية . وتوفي الشيخ نور
 الدين علي المحلى ، وكان يُعرف بقرية ، وكان من أعيان الشافعية . وتوفي الشيخ تاج
 الدين الذاكر ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية . وتوفي قاضي القضاة الحنفي كان ١٢
 برهان الدين بن الكركي ، وكان من أعيان علماء الحنفية ، مات غريباً . وتوفي في
 أيام دولته غير هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان لم نذكرهم هنا خشية الإطالة ،
 انتهى ذلك . - ولا بأس بإيراد هذه المراثية اللطيفة من نظم الشيخ بدر الدين الزيتوني ١٥
 أبقاه الله تعالى ، وقد رثى بها الملك الأشرف قانصوه الغوري عند وقوع تلك الفتنة
 المقدم ذكرها بما جرى له ، وهو قوله هذه القطعة الزجل :

١٨	غربت شمس دولة الغوري	وإن عثمان نجمو طلع ساير
	وبهذا رب السما قد حكم	والفلك دار ولم يزل داير
	ابن عثمان باداه بأخذ القلع	وبمنع التاجر مع الجلاب
٢١	أن يجيبوا إلى مصر مملوك	ولا فروة سمور ولا سنجاب
	ولا ثعلب ولا وشق يجلبوا	ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
	غلا الصوف لما قعدنا سنين	ما يجي من عندو ولا تاجر

- والأمانة جو للملك قالوا
الأمير الكبير سمي سودون
والقر الأشرف المال
وبسودون راس نوبة النواب
وأنصباى هو حاجب الحجاب
ومحمد يدعى أمير آخور
والدوادار ثاني الأمير علان
ابن سلطان جركس مقدم كبير
وكذا جنبلط معو كرتباى
وتبعمهم من الأمانة كثير
(٥١هـ) والمساكر معهم كثير فرسان
ضرب الكل بينهم مشور
نحن نخرج جميع لأجل القتال
ونجرد لنصرة السلطان
راهنوا بالنفوس وهم أقار
ولا يدري ما قد خفي في الغيب
خامس العشر من ربيع آخر
ورخوها من هجرة الهادي
كان خروج السلطان بتجريده
والأمانة في خدمته موكبين
وخروج الجميع من القاهرة
في عفة خرج معو القاضي
- ٣
٦
٩
١٢
١٥
١٨
٢١
- ابن عثمان باغى عليك جابر
للمعجم نسبتو خلاف القياس
هو أمير السلاح سمي أركاس
لو رياضة مع ساير الأجناس
لو شجاعة في الحرب بالبار
نجل سلطان أشرف عزيز ناصر
وإن أردت المقدمين تذكر
وتغر بالزردكاش يشهر
وأربعينات في ذى العدد وأكثر
طبلخانات بالنصر تتباهر
عشراوات من ترك تتكاثر
قالوا ملكت منا القلوب والنفوس
بالجنايب وبالسلاح واللبوس
نكسر الروم والأراضى ندوس
كل واحد بمهجتو قاصر
من تقادير القاهرة القادر
تسماية اثنين وعشرين عام
شافع الخلق في نهار القيام
لابن عثمان طالب بلاد الشام
بالمالك والطلب تتفاخر
كان بتقدير الواحد القاهرة
كاتب السر المنتخب محمود

(١٠ و ٢٠) والأمانة ، أى « والأمراء » . وتلاحظ عامة الأسلوب في القصيدة كلها ، وخطأ الإملاء في بعض الكلمات موافقة لنطقها ، مثل « نسبتو » فصولها « نسبتة » . (تاريخ ابن لباس ج ٥ - ٧)

- والخليفة التوكل ولد يعقوب
وقضاة القضاة ومن معهم
وخرج معو لأجل الخلع
هو الباشر للخاص وهو العامل
دخلوا الشام أو كب بهم موكب
ولا نالو ملك ولا سلطان
ومن الشام خرج دخل في حلب
وسليم شاه لما سمع أظهر
طلب الصلح أرسل لهم قاصد
قالوا الصلح سيّد الأحكام
والأمانه من محمل الإنسان
وقضى ربنا بحقن الدما
جوايسيس الأشرف الفورى
قالوا احذر تركن إلى صلحو
حقّق القول ومن حلب برّز
وجد الروم مجهزين بالسلاح
(٥٢) ووقع بين المسكرين وقمه
نصر الله المصرى على الروم
ولا يدري ما قد خبي في الغيب
ابن عثمان كان لو من المسكر
في اشتغال المسكر بنهب الروم
فاستغاث الملك وبو سارقة
جا ابن عويبيرس وأقبا الطويل
هو محمد فعلو الجميل محمود
كل نايب قد أبذل المجهود
ناظر الخاص الناهى الأمر
وكذا القسروى لجيش ناظر
ما سمعنا موكب رؤى مثلو
في المواكب ولا أحد قبلو
وقطع من وعره إلى سهلو
أن طبعو منو بقى حابر
بالمدايا والملبس الفاخر
من يخالف يرجع هداه في ضلال
وأتى حملها عوالى الجبال
وكفى الله المؤمنين القتال
أعلموه إنو عليه ماكر
واعلم إنو حايك عليك غادر
والمساكر معو لأجل القتال
والتراكيش معترّة بالنبال
للفرقين شابت لها الأطفال
وبخيلو أضحى عليه غاير
ولا يدري ما هو إليه صاير
خلق كانوا عن الشمال كامنين
خرجوا في القتال لأهل اليمن
أرمتو الأرض عن جوادو بينين
كل واحد أنصرتو بادد
(١٢) وقضى : وقضا . (١٨) أضحى : أضعا .

- والشجاعة ما تغلب الكثرة
جلّ ربّي محرّك الحركات
والمعجب كان في قُتلة الفورى
تسماية اثنين وعشرين عام
نسأل الله أن يحسن العاقبة
يكشف المار عنا بأخذ التار
أشهى التار لقتلة الفورى
والتهانى ذاك النهار عندي
بمدهذا ما اخشى غراب البين
والمعجائب في قتلة الفورى
وحسبنا كل الحساب إلا
دمعة العين منى على الفورى
أرتجى عين في الناس تساعدنى
كان عليه عين ترقب زمان ملكو
الجواد غار بين الصدا أرماء
كلّ من غار منو بقى فرحان
ذى المساكر شبهتها روضة
والنسيم في النهر فصل زرد
واللبوس من فوق الحديد تحكى
(٥٢ب) ومن البان شطقات غصون مذهبة
وحكى الياسمين بدن مجروح
في سما حرب عسكر السلطان
والأمنّة تحكى شهب ناقبه
- قطموم بالصارم الباتر
جعل الله لكل قُتلة سبب
في التواريخ تُكتب بماء الذهب
ما جرالو خامس وعشرين رجب
ويميد الراج هو الخاسر
ويردّ الكسرة على الكافر
ولملى أن أبلغ الأوطار
ويغنوّ على وتر أو طار
إن زعق في ديارنا أو طار
راح برجلو لقتلتو خاطر
ما جرى لو ما مرّ بالخاطر
من دماها تجرى لحزنى عين
من صباحى حتى تغيب العين
والسعادة حتى أصابو عين
مات ودمعو من العيون غاير
بعد ما كان غاير على الغاير
فيها فرسان أغصان عليها زهور
وإذا راق كالسيف ظهر مشهور
ورد أحمر بين الرياض منشور
وحاها صناجق التامر
وشقيق النمان عليه دابر
تطلع أنجم فرسان تزين اللبوس
وخوذهم مثل النجوم في الشموس

- والملك بدر بينهم مخسوف
خِلْتُ أسهم من قوس قزح ترى
والسحاب صار يطر سهام خارقة
ذى المساكر بستان وفيه فاكهة
واحد أصفر لونو حكي الشمس
مارأى حدّ مثل ذى الوقعة
والأمارّة تحكي شجر مشر
والمدافع ترى سفرجل كبار
كم أسلى قلبي على الفورى
أين سلبان واينهو النمرود
وأين ملوك الزمان وذو القرنين
وأين كسرى شروان وإيوانه
كل حادث بأمر القديم راحل
لو يكن في هذا البلد حمال
نحن عصبة نحزن على غلبو
فايش تقل في سلطاننا الفورى
بمد ملكو خمسة وعشرة سنين
ويليها خمسة وعشرين يوم
المجب كان في قتلة الفورى
يوم خروجو من ذى البلاد أوكب
بالقدر قال لو لسان الحال
اتقبه من رقدة الفسلة
- ٣ وحكى الرعد ضربهم فى التروس
للمساكر فى ليل غبار عاكر
للأعادي ولم يزل ماطر
ودمام خمر الغب مدفوق
وذا لون الغناب وهو مخنوق
لا تقل لى الناصر ولا برقوق
٦ فى رياض نشره غدا عاطر
والآرمان من الفحول فاخر
وأقلّو يا قلب اتفكر
٩ واينهو فرعون واينهو قيصر
والآيسمى إن صح الاسكندر
١٢ مات والإيوان بعدو بقى دائر
والإقامة للأول الآخر
ويراهن فى واجب اللعوب
١٥ لما يبقى دستو عليه مقلوب
لما جرّد قتل ومات مكروب
تسعة أشهر بالكاتب الحاصر
١٨ عدّ حاسب كاتب أمين ذاكر
كل مقدور لا يدفع المحذور
ولا يدرى ما فى الجبين مسطور
٢١ قد بقى من عمرك ثلاثة شهور
واجل الطول من الأمل قاصر

- بعد الأشهر عدة تسعة أيام والنبيّة تكون في العاشر
 ذى الملك كان رايس وهو المقدم وابن عثمان موخر ولاح كسره
 ٣ (٥٣ آ) خنفس الريح عليه وحلّ مركبو وابن عثمان عوّم وبان نصره
 غرق السفن وأخرب المينة وبسيفو أرى الجميع بحره
 من جشهم ومن دماهم صار بحرهم برّ بالجثث صادر
 ٦ وتركهم لما رجع مقلّع برّهم بحر بالدّما حادر
 قدّ جلالو عروس جمال ملكو خالق الخلق ربّنا ذو الجلال
 وخبالو إنو يقع ميّت عن جوادو يوم القتال في خبال
 ٩ وزوالو إنو يموت مقهور ولا يُعرف قبره ليوم الزوال
 كم تطير بالرمّل والرمال طاير الله هو أعظم الطاير
 طار حسابو وكلّ ما أمل وبهذا ما طار عليه طاير
 ١٢ ابتدأ في النظم والخطام بمدبحي للمصطفى المختار
 كلّموا الضبّ والذراع والبمير وسعت لو في خدمتو الأشجار
 والغزاة حديثها مشهور ونطق لو في راحتو الأحجار
 ١٥ والقمر انشقّ لو نصفين بعد ما كان كامل صحيح ناير
 وأشبع الجيش كلّو بيمض الزاد وجرى الماء من أصبعو قاير
 إن يقولوا أبو النجا العوفي في نظامو ما في البلاد مثلو
 ١٨ بالذى جا يسمع عقود نظمو خذ وحرّر عنو بديع نقلو
 وإن أتى لك من يطلب التاريخ والوقايح عن الملوك قل لو
 غربت شمس دولة النورى وابن عثمان نجمو طلع ساير
 ٢١ وبهذا ربّ السما قد حكم والفلك دار ولم يزل داير

وهذا آخر ما انتهى إلى من أخبار دولة السلطان الملك الأشرف أبو النصر
 قانصوه الغورى رحمة الله عليه ، وقد افتتح أوائل دولته بمصادرات وظلم وأخذ أموال
 (٤) أرى : أرما . (١٣) والذراع : كذا في الأصل . (١٦) وجرى : وجرا .

- بغير حق ، واختتمت أواخر دولته بفتن وضرب سيف وذهاب أموال وأرواح وأمور مهولة وحوادث غريبة وفتن عظيمة ليس لها آخر ، والأمر إلى الله من قبل وبعد يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل . - واستمرّ سليم شاه ابن عثمان مستولياً على البلاد الشامية والحلبية وملك قلاعها وأعمالها ، وحكم من الفرات إلى الشام ، واستمرت بيده مدة ثلاثة شهور ، وملك ثلاث عشرة قلعة بالأمان من غير حرب (٥٣ ب) ولا قتال ، وملك قبل ذلك عدة بلاد وقلاع من معاملة بلاد شاه إسماعيل الصوفي . والذي وقع لسليم شاه بن عثمان من السعد والنصرة على الصوفي وسلطان مصر ، وأخذ أموالهم وبركهم وخبولهم ، واحتوى على بلادهم ، واحتوى على خزائن أموال السلطان الفوري وناهيك بها ، هذا أمر ما وقع قط لأحد من ملوك الروم قبله ولا بعده ، وهذا الأمر من الله تعالى وقد وعده بذلك من القدم ، إن وعد الله حق وهو لا يخلف الميعاد ، انتهى ذلك .

ذكر

١٢

سلطنة الملك الأشرف أبو النصر طومان باي من قانصوه الناصري

- وهو السابع والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو الحادي والعشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد . - أقول: وكان أصله من كتابية الأشرف قايتباي اشتراه الملك الأشرف قانصوه الفوري وكان يلوزله بقرابة ، فلما اشتراه قدّمه إلى الأشرف قايتباي ، ولهذا يدعى طومان باي من قانصوه ، فصار من جملة مماليكه الكتابية ، واستمرّ على ذلك حتى تسلطن الملك الناصر محمد بن قايتباي فخرج له خيلاً وقاشاً ، وصار من خرج الملك الناصر ومعاتيقه ، وبقي جمدارا ، ثم بقي خاصكيا ، واستمرّ على ذلك حتى تسلطن قرابته قانصوه الفوري ، فأنعم عليه بأمرية عشرة ، واستمرّ على ذلك إلى سنة عشرة وتسعمائة . فلما توفي ابن السلطان المقرّ الناصري محمد في الفصل الذي جاء بها أنعم عليه السلطان بأمرية طبلخاناه وجعله شاد الشرايخاناه عوضاً عن ولده بحكم وفاته ، واستمرّ على ذلك إلى

سنة ثلاث عشرة وتسعمائة . فلما توفي الأمير أزدمر من على باى الدوادار الكبير في جمادى الأولى، وهو مسافر بجبل نابلس ، أخلع عليه السلطان وقرّره في الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير أزدمر بحكم وفاته . فاستمرّ في الدوادارية الكبرى إلى أن خرج السلطان إلى التجريدة بسبب ابن عثمان فجعله نائب الغيبة عوضا عن نفسه إلى أن يحضر من السفر ، فساس الناس في غيبة (٥٤ آ) السلطان أحسن سياسة ، وكانت الناس عنه راضية ، وأطاعه المسكر الذي تحاف بمصر قاطبة . وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والأستادارية العالية وكشف الكُشاف ونائب الغيبة ، فكان يركب في كل يوم اثنين وخميس ويسير نحو المطرية ويدخل من باب النصر ، ويشقّ القاهرة وقدّامه الجملّ الفقير من المسكر ، والأمراء المقدّمين قدّامه ، وقدّامه سعاة وعبيد نفطية يرمون بالنفط من السكاحل، فترجّ له القاهرة كلما شقّ منها . وفتح السدّ في غيبة السلطان ، وكان له يوم مشهود .

١٢ ولم يزل على ذلك حتى ثبت موت السلطان الفوري ورجعت الأمراء من التجريدة فوق الاختيار منهم على سلطنته ، فامتنع من ذلك غاية الامتناع، والأمراء تقول له : ما عندنا سلطان إلا أنت ، وهو يمتنع من ذلك . ثم ركب هو والأمير علان وجماعة من الأمراء المقدّمين وتوجّهوا إلى كوم الجارح عند الشيخ سمود ، فلما جلسوا بين يديه وذكروا له ذلك ، فتملّل الأمير طومان باى عن السلطنة بأنواع من الملل ، منها أن خزائن بيت المال ليس فيها درهم ولا دينار ، فإذا تسلطن ما ينفق على المسكر شيئا ومنها أن ابن عثمان ملك البلاد الشامية وهو زاحف على مصر ، وأن الأمراء لا يطاوعون على الرجوع إلى السفر ثانيا ، ومنها أنه إذا تسلطن يفتدرون به ويركبون عليه ويخلمونه من السلطنة ويرسلونه إلى السجن بغير الإسكندرية ، ولا يبقونه في السلطنة إلا مدة يسيرة . ثم إن الشيخ سمود أحضر بين يدي الأمراء مصحفا شريفا

(٨) اتنين : الاثنين . (١١) السلطان : السلطنة . (١٣) تقول : تقل .

(١٩-٢٠) يفتدرون ... ويركبون ... ويخلمونه ... ويرسلونه ... يبقونه : يفتدروا ...

ويركبوا ... ويخلموه .. ويرسلوه ... يبقوه .

وحلف عليه الأمراء الذين جاءوا بصحبته ، وحلفهم عليه بأنهم إذا سلطنوه لا يخامرون عليه ولا يقدرونه ولا يثيرون فتنا وأنهم ينتهون عن مظالم المسلمين قاطبة .
٣ فحلفوا كلهم على المصحف بمعنى ذلك ، فلما تحالفوا ترشح أمير الأمير طومان باي إلى السلطنة ، وانفض المجلس على ذلك ، وتوجهوا الأمراء إلى بيوتهم .

فلما كان يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان من هذه السنة صلى الأمير الدوادار صلاة الفجر ، وركب ومعه الأمراء المقدمون وقدامه الفوانيس والمشاعل ، فطلع إلى باب السلسلة وجلس به . (٥٤ ب) فلما ركب من بيته الذي في درب ابن البابا شق من الصليبة وهو بتخفينة صغيرة وملوطة ببيضاء ، وكذلك الأمراء الذين طلوعوا صحبته ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء ، وانطلقت النساء له بالزغاريت من الطيقان . فلما استقرت ٩ بياض السلسلة أرسل خلف أمير المؤمنين يعقوب والد أمير المؤمنين المتوكل على الله ، فحضر وصحبته سيدى هرون ولد الخليفة محمد المتوكل ، وأولاد ابن عمهم خليل ، وحضر قاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنة ، والقاضى شرف الدين يحيى ١٢ ابن البردبني أحد نواب الشافعية ، وجماعة من نواب القضاة الذين بالقاهرة . فلما تكامل المجلس واجتمع سائر الأمراء المقدمين وغيرهم من الأكابر والأصاغر والمسكر ، فظهر أمير المؤمنين يعقوب وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله ، بأنه وكّله ١٥ في جميع أموره وما يتعلق به من أمور الخلافة وغيرها ، وكالة مفوضة ، وثبت ذلك على القاضى شمس الدين بن وحيش فاكتفوا بذلك . وكان أشيع بأن يولوا الخلافة إلى أحد أولاد سيدى خليل ، فإن الخليفة المتوكل كان في الأسر عند ابن عثمان ، ١٨ ووالده يعقوب عزل نفسه من الخلافة ، فلما أحضر هذه الوكالة عن ولده اكتفوا بذلك . وكان قاضى القضاة الشافى كمال الدين الطويل في الأسر عند ابن عثمان ، وكذلك ٢٠ قاضى القضاة المالكي يحيى الدميرى ، وقاضى القضاة الحنبلى الشهاب الفتوحى ، ٢١ فلم يحضر هذه المبايعات من أعيان نواب الشافعية إلا الشرفى يحيى بن البردبني .

(١٠١ و ١٠٣) الذين : الذى . (٢) يخامرون ... يقدرونه ... يثيرون فتنا ... ينتهون :

يخامروا ... يقدروه ... يثيرون فتنا ... ينتهوا . (١٤) وغيرهم : غيرها .

فبايع السلطان أمير المؤمنين يعقوب نيازة عن ولده محمد المتوكل ، وشهد عليه بذلك الشرفى يحيى بن البردبني ، وجماعة من نواب القضاة ، وحضر في آخر المجلس قاضى القضاة الحنفى محمود بن الشحنة . أقول: تسلطن الأشرف طومان باى وله من العمر نحو ثمانية وثلاثين سنة . فلما تمت له البيعة أحضروا له خلعة السلطنة ، وهى الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيف البداوى ، فأفيض عليه شعار الملك وتلقب بالملك الأشرف مثل قرابته الغورى . ثم قدّموا له فرس النوبة بغير كنبوش ولا سرج ذهب ، ولا وجدوا له (٥٥ آ) فى الزردخاناه لا قبة ولا طير ولا الفواشى الذهب ، فركب من على سلم الحرافة التى بباب السلسلة ، والخليفة قدّامه ، فطلع من باب سر القصر الكبير ، وجلس على كرسى الملكة ، وقبلوا له الأمراء الأرض ، ودقّت له البشائر بالقلعة ، ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وفرح كل أحد من الناس بسلطنته ، وكان محببا للعوام فإنه كان لئن الجانب قليل الأذى غير متكبّر ولا متجبّر . فلما انتهى أمر المبايعة أخلع السلطان على أمير المؤمنين يعقوب ونزل إلى داره فى موكب حافل . وزالت دولة الغورى كأنها لم تكن ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدى ، وقد قال محمد بن قانصوه :

١٥ قد ذهب الغورى إلى ربّه وذا الذى قدره الله

والملك لله ومن شاء من عباده للملك ولّاه

فلما كان وقت صلاة الجمعة فى ذلك اليوم خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة ، وخطب به الشرفى يحيى بن البردبني ، واستمرّ يخطب به فى كل جمعة ، ثم إن الخطباء خطبوا باسمه فى ذلك اليوم على منابر مصر والقاهرة بعد ما كانت الخطباء لم يذكروا فى الخطبة اسم سلطان ولا يدعون له نحو خمسين يوما ، بل كانوا يدعون للخليفة فقط . . . وفى ذلك اليوم قبض السلطان على قانصوه الأشرفى نائب قلعة حلب ، الذى سلم القلعة إلى ابن عثمان من غير حرب ولا محاصرة ، فلما حضر قانصوه هذا صحبة المسكر تغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك ، فقبض عليه وأودعه فى البرج بالقلعة حتى يكون (٣-٤) أقول ... سنة : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش . (٢٠) يدعون : يدعوا .

من أمره ما يكون .

- وفي يوم السبت خامس عشر شهر رمضان حضر جماعة من الأمراء ممن تخلف
 بعد المسكر بدمشق ، فحضر الأمير جان بردى الغزالي نائب حماة وقد ترشح أمره بأن
 ٣ على نيابة الشام ، والأمير سودون الدواداري رأس نوبة النوب ، والأمير قانصوه كُرت
 أحد المتقدمين وكان مريضاً ، فلما حضروا وجدوا الدوادار قد تسلطن ، فعز ذلك على
 الأمير سودون الدواداري وكان قد ذُكر إلى السلطنة وهو بالشام فلم يتم له ذلك ،
 ٦ فلما حضروا طلعموا إلى القلعة وباسوا الأرض للسلطان ونزلوا إلى دورهم . - ثم جاءت
 الأخبار من بعد (٥٥ ب) ذلك بأن أمير عربان جماعة الأمير ناصر الدين بن الحنش
 بلغه أن ابن عثمان أرسل جاليش عسكره وصحبته ابن سوار الذي كان تمصّب له ، فلما
 ٩ وصلوا إلى القابون بالقرب من دمشق لاقاهم ابن الحنش وحصل بينه وبين عسكر
 ابن عثمان مقتلة مهولة وقتل منهم جماعة ، وأطلق عليهم المياه من أنهر دمشق حتى صار
 كل من دخل في تلك المياه يوحل بفرسه فلا يقدر على الخلاص ، فهلك من عسكر
 ١٢ بن عثمان جماعة كثيرة حسبما أشيع من تلك الأخبار ، وقد قات في المعنى :
- قل لابن عثمان إذا قابلته اقبل نصيحة ناصح ودع الطيش
 واحذر تمارض شامنا بجهالة يُخشي عليك الذع من ابن الحنش
- ١٥ فلما دخلت الأمراء دخل ضيبتهم جماعة كثيرة من أعيان أهل دمشق هم وأولادهم
 وعيالهم ، وسبب ذلك أن لما حصل لعسكر مصر هذه الكسرة وقتل سييأي نائب
 الشام واضطربت الأحوال ، وثب أهل الشام بعضهم على بعض ونهبوا حارة السمرة
 ١٨ وقتلوا منهم جماعة وأخذوا أموالهم ، وكذلك فعلوا بتجار الفرنج الذين هناك ونهبوا
 أموالهم ، وكانت فتنة مهولة ، ونهبوا بيوت أعيان الناس بدمشق من القضاة والتجار ،
 ٢١ فخرج غالب أعيان دمشق منها بسبب ذلك وبسبب فتنة ابن عثمان وفساد الأحوال
 بمصر والبلاد الشامية . - وقيل لما بلغ السلطان ما فعله ناصر الدين بن الحنش مع

(١٢ و ١٣) تلك : ذلك . (١٥) من ابن الحنش : كتب إلى جانبها على الهامش « نسخاً ،

من نجل الحنش » . (١٨) بعضهم : بعضها . (١٩) الذين : الذي .

عسكر ابن عثمان رسم له بناية حصص ، وقيل برزت له المراسيم الشريفة أنه إذا كسر
عسكر ابن عثمان يقرّره السلطان في الأتابكية بدمشق ، فإن ابن الحنش أرسل يقول
للسلطان : مدني بيمض عسكر وأنا أجمع العربان وضمّان كسرة ابن عثمان على . وكان
في قديم الزمان بمض أجداد ابن الحنش متوليا على نيابة حصص . - وفيه حضر شخص
يقال له أينال الأعور ، وكان جان بردى الغزالي قرّره في نيابة صفد ، فلما بعث إليها
دواداره ومباشره وثبوا عليهم أهل (٥٦ آ) صفد ولم يكتنهم من الدخول إلى المدينة ،
وربما قتلوا منهم جماعة ، فحضر إلى مصر ليلبس خلعتة ويمضي إلى صفد حتى يقتص
من أهلها .

وفي يوم الاثنين سابع عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر بالحوش ،
وحصل في ذلك اليوم بين الأمراء خلف بسبب الوظائف ، وحصل بين الأمير علان
الدوادار الثاني وبين جان بردى الغزالي تشاجر حتى خرجا فيه عن الحد . - وفي ذلك
اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض ، وهو العسكر الذي كان مقبيا بمصر لم يخرج
في التجربة صحبة السلطان ، ونادى أيضا أن كل من أخذ شيئا من نهب سلاح
العسكر أو قماشهم يرده ومن لم يرده شيئا وغمز عليه شق من غير مفاودة ، وقد بلغه
أن جماعة من الغلمان والعبيد ممن كان في التجربة نهب أشياء كثيرة من مال وسلاح
وقماش وغير ذلك . ومن الوقائع اللطيفة أن السلطان لما أن تسلطن أمر بهدم المصطبة
التي كان أنشأها السلطان الغوري بالحوش عوضا عن التكة التي كان يجلس عليها
الأشرف قايتباي ، فهدم السلطان المصطبة وأعاد التكة كما كانت في أول الأمر وجلس
عليها ، وكانت قد تكسرت فأصلحوها ، وجعل لها غشاء من الجوخ الأصفر ،
وصار يجلس عليها للمحادثات كما كان يجلس الأشرف قايتباي ، وقد قلت في ذلك :

٢١ قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم
وصار طومان باي بين الوري يمشي الشاة مع الضنم

(٤) متوليا : متولى . (٦) ومباشره : ومباشرته . (١٤) أو : وأو . || شيئا : شئ .

(١٥) التجربة : تجريده .

فيا له من ملك عدله قد شاع بين العرب والمُعجم

- وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره جلس السلطان على التكة وعرض المسكر بالحوش
وكتب منهم نحو ألفي مملوك ، وعين من الأمراء المقدمين الذين كانوا بمصر نحو ستة
مقدمين ، وعين الأمير جان بردى الغزالي باشا على العسكر وقد ترشح أمره بأن يلي
نيابة الشام . - وفيه قبض السلطان على المهتار محمد النجولى وعلى أخيه على مهتار
الطشتخاناه كان بخدمة السلطان النورى ، وقبض على (٥٦ ب) جمال الدين الألواحى
بواب الدهيشة . وهذا كان أول حكم السلطان طومان باى ، وسبب ذلك أن السلطان
لما تسلطن عرض الخزائن فوجدها فارغة ليس بها درهم ولا دينار ، وكان محمد المهتار
وجمال الدين البواب من حين توفى الأمير خاير بك الخازندار جعلهما السلطان النورى
متحدثين فى أمر الخزائن الشريفة وصارا يتصرفان فيها بما يختاران ، فطاش جمال الدين
البواب ومحمد المهتار وركبا فى غير سروجهما وما كانا يظنان أن السلطان النورى
يموت فى هذا الزمان ، فكان ذلك من أكبر أسباب الفساد فى حقهما ، كما يقال ١٢
فى المعنى :

أمر تضحك السفهاء منها ويكي من عواقبها اللبيب

- وفي يوم الخميس عشرين شهر رمضان عمل السلطان الموكب بالشاش والقماش ،
وجلس على التكة بالحوش ، وأخلع على من يذكر من الأمراء وهم : المقر السيفى
سودون الشهابى الشهير بالدوادارى فقرّر أتابك المساكر عوضا عن سودون المعجمى
بحكم قتله فى وقعة ابن عثمان ، وأخلع على المقر السيفى جان بردى الغزالي وقرّر فى نيابة
الشام عوضا عن سيباى من بختجا بحكم قتله فى وقعة ابن عثمان ، وأخلع على المقر
السيفى أركاس من طراباى وقرّر فى أمرية السلاح على عادته ، وأخلع على المقر السيفى
يخشباى من عبد الكريم ، قيل من قائم ، وقرّر أمير مجلس عوضا عن أركاس بحكم
انتقاله إلى أمرية السلاح ، وأخلع على المقر السيفى أنصباى من مصطفى وقرّر أمير

(٣) ألفى مملوك : ألفين مملوك . (٦) الطشتخاناه : الطسخاناه .

(١٠) يختاران : يختارا . (١١) يظنان : يظنا .

آخور كبير عوضا عن نجل المقام الشريف الأشرف الغورى بحكم انفصاله عنها ،
 وأُخلع على تمر الحسنى وقرّر رأس نوبة النوب عوضا عن سودون الدوادارى بحكم
 ٣ انتقاله إلى الأتابكية ، وأُخلع على طُقطباى العلاى نائب القلعة وقرّر حاجب الحجاب
 عوضا عن أنصبای بحكم انتقاله إلى أمرية آخور الكبرى ، وأُخلع على الأمير علان
 من قراجا وقرّر أمير دوادار كبير عوضا عن المقام الشريف بحكم انتقاله إلى السلطنة ،
 ٦ وأُخلع على الأمير (٥٧ آ) أرك الأشرفى وقرّر وزيرا وأستادارا وكاشف الكشاف
 عوضا عن المقام الشريف ، وأُخلع على كرتباى الأشرفى أحد الأمراء المقدمين وقرّر
 دوادار ثانى مقدّم ألف كما كان علان ، وأُخلع على مامای دوادار قانى باى قرا أمير
 ٩ آخور كبير كان وقرّر أمير آخور ثانى عوضا عن أقبای الطويل بحكم قتله فى وقعة
 ابن عثمان ، وأُخلع على شخص من الأتراك يقال له تم السيفى مُغلباى الساقى وقرّره
 فى نيابة الإسكندرية عوضا عن خُدايردى الأشرفى بحكم أنه بقى مقدّم ألف ، وأُخلع
 ١٢ على شخص من الأتراك يقال له يَحشباى الذى كان كاشف البهنسا وقرّره فى نيابة
 صفد ، وأُخلع على شخص آخر من الأتراك وقرّره فى نيابة طرابلس ، وأُخلع على
 شخص يقال له تانى بك الأشرفى من الأمراء العشرات من طبقة الطازية وقرّره فى
 ١٥ نيابة القلعة عوضا عن طُقطباى بحكم انتقاله إلى الحجوية الكبرى ، وأُخلع على
 أقطوه وقرّره كاشف الشرقية ثم بطل ذلك فيما بعد ، وأُخلع على الأمير يشبك الفقيه
 وقرّره خازندار كبير عوضا عن خاير بك الذى توفى ، وأُخلع على جنتمر وقرّره
 ١٨ خازندار ثانى ، وأُخلع على مامای الصُمَيْر وأقرّره فى الحسبة على حاله ، وأُخلع فى ذلك
 اليوم على جماعة كثيرة وقرّره فى وظائف معلومة .

وأما أرباب الوظائف من الباشرين فأُخلع على القاضى كاتب السر محمود بن أجا
 ٢١ وأقرّره على عادته ، وأقرّ الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف متحدثا فى نظارة الجيش
 عوضا [عن] القسروى بحكم قتله هناك ، وأُخلع على سائر الباشرين من أرباب الوظائف
 باستمرارهم على عاداتهم فى وظائفهم ، وأُخلع على تقيب الجيش ، وأزدمر المهندار ،

والألاس والى الشرطة ، وسنبيل مقدم المالك باستمراهم على وظائفهم كل واحد منهم على عادته .

- ٣ وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه أخلع السلطان على شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر باستمراهم على عادته ، وقد حصل من أولاد أحمد بن بقر هذا فى هذه السنة من الفساد ما لا يحصل فى بلاد الفرنج (٥٧ ب) من قتل النفوس ونهب الأموال ، ولا سيما ما فعله ابنه الجذامى فى المسكر لما رجع وهو مكسور ، وما فعله أولاده عبد الدايم وبقر فى البلاد بالشرقية من نهب الأموال وقتل النفوس ، ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، فأخلعوا عليه وراحت على من راح .
- ٩ وفى يوم الخميس سابع عشرينه أخلع السلطان على مصر باى الأفرع أحد الأمراء الطبلخاناه وقرره فى الحجوية الثانية عوضا عن طومان باى قرا بحكم قتله فى وقعة ابن عثمان ، وأخلع [على] تمر باى المادلى وقرره تاجر المالك عوضا عن نوروز بحكم وفاته ، وأخلع [على] شاد بك وقرره شاد الشراب خاناه عوضا عن يوسف الناصرى بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وأخلع على بك باى وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن القسروى ، وأخلع [على] نحر الدين بن عوض واستقرّ به ثالث قلم فى كتابة المالك عوضا عن جلال الدين بحكم وفاته ، وأخلع على حاجب حجاب دمشق باستمراهم على عادته ، وأنعم على قايتباى نائب الكرك كان بتقدمة ألف .
- وفى أواخر هذا الشهر قرى عهد السلطان بحضرة أمير المؤمنين يعقوب وقاضى القضاة الحنفى وجماعة من النواب ، وحضر جماعة من الأمراء المقدمين على العادة . ١٨ وقيل إن السلطان أنعم على أمير المؤمنين يعقوب لما بايحه بالسلطنة بحصة ونصف وثلاث فى منشية دهشور ، فأنعم عليه فى ذلك اليوم بما ذكرناه . - وفى يوم السبت تاسع عشرينه طلع ناظر الخاص بخلع العيد ، وعرضها على السلطان وهى مزفوفة على رءوس الحالين .

(٨) راح : راحة .

(١٦) وأنعم ... بتقدمة ألف : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

ويوم الأحد سلخ هذا الشهر حضر الناصري محمد بن يلباي المؤيدى حاجب
ميسرة بدمشق ، وأخبر أن سليم شاه بن عثمان قد ملك مدينة دمشق ، وملك قلعتها
٣ وقتل على باى الأشرفى نائب القلعة ، وقتل ستة وثلاثين أميراً من أمراء دمشق غير
من وجده من الرعية بالشام، وحضر ابن يلباي هذا وهو فى زى العرب يثبت وزمط
على رأسه . فلما أشيعت هذه الأخبار فى القاهرة بأن ابن عثمان ملك الشام صارت
٦ الناس فى أمر مربب بسبب ذلك وقالوا : ما بقى بعد أخذ (٥٨ آ) الشام إلا مصر ،
وجزموا بهذا الأمر وعول بعض الناس من أهل مصر على الهروب إلى جهة الصعيد.
فتنكّد السلطان والأمراء والناس قاطبة لهذا الخبر ، ولا سيما كانت ليلة عيد الفطر
٩ والناس جرحهم طرى بسبب موت السلطان وكسرة المعسكر ، والأنة قائمة بسبب
من قتل من المعسكر ، فقلت فى المعنى :

ياسليم شاه كُفّ عن أخذ مصر بلد شُرُفت بخير إمام
١٢ فهو شافى قطب ولى نجل إدريس عمدة الإسلام
هى تدعى كنانة من غزاها قصم الله ظهره بالحسام
وقد ورد فى بعض الأخبار ما روى أن : مصر كنانة الله فى أرضه من أراد لها
١٥ بسوء قصمه الله ، أو ما معناه من هذا الحديث .

وفى شوال كان مستهلّ الشهر يوم الاثنين وصلى السلطان صلاة العيد ، وأُخلع
على الأمراء ومن له عادة ، فخطب بالسلطان فى ذلك اليوم الشرفى يحيى بن البردبنى ،
١٨ وكان موكب العيد حافلاً . - وفى يوم الجمعة خامسه الموافق لرابع هاتور المقبطى فيه
قلع السلطان اليباض ولبس الصوف ، وقد عجل بلبس الصوف . - وفيه توفى الأمير
جانم الإبراهيمى أحد الأمراء الطليخانات . - وفى يوم السبت سادسه طلع إلى السلطان
٢١ شخص يقال له على الشعبانى نقيب المحتسب وشخص آخر يقال له ابن خيبر السمسار
فى الغلال ، فلما وقفا إلى السلطان تكلما معه بأن يجعلوا على الحسبة مالا معيناً وعلى

(٣) ستة وثلاثين : ستة وثلاثون . (٩) والأنسة : كذا فى الأصل ، ويقضد بها
الجمع لكلمة « نعى » . (٢٢) مالا معيناً : مال معين .

الفلال أيضا ولم يحصل من ذلك ضرر للمسلمين ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامهما
وضرب على الشعباني بالمقارع وابن خُبَيْر ، وأشهر الشعباني في القاهرة وهو ماش
مكشوف الرأس وقد ضُرب بالمقارع ، ونودى عليه على من يتعاون في إنشاء الظالم^٣
في الدولة العادلة بعد ما بطلت ، وأمر السلطان بمنزل على الشعباني من التحدث في أمر
الحسبة ، فأقام الشعباني بعد ذلك أياما يسيرة وأشيع موته من الضرب الذي حصل له
كما تقدم .^٦

وفي يوم الاثنين ثامنه حضر دوا دار نائب غزة المسمى بعلی باى (٥٨ ب)
الأحدب ، وأخبر بأن ابن عثمان من حين دخل إلى الشام تلاشى أمره ، ووقع الوخم
في عسكره فصار يموت منهم في كل يوم جماعة ، وعزّ عندم وجود الأقوات من الفلال^٩
والعلف ، وقد ضيّقت عليه العربان ومنموا عنه ما يجلب من الشعير والقمح والتبن ،
وكل من خرج من عسكره إلى الضياع قتلوه العرب ، وقد تجوّن بدخوله إلى الشام ،
فلا بقى يمكنه الخروج منها ، وصارت خيول عسكره سايبة تأكل من ورق الأشجار^{١٢}
وهو في غاية الحصر . - وفيه حضر خُداردى نائب الإسكندرية وخرج إليها ثم الذى
قرّر بها ، وحضر الأمير خاير بك المهار الذى كان توجّه إلى ثغر رشيد بسبب عمارة
الصور والأبراج التى هناك كما تقدم . - وفيه أخلع السلطان على شخص من الأتراك^{١٥}
يقال له يلباى المشرف وقرره في أستاذارية الصحبة عوضا عن قانصوه الأشرفى بحكم
قتله في وقعة ابن عثمان .

وفي يوم الثلاثاء تاسمه كانت كايبة الزينى بركات بن موسى مع الشيخ سُعود ،^{١٨}
وسبب ذلك أن شخصا مدابغيا يبيع الجلود يقال له الدمراوى مكاسا على بيع الجلود ،
فجار عليه ابن موسى ، فوقع بينه وبين ابن موسى ، فقصد ابن موسى يقبض عليه ،
فتوجّه الدمراوى إلى عند الشيخ سُعود واحتتمى به ، فأرسل إليه الشيخ سُعود رسالته^{٢١}
بسبب الدمراوى وقد شفع فيه ، فتوقف ابن موسى في أمره ولم يلتفت إلى رسالة الشيخ

(٨) الأحدب : الأحدب . (١٠) والتبن : والتبن . (١٥) التى : الذى .

(١٩) مدابغيا يبيع : مدابغى يبيع . (٢٢) يلتفت : يلتفت .

وطاوله في أمر النمرأوى ، فأرسل الشيخ خلف ابن موسى ، فلما حضر عنده في
 كوم الجارح وبخه الشيخ بالكلام ، وقال له : يا كلب كم تظلم المسلمين ؟ فحنق منه
 ابن موسى وقام على غير رضى ، فأمر الشيخ بكشف رأس ابن موسى وضربه بالنعال ،
 فصغموه بالنعال على رأسه حتى كاد يهلك ، ثم وضعه في مكان وأرسل خلف الأمير
 ملان الدوادار الكبير ، فلما (٥٩ آ) حضر قاله : اوضعه في الحديد واطلع وشاور
 السلطان عليه وأعلمه بأنه ييؤذى المسلمين . فلما طلع الأمير علان وشاور السلطان
 في أمر ابن موسى وما جرى له مع الشيخ سُعود ، فأرسل السلطان يقول للشيخ سُعود :
 مهما اقتضاه رأيك فيه افعله . فلما ردّ الجواب على الشيخ بذلك فأمر الشيخ بإشهار
 ابن موسى في القاهرة ثم يشنقونه على باب زويلة ، فأخرجوا ابن موسى من زاوية الشيخ
 التي في كوم الجارح وهو ماش مكشوف الرأس بكبرطاق وهو في الحديد وينادى
 عليه : هذا جزاء من يؤذى المسلمين . فتوجهوا به من كوم الجارح إلى ساحل البحر
 من مصر المتينة وهم ينادون عليه إلى أن وصل إلى بيت الأمير علان الدوادار الذى
 بالناصرية ، فأراد أن يوقع فيه فعل بشنق أو تفريق ، ثم عاودوا الشيخ في أمره بأن
 عليه مالا للسلطان ومتى شنق ضاع على السلطان ماله ، فعفى الشيخ عنه من القتل ،
 واستمر ابن موسى عند الأمير علان وهو في الحديد حتى يكون من أمره ما يكون ،
 وكانت واقعة مهولة بين ابن موسى والشيخ سُعود ، وقد أشرف ابن موسى في هذه
 الكائنة على الهلاك وذهاب الروح ، وقد قلت في هذه الواقعة :

١٨ تعجبوا مما جرى في الوجود بين ابن موسى كان والشيخ سُعود
 تشاجرًا قد طال ما بينهم وأشعلت نيرانه بالوقود
 فصرّح الشيخ بعزلانه وأكد القول بأن لا يعود
 ٢١ وينسب الله على أمره ويرغم القاهر أنف الحسود

(٢) الجارح : الخارج . (٦) ييؤذى : كذا في الأصل . (١٢) ينادون : ينادوا .

(١٣) تفريق : تفريق . (١٧) الواقعة : والواقعة .

- فليت شعري ذى الهبوط الذى نال ابن موسى بعده من صعود
ولما جرى لابن موسى ما جرى ظهر غريمه شهاب الدين بن الصايغ وكان يسمى
عليه في أيام النورى ، فلما وقعت هذه الكاينة لابن موسى انتدب إلى مرافقته ٣
ابن الصايغ وقال : أنا أثبت (٥٩ ب) في جهة ابن موسى للسلطان مائة ألف دينار .
ثم إن ابن الصايغ توجه إلى بيت ابن موسى وصحبته طواشيه وقواسة وجماعة كثيرة ،
وكبس على نساء ابن موسى الاثنتين وقبض عليهن ونهب ما في بيوتهن من قماش ٦
وأمتعة ، وقبض على عبيده وغلما نه وحاشيته ، فلما رأى السلطان قد حل في أمره
توقف عن ما كان فيه من أذى ابن موسى ، ثم إن ابن موسى قال : أنا أثبت في جهة
ابن الصايغ مائتي ألف دينار . وقال للأمير علان : ارسل خلف ابن الصايغ وادعه ٩
في الحديد حتى يعمل حسابه ، فلما حضر ابن الصايغ وضعه الأمير علان في الحديد
حتى يقيم حسابه مع ابن موسى . - وأما ما كان من أمر الشيخ سُود فإنه لما فعل
بابن موسى ما فعل قامت عليه الدائرة والأشلة وأنكروا عليه الناس والفقراء وقالوا: ١٢
إيش للمشايخ شغل في أمور السلطنة ، واشتغلت الناس به ولم يشكره أحد على
ما فعله بابن موسى .
- وفي يوم الأحد رابع عشره طلعت إلى القلعة خوند زوجة السلطان ، وهي ابنة ١٥
الأمير أقبردى الدوادر وأُمها بنت خاص بك أخت خوند زوجة الأشرف قايتباي ،
فطلعت وقت صلاة الصبح على الفوانيس والمشاغل ، ومعها الجَمّ الفقير من الخواندات
والستات وأعيان نساء الأمراء والباشرين ، فاستمرت في موكبها حتى طلعت إلى ١٨
القلعة ، ودخلت إلى قاعة العواميد ، فحمل الأمير بشير الطواشي رأس نوبة السقاة
على رأسها القبة والطير حتى جلست على مرتبتها ، وكان لها يوم مشهود بالقلعة . -
- وفي يوم الأحد المذكور عرض الأمير علان الدوادر ابن موسى وابن الصايغ ، وكان ٢١
قرّر على ابن موسى عشرين ألف دينار وأن يورد منها (٦٠ آ) على الجلمكية
عشرة آلاف دينار فلم يورد منها شيئاً ، فبطحه على الأرض وضربه نحو عشرين
-
- (٩) مائتي ألف : مائتان ألف . (١١) لا : فلما . (٢٣) شيئاً : شئ .

عصا ، فأوعد أنه يورد ذلك القدر فأقامه . ثم طلب أحمد بن الصايغ وضربه فوق
أربعمائة عصا حتى كاد يهلك وأشيع بين الناس موته .

٣ وفي يوم الخميس ثامن عشره لم يخرج المحمل من القاهرة ، ولم يحج في هذه السنة
أحد من الناس قاطبة بسبب فتنة ابن عثمان ، وأشيع أنه يرسل جماعة من عسكره
إلى مكة وصحبتهم كسوة إلى الكعبة فلم يثبت ذلك . ثم إن السلطان أرسل الطواشي
٦ مُرهف من البحر الملح وصحبته كسوة الكعبة والصُرَر لأهل مكة والمدينة ، فتوجه
إلى الطور ونزل من هناك إلى البحر .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أشيع أن الشيخ سُعود أرسل خلف ابن موسى
٩ وقد رضى عليه وفكّه من الحديد ، وأظهر أنه قد رضى عليه ، وصار يتصرف في أمور
الملكة من عزل وولاية فأنكروا عليه الناس ذلك . - وفي يوم السبت عشرينه
طلع الزينى بركات بن موسى إلى السلطان على أنه يعيده إلى وظائفه فلم يلتفت إليه ،
١٢ ونزل من عنده بنير طائل وهو في التوكيل به حتى يُفلق ما قرّر عليه من المال ،
فتوجه إلى بيته وهو في غاية الدلّ بمد ما زينت له حارته في سوقة اللبن وتخلقت
جماعته بالزعفران ، فنزل عليهم خدمة بسبب ذلك . - وفي يوم الأحد حادى عشرينه
١٥ أخلع السلطان على شرف الدين بن عوض ، وقرّره في أستاذارية الذخيرة عوضا عن
ابن موسى بحكم انفصاله عنها . - وفي يوم الاثنين ثانى عشرينه نادى السلطان للمسكر
بأن يوم الثلاثاء أول النفقة . - وفيه وردت الأخبار من الهند بأن المراكب التي كان
١٧ أرسلها السلطان الفورى قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع وآلات السلاح وغير
ذلك ، وأن قد وقع بين الرئيس سلمان المماني وبين الأمير (٦٠ب) حسين نائب جدة ،
وأن كلا منهما توجه إلى جهة من جهات الهند ولم يعلم له خبر . - وفيه أخلع السلطان
٢١ على شخص من الأتراك يقال له قبحاس ، وكان شادا في بنها المسل ، فقرّره
في كشوفية الشرقية ، وبطل من كان قد قرّر بها .

(٢٠١) عصا : عصي . (١) فوق : فوقف . (١٧) التي : الذى .

(١٨) وآلات : والآلات . (٢٠) كلا منهما : كل منها . (٢١) بنها : بنه .

- وفيه نفق السلطان على المسكر المعين للتجريدة، فأعطى لكل مملوك خمسين ديناراً، فردّوها عليه وقالوا: يُقْ يُقْ، وخرجوا من باب الحوش على حمية وقصدوا ينشئون فتنة، فأشار بعض الأمراء على السلطان بأن يرضيهم وأن ينفق عليهم لكل واحد ٣ مائة دينار على جرى العادة، فاستردّ من خرج من عسكر على غير رضى، ثم لما ردّوا نفق لكل مملوك مائة دينار وجامكية ثلاثة شهور، عبارة عن مائة وعشرين ديناراً لكل مملوك، فنفق في ذلك اليوم على أربع طباق، وأشيع أن هذا المسكر إذا خرج ٦ يقيم في غزّة هو والأمراء، ويحرسون المدينة إلى أن تخرج التجريدة الكبيرة بعد الربيع. - وفيه أرسل السلطان قبض على جماعة من الأروام الذين في خان الخليل، وقد بلغه عنهم أنهم يكاتبون ابن عثمان بما يقع في مصر من أمور المملكة وعندهم ٩ جواسيس لابن عثمان، فأرسل قبض عليهم ووضعهم في الحديد.
- وفيه أشيع أن السلطان طلع بابن عثمان الصبي الصغير، الذي يقال له قاسم بك الذي هو ابن أحمد بك بن عثمان، الذي توجه مع السلطان الغورى إلى التجريدة، ١٢ فلما انكسر المسكر رجع مع الأمراء إلى مصر، فبلغ السلطان أن جماعة يقصدون قتله، فخاف عليه السلطان من القتل، فطلع به إلى القلعة وأسكنه في مكان بالبحرة، ورتّب له ما يكفيه في كل يوم هو وجماعته. - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة ١٥ الشرفى يحيى ابن الأتابكى أزبك من ططخ (٦١ آ) وكان مقياً بحمة، فلما ملكها ابن عثمان فرّ منه وجاء إلى مصر من البحر الملح من على طرابلس. - وفيه أخلع السلطان على الأمير طقطباى حاجب الحجاب وجعله متحدثاً في كشوفية البحيرة ١٨ عوضاً عن يوسف البدرى، مضافاً لما بيده من الحجوية الكبرى.
- وفيه في يوم الجمعة سادس عشر ربه حضر إلى الأبواب الشريفة القاضى عبدالكريم ابن الجيمان، أخو الشهابى أحمد بن الجيمان، وكان في الأسر عند ابن عثمان بالشام ٢١ ففرّ منه، وحضر وهو في زىّ جمال وعليه بُشت وعلى رأسه زمط، وحضر صحبته شخص يقال له أحمد الدمياطى وهو تاجر في الوراقين، فلما حضر أخبر السلطان بأن
- (٢) ينشئون: ينشوا. (٨) الذين: الذى. (٩) يكاتبون: يكاتبوا.

ابن عثمان قد تلاشى أمره وأن عسكره مختاف عليه ، وأن ناصر الدين بن الحنش ضيق عليه في الطرقات وصارت العربان تقتل كل من انفرد من عسكره في الضياع ، وأخبر أنه ملك مدينة الشام وقلعتها وملك طرابلس وصفد وأعمالها ، وصار بيده من الشام إلى الفرات ، ونصب في هذه المدن الذي ملكها جماعة من أمرائه كما فعل في حلب وحماة وحمص وغير ذلك من البلاد . وقيل إن ابن الحنش أرسل إلى السلطان مطالعة يستحثه في إرسال تجريدة بسرعة قبل أن يزحف ابن عثمان إلى غزة . ثم إن السلطان أخلع على القاضي عبد الكريم ونزل إلى بيته . - وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه أخلع السلطان على ابن خليفة سيدي أحمد البدوي الذي قتله ابن عثمان في حلب ، فقرره عوضا عن أبيه في الخلافة بحكم قتله ، فنزل من القلعة في موكب حافل وعلى رأسه الأعلام وقد أمه سائر الفقراء الأحمديّة .

وفي ذى القعدة كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فجلس السلطان على التكة بالحوش ، وأخلع في ذلك اليوم على الشرفي يحيى بن البردني وقرّره في قضاء الشافعية عوضاً عن قاضي القضاة كمال الدين الطويل بحكم أسره عند ابن عثمان ، وأخلع على قاضي القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنة وأقرّه في قضاء الحنفية على (٦١ب) عادته ، وأخلع على الشيخ شمس الدين التتاي وقرّره في قضاء المالكية عوضاً عن القاضي محيي الدين ابن الدميرى بحكم أسره ، عند ابن عثمان ، وقد تولّوا هؤلاء القضاة والقاهرة في غاية الاضطراب بسبب محيى ابن عثمان ، وأخلع على قاضي القضاة عزّ الدين بن الشيشيني وأعاده إلى قضاء الحنابلة عوضاً عن شهاب الدين الفتوحى بحكم أسره عند ابن عثمان ، وهذه ثانياً ولاية وقمت لمرّ الدين بن الشيشيني . فلما أخلع السلطان على القضاة الأربعة في يوم واحد نزلوا من القلعة وعليهم التشاريف ، فرُجّت لهم القاهرة في ذلك اليوم واصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة . ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولّاهم الدرهم الفرد ، ومنع القضاة أن لا يسموا في منصب القضاء بمبلغ ، وقال لهم : أنا ما أقبل رشوة في ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا إبتوا رشوة من الناس أبداً .

(٢١-٢٣) ولم يأخذ ... أبداً : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (٢٢) الذين : الذى .

وفى ذلك اليوم أكل السلطان النفقة على المسكر المعين للتجريدة وأخذوا فى أسباب عمل اليرق والخروج إلى غزة ، وقيل إن السلطان تنق على نحو ألقى مملوك المعينة للسفر . - وفى يوم الجمعة رابعه طلع ملك الأمراء جان بردى الغزالى نائب الشام ٣ إلى القلعة ، فصلى مع السلطان صلاة الجمعة ، ثم أخلع عليه السلطان وجمله باشا على المسكر المعين للتجريدة ، فاما نزل من القلعة توجه إلى وطاقه الذى بالريدانية وخرج من غير طلب ، بل قدّاه بعض جناب خيول بمرّاق وطبول بازات ، وقدامه ٦ عبيد تقطية ، فتوجه إلى الريدانية فى ذلك اليوم قبل خروج الأمراء والمسكر .

وفى يوم السبت خامسه نادى السلطان فى الحوش للمسكر المعين للتجريدة بأن يخرجوا صحبة الباش فى ذلك اليوم ومن يتأخر لا يسأل ما يجرى عليه . فوقف له جماعة ٩ من الممالك المعينة للسفر ، فقالوا له : ما نخرج ولا نساfer حتى تنفق علينا ثمن جل ستة أشرفية ، وتصرف لنا العليق واللحم المنكسر . فحصل فى ذلك اليوم بمض اضطراب وخرج المجلس مانعاً والعسكر غير راض والأحوال غير صالحة وابن عثمان ١٢ زاحف إلى غزة و نائب غزة أرسل يقول : ادركونا بالعسكر قبل أن يملك ابن عثمان مدينة غزة وتعبوا (٦٢ آ) فى خلاص البلاد من يديه . - وفى يوم الأحد سادسه خرج شخص من الأمراء القدامين المعينين للسفر ، وصار فى كل يوم يخرج منهم ١٥ إلى الوطاق شئ بعد شئ ، والباش جان بردى الغزالى مقيم بالريدانية حتى يكمل خروج العسكر .

وفى يوم الاثنين سابعه تنق السلطان على المسكر المعين للسفر ثمن اللحم عن ثلاثة ١٨ أشهر ، فخص كل مملوك نحو أربعة أشرفية ونصف ، توسعة عليهم ليستعينوا بذلك . -

وفى ذلك اليوم حضر شخصان من الممالك السلطانية ، وكانا فى بمض الضياع عند العرب ، فدخلوا مصر فى هيئة الفلمان بأبشاش عليهم وزموط ، فأخبرا بأن ابن عثمان ٢١ قد تلاشى أمره وأن عسكره مختلف عليه ، وقد وقع بينه وبين خاير بك نائب حلب وربما أشاعوا قتله ، ولم يكن لهذا الخبر صحة فى أمر ابن عثمان ، ولم تثبت صحة هذه الأخبار .

- وفى يوم الأربعاء تاسعه حضر دوا دار خاير بك نائب حلب وزعم أنه قد فر من ابن عثمان ، فأخبر أن ابن عثمان أرسل عسكريا نحو خمسة آلاف فارس صحبة ابن سوار ٣ وقد أشرفوا على أخذ مدينة غزة ، بل أشاعوا أخذها ، وأن نائب غزة قد هرب . فاضطربت الأحوال لهذه الأخبار وتنكد السلطان إلى الغاية ، ونادى فى ذلك اليوم بأن المسكر المتيّن للسفر ممن أخذ النفقة يخرجون فى ذلك اليوم من غير تأخير ، ومن تأخر لا يسأل ما يجرى عليه . - فلما كان يوم الخميس عاشره خرج المسكر على وجوههم مسرعين ، وأشيع سفر السلطان بنفسه وأنه هو الذى يلاقى ابن عثمان ، وصحبته الأمراء قاطبة وسائر المسكر . وحضر صحبة دوا دار نائب حلب أمير كبير غزة وهو فى الحديد ، وجماعة من أجناد الحلقة بغزة وم فى الحديد ، وأرسل نائب غزة يرافع فيهم بأنهم كاتبوا ابن عثمان بأن يحضر إلى غزة ويملكها من غير مانع . فلما حضروا بين يدى السلطان حلفوا له أن هذا الأمر ما وقع منهم ولا كاتبوا ابن عثمان وإنما دولات باى نائب غزة بينه وبين أجناد غزة حظ نفس ، فكذب عليهم بهذه التهمة (٦٢ ب) الباطلة ، فصدّتهم السلطان على ذلك ، وأرسل جان بردى الغزالى نائب الشام يشفع فيهم ويبرؤهم مما قالوه فى حقهم بالباطل ، فسكّهم السلطان من الحديد وأرسلهم إلى تقيب الجيش حتى يتبصر فى أمرهم . - وفى يوم الخميس المقدم ذكره أخلع السلطان على الأمير يوسف البدرى الذى كان وزيرا وقرّره ناظر الذخيرة الشريفة ووكيل بيت المال ، عوضا عن الزينى بركات بن موسى بحكم انفصاله عنها . ١٨ وفى يوم الجمعة حادى عشره ترايد أمر الإشاعات بأن ابن عثمان أرسل إلى غزة عسكريا صحبة جماعة من أمرائه ، منهم شخص يسمى إسكندر باشا وآخر يسمى داوود باشا ، وآخرون من أمرائه ، وأشيع بأنهم قد ملكوا مدينة غزة وأحرقوا منها بمض بيوت ، وأن نائب غزة هرب ، وعسكر ابن عثمان زاحف على مصر ، ٢١ وأن الأحوال غير صالحة . فلما تحقق السلطان [من] هذه الأخبار أشيع أنه يخرج إلى لقاء ابن عثمان بنفسه ، ونادى فى ذلك اليوم بأن الزعر والصبيان الشطار والمناربة (٥) يخرجون : يخرجوا .

وكل من كان مختفيا على قتل قتيل أو عليه دم يظهر وعليه أمان الله والعرض لهم في الميدان ، وأن السلطان يصرف لهم الجوامك والمركوب ، ويكونون صحبة الزردخانة إذا سافر السلطان . فلم تعجب الناس هذه المناذاة لقوله : ولو كانوا قد قتلوا القتل . ٢
يظهرون وعليهم أمان الله ، فكان السكوت عن هذا أجل . فاضطربت الأحوال في ذلك اليوم وارتجفت القاهرة وخرج المسكر الممين للسفر على وجوههم مسرعين . -
وفي ذلك اليوم خرج الأمير خُداردى الأشرقى أحد المقدمين الذى كان نائب الإسكندرية ، فخرج في موكب حفل بغير طلب ، وقدامه الجنايب الحربية ، وصحبته الجمل الغفير من مماليكه ، وقيل كان عنده نحو ثلاثمائة مملوك ، فارتفعت الأصوات (٦٣ آ) بالدعاء من الناس قاطبة للمسكر بالنصر على ابن عثمان ، وقد صارت الناس في وجل بسبب ابن عثمان .

وفي يوم السبت ثانى عشره جلس السلطان على التسكة بالحوش وحضر الأمراء ، فاستحثهم السلطان على أن يخرجوا كلهم في ذلك اليوم فقال الأمير طقطباى حاجب الحجاب : أنا عازمت على السفر إلى البحيرة . وكان السلطان جملة متحدثا في كشوفية البحيرة ، فقالوا الأمراء : الخروج إلى قتال ابن عثمان أوجب من البحيرة وأنت ما خرجت صحبة السلطان الغورى لما سافر ولا نهب لك برك ولا قاش . فتمثل أنه ١٥
ضعيف ، فحصل بينه وبين الأمراء في ذلك اليوم تشاجر عظيم بحضرة السلطان ، وقصد المالك الجلبان أن ينزلوا ينهبوا بيته ويحرقوه ، وقيل إن بعض المالك لكه ، وقاسى من البهدة ما لا خير فيه ، فقرر الحال على أنه يخرج إلى التجريدة صحبة ١٨
الأمراء ، ومنع السلطان المالك من نهب بيته . - وفي ذلك اليوم نادى السلطان للمسكر بالرض قاطبة .

وفي ذلك اليوم خرج قايتباى نائب حماة الذى قرر بها عوضا عن جان بردى الغزالى ، ٢١
فخرج بطاب حربى . - وفي ذلك اليوم خرج الأمير أرزمك الناشف أحد المقدمين وطلب طلبا حربيا ، وكان قدامه جنايب وطبلان وزمران وعلى رأسه صنjq ،

وصارت الأمراء تخرج شيئاً بمد شئء إلى قتال ابن عثمان .

وفى يوم الأحد ثالث عشره جلس السلطان بالميدان وعرض المسكر الذى كان
 ٣ مسافرا فى التجريدة ، فكتبهم إلى السفر ثانيا ولم يترك منهم إلا القليل ، فعرض
 فى ذلك اليوم أربع طباق وكتب غالب من فيها من المالك . ثم فى ذلك اليوم عرض
 السلطان عجلات من خشب تجرها أبقار وفيها رماة بالبندق الرصاص ، فكانوا نحو
 ٦ ثلاثين عجلة أو فوق ذلك ، وعرض جمالا وفوقها مكاحل ورجال يرمون بالبندق
 الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال ، وعرض طوارق خشب بسبب الرماة
 بالنشاب ، فقوى قلب المسكر فى ذلك اليوم على القتال . وأظهر السلطان أنه يخرج
 ٩ بنفسه (٦٣ ب) إلى قتال ابن عثمان ، واستحث بقية الأمراء على الخروج بسرعة ،
 ولم ينفق على الأمراء شيئا ، وقال لهم : اخرجوا قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم
 وأزواجكم فإن بيت المال لم يبق فيه لا درهم ولا دينار وأنا واحد منكم إن خرجتوا
 ١٢ خرجت معكم وإن قعدتوا قعدت معكم وما عندى نفقة لكم .

وفى يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالحوش وعرض من المسكر أربع
 طباق . - وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان تغير خاطره على الزينى بركات بن موسى ،
 ١٥ وأعادته إلى الترسيم بعد ما كان ترشح أمره إلى إعادته إلى وظائفه ، وكان سبب ذلك
 [أن] السلطان لما حصل لابن موسى ما تقدم ذكره قرر عليه مالا فلم يرد منه إلا
 اليسير وادعى المجز ، فلما جاء على السلطان أمر نفقة المسكر وخروجهم بسرعة ضيق
 ١٨ على أصحاب المصادرات ، منهم : ابن موسى ومحمد المهتار وجمال الدين بواب الدهيشة ،
 وآخرون ممن عليهم بواقى الأموال المنكسرة ليستمين بذلك على نفقة المسكر ، ومن
 حين قرر يوسف البدرى فى وظائف ابن موسى ثلاثى أمر ابن موسى وآل أمره إلى
 ٢١ المكس والزوال . - وفى يوم الاثنين المقدم ذكره خرج الأمير طقطبى حاجب الحجاب
 وتوجه إلى السفر ، فطلب طلبا حرييا وقدامه طبلان وزمران وبعض جناب ، كما خرج
 أرزمك الناشف . - وفيه خرج الأمير قانصوه الفاجر أحد المتقدمين وتوجه إلى السفر .

- وفي يوم الثلاثاء خامس عشره جلس السلطان بالميدان وعرض بقيّة العسكر ، ثم نادى في ذلك اليوم بأن الأمراء والعسكر يخرجون في بقية هذا اليوم ، ومن تأخّر لا يسأل ما يجري عليه . وقد خرج هذا العسكر في قلب الشتاء في وسط الأربعانية ٣ وقاسى غاية المشقة . - وفي ذلك اليوم خرج الأمير تانى بك النجمى أحد الأمراء المقدمين وطلب طلبا حرييا .
- وفي يوم الخميس سابع عشره خرج الأمير ألاس والى القاهرة وبرّز إلى السفر في ذلك اليوم . - وفيه قبض على شخص أعجمى كان يصنع السنبوسك (٦٤ آ) في قناطر السباع ، فوجدوه قد عمد إلى كلب أسود سمين فذبجه وسلخه وصنع منه السنبوسك ، فلما قبضوا عليه أحضروه بين يدى الأمير ماماي المحتسب ، فضرب العجمى بالمقارع ٩ وأشهره في القاهرة والكلب معلق في رقبتة بجبل ، فطافوا به هو ورفيقه في المدينة ثم سجنوها في المقشرة ، ولم تزل الأعجم يقع منهم هذه الأفعال الشنيعة من قبل ذلك .
- وفي يوم الاثنين حادى عشره وقع فيه من الحوادث أن بعض المماليك السلطانية ١٢ خرجوا يسرون إلى نحو المطرية ، فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحجاج ، فلما قربوا منهم فإذا هم من جماعة ابن عثمان ، فقالوا لهم : من أنتوا . فقالوا نحن قصاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان ، وكانوا نحو خمسة عشر إنسانا ، وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليه ثياب نخل ، ورأوا صحبتهم شخصا من مصر يقال له عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الأتابكي سودون العجمى ، فلما قُتل وملاك ابن عثمان حلب والشام تحشّر فيه بواسطة يونس العادلى والسمرقندى ، فلما ١٨ أرسل ابن عثمان هذا القاصد ما جسرُوا يَجُؤُوا من على غزّة ، فإن نائب الشام جان بردى الفزالى كان بالقرب من غزّة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزّة ، فبَرَّط القاصد بعض العربان بمال له صورة حتى أتوا بهم من طريق غير الدرب السلطاني ، وطلع بهم من على ٢١ التيه وأتوا بهم إلى عجرود ، فاشمروا بهم أهل مصر إلا وهم في وسط المدينة ، فلما

(٢) يخرجون : يخرجوا . (١٣) يسرون : يسروا .

(١٩) يجؤا : كذا في الأصل ويعنى : يجيئون . (٢٠) الذين : الذى .

صدفهم هؤلاء المماليك قبضوا على القاصد وعلى جماعته وعلى ابن محاسن ووجدوا معهم
ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع . فبينما هم على ذلك فرأوا ثلاثة أنفار من الأروام
الذين في خان الخليلي قد أتوا إليهم وسلموا عليهم وباسوا أيديهم ، فقبضوا عليهم ٣
هؤلاء المماليك ، وقالوا لهم : من أين علمتوا أن هذا القاصد يحيى اليوم حتى أتيتوا إليه
ما إئتوا إلا جواسيس من عند ابن عثمان . فقبضوا عليهم بعد ما (٦٤ ب) أشبعوهم
ضربا وأتوا بالكل إلى بيت الأمير علان الدوادر الكبير . فلما دخل القاصد إلى ٦
بيت الأمير علان ، قالوا له : أنزل عن فرسك وسلم على الأمير الدوادر . فلم يوافق
على ذلك وأغلظ عليهم في القول ، ثم سل سيفه وهاش على من حوله من جماعة
الدوادر ، فلما رأى الدوادر ذلك رسم للمماليك أن يزلوه من على فرسه غصبا ، فأنزلوه ٩
وأخذوا سيفه منه ، ثم بهدلوه ومن معه من العثمانية وضربوهم وصكّوهم وعروهم من
أوابهم ، ووضعوهم في الحديد بعد ما قد قاسوا غاية البهدة من جماعة الدوادر ، فلما
بلغ السلطان ذلك رسم للأمير مُغلباي دوادار سكين ، الذي كان السلطان الفوري ١٢
أرسله إلى ابن عثمان وحصل منه في حقّه غاية البهدة ، فقال له السلطان : أنزل وبهدل
قاصد ابن عثمان كما بهدلوك . فأخذ خشدأشينه وتوجه بهم إلى بيت الأمير علان على
أنهم يوقعون في جماعة ابن عثمان فعلا من أنواع البهدة أوقتلونهم فما مكّهم الأمير علان ١٥
من ذلك .

ثم قبضوا على عبد البرّ ابن محاسن الذي حضر صحبتهم ، فلما مثل بين يدي
السلطان شرع يطنب في أوصاف ابن عثمان وفي ترايد عظمتة ، فن جملة ما حكى عنه ١٨
أنه لما دخل إلى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة أهل مصر ، من جلّتهم
خليفة سيّدى أحمد البدوى وآخرون من الأعيان ممن تخلفوا بحلب ، وأخبر أن عسكر
ابن عثمان فوق ستين ألف مقاتل ، وأنه خطب باسمه من بغداد إلى الشام على النّابر ، ٢١
وأن معاملته في الذهب والفضة ماشية من بغداد إلى الشام ، وأنه لما دخل إلى الشام
وملكها شرع في عمارة سور وأبراج من القابون إلى آخر مدينة دمشق ، وجعل

- في ذلك السور أبوابا تغلق على المدينة وهو في حمة زائدة ويقول: ما أرجع حتى أملك مصر وأقتل جميع (٦٥ آ) من بها من المالك الجراكسة . وأخبر أن ابن عثمان ينحجب عن عسكره أيا ما لا يظهر فيها ، ففي هذه الدة يفتك عسكره في المدينة ٣ ويتجاهرون بأنواع المعاصي والفسوق ، وأنهم لا يصومون في شهر رمضان ويشربون فيه الخمر والبوزة ، ويستعملون فيه الحشيش والشخيب ، ويفعلون الفاحشة بالصبيان المرد في شهر رمضان ، وأن ابن عثمان لا يصلى صلاة الجمعة إلا قليلا . ٦
- وقد أشيع عن ابن عثمان هذه الأخبار الشنيعة من غير ابن محاسن ، ممن يشاهد هذا من أفعال عسكره بحلب والشام ، فلما أطلب ابن محاسن في أخبار ابن عثمان حنق منه السلطان وقال له : أنت جاسوس من عند ابن عثمان أتيت لتكشف عن ٩ أخبارنا وتطالعه بذلك . فرسم بسجنه في البرج الذي بالقلمة فسجن به ، وأقام أيا ما حتى طلع الأتابكي سودون الدواداري وشفع فيه حتى أطلقه من البرج ، وقد قطع ١٢ قلوب العسكر بما حكاه عن ابن عثمان . ثم إن السلطان رسم بشنق اثنين من العربان الذين أتوا بالقاصد من هذه الطريق التي كانت مخفية عنهم . وأشيع أن حضر محبة القاصد من جماعة ابن عثمان نحو أربعين نفرا فاختموا في القاهرة ، فلما بلغ السلطان ذلك نادى في خان الخليلي بأن أحدا لا يأوى عنده غريبا من جماعة ابن عثمان ومن ١٥ غمز عليه بأن عنده أحدا من العثمانية شنق على دكانه من غير معاودة .
- ثم إن السلطان أرسل أخذ المطالعات الذي حضروا على يد القاصد ولم يقابله ، فوجدوا معه عدة مطالعات للأمراء والباشيرين وأعيان الديار المصرية . فالذى أشيع ١٨ عن مطالعة السلطان غالب ألفاظها باللغة التركية ، فكان من مضمونها : من مقامنا السعيد إلى الأمير طومان باي ، أما بعد فإن الله تعالى قد أوحى إليّ بأن أملك الأرض والبلاد من المشرق إلى المغرب كما ملكها الإسكندر ذو القرنين . ومن جملة المطالعة ٢١ وعد ووعيد وتشديد وتهديد ومن جملة ذلك : إنك مملوك منباع مشتري ولا تصح لك

(٣) يفتك : يفتكوا . (١٢) اثنين : اثنان . (١٣) الذين : الذي .

(١٧) الذي حضروا : كذا في الأصل .

ولاية ، وأنا ملك ابن (٦٥ ب) ملك إلى عشرين جدّ وقد توليت الملك بعهد من الخليفة ومن قضاة الشرع . وذكر في مطالعته أشياء كثيرة من هذا النمط : وأنى أخذت الملكة بالسيف بحكم الوفاة عن السلطان النورى ، فاحمل لى خراج مصر فى كل سنة كما كان يُحمل للخلفاء ببلاد . واحتفل حتى قال : أنا خليفة الله فى أرضه وأنا أولى منك بخدمة الحرمين الشريفين . ثم ذكر فى أثناء المطالعة : وإن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة فى مصر باسمنا وكذلك الخطبة ، وتكون نائباً عنا بمصر ، ولك من غزّة إلى مصر ولنا من الشام إلى الفرات ، وإن لم تدخل تحت طاعتنا وإلا أدخل إلى مصر وأقتل جميع من بها من الأتراك حتى أشقّ بطون الحوامل وأقتل الجنين الذى فى بطنها من الأتراك . وأظهر التعاطف وقوة البأس ولعل الله تعالى أن يخلّذه بسبب هذا التعاطف الزائد . وفى آخر مطالعته : وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا . فلما قرئت هذه المطالعة على السلطان بكى وحصل له غاية الرعب ، وكانت المالك الجلبان اتفقوا على أنهم إذا طلع القاصد إلى القلعة يقطعونه بالسيوف ، فلم يطلع إلى القلعة بسبب ذلك .

فلما أشيع بين الناس بما فى مطالعة ابن عثمان من هذه الدعاوى العريضة مما تقدم ذكره ، اضطربت أحوال الديار المصرية وأخذ كل أحد حذره من ابن عثمان ، وقالوا : مثلما طرقتنا قصاده على حين غفلة كذلك يطرقنا هو أيضا على حين غفلة . فشرع الناس فى تحصيل أماكن فى أطراف المدينة وجوانبها ليختموا فيها إذا دخل ابن عثمان إلى مصر ، وبعض الناس عول على أنه ينزل فى مراكب هو وعياله وأولاده ويتوجّه بهم إلى أعلا الصعيد إذا تحقّق مجىء ابن عثمان . وأشيع أن خايرك بك نائب حلب الذى عصى ودخل تحت طاعة ابن عثمان ، أرسل مطالعات إلى بعض الأمراء القدامى وهو يرغبهم فى الدخول تحت طاعة ابن عثمان ، وشرع يطنّب فى محاسنه وعده فى (٦٦ آ) الرعية ، وأنه إذا دخل إلى مصر يبقى كل أحد من الأمراء على وظيفته وعلى رزقه ، وكل هذا حيل وخداع حتى يتمكن من الدخول إلى مصر .

ثم إن السلطان نادى للعسكر بأن أول النفقة يوم الأربعاء ثالث عشرين الشهر ، ٢٤

- جلس السلطان بالحوش على التكة وطلع المسكر ليقبض النفقة ، فلما ظلموا نفق عليهم لكل مملوك ثلاثين دينارا وجامكية ثلاثة أشهر بمشرين دينارا . فأرموا تلك النفقة في وجهه وقالوا : ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار لكل مملوك فإننا لم يبق عندنا ٣ لا خيول ولا قاش ولا برك ولا سلاح . فنزلوا كلهم من القلعة على حمية وهم على غير رضى ، فحنق منهم السلطان وقام من على التكة وطلع إلى القعد وقال : ما أقدر على مائة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال ، وإن لم ترضوا بذلك فوّلوا لكم من ٦ تختاروه في السلطنة وأنا أتوجه إلى مكة أو غيرها من البلاد . فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب ، وأشيع أن بعض المالك قال للسلطان : إن كنت تعمل سلطانا فامش على طريقة من تقدمك من السلاطين ، وإن رحت لعنة الله عليك ، غيرك يجي ٩ يعمل سلطانا . فسمع ذلك بأذنه منهم ، وأشيع أن السلطان قال للمسكر : إئتوا أخذتوا من السلطان الثورى مائة وثلاثين دينارا ولم تقاتلوا شيئا وكسرتوا السلطان وأخنتوا به حتى قتل منكم قهرا . فنزل المسكر من القلعة على غير رضى ، وأشيع إثارة فتنة بين ١٢ المسكر . - ثم إن في ذلك اليوم نادى السلطان بأن جميع الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وجميع المسكر من الخاصكية والجدارية ، يظلمون غدا ، باكر النهار ، فإن المرض عام ، فانفض المجلس على ذلك . ١٥

- فلما كان يوم الخميس رابع عشرينه جلس السلطان على التكة بالحوش وطلع الأمراء قاطبة والمسكر ، وطلع سيدى ابن السلطان الثورى ، فقال السلطان : أذى ابن أستاذكم قد حضر (٦٦ ب) أسألوه إن كان أبوه ترك في الخزائن شيئا من المال ١٨ فيخبركم بذلك ، وإن كان تسلطنوه فأننا أول من يبوس له الأرض . فقال المالك الجلبان : نحن نسافر بلا نفقة حتى نأخذ بثأر أستاذنا . وقالت المالك القرانصة : نحن ما نسافر حتى يعطينا مائة وثلاثين دينارا كما أعطى من سافر قبلنا . فانفصل ٢١ المجلس مانما أيضا ، وكثر القال والقيل في ذلك اليوم . وأشيع أن بعض الأمراء

(٢) تلك : ذلك . (٣) لم يبق : لم يبق . (٧) تختاروه : كذا في الأصل ، وتلاحظ

فيما على عامية الأسلوب . (٩) فامش : فامض . (١١) تقاتلوا : تقالوا . (١٤) يظلمون : يظلموا .

قال للسلطان : اعمل كما عمل الأشرف قايتباي والسلطان الفورى وخذ من الأملاك والأوقاف والرزق والإقطاعات ، لتستعين بذلك على النفقة بسبب العدو عن مصر .
 ٣ فلم يوافق السلطان على ذلك ، وقال : ما أحدث فى أياى هذه المظلمة أبدا . فشكره الناس على ذلك ودعوا له ، ولو فعل ذلك جاز على الناس ، وقالوا بعذره لأجل دفع العدو ، وما تمّ فى الجزائن مال ، ولكن وقفه الله تعالى إلى فعل الخير وسُطر أجر ذلك فى صحيفته إلى يوم القيامة ، فكان كما يقال فى المعنى :

للخير أهل لا تزال وجوههم تدعو إليه

طوبى لمن جرت الأمور الصالحات على يديه

٩ وفيه أشيع أن السلطان أرسل يقول لابن الملك المؤيد وأولاد الملك المنصور وأولاد الأمراء الذين بمصر : اعملوا يرقمكم واخرجوا للسفر والذى ما يسافر منكم يقيم له بديل عنه للسفر . وقيل وزّع على جماعة من المباشرين والخدام من الطواشية مالا له صورة مساعدة للسلطان على النفقة . وشرع السلطان فى بيع قماش وسلاح ،
 ١٢ والتحف من الذخيرة ، وصوف وسمور وبلبكي وغير ذلك من الأصناف . وأخذ من ابن السلطان الفورى مالا له صورة بسبب النفقة على المسكر . - وفيه أشيع أن السلطان أرسل بعض الخاصكية إلى الأناىكى قيت الرجبى لينقله من ثغر الإسكندرية إلى ثغر دمياط . وأرسل مراسيم شريفة إلى الظاهر قانصوه الذى بثغر الإسكندرية بأن يسكن فى قاعة الملك المؤيد التى بالإسكندرية ، وأن يركب ، ويصلى صلاة الجمعة مع
 ١٥ الناس فى الجامع ، وأن يستريح نحو البساتين التى بالإسكندرية (٦٧ آ) . - وفى يوم الجمعة خامس عشرينه خرج الأمير خاير بك المعار أحد الأمراء المقدمين والأمير أربك المسكل ، فخرجا فى ذلك اليوم إلى التجريدة وطلبا أطلابا حربية . - وفى يوم السبت سادس عشرينه طلع المسكر بسبب المرض ، ولم يطلع فى ذلك اليوم أحد من
 ٢١ الأمراء المقدمين ، واحتجب السلطان فى الدهيشة ولم يخرج إلى المسكر ، فزلوا إلى بيوتهم من غير طائل . - وفى ذلك اليوم نادى السلطان بأن لا أحد من الناس

يتجأهر بشيء من المعاصي ، وأن لا يهودى ولا نصرانى يبيع جرة خمر ، ومن شهر عليه يبيع الخمر شتى من غير معاودة ، وكذلك البوزة والحشيش ، فلم يسمع له أحد ذلك ولم ينتهوا عما هم فيه .

٣

وفى ذى الحجة كان مستهل الشهر يوم الخميس ، فطلع القضاة الذين تولوا جديدا فى الشهر الماضى فماتوا السلطان بالشهر ونزلوا إلى دورهم . - وفى ذلك اليوم نادى

السلطان للمسكر بأن أول النفقة يوم السبت ثالث الشهر ، وقد اتفق مع المسكر على

أنه ينفق لكل مملوك خمسين دينارا ، ويصرف لهم ثمن اللحم المنكسر ،

خمس أشهر ، والمليق المنكسر ، فتراضوا على ذلك . - وفيه أنتم السلطان بأمرات

عشرة على جماعة من الخاصكية نحو عشرة أنفس ، منهم شخص يقال له خير بك

البحمدقدار وهو من خيار ممالك الأشرف قايتباى . - وفيه أشيع أن السلطان خرج

عن ألف دينار فرقها على الفقراء الذين فى الزوايا وفى المزارات التى بالقرافة وغيرها

من المزارات ، وفرق عليهم أيضا قححا لكل زاوية خمسة أراذب ، وقال لهم : ادعوا

بالنصر للسلطان وهلاك المدوّ . وقرأ عدة ختمات فى المزارات ، منهم عند الإمام

الشافى والإمام الليث رضى الله عنهما وغير ذلك من المزارات . - وفيه استحث

السلطان أولاد السلاطين وأولاد الأمراء والباشيرين والخدام فيما كان قرره عليهم

من المال بسبب النفقة . وأشيع أنه أخذ من ابن السلطان النورى مالا له صورة ،

وقيل إن السلطان النورى كان قد خصص ولده قبل أن (٦٧ ب) يسافر إلى البلاد

الشامية بمائة ألف دينار ، هكذا أشيع .

وفى يوم السبت ثالثه طلع المسكر إلى القلعة ليقبضوا النفقة كما نادى لهم . فورد

على السلطان فى ذلك اليوم أخبار رديّة بأن المسكر الذى توجه إلى غزّة قد انكسر

فى يوم الأحد سابع عشرين ذى القعدة . ومن المعجائب أن الوقعة الأولى التى انكسر

فيها السلطان النورى كانت يوم الأحد خامس عشرين رجب ، فكان التفاوت بينها

(١) يبيع : يبيع . (١١٤) الذين : الذى . (١٠) ممالك : الممالك .

(٢١ و٢٢) التى : الذى .

وبين هذه الوقعة يوما واحدا ، وهذا من المعجائب ، وهذه الكسرة الثانية كانت يوم الأحد . وكان من ملخص أخبار هذه الكسرة أن جان بردي الغزالي نائب الشام خرج إلى التجريدة قبل المسكر بمدة أيام ، وصارت الأمراء والعسكر يخرجون بعده مفرقين بتكاسل زائد ، فلما أبطأوا على الغزالي جمع بعض عربان وتقدم إلى غزوة ، هو والأمير أوزمك الناشف أحد المقدمين ، والأمير خُداردي الذي كان نائب الإسكندرية أحد المقدمين ، وأصله من ممالك السلطان الفوري ، وقايتباي الذي ولي نيابة حماة ، ودولات باي نائب غزوة ، وجماعة من المالك السلطانية ، فقاطموا على عسكر ابن عثمان من طريق غير درب السلطاني ، فتلاقوا مع عسكر ابن عثمان في الشريعة بالقرب من بيسان . ٣ ٦ ٩

وكان باش عسكر العثمانية الأمير سنان باشا ، وآخرون من أمرائه ، ومن العساكر العثمانية الجم الغفير ، وكان جان بردي الغزالي في فئة قليلة من العسكر ، فوقع بين الفريقين هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصي ، وكان ذلك بالقرب من بيسان ، فانكسر الأمير جان بردي الغزالي ومن معه من الأمراء ، وقتل الأمير خُداردي أحد الأمراء المقدمين ، وقتل الأمير على باي السيفي أزال دمر الدوادار أحد الأمراء الطبلخانات . وأشيع موت جماعة من الأمراء ، ولكن لم أقف على صحة من قُتل من الأعيان في هذه المركة . وأشيع أن جان بردي الغزالي قد جرح ، والأمير أوزمك الناشف أيضا ، وقتل من المالك السلطانية جماعة ومن العلمان ما لا يحصى عددهم (٦٨ آ) وقد حُرِّت رءوسهم بالسيف . ١٢ ١٥ ١٨

وقيل إن هذا الخبر ورد من عند الأمير طُقطباي حاجب الحجاب ، وكان من حين خرج إلى السفر وهو مقيم بالصالحية ، فورد عليه بعض المالك السلطانية وأخبره بذلك ، فطالع السلطان بما جرى من أمر هذه الحركة المهولة . وأشيع أن عسكر ابن عثمان احتوى على برك الغزالي وأوزمك الناشف لما وقعت الكسرة ، فلم يتركوا لها ٢٧

(٤) أبطأوا : أبطوا . (١٦) في : من .

بِرَّكَاً ولا سنيحاً ولا خيولاً ولا جبالاً ولا سلاخاً ، وقد تقوّوا العثمانيّة ثانياً بهذه الكسرة الثانية ، ولم ينج من عسكر مصر في هذه الحركة إلا من طال عمره . وقيل إن ممالك النورى هم الذين أخذوا بالعسكر وبادروا بالمهروب حتى وقعت هذه الكسرة ٣ الثانية . فلما تزايدت الأقوال في ذلك عيّن السلطان الأمير سنبل مقدّم الممالك بأن يتوجّه إلى الصالحية ليكشف الأخبار ، فخرج من يومه وسافر .

- ٦ وفي يوم الأحد رابعة وقعت حادثة مهولة ، وهو أن السلطان نزل إلى الميدان ، واجتمع الأمراء والعسكر ، فلم يشعروا إلا وقد قامت ضجّة كبيرة في الرملة ، وأشاعوا أن عسكر ابن عثمان قد وصل إلى الريدانية ، فقال السلطان للعسكر : كم قتل لكم اخرجوا للتجريدة ما رضوا تسافروا ، فاخرجوا لاقوا ابن عثمان . فلبس العسكر آلة ٩ الحرب وركبوا فاطية ، ورُجّت القاعرة رجاً مهولاً ووُزّع الناس قاشهم في الأماكن المحفّية . فلما اضطربت الأحوال وركب العسكر فتوجّهوا إلى الريدانية فلم يروا هناك أحداً من العثمانيّة ، فرجع العسكر إلى بيوتهم بعد ما ارتجّت القاهرة وعلّت الناس ١٢ على أن يحتفوا في فساق الموتى . ثم أسفرت هذه الواقعة على أن جماعة من المربان نزلوا من الجبل وأتوا إلى الريدانية ، فأشاع الذي رآهم عن بُد أنهم من العثمانيّة ، فانتشرت هذه الأخبار في القاعرة من غير سبب . - وفي ذلك اليوم أفرج السلطان ١٥ عن الأمير قانصوه الأشرفى الذى كان نائب قلعة حلب وسلم القلعة إلى ابن عثمان من غير مشقّة ولا محاصرة ، فتغيّر حاطر السلطان عليه بسبب (٦٨ ب) ذلك وسجنه في البرج بالقلعة ، فأقام به مدّة ثم أفرج عنه في ذلك اليوم . ١٨

- وفي يوم الاثنين خامسه دخل الأمراء والعسكر الذين توجهوا إلى غزّة وانكسروا من عسكر ابن عثمان ، فدخل جان بردى النزالى وأرزمك الناشف وبعض أمراء ٢١ عشرات ، ودخل العسكر وهم في آنحس حال مما جرى عليهم من النهب والقتل ، آنحس من المرة الأولى ، فدخل بعض الممالك السلطانية وهو راكب على حمار ، وثى على جال ، وقد نهب قاشهم وخيولهم وسلاحهم ، ولم يسلم من القتل إلا من كان في أجله فسحة .

(١) بهذه : بهذا . (٢) ولم ينج : ولم ينجوا . (٣) الذين : القى . (٢٣) إلا : إلى .

وذكروا عن عسكر ابن عثمان أن معهم أرماع بكلايب يخطفون بها الفارس من على فرسه ، وقيل إنهم اختطفوا جان بردى الغزالي من على فرسه وألقوه على الأرض ، ولولا غلماناه قاتلوا عنه العمانية حتى خلصوه وإلا كانوا حزوا رأسه مثل الأمير خُداردى الذى قُتل . وحكوا عن عسكر ابن عثمان أنهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم ، وأنهم معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها أبقار وجاموس في أول المسكر ، وأن معهم رماح بكلايب حديد إذا قربوا من الفارس اختطفوه من على فرسه ، وحكوا عنهم أشياء كثيرة من هذا النمط .

وحضر محبة الأمراء دولات باى نائب غزوة الذى كان بها ، وحضر أيضا الأمير بخشباى الذى كان مشد الشون ، أخو الأمير كرتباى الذى كان والى القاهرة ، وكان أشيع موته فى الواقعة التى وقعت فى مرج دابق فظهر أنه فى قيد الحياة وكان مختفيا عند العرب فحضر فى ذلك اليوم . وحضر أيضا شخص من الأمراء المشرات يقال له قرفاس الرجبي ، وكان أشيع موته فى الواقعة التى كانت على مرج دابق فظهر أنه فى قيد الحياة . بعد ما خرجت أمرتاهما . وحضر أيضا جماعة كثيرة كان أشيع موتهم فظهر أنهم فى قيد الحياة . فلما طلع الأمير جان بردى الغزالي والأمير أرزمك الناشف إلى القلعة أنبئتهما السلطان سلاريات بسمور وزلا إلى دورها ، وقد فرح كل أحد من الناس بسلامتهما ، إنهما فرسان الإسلام ، فدقت لهم البشار (٦٩ آ) على أبواب دورها . فلما حضر الغزالي ومن معه من الأمراء والعسكر ظهر أمر من قُتل من الأمراء والعسكر والغلمان ، فصار فى كل حارة نبي مثل أيام الفصول .

وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بأن أول النفقة يوم الثلاثاء سادسه ، فلما طلع النهار بادر العسكر بالطلوع إلى القلعة ، فابتدأ السلطان بتفرقة النفقة على العسكر ، فأعطى لكل مملوك خمسة وعشرين دينارا ، وأعطاهم ثمن الأضحية على العادة . وكان السلطان أولا سأل العسكر بأن يعطيهم ثلاثين دينارا لكل مملوك فأبوا من ذلك ، فلما رأوا عين الخد وأن ابن عثمان زاحف على البلاد وقد وصل أوائل عسكره إلى قطيا ،

فرَضُوا بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ دِينَارًا نَفَقَةً وَزَلُّوا مِنَ الْقَلَمَةِ وَأَخَذُوا فِي أَسْبَابِ آلَةِ السَّفَرِ . -
وفيه ورد على السلطان أخبار رديّة بأن سنان باشاه أحد أمراء ابن عثمان الذي ملك
مدينة غزّة ، قد لعب في أهل غزّة بالسيف وقتل منهم نحو ألف إنسان ما بين رجال ٣
وصنار حتى النساء ، وكان سبب ذلك أن الغزالي لما تلاقى مع سنان باشاه على الشريعة ،
فأشيع في غزّة بأن الغزالي قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشاه وعسكر
ابن عثمان ، فبادر على باي دوادار نائب غزّة وأجناد غزّة فذهبوا وطاق العثمانية ٦
وأحرقوا خيامهم ، وقتلوا من كان بالوطاق والمدينة من العثمانية نحو أربعائة إنسان
ما بين شيوخ وصبيان ، ومن كان بها مريضا ، وأحرقوا الخيام التي كانت في وطاقهم ،
فلما ظهر أن الكسرة على عسكر مصر وقُتل مَنْ قُتل من الأمراء رجع سنان باشاه ٩
إلى غزّة فوجد من كان بها قُتل ونهب الوطاق ، فجمع أهل غزّة قاطبة ، وقال لهم :
من فعل ذلك بنا ؟ قالوا : على باي دوادار نائب غزّة وأجناد غزّة ولم تفعل نحن شيئا
من ذلك . فأمر سنان باشاه بكبس بيوت أهل غزّة ، فوجدوا بها قاش العثمانية ١٢
وخيولهم وخيامهم وسلاحهم ، فقال لهم سنان باشاه : نحن لما دخلنا غزّة شوّشنا
على أحد منكم (٦٩ ب) أو نهبنا لكم شيئا ؟ قالوا : لا . فقال لهم : فكيف فعلتم
أنتم بمسكرنا ذلك ؟ فلم يأتوا بعذر ولا حُجّة ، فعند ذلك أمر عسكره بأن يلعبوا فيهم ١٥
بالسيف فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده ، وراح الصالح بالطالح ، وكان ذلك في الكتاب
مسطورا ، كما يقال في المعنى :

١٨ إن تَرَمَكَ الْأَقْدَارُ فِي أَزْمَةٍ أَوْجَبَهَا أَجْرَامُكَ السَّالِفَةُ
فَادْعُ إِلَى رَبِّكَ فِي كَشْفِهَا لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِهِ كَاشِفَةٌ

وأشيع أنهم أحرقوا في غزّة بعض أركان للأمراء الذين بها ، وربما عوقب مَنْ
لا جَنَى . - وفي يوم الأربعاء سابعه حضر [إلى] الأبواب الشريفة جماعة من طوائف ٢١
العربان من عزالة ومحارب ومن عربان هواراة والمابد ، وكان السلطان أُلزم مشايخ

(٨) التي : الذي . || كانت : كانوا . (١٧) مسطورا : مستطورا . (٢٠-٢١) وأشيع ...

لا جنى : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

العربان بأن يأتوا إلى الأبواب الشريفة ومحبتهم جماعة من فرسان العرب ممن هو أشجعهم حتى يتوجهوا محبة التجريدة مع المسكر ، فلما حضروا نزلوا بالجيزة واجتمع بها الجمل الغفير من العربان ، ثم دخلوا إلى الرملة ونزلوا بها حتى يمرضهم السلطان في الميدان . وقد انحطّ قدر الترك عند العرب والفلاحين والناس قاطبة بسبب هذه الكسرات التي وقعت للمسكر وتملك ابن عثمان البلاد الشامية ، وثبت عند الناس أن دولة الأتراك قد آلت إلى الانقراض ، وأن ابن عثمان هو الذي يملك البلاد ، وسار جماعة من الفلاحين إذا أتاهم قاصد من باب أستاذهم يقولون : ما نمطى خراج حتى يتبين لنا إن كانت البلاد لكم أو لابن عثمان ، فنبقى نوزن الخراج مرتين . وقد اضطربت الأحوال برآ وبجرا والأمر في ذلك إلى الله تعالى .

وفيه أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتفريق القاصد الذي حضر من عند ابن عثمان ، وقد تقدم ذكر ذلك ، فأشيع أنهم غرقوه ومن معه من الممائية تحت الليل ، هكذا أشيع القول بتفريقهم . - وفيه ابتداء السلطان بتفرقة الأنحية على المسكر ، ولم يعط المالك الذين كانوا محبة الغزالي وانكسروا ، فقال لهم السلطان : اتقوا هربتوا ولم تقاتلوا شيئا وأخنيتموا بالأمراء حتى انكسروا . فلم يعطهم أنحية . - وفيه أشيع (٧٠ آ) بين الناس أن أوائل عسكر ابن عثمان قد وصل إلى قطيا ، وقد ملكوا القلعة التي بالطينة ، وهرب من كان بها من أولاد الناس القاطنين بها ، وقيل لم يثبت أمر هذه الإشاعة . - وأشيع أن ابن عثمان أرسل أرمي في آبار المناهل التي يمرّون عليها عسكر مصر ، فأرمي فيها ربما ، وقيل ألقى بها السم في الماء عن ما أشيع بين الناس .

وفي يوم السبت عاشره كان عيد النحر ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد ، وطلعت الأمراء بالشاش والقماش على جاري المادة ، وكان موكب العيد حافلا ، لكن كانت الناس في غاية الوجل والخوف من ابن عثمان ، وقد بلغ الناس أن أوائل عسكره قد وصل إلى قطيا ، ولا سيما ما بلغ الناس ما فعله عسكر ابن عثمان بأهل غزة من القتل

(١٣) الذين : الذي . (١٤) فلم يعطهم : فلم يعطهم . (١٦ و ١٧) التي : التي .

(١٧-١٨) وأشيع ... بين الناس : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

والنهب وسبي النساء وقتل الأطفال كما أشيع ذلك .

- وفي يوم الاثنين ثاني عشره أخرج السلطان الزردخاناه الشريفه التي يرسلها محبة
العسكر ، فجلس بالميدان وانسجبت قدّامه المجلات الخشب التي كان صنعها بسبب
التجريدة ، فكان عدتها مائة عجلة ، وتسمى عند العثمانية عربة ، وكل عربة منها
يسحبها زوج أبقار ، وفيها مكحله نحاس ترمى بالبندق الرصاص ، فنزل السلطان من
للمقد وركب وفي يده عصا ، وصار يرتب العجل في مَشْهِيها في الميدان ، ثم انسحب
بمسد العجل مائتا جل محملة طوارق نحو ألف وخمسمائة طارقة ، ومحملة أيضا بارود
ورصاص وحديد ورماح خشب وغير ذلك ، وقدّام المجلات أربع طبول وأربع زمور
وقدّامها من الرماة نحو مائتي إنسان ما بين تركمان ومغاربة ، وبأيديهم صنّاجق بملبكي
أبيض وكندكي أحمر ، وهم يقولون: الله ينصر السلطان. وجماعة من النفطية ما بين عبيد
ونفطية يرمون بالنفط قدّام المجلات وركب قدّامها الأمير مغلباي الزردكاش الكبير ،
ويوسف الزردكاش الثاني، وجماعة من الزردكاشية، وعبدالباسط ناظر الزردخاناه، والشهابي
أحمد بن الطولوني ، وقدّامهم الجمل الفقير من التجّارين والحدّادين الذين تعيّنوا للسفر
مع التجريدة ، فخرجوا من باب الميدان (٧٠ ب) إلى الرملة ، ونزلوا من على القبو
وشقّوا من البسطين ، ودخلوا من باب زويلة وشقّوا من القاهرة ، فرجّت لهم في ذلك
اليوم القاهرة واصطفت الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، وكان يوما مشهودا ،
وارتفعت الأصوات من الناس بالدعاء للعسكر بالنصر على ابن عثمان الباغى ، وتباكت
الناس لما عاينوا تلك المجلات والمكاحل والمهمة العالية التي من السلطان فيما صنعه ،
فاستمروا شاققين من القاهرة حتى خرجوا من باب النصر وتوجّهوا إلى الريدانية عند
تربة العادل التي هناك . وأشيع أن امرأة قُتلت في ذلك اليوم ، من شدة الازدحام
في ذلك اليوم ، فلما وصلوا بالمجل إلى تربة العادل صقّوم هناك إلى أن تخرج الأمراء ،
فكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة في الفرجة .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره أشيع أن بعض الأمراء شفع في المالك الذين حضروا

- من غزوة ولم يصرف لهم السلطان الأضيحة ، فأصرفها لهم في ذلك اليوم بعد ما وبّخهم بالكلام ، وقال لهم : كيف هربتموا حتى كسرتوا الأمراء ولم تقاتلوا شيئا وبقي وجهكم أسود بين الناس . - وفي يوم الأربعاء رابع عشره حضر إلى الأبواب الشريفة ٣ الناصري محمد بن الريس شمس الدين القوصوني رئيس الطب ، وكان في حلب في الأمر عند ابن عثمان ، فهرب من هناك مع العربان وغرم لهم مالا له صورة حتى أتوا به إلى مصر ، فطلع وقابل السلطان في ذلك اليوم ، وقد غيّر هيئته وحلق ذقنه وتزايأ بزيّ ٦ العرب حتى تخلّص من جماعة ابن عثمان ، وأخبر السلطان أن قد بلغه عن ابن عثمان أن عسكره مختلف عليه ، وأن مات له من الجمال والخيول ما لا يحصى عددها من الثلج الذي وقع بالشام ، وأن الغلاء مهمهم موجود ، وأن عسكره قد تقلّب من البرد والثلج ٩ وموت الخيول . وأشيع في ذلك اليوم أن عسكر ابن عثمان الذي كان في غزوة قد رحل عنها وقد صارت العربان تقتل منهم في كل يوم جماعة كثيرة (٧١ آ) ممن يجدونه ١٢ في الضياع فيقتلونهم ويهربون في الجبال .
- وفي يوم الاثنين خامس عشره طلع العسكر ليقبض الجامكية فقالوا لهم الطواشيّة : يا أغوات ما فيها اليوم جامكية ، البلاد خراب والعرب مفتنة في الطرقات ، ومشايخ ١٥ العربان والمدركين ما أرسلوا من التقاسيط التي عليهم شيئا ، فإن حصل شيء على يوم الاثنين فينفقوا عليكم . فنزل العسكر من القلعة وهو في غاية النكد ، فإن لهم ستة أشهر لم يصرف لهم السلطان ثمن اللحم النكسر ، وقد تمطّلت الجوامك أيضا . - ١٨ وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على الأمير قانصوه روح لوا أحد الأمراء المقدمين الذي كان نائب قطيا ، وقرره كاشف الشرقية عوضا عن قبحاس الذي كان بها ، فإنه كان عاجزا عن إصلاح أحوال الشرقية . وأخلع على ألماس كاشف الغربية بأن يستمر على ٢١ عادته في كشف الغربية . وأخلع على الأمير أرك الوزير والأستادار باستمراره على عادته ، وكان أشيع عزله ، وقد صارت أحوال الديار المصرية في هذه الأيام في غاية الاضطراب من وجوه شتى .

- وفي يوم الجمعة صلى السلطان صلاة الجمعة ، ثم أخلع على الأتابكي سودون الدواداري وقرره باش المسكر المعين إلى التجريدة . - وفيه حضر الأمير طقطباي حاجب الحجاب ، وكان توجه محبة التجريدة المينة إلى غزة فأظهر أنه مريض وأقام بالصالحية ، فلما انكسر جان بردى الغزالي ورجع إلى مصر أقامت بقية الأمراء في الصالحية إلى أن تخرج التجريدة التي تمينت ثانيا ، فلما حضر الأمير طقطباي دون الأمراء الذين هناك عز ذلك على الأمراء والمسكر ونسبوه إلى العجز ، وصار ممقوتا عند المسكر قاطبة . - وفيه أشيع أن السلطان رسم لطوائف العربان الذين حضروا بأن يرحموا إلى بلادهم ، وقد أشار بمض الأمراء على السلطان أن العربان ليس بهم قائمة في خروجهم مع التجريدة ، فرسم لهم بالعود إلى بلادهم . ٩
- وفي يوم الأحد ثامن عشره ورد على السلطان أخبار ردية بأن ابن عثمان خرج من الشام (٧١ ب) بنفسه هو وعساكره وهو قاصد إلى مصر ، وقد أشيع أنه قسم عسكره فرقتين ، فرقة نجى من على الدرب السلطاني ، وفرقة نجى من على التيه من مكان جاء منه القاصد الذي تقدم ذكره . فلما بلغ السلطان هذا الخبر أرسل أحضر الأمراء وضربوا مشورة في ذلك ، وأشيع أن السلطان يخرج إلى الريدانية ويقيم بها ويقسم المسكر فرقتين فرقة تتقدم إلى الصالحية وفرقة تتوجه إلى نحو عجرود . وكانت الأمراء عولوا على أن يخرجون إلى التجريدة في أول السنة الجديدة ، فلما ورد عليهم هذه الأخبار اضطربت أحوالهم ، ورسم لهم السلطان بأن يبرزوا خيامهم في الريدانية بسرعة ويكونوا على يقظة فإن ابن عثمان قد وصل إلى غزة وقيل إنه توجه يزور بيت المقدس ثم يمشی بمساكره على عسكر مصر ، وقد كثر القال والقليل في ذلك واضطربت أحوال الناس قاطبة إلى أين يذهبون من هذه الفتنة إلى حين تنقضي . ١٠
- وفي ذلك اليوم رسم السلطان لنقيب الجيش بأن يدور على الأمراء المقدمين ويقول لهم: برزوا خامكم بالريدانية في هذا اليوم . فخرج خام جماعة من الأمراء في ذلك

(٧٠ و ٧١) التين : الذي . (١٠) ورد : ودر . (١٦) يخرجون : يخرجوا .

(٢٠) يذهبون : يذهبوا .

اليوم إلى الريدانية . - وفيه نادى السلطان بأن جميع المناربة الذين في مصر والقاهرة يحضرون غداً للمرض . - وفي أثناء هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير أينال ، خازن دار الأمير طراباي ، أحد الأمراء العشرات ، وقرره في نيابة دميض عوضاً عن من كان بها .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره جلس السلطان على التكة بالحوش ، وطلع الجمل النفير من المناربة ، فلما طلعا إلى القلعة لم يجتمع عليهم السلطان وأرسل إليهم الأمير شاد بك الأعور ، فقال لهم : السلطان يقول لكم عيّنوا منكم ألف إنسان من شجعانكم حتى يخرجوا مع التجريدة . فأرسلوا يقولون للسلطان : نحن ما لنا عادة نخرج مع المسكر ونحن ما نقاتل إلا الفرنج ما نقاتل مسلمين . وأظهروا التمسب لابن عثمان . فلما عاد الجواب على السلطان بما قالوه المناربة فرّ على السلطان (٧٢ آ) ذلك وأرسل يقول لهم : إن لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان وإلا المالك الجلبان يقتلوا كل مغربي في مصر حتى ما يخلّوا بها مغربي يلوح . فزولوا من القلعة على غير رضى من السلطان .

وفيه أشيع أن ابن عثمان أرسل كتاباً إلى شيخ العرب أحمد بن بكر وهو يقول له فيه : ادخل تحت طاعتنا ولك الأمان ولافتنا من الصالحية وصحبتك ألف أردب شمير . وأشيع أن عبد الدايم بن أحمد بن بكر الذي كان عاصياً أنه توجه إلى ابن عثمان لغزاة ، والإشاعات في أخبار ابن عثمان كثيرة . - وفي يوم الاثنين المقدم ذكره نادى السلطان للمسكر قاطبة من كبير وصغير بأن يعرضوا غداً في الريدانية وهم باللبس الكامل من آلة السلاح ، ثم إن السلطان نزل إلى الميدان وصلى صلاة العصر وركب من هناك وتوجه إلى الريدانية وبات بها في الوطاق ، وهذا أول زوله من حين ولي السلطنة .

وفي يوم الثلاثاء عشرينه لبس المسكر آلة السلاح وخرج للمرض بالريدانية

(١) الذين : الذي (٢) يحضرون غداً : يحضروا أغدا .

(٢-٤) وفي أثناء ... كان بها : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(٨) يقولون : يقولوا . (١٨) غداً : أغدا .

- محضرة السلطان . - وفي ذلك اليوم صارت الأمراء المقدمون يخرجون إلى الريدانية وهم الأمراء الذين تعينوا للتجريدة ، فصاروا يخرجون شيئا بمسد شيء وهم بأطلاب حرية ومما ليكمهم لابس آلة الحرب وهم على جرايد الخيل ، ثم خرج الأنابكي سودون ٣ الدواداري وجان بردى الغزالي نائب الشام وأركاس أمير سلاح ويخشاي أمير مجلس وأنصباي أمير آخور كبير وتغر رأس نوبة النوب وعلان الدوادار الكبير وطقطباي حاجب الحجاب ، وقيل بل عُني من السفر بسبب ضعفه ولكن الأصح سفره ، وخرج ٦ بقية الأمراء المقدمين قاطبة ، والأمراء الطبلخانات والعشرات قاطبة ، وعساكر مصر قاطبة ، ولم يبق بها من الأمراء والمسكر إلا القليل . وهذه التجريدة أكثر عسكرا من التجريدة التي خرجت مع السلطان الفوري ، وكان هذا السلطان له عزم شديد ٩ في عمل هذه المجالات وسبك المسكاحل وعمل البندق الرصاص ، وجمع من الرماة ما لا يحصى ، وكانت له همة عالية ومقصده جيلا ولعل الله تعالى أن ينصره على ابن عثمان ، وكان ابن عثمان باغيا على عسكر مصر (٧٢ ب) وقد عاداهم وتمدّى عليهم بنير ١٢ سبب ، والباغي له مصرع . - وفيه أشيع أن السلطان رسم بأن الأفيال الكبار يخرجون صحبة المسكر إذا تقاتلوا مع ابن عثمان .
- وفي ذلك اليوم لما خرج المسكر ، ركب السلطان من الوطاق وتوجه إلى المصطبة ١٥ التي بالريدانية ، التي تسمى الطعم ، فجلس بها ، واجتمع الجمل الغفير من المسكر وهم لابسون آلة السلاح وقد سدّوا الفضاء ، واجتمع هناك السواد الأعظم من العوام حتى النساء وقد أطلقوا الزغاريت هناك وارتفعت الأصوات بالدعاء للسلطان بالنصر ، ١٨ وكان هناك يوم مشهود . فلما نظر السلطان إلى المسكر لم يمرضهم باستدعاء هناك ، بل نادى بأن جميع المسكر المنصور من كبير وصغير لا يتأخر منهم أحد بعد ثلاثة أيام وأن المرض يكون في الصالحية بين بدى السلطان ، فانقض ذلك الجمع وتقرر الحال على ٢١

(٣) لابس : لابس . (٧) الأمراء : أمراء . (٨) ولم يبق : ولم يبق .

(١٣-١٤) وفيه أشيع ... ابن عثمان : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(١٤) يخرجون : يخرجوا .

أن العرض في الصالحية ، وأن السلطان يتوجّه إلى الصالحية حتى يخرج العسكر قدّامه من هناك ثم يعود إلى القلعة ، وكان ذلك عين الصواب .

٣ وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه استمرّ السلطان مقباً بالريدانية . وخرج في ذلك اليوم بقيّة العسكر ، وقد ترادف في الخروج من غير عذر ولا حجّة والسلطان يستحثهم في سرعة الخروج . ولما نزل السلطان من القلعة أخذ صحبته قاسم بك ، وهو الصبي الذى من أولاد ابن عثمان وقد تقدم ذكره ، فجعل له السلطان بركا وسنيحا على انفراده ، ورسم له بأن يسافر صحبة العسكر ويقف وقت الحرب تحت الصنجق السلطانى . وأشيع أن سليم شاه في قلبه الواجس من هذا الصبي ، وقيل إن غالب عسكره مائل إلى هذا الصبي ، ويقولون : إذا انكسر سليم شاه ما لنا إلا ابن أستاذنا هذا نلتفّ عليه ، ويسلطنونه عوضاً عن سليم شاه .

١٢ وفي ذلك اليوم أشيع أن صاحب رودس أرسل إلى السلطان ألف رام من جماعته يرمون بالبندق الرصاص ، وأرسل إليه عدّة مراكب فيها بارود فدخلت تلك المراكب إلى ثمر دمياط ، وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك ، وهذه عونته من صاحب رودس إلى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان (٧٣ آ) الباغى على أهل مصر ، فلم يظهر لإشاعة هذه العونة خبر ولا نتيجة وإنما هى إشاعة ليس لها صحة فيما نقل عنها .

١٥ ولما خرج السلطان إلى الريدانية أشيع أنه يتوجّه من هناك إلى الصالحية حتى يخرج العسكر قدّامه يلاقى عسكر ابن عثمان ، فنعوه الأمراء من التوجّه إلى الصالحية ، وقالوا : ما يقع بيننا وبينه قتال إلا في الريدانية .

١٨

ثم إن التجار صارت تنقل أمتعتها وأموالها من بعض الدكاكين التى فى الأسواق ويدخلون بها فى الأماكن النسبية حتى يسلم ، وما سلم فيها بعد . - وفيه تحوّل غالب الناس من أطراف المدينة ودخلوا إلى القاهرة وسكنوا بها ، ونقل أعيان الناس قماشهم إلى الترب وإلى المدارس والزوايا والمزارات وإلى بيوت العوام التى فى الأرباع لعله يسلم ، فاسلم فيها بمد ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . - وفى أواخر

هذه السنة توفي الشهابي أحمد بن الأمير أسنبغا الطيارى رأس نوبة النوب كان ، وكان الشهابي أحمد من أعيان أولاد الناس الرؤساء ، وكان حشما ريسا لا بأس به ، ومات وله من العمر ما قارب التسعين سنة ، وكان من المعمرين في الأرض . ٣

وفي يوم الخميس ثاني عشره وردت الأخبار بأن ابن عثمان قد خرج من غزوة ، وأن أوائل عسكره قد وصل إلى العريش . وأشيع أن السلطان رسم بحجر خندق من سبيل علان إلى الجبل الأحمر وإلى آخر غيطان الطرية ، ثم إن السلطان نصب على ذلك الخندق الطوارق والكاحل معمرة فيها بالمدافع ، وصفت حولها العربات الخشب التي صنعها بالقلمة كما تقدم ذكر ذلك ، ثم إن السلطان رسم للأمير ماماي الصغير المحتسب بأن ينادى في القاهرة للسوقة وأرباب البضائع (٧٣ ب) من الزياتين والخبازين والخبانين واللحامين بأن يتحولوا ببضائعهم إلى الوطاق عند تربة العادل ، وينشئوا هناك سوقا ويبيعوا على العسكر الذي هناك . ثم إن السلطان رسم للوالى بأن ينادى في القاهرة للعسكر الذي تأخر بأن يخرج إلى الريدانية ولا يتأخر منهم أحد ، ١٢ فنادت المشاعلية في الحارات والأزقة بأن المالك السلطانية تخرج في ذلك اليوم إلى الوطاق ، وكل من تأخر منهم يشنق على باب داره من غير معاودة ، وجعل يكرر المناداة في ذلك اليوم مرتين ، فإنه قد بلغ السلطان أن جماعة من المالك السلطانية صاروا يتوجهون إلى الوطاق في باكر النهار حتى ينظرهم السلطان ثم يرجعون إلى بيوتهم ويباتون بها ، فشق ذلك على السلطان وحجر عليهم بأن يباتوا بالوطاق في كل ليلة . ١٨

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وردت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل أوائله إلى قطيا ، فاضطربت أحوال الناس لذلك . - وفي يوم السبت رابع عشرينه عرض السلطان الزعر بالوطاق ، فاجتمع منهم الجم الغفير ، فأوعدهم السلطان أنه إذا قاتلوا عسكر ابن عثمان بقلب واتصروا عليهم ينفق على كل واحد منهم عشرة أشرفية ،

(٢) الرؤساء : الريسا . (١٥) فإنه : فإن .

(١٦) يتوجهون : يتوجهوا . (١٧) يباتوا : يباتون . (٢٢) واتصروا : واتصر .

وينعم على كل واحد منهم بسيف وترس ، ورسم للأمير أنصبأى أمير آخور كبير بأن يصلح بين زعر الصليبية وزعر المدينة . - وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان اهتم بعمل حائط يستر بها على الكاحل التي نصبها في الريدانية ، وأشيع أن السلطان ٣
جمل يحمل الحجارة بنفسه مع البنائين ، فلما رأوا العسكر أن السلطان حمل الحجارة بنفسه ، فصارت المالك يحملون الحجارة ويشيلون التراب مع القعلة في حفر الخندق ٦
وعمل الحائط التي تستر (٧٤ آ) على الكاحل . - ثم وردت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل إلى بلبيس .

وفي يوم الأحد خامس عشرينه حضر الأمير قانصوه العادلى الذى كان كاشف ٩
الشرقية ، وكان السلطان قد أرسله ليكشف أخبار عسكر ابن عثمان ، فلما وصل إلى الصالحية رأى جماعة من عسكر ابن عثمان قد وصلوا إلى هناك ، فقبض على شخصين منهم وحزّ رؤوسهما وأحضر بهما إلى بين يدي السلطان ، وكان صحبة تلك ١٢
الرؤوس شخص من أبناء حلب من جماعة خاير بك نائب حلب الذى خامر على السلطان النورى والتفّ على ابن عثمان ، فلما وقف بين يدي السلطان طومان باى أخبره أن الواصل إليه خاير بك نائب حلب وصحبته ابن سوار وصحبته جماعة من أمراء ١٥
ابن عثمان ، وأن هذا الجاليش فيه من عسكر ابن عثمان ثمانية آلاف فارس وقد بطلت خيولهم من التعب والجوع ، وأن الفلاء موجود في عسكره . ووجدوا مع ذلك الرجل الحلبي عدّة مطالعات من عند خاير بك نائب حلب إلى الأمراء المقدمين الذين بمصر ، ١٨
فأخذ السلطان المطالعات الذى كانوا معه ووضع ذلك الرجل الحلبي في الحديد .

وأشيع أن عسكر ابن عثمان لما دخل إلى بلبيس نادى لأهل بلبيس بالأمان والاطمان ، وأن أحدا من العثمانية لا يشوش على أحد من أهل بلبيس ولا ما حولها ٢١
من الضياع ، فدعوا له أهل بلبيس والفلاحين قاطبة . ثم أشيع أن عسكر ابن عثمان قد وصل إلى المكرشة ، فلما تحقق السلطان ذلك أراد أن يخرج بالعسكر ويلاقيهم من هناك فلم تمكنه الأمراء من ذلك ، ولو لا قام من هناك لكان عين الصواب ،

فإن خيولهم كانت قد بطلت من الجوع ، وكان غالب عسكر ابن عثمان مشاة على أقدامهم من حين خرج من الشام ، وهم في غاية التعب ، فكان ربما يكسرهم قبل أن يدخلوا إلى الخانكاه ويجدوا المليق والمأكل والمشرّب والراحة من التعب ، فلم يتفق للسلطان ٣ أن يلاقيهم من هناك حتى تمكّنوا من الدخول إلى الخانكاه . (٧٤ ب) ثم إن السلطان رسم للعسكر بأن يأت تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسون آلة الحرب ، ولا ينامون إلا بالنوبة خوفا من هجمة تحت الليل من العثمانية ، ٦ وقد اشتدّ الرعب في قلوب الأتراك من عسكر ابن عثمان .

فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب أهلها بأولادهم وعيالهم وقاشهم ودخلوا إلى القاهرة خوفا على أنفسهم من عسكر ابن عثمان ، وكذلك غالب ٩ فلاحين الشرقية وأهل بلييس ، فدخلوا القاهرة خوفا من النهب والقتل من العثمانية . ثم إن العربان من السوالة صاروا يقبضون على من يلوح لهم من العثمانية ويقطعون رؤوسهم ويحضرونها إلى بين يدي السلطان ، فيرسم السلطان بأن تعلق على باب ١٢ النصر وباب زويلة . - ثم إن السلطان عرض العسكر بالريدانية وهم لابسون آلة الحرب ، حتى عرض الأمراء القدامى والأرمنيّات والعشرات ، فحضرت الأمراء المقدّمون وهم بالطبول والزمر ، وكان لهم يوم مشهود بالريدانية . ١٥

ثم إن السلطان سار إلى بركة الحاج ومحبته الأمراء والعسكر قاطبة ، فسير بهم ١٨ ثم رجع إلى الوطاق وقدامه الطبول والزمر والنفوط ، فامتدت المساكن من الجبل الأحمر إلى غيطان المطرية حتى شدّ الفضاء . - وأشيع أن السلطان لما تحقق وصول ابن عثمان إلى بلييس رسم بحرق الشون التي في بلييس وما حولها ، حتى الشون التي في الخانكاه ، فأحرقوا أشياء كثيرة من التبن والدريس وغير ذلك من القمح والشعير والفول ، وذلك لأجل عسكر ابن عثمان حتى لا ينهبوها بسبب خيولهم فيفتقروا بذلك ٢١ العسكر على القتال . - وفي هذه المدة صارت العربان تقطع رؤوس العثمانية الذين يظفرون بهم (٧٥ آ) في الطرقات ، فيرسل السلطان يعلّق تلك الرؤوس على أبواب المدينة .

ومن الحوادث أشيع أن السلطان كان جالسا في الخيمة وإذا بشخص من التركان قد دخل عليه وهو لابس زمط أحمر، وفي وسطه سيف وتركاش، وقد ضرب على وجهه لثاما، وكان السلطان في نفر قليل من الخاصكية، فلما هجم ذلك الشخص على السلطان وقرب منه فدفعه بمض الطواشية الذي كان واقفا بين يدي السلطان، فلما من صدر ذلك الشخص وجد في صدره ثديين طوال، فكشف اللثام عن وجهه فإذا ذلك الشخص امرأة من نساء التراكمة، فتوهم السلطان أنها تقصد قتله، فقال: أخرجوها من قدامي. فلما خرجت من بين يديه وجدوها لابسة زردية من تحت ثيابها وهي متحملة بمخنجر كبير من تحت ثيابها، فلما عاينوها المالك الجلبان قطعوها بالسيف وقد تحققوا أنها هجمت على السلطان تريد قتله لا محالة، فلما قطعوها بالسيف وماتت رسم السلطان بأن يمضوا بها إلى باب النصر ويملقوها هناك، فأتوا بها وهي عريانة، وصاروا يسحبونها من الريدانية إلى باب النصر حتى علقوها هناك على دكان تجاه باب النصر، فاستمرت معلقة هناك يومين حتى دفنت وصارت عريانة وعورتها مكشوفة بين الناس، وما قاست خيرا.

ثم إن السلطان أرسل مع دوا دار الوالي رأسين مقطوعة، فزعموا أن أحدهما رأس إبراهيم السمرقندى، والأخرى رأس أمير من أمراء ابن عثمان، فملقوها على دكان عند باب زويلة. وقد تحمّل بعض المربان على إبراهيم السمرقندى وأضافه وبات عنده، وكان السمرقندى أتى صحبة ابن عثمان، فلما بات عند ذلك الفلاح حز رأسه تحت الليل، فلما طلع النهار أحضرها بين يدي السلطان طومان باي، وقال له: الذي بأتيك برأس إبراهيم السمرقندى إيش تمطيه؟ فقال له السلطان: أعطيه ألف دينار. فأخرج رأس السمرقندى له من تحت برأسه وقال له: هذه رأس إبراهيم (٧٥ ب) السمرقندى. فلما تحقق السلطان ذلك دفع لذلك البدوى ألف دينار. وكان إبراهيم السمرقندى أصله من أهل المدينة الشريفة، وطاف البلاد من أراضى المعجم إلى بلاد الروم، وكان يعرف باللفسة التركية، فلما دخل إلى مصر تمحشر (١٠٠) ويطلقوها: ويطلقونها.

في السلطان النوري وصار من جملة أخصائه ، فلما جرى للنوري ما جرى وانكسر
التف على سليم شاه بن عثمان وصار من أخصائه ، وقيل هو الذي حسن عبارة لابن عثمان
بأن يدخل إلى مصر ويملكها ويقطع جادة الجراكسة من مصر ، وأطمعه في ذلك ٣
حتى دخل إلى مصر وكان السمرقندي من الظلة الكبار ، ولو عاش السمرقندي
إلى أن ملك ابن عثمان مصر ما كان يحصل لأهلها منه خير قط ، وكان يرفع أعيان
مصر أشد الرفاعة ، فأراح الله تعالى منه الناس قاطبة وكفوا شره . ٦

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرين ذى الحجة وردت الأخبار بأن جاليش عسكر
ابن عثمان قد نزل ببركة الحاج ، فاضطربت أحوال عسكر مصر وغلق باب الفتوح
وباب النصر وباب الشمرية وباب البحر وباب القنطرة وغير ذلك من أبواب المدينة ٩
قاطبة ، وغلقت أسواق القاهرة وتمطلت الطواحين وتشحط الدقيق والخبز من
الأسواق . ثم إن السلطان لما تحقق وصول عسكر ابن عثمان إلى بركة الحاج ، زعم النفير
بالوطاق وركب المسكر قاطبة ، وركب سائر الأمراء المقدمين والأمراء الطبلخانات ١٢
والمشترات ، وركب قاسم بك بن عثمان ، فاجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقا ،
 واجتمع من المساكر من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء والعربان نحو عشرين
ألف فارس ، ودقت الطبول والزمرور حربيا ، وصار السلطان طومان باي راكبا بنفسه ١٥
وهو يرتب الأمراء على قدر منازلهم ، وصف المسكر من الجبل الأحمر إلى غيطان
الطرية ، فاجتمع هناك الجيوش النفير من المسكر . وكان السلطان طومان باي له همة
عالية في هذه الحركة ، ولو كان السلطان النوري حيا ما كان يشور ببعض ما ثار به ١٨
السلطان طومان باي ، لكن لم يُعطه الله تعالى النصر على (١٧٦) ابن عثمان ، فلم يقع في ذلك
اليوم بين الفريقين قتال ولم يبرز كل منهما إلى غريمه في ذلك اليوم ، فقطعوا في ذلك
اليوم بعض رهوس من الثمانية ، ویرسلون يملقونها على أبواب المدينة . ٢١

فلما كان يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة ، فيه وقعت كاتبة عظيمة ، تذهل
عند سماعها عقول أولى الألباب ، وتفضل لهاؤها الآراء عن الصواب ، وما ذاك إلا أن

السلطان طومان باى لما توجه إلى الريدانية ونصب بها الوطاق ، فحصن الوطاق
بالمكاحل والمدافع ، وصّف هناك الطوارق ، وصنع عليها تساتير من الخشب ، وحفر
خندقاً من الجبل الأحمر إلى غيطان المطرية ، وقد تقدم القول على ذلك . ثم إن السلطان ٣
جعل خلف المكاحل نحو ألف رجل وعليها زكائب فيها عليق ، وعلى أفتابها صناعق
كبار بيض وحمرة يخفقون في الهواء ، وجمع عدة أبقار بسبب جرة العجل ، وظن أن
القتال يطول بينه وبين ابن عثمان ، وأن الحصار يقيم مدة طويلة ، فجاء الأمر بخلاف ٦
ذلك . فلما نزل عسكر ابن عثمان ببركة الحاج أقام بها يومين ، فلم يحسر السلطان طومان
باى أن يتوجه إليهم ، ولو توجه إليهم وقاتلهم هناك قبل أن يدخلوا الريدانية لكان
عين الصواب . ٩

فلما كان يوم الخميس المقدم ذكره زحف عسكر ابن عثمان ووصل أوائله إلى الجبل
الأحمر ، فلما بلغ السلطان طومان باى ذلك زعق النفير في الوطاق ونادى السلطان
للعسكر بالخروج إلى قتال عسكر ابن عثمان ، فركبت الأمراء المقدمون ودقوا الطبول ١٢
حرباً ، وركب المسكر قاطبة حتى سدّ الفضاء ، وأقبل عسكر ابن عثمان كالجراد المنتشر
وهم السواد الأعظم ، فتلاقى الجيشان في أوائل الريدانية ، فكان بين الفريقين وقعة
مهولة يطول شرحها أعظم من الوقعة التي كانت في مرج دابق ، فقتل من العثمانية ١٥
ما لا يحصى عددهم ، وقتل سنان باشا لواء ابن عثمان وكان أكبر وزرائه ، وقتل
من أمرائه وعسكره جماعة كثيرة ، حتى صارت الجثث مرمية على الأرض من سبيل
علان (٧٦ ب) إلى تربة الأمير يشبك الدوادر . وقتل في هذه المعركة ابن بن سوار ، ١٨
قتل في الريدانية ودفن على جده سوار في تربته التي تجاه تربة يشبك الدوادر ،
وكذلك قتل هناك سنان باشا وزير ابن عثمان الأكبر .

ثم إن العثمانية تحايوا وجاءوا أفواجا أفواجا ، ثم انقسموا فرقتين ، فرقة جاءت من ٢٠

(٢) تساتير ، يقصد بها جمع « ستارة » . (٥) يخفقون : يخفقوا . || الهواء : الهوى .

(٢١) تحايوا ، أى دبت فيهم الحياة .

- تحت الجبل الأحمر ، وفرقة جاءت للمسكر عند الوطاق بالريدانية فطرشوم بالبندق الرصاص ، فقتل من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم ، وقتل من الأمراء المقدمين جماعة ، منهم أزيك الكحل وآخرون منهم . وجرح الأتابكي سودون الدوادارى ٣ جرحا بالغا وقيل انكسر نخذه فاخفى في غيط هناك ، وجرح الأمير علان الدوادار . فلم تكن إلا ساعة يسيرة مقدار خمس درجات حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبرا وتمت عليهم الكسرة ، فثبت بعد الكسرة السلطان طومان باى نحو عشرين درجة ٦ وهو يقاتل بنفسه في نفر قليل من العبيد الرماة والماليك السلحدارية ، فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عددهم ، فلما تكاثرت عليه العثمانية ، ورأى العسكر قد قل من حوله ، خاف على نفسه أن يقبضوا عليه فطوى الصنجق السلطانى وولى واخفى ، قيل إنه توجه إلى نحو طرا ، وهذه ثالث كسرة وقعت لعسكر مصر . وأما الفرقة العثمانية التي توجهت من تحت الجبل الأحمر ، فإنها تزلت على الوطاق السلطانى وعلى وطاق الأمراء والعسكر ، فنهبوا كل ما كان فيه من قماش وسلاح وخام وخيول وجمال وأبقار وغير ذلك . ثم نهبوا المكاحل التي نصبهم السلطان هناك ، ونهبوا تلك الطوارق والتساير الخشب والعربات التي تعب عليهم السلطان وأصرف عليهم جملة مال ولم يُفدّه من ذلك شيء ، ونهبوا البارود الذي كان هناك ، ولم يبقوا بالوطاق شيئا ١٥ لا قليلا ولا كثيرا ، فكان ذلك مما جرت به الأقدار والحكم لله الواحد القهار .
- ثم إن جماعة من العثمانية (٧٧ آ) لما هرب السلطان ونهبوا الوطاق ، دخلوا إلى القاهرة وقد ملكوها بالسيف عنوة ، فتوجهوا جماعة من العثمانية إلى المقشرة وأحرقوا بابها وأخرجوا من كان بها من المحاييس ، وكان بها جماعة من العثمانية سجنهم السلطان لما كان بالريدانية فأطلقهم أجمعين ، وأطلقوا من كان في سجن الديلم والرحبة والقاعة أجمعين . ثم توجهوا إلى بيت الأمير خير بك الممار أحد المقدمين فنهبوا ما فيه ، ٢١ وكذلك بيت يونس الترجان ، وكذلك بيوت جماعة من الأمراء وأعيان الباشيرين ومساير الناس ، وصارت الزعر والغلمان ينهبون البيوت في حجة العثمانية ، فانطلق
-
- (١) الجبل : الأجيل . (٥) خمس درجات : خمسة درج . (١١) التي : التي .

في أهل مصر جرة نار . ثم دخلوا جماعة من الممائية إلى الطواحين وأخذوا ما فيها من البنال والأكاديش ، وأخذوا عدة جمال من جمال السقاين . وصارت الممائية تنهب ما يلوح لهم من القماش وغير ذلك ، وصاروا يخطفون جماعة من الصبيان الرد والعبيد السود ، واستمرّ النهب عمّالا في ذلك اليوم إلى بعد المغرب ، ثم توجهوا إلى شون القمح التي بمصر وبولاق فنهبوا ما فيها من الغلال. وهذه الحادثة التي قد وقعت لم تمرّ لأحد من الناس على بال ، وكان ذلك مما سبقت به الأندار في الأزل ، وقال الشيخ بدر الدين الزيتوني في هذه الواقعة :

٩ نكي على مصر وسكانها قد خربت أركانها العامره
وأصبحت بالذلّ مقهورة من بعد ما كانت هي القاهرة

وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، فيه دخل أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله إلى القاهرة ، فدخل وصحبته وزراء ابن عثمان ومن عساكره الجمّ الفغير ، ودخل (٧٧ ب) ملك الأمراء خير بك نائب حلب ، ودخل قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل ، والقاضي المالكي محي الدين الدميري ، والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوحى ، وهؤلاء كانوا في أسر ابن عثمان من حين مات السلطان الغورى . ودخل يونس العادلى ، وخشقدم الذى كان شاد الشون بمصر وهرب من الغورى إلى بلاد ابن عثمان وكان سببا لهذه الفتنة العظيمة .

١٨ فلما دخل الخليفة دخل من باب النصر وشقّ من القاهرة وقدّامه المشاعلية تنادى للناس بالأمان والاطمان والبيع والشرى والأخذ والعطا ، وأن لا أحدا يشوش على أحد من الرعية ، وقد غلّق باب الظلم وفُتح باب العدل ، وأن كل من كان عنده مملوك جر كسى من ممالك السلطان ولا يغمز عليه شئ على باب داره ، والدعاء للسلطان الملك المظفر سليم شاه بالنصر ، فضجّ له الناس بالدعاء من العوام . فلم تسمع الممائية من هذه المناداة ، وصاروا ينهبون بيوت الناس حتى بيوت الأرباع في حجة أنهم يفتشون

(٣) يخطفون : يخطفوا . (٥) التى : الذى . (٢٢) ينهبون : ينهبوا . II
يفتشون : يفتشوا .

على المالك الجراكسة ، فاستمرّ النهب والهجم عمّالا في البيوت ثلاثة أيام متوالية ،
وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت الأمراء والمسكر ، فما أبقوا في ذلك
٣ ممكن .

وفي ذلك اليوم خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد
ترجم له بعض الخطباء ، فقال : وانصر اللهم السلطان بن السلطان ، مالك البرّين
والبحرين ، وكاسر الجيوشين ، وسلطان العراقين ، وخادم الحرمين الشريفين ، الملك
٦ المظفر سليم شاه ، اللهم انصره نصرا عزيزا ، وافتح له فتحا ميينا ، يا مالك الدنيا
والآخرة ، يا رب العالمين . - انتهى ما أوردناه من حوادث سنة اثنتين وعشرين
وتسعمائة ، وقد قلت في ذلك :

خُتِمَ العام بحربٍ وكدرٍ وحصل للناس غايات الضرر
وأُتاهم حادثٌ من ربهم كان هذا بقضاء وقدر
١٢ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة

فكان مستهلّ العام يوم السبت . - ثم إن السلطان سليم (٧٨ آ) شاه أرسل
جماعة من الأنكشارية وأوقفهم على أبواب المدينة يمنعون النّهاب من نهب البيوت ،
١٥ ولما انكسر عسكر مصر حوّل السلطان سليم شاه وطاقه من بركة الحاج ونصبه
بالريدانية ، وشرعت العثمانية تقبض على المالك الجراكسة من التّرب من فساق الموتى
ومن غيطان المطرية ، فلما يحضرونهم بين يدي ابن عثمان يأمر بضرب أعناقهم .
١٨ ثم إن بعض مشايخ العربان قبض على الأتابكي سودون الدواداري وأحضره بين يدي
ابن عثمان ، فلما حضر بين يديه وتجنّه بالكلام فوجده قد جرح وقد كُسر فخذه وهو
في حالة الأموات ، فأركبه على حمار وألبسه عمامة زرقاء وجرتسه في وطاقه وقصد
يشهره في القاهرة ، فمات وهو على ظهر الحمار ، وقيل حَزّوا رأسه بعد الموت وعلّقوها
٢١ في الوطاق . ثم غُمز على الأمير كرتباي الأشرفي أحد الأمراء المقدّمين الذي كان
والى القاهرة ، فوجدوه مختفيا في مكان فحَزّوا رأسه وعلّقوها في الوطاق . وصاروا
(١٧) يحضرونهم : يحضرونهم .

- العُمانيّة يكبسون التّرب ويقبضون على المالك الجراكسة منها ، وكلّ تربة وُجد فيها مملوك جرّكسى حرّوا رأسه ورأس من بالتربة من الحجازيّين وغيرها ويملّقون رؤوسهم في الوطاق ، فضرب في يوم واحد ثلاثمائة وعشرين رأساً من سكان الصحراء ، وقيل كان فيهم جماعة من الينابذة وهم أشرف ، فراحوا ظلماً لا ذنب لهم . وصاروا يكبسون الحارات ويقبضون المالك الجراكسة من اسطبلاتهم ويقبضونهم باليد ويتوجّهون بهم إلى الوطاق بالريدانية فيضربون أعناقهم هناك ، فلما كثرت رؤوس القتلى هناك نصبوا صواري وعليها حبال وعلّقوا عليها رؤوس من قُتل من المالك الجراكسة وغيرها ، حتى قيل قُتل في هذه الوقعة بالريدانية فوق أربعة آلاف إنسان ، ما بين ممالك جراكسة وغلّمان ، ومن عربان الشرقية والغربية ، وصارت الجثث مرميّة من سبيل (٧٨ ب) علان إلى تربة الأشرف قايتباي ، فجافت منهم الأرض وصار لا تعرف جثة الأمير المقدّم ألف من جثة المملوك وهم أبدان بلا رؤوس . -
- ١٢ وأما من قُتل من عسكر ابن عثمان في هذه الوقعة فلا يحصى عددهم .
- ثم إن ابن عثمان أرسل خلف المقرّ الناصريّ محمد بن السلطان النوري ، فلما حضر ألبسه قفطان مخمل مذهبا ، وألبسه عمامة عُمانيّة ، وأعطاه ورقة بالأمان له على نفسه ، ورسم له بأن يسكن في مدرسة أبيه التي في الشرابشين ، وأسكن الدفتردار أحد وزراء ابن عثمان في بيته الذي في البندقانيين . - ثم توجّه إليه يوسف البدريّ الوزير فأعطاه أماناً وألبسه قفطاناً مخملاً ، وأقرّه متحدّثاً على جهات الغربية ، وكذلك أخلع على فارس السيفيّ تمرّاز الشمسيّ وأقرّه كاشف النية وغير ذلك من الجهات القبليّة ، وأخلع على الزينيّ بركات بن موسى وجعله متحدّثاً في الحسبة إلى أن يقرّر بها من يختاره ، وأخلع على يحيى بن نكار وجعله متحدّثاً في ولاية القاهرة إلى أن يقرّر بها من يختاره .
- ٢١ وفي يوم الأحد ثاني شهر الله المحرم أشيع أن السلطان سليم شاه نقل وطاقه من الريدانية ونصبه في بولاق من تحت الرصيف إلى آخر الجزيرة الوسطى ، وقد أحضروا

(٢) ويملّقون : ويعلقوا . (٥) يكبسون ... ويقبضون ... ويقبضونهم : يكبسوا ... ويقبضوا ... ويقبضوهم . (٦) ويتوجّهون : ويتوجهوا . (٧) القتلى : القتلا . (١٧) الجهات : جهات .

إليه مفاتيح قلعة الجبل على أنه يطلع إليها فلم يلتفت إلى ذلك واختار الإقامة على شاطئ^٣ بحر النيل . - فلما كثرت العثمانية بالقاهرة صاروا كل من رأوه من أولاد الناس لابسا زمط أحر أو تخفيفة يقولون له : أنت جر كسى ، فيقطعون رأسه ،^٣ فلبست أولاد الناس كلها عمام حتى أولاد الأمراء والسلاطين قاطبة ، وأبطلوا لبس التخافيف والزموط من مصر .

- ٦ وفي يوم الاثنين ثالث المحرم أوكب السلطان سليم شاه ودخل إلى القاهرة من باب النصر ، وشقّ المدينة (٧٩ آ) في موكب حفل ، وقدامه جناب كثيرة وعساكر عظيمة مابين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع ، واستمرّ شاققا من المدينة حتى دخل من باب زويلة ، ثم عرج من تحت الربع وتوجّه من هناك إلى بولاق ونزل بالوطاق الذى نصبه تحت الرصيف ، فلما شق من المدينة ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة . وقيل إن صفته ذرى اللون ، حليق الذقن ، وافر الأنف ، واسع العينين ، قصير القامة ، فى ظهره حنّة ، وعلى رأسه عمامة صغيرة ، ويلبس قفطانا مخملا ، وعنده خفّة ورهيج ، كثير التلفت إذا ركب القرس . وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك ، وليس له نظام يعرف مثل نظام الملوك السالفة ؛ غير أنه سيّء الخلق سفاك للدماء ، شديد الغضب ،^{١٥} لا يراجع فى القول . ولما شقّ من القاهرة كان قدامه الخليفة وقضاة القضاة وجماعة من المباشرين الذين كانوا بمصر . فكان ينادى كل يوم فى القاهرة بالأمان والاطمان ، والنهب والقتل عمال من جماعته ولا يسمون له ، وحصل منه للناس^{١٨} الضرر الشامل . ومما أشيع عنه أنه قال فى بعض مجالسه بين أخصائه وهو بالشام : إذا دخلتُ إلى مصر أحرق بيوتها قاطبة وألب فى أهلها بالسيف . فقيل تلطف به الخليفة حتى رجع عن ذلك ، ولو فعل ذلك ما كان يجد له من مانع يمنه من ذلك ،^{٢١} والله غالب على أمره .

فلما طغشت العثمانية فى القاهرة صارت أعيان المباشرين يعملون على أبوابهم

(٢٠) تلطف : تلتطف .

(١٧) الذين : الذى .

(٣) فيقطعون : فيقطموا .

٣ جماعة من العثمانية يحفظونها من النهب ، وصارت العثمانية يسكنون أولاد الناس من الطرقات ويقولون لهم : أنتم جراكسة ، فيشهدون عندهم الناس أنهم ما هم بمالك جراكسة ، فيقولون لهم : اشتروا أنفسكم منا من القتل ، فيأخذون منهم بحسب ما يختارونه من المبلغ ، وصارت أهل مصر تحت أسرهم . ثم صاروا الناس من عتاق مصر (٧٩ ب) يغمزون العثمانية على حواصل الخوندات والستات فينهبون ما فيها من القماش الفاخر ، فانفتحت للعثمانية كنوز الأرض بمصر من نهب قماش وسلاح وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك من كل شيء فاخر ، واحتوا على أموال وقماش ما فرحوا بها قط في بلادهم ، ولا أستاذهم الكبير . - ومن هنا نشرع في ترجمة سليم شاه بن عثمان وذلك على سبيل الاختصار من أخباره ، بحسب ما تيسر لي من ذلك على ما مشى عليه طريقة التاريخ من مبتداه إلى هذه الواقعة .

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم خان

١٢ ابن السلطان أبي يزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد خان بن أبي يزيد المعروف بيلدرم بن أورخان بن أرْدَنْ علي بن عثمان بن سليمان بن عثمان الكبير الشهيد بالغزاة بعد أن عاش تسع وستين سنة ، الشهير بابن عثمان ، من خلاصة ملوك الروم ، وهو الثامن والأربعون من ملوك مصر وأولادهم ، وهو الثالث من ملوك الروم بمصر ، فإن أول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم ، والثاني الظاهر تمربغا ، والثالث سليم خان بن عثمان ، ملك القاهرة عنوة بقائم سيفه ، وقد حصل له سعد عظيم ما لا حصل لأبائه ولا أجداده من قبله . وقد ساعدته الأقدار على بلوغ الأوطار ، فتصدى إلى قتال شاه إسماعيل الصوفي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، فانكسر منه الصوفي وقتل غالب عسكره ، واحتوى على أمواله وسلاحه وبركه وخيوله من غير مانع ، وملك غالب بلاده التي بالعراقين . ثم تصدى إلى قتال الملك الأشرف قانصوه

(٥) فينهبون : فينهبوا .

(١٣) أورخان : أورجان . || بن أردن على : كذا في الأصل ، ولعله يقصد « أرطغرل » .

راجع الحاشية في ص ٢٧٠ ج ٤ السابق . || سليمان : سلمان . (٢١) التي : الذي .

الفورى وتلاقى معه على مرج دابق فى رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، فلم يحمل معه غير خمس درج وانكسر ، ومات قهرا فى وسط الحرب .

- ٣ وملك مدينة حلب وقلمتها من غير محاصرة ، فلما ملك قلعة حلب أرسل إليها شخصا من جماعته ، أعرج أعور وفى يده دبوس خشب وهو ماشى على أقدامه ، فتسلم الأموال والسلاح الذى كان بها ، حتى (٨٠ آ) قيل كان بها من الأموال للسلطان الفورى مائة ألف دينار وثمانمائة ألف دينار ، خارجا عن السلاح والكنائش ٦ الذهب والسروج الذهب والبلور والعقيق ، والخلع التى بالطرز الذهب اليلبناوى ، وغير ذلك من التحف الفاخرة ، فاحتوى على ذلك جميعه ، خارجا عن برك السلطان والأمراء وأموالهم وخبولهم وبنالهم وجاهلهم وخامهم ، فاحتوى على ذلك جميعه . ٩ ثم توجه إلى الشام ، فلما كان بالأمان ، ثم نزل إليه نائب قلعة الشام بالأمان فقتله وقتل معه نحو أربعين أميرا من أمراء الشام ، وملك قلعة الشام واحتوى على ما فيها من الأموال والسلاح والفلال والبارود وغير ذلك مما كان بها . وملك حماة وحمص ١٢ وبمليك الكل ملكهم بالأمان ، ثم خرج من الشام وقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية ، فتسلم طرابلس وصفد وغزة وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد مما حولها ، فتسلم الكل بالأمان من غير حرب ولا مانع ، ولم يتفق هذا لأحد من الملوك قبله .

- ثم توجه إلى القاهرة فتلاقى مع الأشرف طومان باى على الريدانية فوقع بينهما قتال هين ، فلم يكن إلا مقدار خمس درج وانكسر الأشرف طومان باى ووتى ١٨ مهزوما ، وقتل من الأمراء والعسكر ما لا يحصى عددهم ، وآخر الأمر ملك مصر والقاهرة عنوة بقائم سفيه . أقول : ومن عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر سنة اثنتين وعشرين من الهجرة النبوية ، ففتحها عنوة بقائم سفيه ، وإلى هلم ، ٢١ لم يفتحها أحد من الملوك بعده عنوة سوى سليم شاه بن عثمان ، ولم يقع مثل ذلك سوى للبيخت نصر المالبلي من قديم الزمان .

ومن هنا ترجع إلى أخبار ابن عثمان ، فإنه لما نزل بالوطاق الذى نصبه فى بولاق
عند الرصيف أقام به إلى يوم الثلاثاء رابع المحرم ، فلما كان ليلة الأربعاء خامس الشهر
٣ بعد صلاة العشاء ، لم يشعر ابن عثمان إلا وقد هجم عليه الأشرف طومان باى (٨٠ ب)
بالوطاق واحتاط به ، فاضطربت أحوال ابن عثمان إلى الناية ، وظن أنه مأخوذ لا
محالة ، وأشيع أنه هجم عليه بجمال وهى محملة ساسا وأطلق فيها النار ، فاحترق بعض
٦ خيام من وطاق ابن عثمان ، ووقع فيهم السيف تحت الليل فقتل من عسكر ابن عثمان
ما لا يحصى عددهم ، واجتمع هناك الجثم الفير من الزعر وعياق بولاق من النواتية
وغيرها وصاروا يرجمون بالمقاليق وفيها الحجارة ، واستمروا على ذلك إلى أن طلع
٩ النهار فلاقاهم الأمير علان الدوادر الكبير من الناصرية عند الميدان الكبير ، فكان
بين عسكر ابن عثمان وبين عسكر مصر هناك وقعة تشيب منها النواصى ، فملكوا
منهم من رأس الجزيرة الوسطى إلى قنطرة باب البحر وإلى قنطرة قديدار ، واستمر
١٢ الحرب ثائرا بين الفريقين من طلوع الفجر إلى بعد المغرب . وأشيع أن العربان لما وقعت
هذه الحركة نهبوا وطاق العثمانية الذى كان بالريدانية . ثم إن المالك الجراكسة
صاروا يكبسون البيوت والحارات على العثمانية كما كانت العثمانية تكبس البيوت
١٥ والحارات على المالك الجراكسة .

ومثلما تعمل شاة الحمى فى قرض يعمل فى جلدها

فصاروا الأتراك كل من يظفرون به من العثمانية يقطعون رأسه ويحضرون بها
١٨ بين يدى السلطان طومان باى وصار الطالب مطلوب . فلما كان يوم الخميس سادس
المحرم اشتد القتال بين العثمانية وبين الأتراك ، ونادى السلطان فى الناصرية وقناطر
السباع للزعر والعياق بأن كل من قبض على عثمانى يأخذ عريه ويقطع رأسه ويحضرها
٢١ بين يدى السلطان . ثم إن العثمانية طردوا الأتراك من بولاق وجزيرة الفيل
وملكوها منهم ، ثم طردوا الأتراك من الجزيرة الوسطى إلى الناصرية وملكوها
منهم . ثم إن الأتراك خرجوا عقد قنطرة قديدار (٨١ آ) خوفا من العثمانية أن يهجموا

(٨) بالمقاليق : كذا فى الأصل ، ولعلها « بالمقاليع » .

(١٧) يظفرون : يظفروا . || يقطعون : يقطعوا . || ويحضرون : ويحضروا .

عليهم . ثم إن العثمانية هجموا على زاوية الشيخ عماد الدين التي في الناصرية وقبضوا منها على ممالكك جراكسة ، فأحرقوا البيوت التي حول الزاوية ، ونهبوا القناديل والحصار التي في الزاوية ، وقتلوا جماعة كثيرة من العوام وفيهم صغار وشيوخ . ثم إن ٣ العثمانية طردوا الأتراك عن الناصرية إلى قناطر السباع .

ثم إن السلطان طومانباي نزل في جامع شيخو الذي بالصليبية، وصار يركب بنفسه ويكرّم من الصليبية إلى قناطر السباع في نفر قليل من المسكر . ثم رسم بحفر خندق ٦ في رأس الصليبية ، وآخر عند قناطر السباع ، وآخر عند رأس الرملة ، وآخر عند جامع ابن طولون ، وآخر عند حدرة البقر . ثم إن السلطان رسم بحرق خان الخليلي فتمه بمض الأمراء من ذلك . وأشيع أن السلطان قسم المسكر أربع فرق : فرقة إلى جهة ٩ قناطر السباع ، وفرقة إلى جهة الرملة ، وفرقة إلى جهة جامع ابن طولون ، وفرقة إلى جهة باب زويلة . فلم يقاتل من الممالك السلطانية إلا القليل ، وصاروا يخفون في الاسطبلات خوفا من القتال ، وقد دخل الرعب في قلوبهم من العثمانية ما بقي يخرج ١٢ منها .

ثم إن طائفة من العثمانية توجهوا من على مصر العتيقة ، وطلعوا من على القرافة الكبيرة ، وملكوا من باب القرافة إلى مشهد السيدة نقيسة رضي الله عنها ، فدخلوا ١٥ إلى ضريحها وداسوا على قبرها ، وأخذوا قناديلها الفضة والشمع الذي كان عندها ، وبسط الزاوية ، وقتلوا في مقامها جماعة من الممالك الجراكسة وغير ذلك من الناس الذين كانوا احتموا بها . ثم إن السلطان قصد يهدم قناطر السباع ، فأخرق من عقدها ١٨ بمض شيء . ثم إن الأتراك شحتوا جماعة من العثمانية فهربوا وطلعوا إلى مواذن الجامع المؤيدي ، وصاروا يرمون على الناس بالبندق الرصاص ويمنعونهم من الدخول إلى باب (٨١ ب) زويلة ، واستمروا على ذلك حتى طلّعوا لهم الأتراك وقتلهم في المئذنة ٢١ أشر قتلة .

(٢ و ٣) التي: الذي. (١١) يخفون: يخفوا. (١٦) قناديلها: قناديلها. (١٨) الذين: الذي.

(١٩) مواذن = مآذن. (٢٠) يرمون: يرموا. || ويمنعونهم: ويمنعونهم. (٢١) المئذنة: المآذنة.

- ثم سارت القتلاء من الأتراك والعثمانية أجسادهم مرمية من بولاق إلى قناطر
السياع وإلى الرملة وإلى تحت القلعة ، وفي الحارات والأزقة من الأتراك والعثمانية ،
٣ وهم أبدان بلا رءوس . هذا والعربان واقفة عند قنطرة الحاجب وهم يشلحون الناس
ويعرونهم [من] أثوابهم ، ويقتلون من يلوح لهم من العثمانية ، ولولا لطف الله تعالى
لهجموا على القاهرة ونهبوا أسواقها ودورها . ثم إن السلطان طومان باى نادى
٦ فى القاهرة أن كل من مسك أحدا من عسكر ابن عثمان وطلب منه الأمان فلا يقتله . -
ومن العجائب أن السلطان طومان باى لما ظهر خُطب باسمه على منابر القاهرة فى يوم
الجمعة ، وكان فى الجمعة الماضية خُطب باسم سليم شاه بن عثمان ، فكان كما يقال :
٩ لا تياسن من فرج ولطف وقوة تظهر بمد ضعف
فاستمر السلطان طومان باى يتقاع مع عسكر ابن عثمان ، ويقتل منهم فى كل يوم
ما لا يحصى عددهم ، من يوم الأربعاء إلى يوم السبت طلوع الشمس ثامن المحرم ،
١٢ فرأى عين القلب وقد تكاسل العسكر عن القتال واختفوا فى بيوتهم ، وتفرقت
الأمراء كل واحد فى ناحية ، واستمر السلطان يقاتل فى عسكر ابن عثمان وحده
بمفرده فى نفر قليل من البيد الرماة وبعض ممالك سلطانية وبعض أمراء ، منهم
١٥ شاد بك الأعور وآخرون من الأمراء العشرات ، فلما ظهر له القلب هرب وتوجه
إلى نحو بركة الحبش ، وكان قليل الحظ غير مسمود الحركات فى أفعاله ، فكان كما يقال :
قليل الحظ ليس له دواء ولو كان السيف له طيب
١٨ وهذه رابع كسرة وقعت لعسكر مصر مع ابن عثمان ، وقد غُلت أيديهم عن القتال
حتى نفذ القضاء والقدر ، وكان ذلك فى الكتاب مسطورا . ولما هرب السلطان
طومان باى وقع فى القاهرة المصيبة العظمى التى لم يسمع بمثلا فيها تقدم (٨٢ آ)
٢١ من الزمان ، فلما انهزم السلطان صبيحة يوم السبت ثامن المحرم طفشت العثمانية
فى الصليبية وأحرقوا جامع شيخو ، فاحترق سقف الإيوان الكبير والقبّة التى كانت به
كون أن السلطان طومان باى كان به وقت الحرب ، وأحرقوا البيوت التى حوله
(٣) يشلحون : يشلحوا . (٤) ويقتلون : يقتلوا . (٢٣) التى : الذى .

في درب ابن عزيز . ثم قبضوا على الشرقي يحيى بن العدّاس خطيب الجامع وأحضروه إلى بين يدي سليم شاه بن عثمان فهم بضرب عنقه ، فلما بلغ الخليفة ذلك ركب وأتى إلى ابن عثمان وشفع في ابن عدّاس وخلّصه من القتل ، ولولا كان في أجله فسحة ٣ لضربوا عنقه في الحال ، وقاسى شدة عظيمة من الطربة .

ثم إن العثمانية طفشت في العوام والعلماء من الزعر وغير ذلك ، ولعبوا فيهم بالسيف ، وراح الصالح بالطالح ، وربما عوقب من لاجنى ، فصارت جثثهم مرمية على الطرقات من باب زويلة إلى الرملة ومن الرملة إلى الصليبية إلى قناطر السباع إلى الناصرية إلى مصر المتيقة ، فكان مقدار من قُتل في هذه الوقعة من بولاق إلى الجزيرة الوسطى إلى الناصرية إلى الصليبية فوق العشرة آلاف إنسان في مدة هذه الأربعة أيام ، ولولا لطف الله تعالى [لكان] لعب السيف في أهل مصر قاطبة .

ثم إن العثمانية صارت تكبس على الممالك الجراكسة في البيوت والحارات ، فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه . ثم صاروا العثمانية تهجم الجوامع وتأخذ منها الممالك الجراكسة ، فهجموا على جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون وغير ذلك من الجوامع والمدارس والمزارات ، ويقتلون من فيها من الممالك الجراكسة ، فقبل قبضوا على نحو ثمانمائة مملوك مابين أمراء عسرات وخاصكية ومماليك سلطانية ، ١٥ فضربوا أرقابهم أجمعين بين يدي ابن عثمان . وقيل إن المشاعلى الذى كان هناك كان إفرنجياً ، وقيل كان يهودياً من الأروام ، فكان إذا ضرب عنق أحدهم الممالك الجراكسة يعزل رءوسهم وحدها ورءوس العلماء والعربان وحدها ، ثم ينصب الحبال على الصواري ويملأ عليها تلك الرءوس في الوطاق الذى فى (٨٢ ب) الجزيرة الوسطى . وكان المشاعلى إذا حز رأس الممالك يرمى جثثهم فى البحر . وأخبرنى من أثق به أنه شاهد جثة الأمير قانصوه روح لو ، أحد الأمراء المقدمين الذى كان نائب قطيا ، وهى مرمية قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش فى مصارينه وشحم بطنه ، فإنه كان رجلاً جسيماً . وقتل فى هذه الوقعة الأمير بخشبای من قائم الذى قرّر أمير

(٤) ضربوا : ضربوا . (١٤) ويقتلون : ويقتلوا . (١٨) رءوسهم : رءوسها .

(٢٠) من : ممن . (٢٢) مصارينه : مصارنه .

٣ مجلس كما تقدم ، وقُتل آخرون من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية وغير ذلك . وصارت الجثث مرمية في الرملة إلى سوق الخيل إلى الخيميين ، وقد تناهشت الكلاب أجسادهم . وصارت الخيول مرمية في الرملة وفي الأسواق . والأزقة ، وقد قتلوا بالبندق الرصاص في الوقعة .

٦ ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط ، إلا أن كان في زمن البخت نصر المالى لما أتى من بابل وزحف على البلاد بمساكره وأخربها وهدم بيت المقدس ، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان ، حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار ، فكان النيل يطلع وينفرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينتفع به ، لكن هذه الواقعة لها فوق الألف سنة قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام . ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هلاكو ملك التتار لما زحف على بغداد وأخربها وأحرق بيوتها ، وقاتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها ، واستمرت من بعد ذلك خرابا إلى الآن . ١٢ فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك : وما زالت الأيام تبدى المعائب .

١٥ فلما هرب السلطان طومان باي وقُتل من قتل من الأمراء والمسكر ، رجع السلطان سليم شاه إلى وطاقه الذى في الجزيرة الوسطى ونصب في وطاقه صنجقين ، أحدهما أبيض والآخر أحمر ، وذلك إشارة عندهم لرفع السيف عن أهل المدينة ، هكذا عادتهم في بلادهم إذا ملكوا مدينة وفتحوها بالسيف . - وفي هذا الشهر توفى الشيخ شهاب الدين القسطلاني ، وكان علامة في الحديث وله شهرة طائلة (٨٣ آ) ١٨ بين الناس ، وكان لا بأس به ، وكان من أعيان المحدثين .

٢١ وفي هذه الأيام صار الخليفة التوكل على الله هو صاحب الحل والعقد والأمراء والنهي في الديار المصرية ، وصارت أولاد السلاطين جالسة في دهاليز بيته ، مثل المقر الملاي على بن المؤيد أحمد وابن الظاهر خشدقم وأولاد الملك المنصور عثمان ، وغير

(٣-٤) وصارت الخيول... الوقعة: كتبها المؤلف في الأصل على الهامش. (٥) ولم تقاس : ولم تقاس .

(٧) مائة ألف ألف ألف : كذا في الأصل. (٨) يطلع : طلع. (١٠) الألف سنة : الألفين سنة .

- ذلك من أولاد الأمراء وأعيان الناس من الرؤساء والمباشرين ، وجماعة من الأمراء
مثل قنبك رأس نوبة ثاني وسنبيل مقدم الماليك ، وغير ذلك آخرون من الأمراء بايئة
في دهاليز بيته لم يلتفت إليهم . وكانت رسالته ماشية في القاهرة لا تُرَدُّ عند وزراء
٣ ابن عثمان ، وشفاعته في الناس لا تُرَدُّ ، وصار رنكه مضروبا على غالب البيوت التي
في القاهرة ، وصار هو مقام سلطان مصر في نفاذ الكلمة وإظهار العظمة في تلك
الأيام ، ودخل عليه من الناس أموال وتقادم عظمة ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده .
٦ وصارت جماعة من الستات والخوندات مرمية في دهاليز حرمه ، وصارت خوند ابنة
الأمير أقبردى الدوادر زوجة السلطان طومان باي مقيمة في بيته ، وقد قرّر عليها
السلطان سليم شاه مالا جزيلًا تردّه ، فلا زال الخليفة يتلطف بالسلطان سليم شاه حتى
٩ حطّ عنها جانبًا من المال الذي قرّره عليها ، وحصل له من الستات والخوندات خدما
جزيلة ، فطاش الخليفة في تلك الأيام إلى الناية ، وظنّ أن هذا الحال يتم له ، فكان
القبا بآخره ، كما يقال في المعنى :

١٢

أمر تضحك السفهاء منها ويبيكي من عوافها اللبيب

- ومن الحوادث أن أولاد الزنكلوني الذي جرى لهم مع السلطان الغوري ما جرى
ومات أبوها تحت الضرب ، وابن نور الدين المشالي الذي شقّه الغوري كما تقدّم ، فلما
١٥ تغيّرت الدول ودخل ابن عثمان إلى القاهرة ونادى: من كانت له ظلامة يرفع أمره إلى
السلطان سليم شاه ، فثارت أولاد الزنكلوني وابن نور الدين المشالي على القاضي شمس
الدين بن وُحيش ، وقالوا له: أنت كنت سببا لشقّ نور الدين المشالي وضرب الزنكلوني.
١٨ وقصدوا يعضون به إلى ابن عثمان يقطع رأسه ، فتراى على الخليفة في عمل المصاحبة
(٨٣ب) بينه وبين أولاد الزنكلوني وابن المشالي ، فتحكم الخليفة بينهم على أن ابن وُحيش
يدفع إلى أولاد الزنكلوني ثلاثمائة دينار ، وابن المشالي مائتي دينار فأبوا من ذلك ،
٢١ واستمرّت دعوتهم باقية على شمس الدين بن وُحيش إلى أن يمرضوا ذلك على ابن عثمان.

(١) الرؤساء : الرويسا . (٤) التي : التي .

(٩) مالا جزيلًا : مال جزيله . (١٩) يعضون : يعضوا .

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى السلطان سليم شاه بعد العصر فى القاهرة بأن
 الأمراء المتقدمين والأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات ، الذين اختفوا بعد الوقعة
 ٣ يظهرون وعليهم أمان الله تعالى . وقيل إن السلطان سليم شاه كتب للأمراء بأمان
 فى ورقة طويلة وعلقها المشاعلى على جريدة . ونادى أيضا بأن الأمراء المختفين إذا
 ظهروا يتوجهون إلى مدرسة السلطان النورى . فظهر الأمير أركس أمير سلاح
 ٦ والأمير أنصباى أمير آخور كبير والأمير تمر الحسنى رأس نوبة النوب والأمير
 طقطباى حاجب الحجاب والأمير تانى بك الخازندار أحد المتقدمين والأمير تانى بك
 النجمى أحد المتقدمين والأمير قانصوه أبو سنة أحد المتقدمين . ومن الأمراء
 ٩ الطبلخانات الأمير مصر باى الأفرع والأمير قن بك رأس نوبة تانى والأمير يشبك
 الفقيه دوادار السلطان طومان باى لما كان دوادار كبيرا وكان مختفيا فى جامع الأزهر
 فطلع بالأمان . وظهر من الأمراء العشرات نحو أربعين أميراً أو أكثر من ذلك
 ١٢ وآخرون من الخاصكية . فلما ظهروا اجتمعوا فى المدرسة النورية ، واحتاط بهم جماعة
 من العثمانية وقد تجوّنوا وصاروا فى الترسيم معهم . ثم أشيع أن الأمراء المذكورين
 قابلوا السلطان ابن عثمان فى الوطاق ، فلما قابله وتبجحهم بالكلام وبصق على
 ١٥ وجوههم وذكر لهم ظلمهم وما كانوا يصنعون ، ثم رسم لهم بأن يظلموا إلى القلعة
 ويقيموا بها محتفظا بهم ، فظلموا بهم إلى القلعة .

وفيه أشيع أن جان بردى الغزالى أرسل يطلب الأمان من السلطان سليم شاه ،
 ١٨ وقد وصل (٨٤٤) إلى الخانكاه وصحبته جماعة من الممالك الجراكسة الذين هربوا بعد
 الكسرة ، فأرسل له السلطان سليم شاه أمانا . - وفيه أشيع أن السلطان طومان
 باى لما وقعت له تلك الكسرة التى كانت بالصليبية وهرب ، ظهر بعد ذلك أنه توجه
 ٢١ إلى البهنسا وأقام بها ، فلما ضجر مما قاساه من الحروب والشرور أرسل القاضى عبد
 السلام قاضى البهنسا إلى الخليفة ليرسل له الأمان من السلطان سليم شاه . - وفيه

(١٨ و ٢) الذين : الذى : (٣) يظهرون : يظهروا . (٥) يتوجهون . يتوجهوا .

(١٦) وقيموا : وقيمون .

أشيع أن العثمانية هجموا على مقام الإمام الشافى رضى الله عنه ونهبوا ما فيه من البُسُط ومن القناديل فى حُجّة المالك الجراكسة ، وكذلك مقام الإمام الليث بن سعد أيضا نهبوا ما فيه .

٣

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم دخل جان بردى الغزالى إلى القاهرة وعلى رأسه ورقة فيها أمان من السلطان سليم شاه ، فلما دخل القاهرة توجه إلى وطلق ابن عثمان وقابله هناك . وكان الغزالى لما انكسر السلطان طومان باى فى الريدانية أشيع أن الغزالى توجه إلى غزّة ومعه جماعة من المالك الجراكسة ، وكان جان بردى الغزالى متواطئا مع ابن عثمان فى الباطن من أيام السلطان النورى ، وكان سببا لكسرة المسكر فى مراح دابق هو وخاير بك نائب حلب ، وانهزموا قبل المسكر وأشاعوا الكسرة على عسكر مصر .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم أشيع أن المالك الذين ظهروا صحبة الغزالى رسموا عليهم ، وقيل سجنوهم بالقلمة ، وكانوا نحو أربعائة مملوك ، وقد ظهروا بالأمان من ابن عثمان ، فلما ظهروا قبض عليهم وغدرهم فى أمانه ، وكان من عادته يعطى الأمان للأمرء والمالك ثم يفدر فى أمانه فى الحال ، فكان لا يثق أحد منه بأمان إذا أعطاه لأحد من الناس . - وفيه قرّر السلطان سليم شاه جماعة من أمرائهم منهم ١٥ نائب غزّة ومنهم كاشف المحلة وللشرقية والغربية ، وولى عدة جماعة كُشّاف فى أماكن مختلفة من البلاد .

وفى يوم الخميس عشرين المحرم نادى السلطان سليم شاه فى الصليبية وقناطر السباع ، بأن أصحاب الأملاك التى فى الصليبية وجامع ابن طولون يخلون من بيوتهم ، فإن (٨٤ ب) السلطان سليم شاه طالع إلى القلمة ليقم بها ، وصار يكرر المناداة فى كل يوم بذلك المعنى ، فخرجت الناس من بيوتهم على وجهم ، وانطلق فيهم حجرة نار ، وهجمت عليهم العثمانية فى بيوتهم وسكنوا فيها فى عدة أماكن من بيوت القاهرة ، حتى صارت الحارات والأزقة ما تنشق منهم ، وصاروا كالجراد المنتشر من

كثرهم ، من الصليبية إلى جامع قوصون إلى قناطر السباع إلى داخل باب زويلة ، وما خلا منهم موضع في المدينة ، وصارت الناس تسد أبوابها وتضيّقها مثل الخوارج حتى لا تدخل فيها الخيول ، ولم يفد من ذلك شيئا وهدموا ما بنوه وسكنوا بها .
٣ ثم إن السلطان سليم شاه طلع إلى القلعة في موكب حفل من عسكره ، وهذا أول طلوعه إلى قلعة الجبل ، ولما أن طلع إلى القلعة نادى للناس بالأمان والاطمان . -
٦ وفيه أشيع أن المالك الذين طلّعوا بالأمان قيّدوهم وأودعوهم في الوكالة التي خلف مدرسة السلطان الغوري .

وفي أوائل هذه السنة كانت وفاة الإمام العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن أبي شريف المقدسي الشافعي ، وكان عالما فاضلا في مذهبه بارعا في العلوم ، ولى قضاء الشافعية في أيام السلطان الغوري فأقام بها مدة وعزل عنها ، ثم قرّره الغوري في مشيخة مدرسته ، وقاسى في أواخر عمره شدائد ومحنا من السلطان الغوري ، وأقام مدة طويلة وهو عليل حتى مات ، وعاش من العمر فوق الثمانين سنة ، ولما مات كانت الحرب والفتن قائمة فلم يشعر بموته أحد من الناس رحمة الله عليه . - وتوفى أيضا البدرى حسن بن الطولوني معلم المعلمين كان ، وكان رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس ، وكان كفّ بصره قبل موته بمدة طويلة ، وكان أنشأ له تاريخا في ضبط الوقائع ، وكان علامة في كل فن رحمة الله عليه .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرين المحرم أخلع الدفتردار على الشرفي يونس الأستاذ دار قفطان نخل مذهبا وجعله متحدثا على جهات بلاد الشرقية ، ليمسح البلاد ويكشف ما فيها من إقطاعات المالك الجراكسة وغير ذلك من الرزق والأوقاف ، فأخذ قوائم من أولاد الجيمان بمعنى ذلك ونزل إلى الشرقية ، فما أبقى من (٨٥ آ) أبواب المظالم شيئا حتى فعله بالشرقية . وقرّر نضر الدين بن عوض وبركات أخا شرف الدين الصغير

(٢) وتضيّقها : وتضيّقهم . (٦) الذين : الذي . || قيّدوهم : قيدهم . (١١) شدائد ومحنا : شدايدا ومحن . (١٢) كانت : كان . (١٣) والفتن : والفتن . (٢٣) أخا : أخوا .

متحدثين في جهات الغربية ، وقرّر الزينى بركات بن موسى متحدثا [في] جهات
الحلة ، وقرّر شرف الدين الصغير وأبا البقا ناظر الاسطبل متحدثين في الجهات القبليّة ،
٣ فأظهر كل منهم أنواعا من المظالم في حق الناس بسبب الإقطاع والرّزق . وأشيع
أن السلطان سليم شاه أوقف أمر الناشير التي بيد أولاد الناس بسبب أفاطيمهم ،
فحصل لهم غاية النكد بسبب ذلك .

٦ وفي أواخر هذا الشهر تشحّطت الغلال من القاهرة وارتفع الخبز من الأسواق ،
وسبب هذا الأمر أن العثمانيّة لما دخلوا إلى القاهرة نهبوا الغل الذي كان في الشون
وأطمعوه لخيولهم ، حتى لم يبق بالشون شيئا من الغلال ، ونهبوا القمح الذي كان
٩ بالطواحين واضطربت أحوال الناس قاطبة ، ثم إن الأخبار ترادفت بأن السلطان
طومان باي ظهر أنه بالصعيد عند أولاد ابن عمر ، ومنع المراكب من الوصول إلى
مصر بالغلال ، فبموجب ذلك وقعت هذه التشحيطة بمصر .

١٢ ولما طلع ابن عثمان إلى القلعة احتجب عن الناس ولم يظهر لأحد ، ولا جلس على
التكّة بالحوش السلطاني جلوسا عاما وحكم بين الناس وينصف الظالم من المظلوم ، بل
كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة ، من قتل وأخذ أموال الناس
١٥ بغير حق ، وكان هذا على غير القياس ، فإنه كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان
وهم في بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه إلى مصر ، فلم يظهر لهذا الكلام نتيجة ولا
مشى سليم شاه في مصر على قواعد السلاطين السالفة بمصر ، ولم يكن له نظام يُعرف
١٨ لاهو ولاوزراؤه ولا أمراؤه ولاعسكره ، بل كانوا همجا لا يُعرف الغلام من الأستاذ .
ولما أقام ابن عثمان بالقلعة ربط الخيول من الحوش إلى باب القلعة إلى عند الإيوان
الكبير وباب الجامع الذي بالقلعة ، وصار زبل الخيل هناك بالكبان على الأرض ،
وأخرب غالب الأماكن التي بالقلعة وفكّ رخامها ونزل به في مراكب يتوجهون به
٢١ إلى (٨٥ ب) إسطنبول . - ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرملّة

(٤) التي : التي . (٨) لم يبق : لم يبق . (١٤) مظلمة : مظلمة .

(١٥) فإنه : فإن . (٢١) التي : الذي . || يتوجهون : يتوجهوا .

من باب القرافة إلى سوق الخليل . - ثم إن العثمانية نصبوا خيمة في وسط الرملة وجعلوا فيها أذنان بوزة ، وخيمة أخرى فيها جفن حشيش ، وخيمة أخرى فيها صبيان مرد يحارفون كما دأبهم في بلادهم . ٣

وفي يوم الجمعة جاءت الأخبار من بلاد الصعيد بأن السلطان طومان باي قويت شوكته والتف عليه جماعة كثيرة من العربان ، واجتمع عنده من الأمراء والعسكر الجم الغفير ، وأشيع أن وصل إليه من ثمر الإسكندرية زردخاناه ما بين نشاب وقسي وبارود . فلما تحقق السلطان سليم شاه ذلك أخذ حذره من الأشرف طومان باي ، وصار على رؤوس أهل مصر طيرة مما جرى عليهم في تلك الوقعة التي كانت في الصليبية ، فغشوا من مثل ذلك . ٩

وفي صفر كان مستهل الشهر يوم الأحد . - ففي يوم الثلاثاء ثالث الشهر حضر الملاي على ناظر الخاص وكان قد توجه إلى ثمر الإسكندرية ، فلما حضر أحضر صحبته جماعة من الماليك الجراكسة كانوا هناك ، فأحضرهم في زناجير . - ثم أشيع بعد ذلك أن ناظر الخاص كان توجه إلى الإسكندرية بسبب خنق الظاهر قانصوه خال الناصر الذي كان بشفر الإسكندرية ، فقبل خنق في البرج الذي كان به ، وكان السلطان طومان باي أفرج عنه وأخرجه من البرج وسكن في قاعة الملك المؤيد أحمد وأذن له أن يركب ويصلي صلاة الجمعة مع الناس في الجامع ، فلما توجه ناظر الخاص إلى ثمر الإسكندرية أظهر أنه يعيد الظاهر قانصوه إلى البرج كما كان ، فلما أعيد إلى البرج خنقوه تحت الليل ودفن هناك ، وكان ملكا هيئا ليئا ، ولما ولي السلطنة بمصر انصلحت أحوال الديار المصرية في أيامه انصلاحا جيدا وتمتني كل أحد من الناس بقاءه ، ثم قاسى شدائد ومخنا وآخر الأمر قتل مخنوقا ، وكان له (٨٦ آ) من العمر نحو من أربعين سنة ، وكان سبب خنقه أن كان قد أشيع أن الأتراك تقصد عوده إلى السلطنة ، فبادر السلطان سليم شاه وخنقه وكفى أمره . ١٨ ٢١

وفي هذه الأيام تزايد الأذى من عسكر ابن عثمان ، فكانوا يخرجون وقت صلاة

(٣) يحارفون : يحارفوا . (٢٠) شدائد ومخنا : شدايدا ومخنا . (٢٣) يخرجون : يخرجوا .

- الصبح ويتوجهون [إلى] الضياع التي حول الخانكاه ، فيحشّون ما فيها من الزروع
من البرسيم والفول ، فيطعمونه إلى خيولهم في كل يوم ، ثم صاروا يأخذون دجاج
الفلاحين وأغنامهم وأوزم ، حتى أبوابهم وخشب السقوف الذي هناك ، حتى أخبروا ٣
غالب ضياع الشرقية وسواحل البحر ، فلما يرجعون أواخر النهار يياتون في الوطاق
الذي في الرملة ، ثم صاروا يخطفون الماييم ويعرّون الناس في الأماكن المفردة من بعد
المساء ، فرسم السلطان سليم شاه بعمل دروب في كل حارة ، وسدّوا عدّة طرق من ٦
الحارات ، وكذلك عدّة أبواب جعلوها خوخ ، وكان التوتوي عمل ذلك يحيى بن نكار
دوادار الوالي ، فبلى الناس في هذه الحركة وأخذ منهم جملة مال ، ولم يفد من عمل
هذه الدروب شيء ، وحصل للناس الضرر الشامل وجبوا الأموال من الحارات بسبب ٩
تلك الدروب . - ولما أقام ابن عثمان بالقلمة نزل منها ودخل حمام خشقدم الزمام التي
بالرملة ، فأقام بها إلى بعد العصر ، ثم عاد إلى القلمة .
- وفي يوم الأربعاء رابع صفر وردت الأخبار بأن الأمير ألباس كاشف الغريبة طرق ١٢
أطراف جهات الجيزة على حين غفلة ، وأخذ منها عدّة خيول كانت هناك ، وبعض جمال
كانت هناك لخير بك نائب حلب ، ثم أشيع أن ألباس قتل جماعة من العثمانية ، فلما
بلغ السلطان سليم شاه ذلك أرسل تجريدة إلى جهة الجيزة وعيّن بها أئني عثمانى ورماة ١٥
بالبندق الرصاص ، فلما عدّوا إلى برّ الجيزة لم يجسروا أن يتبعوا ألباس وقانصوه
العادلي . ثم إن ابن عثمان نادى في القاهرة بأن أبواب المدينة وأبواب الدروب تغلق
وقت صلاة الجمعة ، خوفا من المالك الجراكسة أن لا يطرقوا المدينة على حين غفلة من ١٨
أهلها .

ثم إن السلطان سليم شاه قبض على جماعة من (٨٦ ب) المالك الجراكسة الذين
كانوا ظهروا بالأمان ، وكانوا في الترسيم في الوكالة التي خلف مدرسة الفوري ، وكان ٢١

(١) ويتوجهون : ويتوجهوا . || فيحشّون : فيحشوا . (٢) فيطعمونه : فيطعموه . ||
يأخذون : يأخذوا . (٤) يرجعون : يرجعوا . || يياتون : يياتوا . (٥) يخطفون ...
ويعرون : يخطفوا ... ويعروا . (١٠) تلك : ذلك . (٢٠) الذين : الذي .

- منهم جماعة في سجن الديلم ، وكان فيهم أمراء عشرات ، فرسم بأن يُنفوا إلى إسطنبول ، فأخرجوهم وهم في قيود وأركبوهم على حمير ، والأعيان منهم على جمال ، ومنهم من هو ماش على أقدامه وهو في زنجير ، وكانوا نحو سبعمائة مملوك ، وقيل أكثر من ذلك ، فشقوا بهم القاهرة ثم توجهوا بهم إلى بولاق وأنزلوهم في المراكب فلما استقرّوا في المراكب خشبوا منهم جماعة بقراى خشب في أيديهم ، ثم سافروا بهم في البحر إلى ثغر الإسكندرية ، ثم يتوجهون بهم من هناك إلى إسطنبول ، فصار لنسائهم وأولادهم ضجيج وبكاء في ساحل بولاق عند ما ودّعوهم
- وفي يوم الأربعاء حادى عشر صفر أخلع السلطان سليم شاه على القضاة الأربعة الذين كانوا في أسره بجلب ، وهم قاضى القضاة الشافى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة محمود بن الشحنة الحنفى وقاضى القضاة محيى الدين بن الدميرى المالكى وقاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، وأعادهم إلى وظائفهم كما كانوا في الأول بمصر . وكانت الأحوال قد فسدت جدا فإن السلطان سليم شاه لما دخل إلى القاهرة جعل في المدرسة الصالحية قاضيا من قبله سماء قاضى العرب ، فصار لا يحكم إلا في المدرسة الصالحية ، فنع نواب قضاة مصر والشهود الذين بها قاطبة أن لا يعقدوا عقدا لأحد من الناس ولا يكتبوا إجازة ولا وكالة ولا وصية ولا شيئا من الأشغال قاطبة ، فكانت الناس إذا راموا أن يعقدوا عقدا لتزوج من أبنكار أو ثيبات فيمضون إلى المدرسة الصالحية ويحصل لهم كلفة زائدة ومشقة . وكذلك في الوصية أو في جميع أشغال الناس ، فضاعت على الناس حقوقها واضطربت أحوال الأحكام الشرعية في هذه الأيام . وكان القاضى الذى قرّره ابن عثمان يحكم في الصالحية أجهل من حمار ، وليس يدرى شيئا في الأحكام الشرعية ، ويضّيع على الناس حقوقها ، وكان إذا دخل عليه مبلغ في كل يوم يعطى الموقعين والشهود الذين عنده من (٨٧ آ) ذلك المبلغ بمض شيء ويقول الباقي حصّة بيت المال ، فيشيل بقية المبلغ في صندوق ويقفل عليه ، واستمرت القضاة والشهود مع قاضى العرب الذى قرّره ابن عثمان في غاية النكد ،

- ومنع القضاة والشهود من الحكم والشهادة ، وأقاموا على ذلك نحو شهر وقد منعوا من ذلك ، وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين بن الزيتوني في معنى ذلك :
- ٣ مُنَعْنَا الحكم والإشهاد أيضا فيا سنة الكرى عيني فزورى مُنَعْنَا كلنا من غير ذنب كأننا قد أتيناكم بزور
- وفي هذا الشهر أشيع أن السلطان طومان باى أرسل عدة مطالعات إلى المباشرين وأعيان الناس وإلى كاتب السرّ حتى إلى الخليفة ، فأرسل يعتب عليهم ويقول لهم : ٦ يا سبحان الله إن كنتم نسيتمونا فنحن ما نسيناكم . وأرسل يعتب عليهم ويتحرّش بهم ، ثم بعد أيام أشيع أن طومان باى أرسل يقول إلى ابن عثمان : إن كنت تروم أن أجعل الخطبة والسكة باسمك وأكون أنا نائبا عنك بمصر وأحمل لك خراج مصر ٩ حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذى أحمله إليك في كل سنة ، فارحل عن مصر أنت وعسكرك إلى الصالحية وصون دماء المسلمين بيننا ولا تدخل في خطية أهل مصر من كبار وصغار وشيوخ وصبيان ونساء ، وإن كنت ما ترضى بذلك فاخرج ولا قبني ١٢ في برّ الجيزة ويعطى الله تعالى النصر لمن يشاء منا . فلما وقف السلطان سليم شاه على مطالعة السلطان طومان باى أرسل خلف أمير المؤمنين والقضاة الأربعة ، وأحضر جماعة من وزرائه وكتب بحضرتهم صورة حلف إلى السلطان طومان باى ، وكتب ١٥ ابن عثمان خطه عليه ، ووقع في ذلك اليوم الاتفاق بالقلمة أن الخليفة والقضاة الأربعة يتوجهون إلى السلطان طومان باى بذلك الحلف على أيديهم ، ثم إن ابن عثمان أخلع على القضاة الأربعة قفطانات مخمل مذهبا وقال لهم : انزلوا اعملوا بركم حتى تتوجهوا ١٨ إلى طومان باى نحو الصعيد . فزلوا من القلمة على ذلك ، ثم إن الخليفة امتنع من التوجه إلى السلطان طومان باى ، وقال : أنا أرسل دوادارى برد بك صحبة القضاة الأربعة . (٨٧ ب) وأشيع أن المطالعة التى أرسلها السلطان طومان باى إلى ابن ٢١ عثمان ذكر في ذيل المطالعة : ولا نحسب أنى أرسلت أسألك في أمر الصلح عن عجز ، فإن مى ثلاثين أميرا ما بين مقدّمين ألوف وأربعينات وعشرات ، ومى من المالك

السلطانية والعربان نحو عشرين ألفا، وما أنا بعاجز عن قتالك، ولكن الصلح أصلح إلى صون دماء المسلمين . ثم في عقيب ذلك توجهت القضاة الأربعة وبرد بك دوادار الخليفة إلى عند السلطان طومان باى نحو الصعيد . ٣

وفي هذه الأيام قويت الإشاعات بأن السلطان طومان باى جمع من المساكر والعربان ما لا يحصى عددهم وهو زاحف على ابن عثمان ببرّ الجيزة، فكثير القيل والقال في ذلك ووقع الاضطراب في القاهرة بسبب ذلك . - وفي أثناء هذا الشهر أشيع أن الأمير علان من قراجا الدوادار الكبير قد توفى بالصعيد، ودفن في بعض الضياع هناك، وصلى عليه السلطان طومان باى والأمراء الذين كانوا هناك، وكان الأمير علان جرح في الوقعة التي كانت في الريدانية، واستمرّ عليلا من ذلك حتى مات هناك، وكان من فحول الأمراء وأشجعهم، والله غالب على أمره . ٦ ٩

وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر تزايد فساد العربان بالشرقية، وصاروا يقطعون الطريق على العثمانية ويقتلونهم ويأخذون خيولهم ورجالهم وسلاحهم . ونهبوا بلاد عبد الدايم بن أبي الشوارب وأحرقوها، ونهبوا عدة بلاد من الشرقية، منهم قليوب وقلقشندة وغير ذلك من البلاد، ووصلوا إلى شبرا المنية، وصاروا يعدّون من شبرا إلى قنطرة الحاجب . فلما تزايد الأمر أرسل إليهم السلطان سليم شاه تجريدة فيها من المسكر نحو ألف وخمسمائة عثمانى، وجعل بائشهم جان بردى الغزالي، فخرجوا من القاهرة على حمية وتوجهوا إلى الشرقية فأقاموا بها أياما، فأخلت العربان من وجههم وصعدوا إلى الجبال فرجع ذلك المسكر من غير طائل من العربان . ١٢ ١٥ ١٨

وفي أثناء هذا (٨٨٨ آ) الشهر وردت الأخبار من بلاد الصعيد بأن القضاة الأربعة وبرد بك دوادار الخليفة وقاصد ابن عثمان مُصلح الدين الذي كان أرسله معهم وجماعة من العثمانية، فلما وصلوا إلى قريب البهنسا خرج عليهم جماعة من العربان معهم جماعة من الأتراك فقتلوا العثمانية، وهرب برد بك دوادار الخليفة وعروّه وأخذوا أثوابه وهرب حتى نجا من القتل، ونهب جميع ما معه من القماش وغيره، (٨) الدين : الذي . (١٢) ويقتلونهم ويأخذون : ويقتلهم ويأخذوا . (١٤) يعدّون : يعدوا . ٢١

وأشيع قتل قاضي البهنسا عبد السلام ، ونهبوا ما كان مع القضاة من البرك ، وما سلموا من القتل إلا بعد جهد كبير . فلما بلغ ابن عثمان ذلك اضطربت أحواله وتحقق أن السلطان طومان باي قد أبى من الصلح بعد أن أرسل يطلب الأمان . ثم إن ابن عثمان نقل وطاقه من الجزيرة الوسطى إلى بركة الحبش .

وفي يوم السبت حادى عشرين صفر نزل السلطان سليم شاه من القلعة ومعه الجمل الفقير من المساكر وتوجه إلى الوطاق ببركة الحبش ، وتوجهت المباشرون صحبته حتى القاضى كاتب السر . - وفي هذه الأيام اختفت السقاين بجمالهم وضع الناس من العطش ، وزعموا أن ابن عثمان طلب جميع السقاين بجمالهم ورواياهم حتى يسافروا معه إلى الصعيد بسبب السلطان طومان باي إن كان يهرب منه إلى بلاد الزنج ، فوصل ثمن الراوية الماء أربعة أنصاف ، وقيل خمسة أنصاف .

وفي يوم السبت ثامن عشرين صفر أشيع أن أوائل عساكر السلطان طومان باي قد وصل إلى ترسة بالقرب من الجزيرة ، فرسم ابن عثمان بعمل وحيات على شاطئ البحر بطراً لأجل تمدية عسكره ، وكذلك في بر مصر العتيقة . - وفي هذه الأيام امتنع الجالب من البضائع التى كانت تدخل إلى القاهرة من الأجبان والسمن والقشطة وغير ذلك من البضائع ، التى كانت تجلب من الجزيرة وقلوب والمنية وشبرا ، واضطربت أحوال القاهرة جداً بسبب إقامة هذه الفتنة .

وفي ربيع الأول كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، فأشيع أن جان بردى الغزالى لما خرج إلى بلاد الشرقية كبس على عدة بلاد من الشرقية حتى وصل إلى التل والزمرؤين وإلى زنكلون ، فنهب ما فيها من الأبقار والأغنام والأوز والدجاج ، (٨٨ ب) وأسر نساء الفلاحين وأولادهم الصبيان والبنتان ، وصار يبيعهم فى القاهرة بأبخس الأثمان ، كما فعل أقبردى الدوادار بالعرب الأحامدة وأولادهم ، فاشتري بعض الناس منهم بنتا بأربعة أشرفية وأعتقها وأوهبها إلى أمها وقد رقى لها من الأسف على ابتها ، وفعل فى الشرقية ما لا فعله البخت نصر لما دخل إلى مصر . ثم إن يونس باشا (٣) أبى : أباً . (٦) المباشرون : المباشرين . (١٩) والزمروين : كذا فى الأصل .

نادى في القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئا من الأبقار والأغنام
يرده على أصحابه، وكذلك أولاد الفلاحين، ولام جان بردى الفزالي فيما فعله في الشرقية.
٣ وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول رسم السلطان سليم شاه بأن الأمراء الذين
كانوا في القلعة في الترسيم، بأن يحضروا إلى بين يديه بالوطاق الذي ببركة الحبش ،
فزلوا بهم من القلعة وهم على بنال وشيء على حمير وشيء مشاة ، وهم في جنازير
٦ وعليهم كبورية عتق وعلى رؤوسهم كوفى بغير شاشات ، وقيل كان فيهم من الأمراء
المقدمين سبعة وهم: أركلس أمير سلاح وأنصبأى أمير آخور كبير وتمر رأس نوبة النوب
وطقطبأى حاجب الحجاب وتانى بك الخازندار أحد الأمراء المقدمين وتانى بك النجمي
٩ أحد الأمراء المقدمين وقانصوه أبو سنة أحد الأمراء المقدمين ؛ وأما الأمراء الطبلخانات
فمنهم : قنبك رأس نوبة ثاني ومصر باى الأقرع وألماس والى القاهرة ومامأى الصغير
المحتسب ويوسف الأشرفى الزردكاش الثانى والأمير يشبك الفقيه وآخرون من الأمراء
١٢ الطبلخانات ما يحضرنى أسماؤهم الان ؛ وأما الأمراء العشرات فجماعة كثيرة
ما يحضرنى أسماؤهم ، فكان مجموع هؤلاء الأمراء المقدم ذكرهم أربعة وخمسين أميراً
ما بين مقدّمى ألوف وغير ذلك ، فلما مثلوا بين يدي السلطان سليم شاه وبجهم بالكلام
١٥ ثم أمر بضرب أعناقهم أجمعين ، وقد قال القائل في المعنى :

يا دهر بيع رتب الممالى مسرعا بيع الهوان ربحت أم لم ترج
قدم وأخر من أردت من الورى مات الذى قد كنت منهم تستحي

١٨ فضربت أعناقهم بالوطاق الذى ببركة الحبش ، وذلك في يوم السبت سادس
ربيع الأول ، وصارت أجسادهم مرمية على الأرض تنهشم الكلاب بالنهار والضباع
والذئاب بالليل ، وصارت نساء الأمراء المقدمين تبرطل المشاعلية بمال له صورة (٩٠ آ)

٢١ (٢٠) ٩٠ آ : كتب المؤلف ما يأتى على الورقة رقم ٨٩ وألصقها في الأصل بن الورقتين رقم
٨٨ و ٩٠ :

(٨٩ آ) ومن العجائب أن السلطان طومان باى لما اتفق مع ابن عثمان المرة الثانية وأقام =

- حتى يَمَكَّنوها من نقل جثة زوجها ، فتحضر له تابوتا وحمالين فيحملوه من بركة الحبش إلى المدينة ، فتفسله وتسكفنه وتدفعه في تربته إن كان له تربة ، وصارت جثث البقية مرمية هناك تنهشها الكلاب . وكانت هذه الكاينة من أعظم الكواين في ٣ حق الأمراء ، وقد ظهروا بالأمان من ابن عثمان ثم غدرهم وقتلهم ، فكان لا يثق أحد له بأمان وليس له قول ولا فعل . وقيل كان سبب قتل هذه الأمراء أن السلطان طومان باي لما قتل قاصد ابن عثمان وجماعة من عسكره الذين توجهوا بحجة القضاة الأربعة ٦ لما طلب طومان باي الأمان من ابن عثمان ، فلما فعل ذلك علم ابن عثمان أنه قد أبى من الصالح فقتل هؤلاء الأمراء ظلما بعد أن أعطاهم الأمان منه ، وقد قلت في هذه الواقعة:
- جَلَّ الذي أفنى عساكر مصرنا من دولة أتراكها من جركسى ٩
وأنت إلينا دولة الأروام من أولاد عثمان ذوى الفعل السى
قتلوا أكابرنا بأيسر حيلة عملت عليهم لا بأسهام القسى
ياليت شمري دولة الأتراك هل تأتى كما كانت ونذكر ما نسى ١٢

- == بجامع شيخوا ، أراد الأمير أركاس أمير سلاح والأمير تانى بك الخازندار والأمير تمر الحسنى الزردكاش وجماعة من الأمراء المقدمين أن يهجموا على السلطان طومان باي وهو بجامع شيخوا ويقبضوا عليه ويضموه في الحديد ويسلموه باليد إلى السلطان سليم خان بن عثمان ويحملوا لهم وجها ١٥ عند ابن عثمان ، فرد الله تعالى بقتيمهم على أنفسهم ، فنادى لهم ابن عثمان بأن يظهروا ولهم الأمان وكتب لهم أوراها بالأمان إذا ظهروا ، فظنوا أن هذا الأمان يفيدهم وقد حسن لهم الأمير تانى بك الخازندار المقابلة إلى ابن عثمان وقال لهم : ضمانكم على إذا قابلتوه ما يحصل لكم إلا كل خير ، فوضعوا تلك الأوراق على رؤوسهم ووضعوا في أرقابهم مناديل وقابلوا ابن عثمان ، فلما قابلوه [فى] (٨٩ ب) بركة الحبش ونجهم بالكلام فأغلظ عليه في القول الأمير أركاس أمير سلاح وقال له : أمن عادة الملوك أن يطلوا الأمان ويندروا . فحق منه ابن عثمان وأمر بضرب أعناق الأمراء أجمعين ، وقد رد ٢١ الله تعالى بنى الأمراء على أنفسهم ، والذي راموه لسلطان طوماى باي اقلب عليهم ، والحجازة من جنس العمل ، والذي قصدوه لطلومان باي وقموا فيه ، فعد ذلك من العبر الغريبة ، انتهى ذلك ، وقد قيل :

يا ملوك الترك امضوا جاء للملك سليم
ملككم كان عوارى والعوارى لا تدوم

ومن الحوادث أن السلطان سليم شاه لما قتل الأمراء قبض على نساءهم ورسم عليهم وأرسلهم إلى بيت ناظر الخاص، وقد أشيع أنه يقصد أن يصادرهم وقرّر عليهم مالا ، فأقاموا في بيت ناظر الخاص أياما ولم يردّوا من المال شيئا ، فنقلوهم إلى بيت الدفتردار ، فقصّد أن يعاقبهم وقيل سجن منهم جماعة في الحجرة حتى يردّوا ما قرّر عليهم من المال ، ورسم على مباشرى الأمراء الذين قتلوا أيضا حتى يقيموا حساب إقطاعاتهم ، فأقاموا في الترسيم مدة .

وفي يوم الأحد سادس ربيع الأول عدّى السلطان سليم شاه إلى برّ الجيزة بسبب قتال الأشرف طومان باى ، وقد بلغه أنه قد وصل إلى المناوات ومعه من العربان والمسكر من المالك الجراكسة الجرمّ الفقير ، فلما عدّى إلى الجيزة أقام بها إلى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول ، فتلاقى عسكر بن عثمان وعسكر السلطان طومان باى على وِردان ، وقيل على المناوات ، فكان بين الفريقين وقعة لم يسمع بمثلا ، أعظم (٩٠ ب) من الوقعة التي كانت على الريدانية ، وقيل كانت هذه الوقعة عند كوم الحمام ، فكان بين الفريقين وقعة مهولة وانكسرت العثمانية غير ما مرّة ، وطردتهم الأتراك حتى ألقوا أنفسهم في البحر ، وكانت الكسرة عليهم أولا ، وقتل منهم جماعة كثيرة . ثم بعد ذاك تكاثرت العثمانية على الأتراك وطرشتهم الرماة بالبندق الرصاص ، فهزموهم ووقعت الكسرة على الأتراك ، وولّى السلطان طومان باى مهزوما ، فتوجّه إلى بلدة تسمى البوطة في أعلا تروجة . وهذه خامس كسرة وقعت على عسكر مصر ، وكان السلطان طومان باى ليس له سعد في حركاته ، كل ما رام أن ينتصر على ابن عثمان ينعكس ، فكان كما يقال في المعنى :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاد

فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر قطع رؤوس المالك من الجراكسة ، وقطع رؤوس جماعة كثيرة من العربان الذين كانوا مع السلطان طومان باى ، فلما تكاملت

(٥) مباشرى : مباشرين . (١٠) فتلاقى : تلاقا . (١٥) تكاثرت : تكثر .

(٢٢) الذين : الذى .

قطع الرؤوس رسم ابن عثمان بإحضار مراكب ، فلما حضرت وضعوا فيها الرؤوس الذى قتلوا ، فلما عدّوا إلى برّ بولاق صنعوا مدارى خشب وعلقوا عليها تلك الرؤوس وحملتها النواتية على أكتافها ولاقتهم الطبول والزمور ، ونادوا فى القاهرة بالزينة ٣ فزينت زينة حافلة ، وشقّوا بتلك الرؤوس من باب البحر إلى باب القنطرة ، وطلّموا بهم من على سوق مرجوش وشقّوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود . وقيل كان عدّة الرؤوس الذى قتلوا فى هذه الوقعة ودخلوا القاهرة نحو ثمانمائة رأس ما بين ٦ أتراك وعربان وغير ذلك ، والذين قتلوا هناك وألقوا فى البحر أكثر من ذلك .

وفى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول كانت ليلة المولد النبوى ، فلم يشعر به أحد من الناس ، وبطل ما كان يُعمل فى ليلة المولد من اجتماع القضاة الأربعة والأمراء ٩ بالحوش السلطانى ، والأسمطة التى كانت تعمل فى ذلك اليوم ، وما كان يحصل للمقرئين من الشق والإنعام فى تلك الليلة ، فبطل ذلك جميعه ، وأشيع أن ابن عثمان لما طلع إلى القلعة (٩١ آ) وعرض الحواصل التى بها فرأى خيمة المولد فأباعها ١٢ للمعاربة بأربعمائة دينار ، ففطموها قطما وأباعوها للناس ستائر وسفر . وكانت هذه الخيمة من جملة عجائب الدنيا ، لم يعمل مثلها فى الدنيا قط ، قيل إن مصروفها على الأشراف قايتباى ثلاثين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان بها تجمل لما ١٥ تنصب يوم المولد الشريف ، وكانت كهيئة القاعة ولها أربعة لواوين وفوقهم قبة بقمرات والكل من قاش ، وكان فيها تقاصيص غريبة ، وصنایع عجيبة ، لم يعمل الآن مثلها أبدا ، فكانت إذا نصبت أيام المولد يحضرون بجماعة من النواتية نحو من ١٨ خمسمائة إنسان حتى ينصبونها فى الحوش السلطانى . وكانت من جملة شعائر الملكة فاتباعت بأجنس الأتقان ، ولم يعرف ابن عثمان قيمتها ، وفقدتها السلوك من بعده ، فحصل منه الضرر الشامل ، وهذا من جملة مساوئه التى فعلها بمصر . ٢١

(١) بإحضار : لإحضار . (٢-١) الرؤوس الذى قتلوا : كذا فى الأصل ، وتلاحظ
عامية الأسلوب فى العبارات التالية . (٧) والذين : والذى . (١٠ و ١٢) التى : الذى .
(١٨) يحضرون : يحضروا . (٢٠) فاتباعت : كذا فى الأصل .

وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما بلغه أن الدفتردار رسم على نساء الأمراء الذين قتلوا ، فأنكر على الدفتردار ذلك وأمر بإطلاقهن من التراسيم ، وأن لا أحدا يأخذ منهن شيئا ويترك لهم ما تأخر عليهم من المال ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، فلم يظهر لهذا الكلام نتيجة فيما بعد ، واستمرت المصادرات عمالة كما كانت ، وازدادت أضمافا فوق ما كانت .

وفيه جاءت الأخبار من البهنسا بأن قاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود ابن قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة قد قُتل ، هو وأخوه أبو بكر ، وكان السلطان سليم شاه أرسله مع قضاة القضاة الثلاثة إلى السلطان طومان باى إلى البهنسا لما أرسل يطلب من ابن عثمان الأمان ، فكتب له أمانا وصورة حلف ، وأرسله على يدى قضاة القضاة وأرسل صحبتهم أميرا من أمرائه وجماعة من العثمانية ، فلما وصلوا إلى هناك فلم يوافق السلطان طومان باى على الصلح ولا مكثوه الأمراء من ذلك ، وثاروا على جماعة ابن عثمان وقتلوه عن آخرهم ، وقتلوا عبيد السلام قاضى البهنسا ، وقتلوا قاضى القضاة محمود ابن الشحنة ، ويقال كان سبب قتله أن أخاه أبا بكر كان عنده خفة ورهج ، وكان عنده عترسة ومولحة رقبة ، فسموه الناس الموتى ، فزعموا أنه غمز على شخص من المالك الجراكسة كان محتفيا فى مكان فدلّ العثمانية عليه ، فهجموا على ذلك المملوك وقطعوا رأسه ، (٩١ ب) فلما سافر قاضى القضاة محمود بن شحنة إلى السلطان طومان باى بسبب الأمان الذى أرسله إليه ابن عثمان ، فسافر أبو بكر صحبة أخيه محمود إلى البهنسا ، فنارت الأتراك على جماعة ابن عثمان وقتلوه هناك ، فكان للمملوك الذى قُتل أخ هناك ، فغمز بعض الناس على أبى بكر وقالوا له : هذا الذى غمز على أخيك حتى قطعوا رأسه . فوثب ذلك المملوك على أبى بكر وقطع رأسه هناك ، فتمصّب له أخوه محمود ، فقطّع رأس الآخر ودُفنا هناك ، وهذا ما أشيع واستفاض بين الناس عن أمرها .

ولما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر ، أقام فى برّ الحيزة أياما ، وسير هناك

وتفرج على الأهرام وتمجّب من بنائها . - ولا كثر الاضطراب بالقاهرة ضيّقت
الناس أبوابها الكبار وجعلوها خوفاً صفارا ، لا يدخل منها فرس ولا راكب . - وفي
يوم الأربعاء سابع عشرة نادوا في القاهرة بإبطال الفلوس العتيق ، وضربوا للناس
فلوساً جديداً كل اثنين بدرهم ونصف ، وعليهم اسم سليم شاه ، فكانوا في غاية الخفة ،
فتضرّروا الناس منها إلى الغاية .

- ٦ وفي أثناء هذا الشهر كانت وفاة صاحبنا الناصري محمد بن الأشقر شيخ الشيوخ بخاتمة
سرياقوس ، وكان أصيلاً عريقاً من ذوى البيوت ، وكان والده القاضي محب الدين
ابن الأشقر ، ولى نظارة الجيش وكتابة السر بالديار المصرية ، وكان من أعيان
الرؤساء رحمه الله عليه ، فمات وله من العمر فوق الثمانين سنة ، وكان عنده لين جانب مع
تواضع زائد ، وكان أسمر اللون جداً لأن أمه كانت جارية حبشية مستولدة ابن الأشقر .
ومن هنا نرجع إلى أخبار السلطان طومان باى ، فإنه لما تلاقى مع عسكر ابن
عثمان على المناوات ، وقيل بوردان ، فانكسر عسكر السلطان طومان باى كما تقدم
القول على ذلك ، فلما انكسر توجه إلى نحو تروجة بالفرية فلاقاه حسن بن مرعى
وابن أخيه شكر مشايخ البحيرة في ضيعة تسمى البوطة ، فعزم حسن بن مرعى
وشكر على السلطان طومان باى هناك ، وكان حسن بن مرعى بينه وبين السلطان
طومان باى صداقة قديمة فأركن له طومان باى ونزل عنده على سبيل الضيافة ، ثم إن
السلطان طومان باى أحضر إلى (٩٢ آ) حسن بن مرعى وابن أخيه شكر مصحفاً
مزيّناً وحلّفهما عليه أنهما لا يخونانه ويفدرانه ولا يدلّسان عليه بشيء من أسباب
المسك ، حلّفنا له على المصحف سبمة أيمان بمعنى ذلك ، فطالب حينئذ قلب السلطان
طومان باى عند ذلك ونزل عنده ، فلما استقرّ عنده احتاطت به المربان من كل

(١-٢) ولا كثر ... ولا راكب : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(٢) خوفاً صفارا : خوفاً صفار . (٩) الرؤساء : الرويسا . (١١) تلاقى : تلاقا .

(١٨) لا يخونانه ويفدرانه ولا يدلّسان : لا يخوناه ويفدراه ولا يدلّسا .

(١٩) حينئذ : حين إذن .

- جانب ، وأرسل أعلم السلطان سليم شاه بذلك ، فأرسل إليه جماعة من عسكره قبضوا عليه ووضعوه في الحديد وتوجهوا به إلى ابن عثمان . فلما رأى من كان مع السلطان طومان باى من الأمراء والعسكر أنهم قبضوا عليه تفرقوا من حوله وتشتتوا في البلاد ، وتمت الحيلة على السلطان طومان باى ، وخانه حسن بن مرعى بعد أن حلف له على المصحف الشريف وأركن إليه ، وكان حسن بن مرعى من أعز أصحاب طومان باى ، وله عليه غاية الفضل والمساعدات من أيام السلطان النورى ، وأقام عنه بما عليه من المال ، فلم يذكر له شيئاً من ذلك ولا أئمر فيه الخير ، فكان كما يقال في المعنى :
- لا تركن إلى الخريف فاؤه مستوخم وهواؤه خطاف
يشى مع الأجسام مشى صديقها ومن الصديق على الصديق يخاف
- فلما أحضروا السلطان طومان باى بين يدي ابن عثمان كان عليه مثل لبس العرب الهوارة زمط وعليه شاش وملوطة بأكام كبار ، فلما وقعت عين ابن عثمان عليه قام له ثم عتبه ببعض كلمات ، فلما خرج من قدامه توجهوا به إلى خيمة فأقام بها وأحاطوا به الأنكشارية بالسيوف لأجل الحفظ به ، فأقام هناك أياماً وهو بوطاق ابن عثمان يبرئ إنابة ، فلما وردت الأخبار إلى القاهرة بمسكه فصار طائفة من الناس تكذب بمسكه وطائفة تصدق بذلك . فأقام السلطان طومان باى في الوطاق عند ابن عثمان وهو في الحديد إلى يوم الاثنين ثانی عشرين ربيع الأول من تلك السنة ، وكان ذلك اليوم يوم الخميس ، وهو يوم فطر النصارى وعيدهم الأكبر ، فعدوا بالسلطان طومان باى من برئ إنابة إلى بولاق ، فظلموا به من هناك وهو راكب على إكديش وهو في الحديد ، وعليه لبس العرب الهوارة كما تقدم . (٩٢ ب) وكان السلطان طومان باى لما قبضوا عليه أقام في الوطاق عند ابن عثمان نحو سبعة عشر يوماً ، وكان أشيع أن ابن عثمان يرسل طومان باى إلى مكة ولا يقتله ، ثم بدا له من بعد ذلك ما سذكروه . وفي مدة إقامة ابن عثمان في الوطاق فكانت الممانيّة يطوفون في المدينة نهارهم كله ، ومن بعد العصر يرجعون إلى الوطاق يباتون به .

- فلما بلغ ابن عثمان أن الناس لا تصدق بمسك طومان باى فحنق من ذلك وعدى به ، فلما طلع من بولاق شق من القس وقدامه نحو أربعمئة عثمانى ورماة بالنفط ، فطلع من على سوق مرجوش وشق من القاهرة ، فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل إلى باب زويلة وهو لا يدري ما يصنع به . فلما أتى إلى باب زويلة أنزلوه من على الفرس وأرخوا له الحبال ووقفت حوله العثمانية بالسيوف ، فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة ، وقال للناس الذين حوله : ١ اقروا لى سورة الفاتحة ثلاث مرات . فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات وقرأت الناس معه ، ثم قال للمشاعلى : اعمل شغلك . فلما وضعوا الحية في رقبته ورفعوا الجبل فانقطع به فسقط على عتبة باب زويلة ، وقيل انقطع به الجبل مرتين وهو يقع إلى الأرض ، ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس ، وعلى جسده شياىه جوخ أحمر ، وفوقها ملوطة بيضاء بأكام كبار ، وفي رجله لباس جوخ أزرق .
- ٢ فلما شنق وطلعت زوجه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف ، فإنه كان شابا حسن الشكل سنه نحو أربع وأربعين سنة ، وكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب وحده بنفسه ، وفك في عسكر ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى ، وكسره ثلاث مرات في نفر قليل من عسكره ، ١٥ ووقع منه في الحرب أمور ما لا تقع من الأبطال . وكان لما سافر عمه السلطان النورى جملة نائب الغيبة عنه إلى أن يحضر من حلب ، فساس الناس في غيبة السلطان أحسن سياسة ، وكانت الناس عنه راضية في مدة غيبة السلطان ، وكانت القاهرة في ١٨ تلك الأيام في غاية الأمن من الناصر والحريق وغير ذلك . فلما مات السلطان النورى عمه وتسلمت عوضه أبطل من الظالم أشياء كثيرة مما كان يعمل في أيام النورى ، ولم يشوش على أحد من الناس في مدة سلطنته (٩٣٣) ولا يقبل في أحد من الناس ٢١ مرافقة ولا صادر أحدا من المباشرين في مدة سلطنته ، ولما وصل ابن عثمان إلى الشام وقصد أن يخرج إليه فشكى أن الخزائن خالية من الأموال ، فقالوا له الأمراء وجماعة من

المباشرين : افعل كما فعل السلطان النورى وخذ أجره أملاك القاهرة سبعة أشهر ،
وخذ على الرزق والإقطاعات خراج سنة . فلم يسمع لهم شيئا وأبى من ذلك ، وقال :
ما أجمل هذا أن يكون فى صحيفتى . ٣

وكان ملكا قليلا الأذى كثير الخير ، وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية
ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، فإنه تسلطن رابع عشر شهر رمضان ، وانكسر
وهرب تاسع عشرين ذى الحجة . وكان فى هذه المدة فى غاية الثعب والتكد وقاسى
شدائد ومخنا وحروبا وشرورا وهجاجا فى البلدان ، وآخر الأمر شنع على باب
زويلة ، وأقام ثلاثة أيام وهو معلق على الباب حتى جافت رأمته ، وفى اليوم الثالث
أزروه وأحضروا له تابوتا ووضعوه فيه ، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان النورى
عمه ، ففسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه هناك ، ودفنوه فى الحوش الذى خلف المدرسة ،
ومضت أخباره كأنه لم يكن ، وقد قلت من أبيات :

لحقى على سلطان مصر كيف قد وتى وزال كأنه لن يذكر
شنعوه ظلما فوق باب زويلة ولقد أذاقوه الوبال الأكبر
يارب فاعف عن عظام جرمه واجعل بجنات النعيم له قرا ١٢

وكان شنع السلطان طومان باى من نهايات سعد سليم شاه بن عثمان ، ولم
ينتجح أمره من بعد ذلك ، ولم يُسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الزمان أن سلطان
مصر شنع على باب زويلة قط ، ولا علقت رأس سلطان على باب زويلة قط ، ولم
يُعهد بمثل هذه الواقعة فى الزمن القديم ، ومن عهد شاه سوار لما كلبوه على باب زويلة
لم يعلق عليه من له شهرة طائلة غير السلطان طومان باى . ١٥

ثم إن ابن عثمان لما شنع السلطان صفا له الوقت وفعل بعد ذلك أمورا يأتى الكلام
عليها . ثم أخذ فى أسباب التوجه (٩٣ ب) إلى نحو بلاده إسطنبول ، فأشيع أنه ٢١

(٧) شدائد ومخنا وحروبا وشرورا وهجاجا : شدايدا ومخنا وحروب وشروور وهجاج .

(١٤) فاعف : فاعفوا .

- يحمل يونس باشاه نائباً عنه بمصر. ثم أخلع على شخص من جماعته وقرّره نائب غزّة ،
وأخلع على شخص آخر وقرّره نائب القدس ، فخرجا من القاهرة في أواخر هذا الشهر
وقدّامهما طبلان وزمران وجنايب ، وخرجا في موكب حافل . - ولما شفق السلطان ^٣
طومان باي انقطع رجاء الناس من دولة الجراكسة ومن عودهم إلى الملك . - وفي يوم
الأربعاء رابع عشرينه صنع بعض النفطية إلى السلطان سليم شاه نفقا وتوجّه به إلى
وطاقه بإنابة ، فأحرقوه قدّامه بالوطاق . - ومن الحوادث المبهولة قد أشيع في القاهرة ^٦
أن السلطان سليم شاه عول على أن يقبض على جماعة من أهل مصر من أعيانها ،
ويرسلهم إلى بلاده إسطنبول .
- وفي يوم الجمعة سادس عشرينه أتى السلطان سليم شاه من وطاقه الذي في إنابة ^٩
وعدّى إلى بولاق وتوجّه إلى القاهرة ، وشقّ من باب الخرق ودخل من باب زويلة
وتوجّه من هناك إلى الجامع الأزهر ، فزيّنت له القاهرة ، فصلّى بالجامع صلاة الجمعة
وتصدّق هناك بمبلغ له صورة ، ثم رجع إلى بولاق من الطريق التي أتى منها ، وكان ^{١٢}
في موكب حفل . - ثم بعد أيام أشيع أنه دخل إلى حمام الأستادار التي ببولاق ،
فأتى من على الرمل ولم يشقّ من بولاق ، وكانوا أهل بولاق زيتوا له السوق ، ولما
خرج من الحمام عاد من الطريق التي أتى منها ، وقيل إنه أنعم على الحمامي في ذلك ^{١٥}
اليوم بعشرين ديناراً ، وأعجبته حمام بولاق وشكر فيها ثم عاد إلى الوطاق .
- ثم [إن] جماعة من وزراء ابن عثمان جلسوا في المدرسة القورية وشرعوا يطلبون
أعيان الناس من القضاة والشهود والمباشرين والتجار ، وأعيان تجار المغاربة ، وتجار ^{١٨}
الوراقين ، وتجار الشرب والباسطية ، وجماعة من البرددارية والرسل ، وطائفة من
السوقة التسيّبين في البضائع ، وطائفة من البنّائين والتجارين والرخمين والبلّطين
والحدّادين وغير ذلك من المعلمين ، حتى طلبوا جماعة من أعيان اليهود ، فلما تكاملوا ^{٢١}

(٣) طبلان وزمران : طبلين وزميرين . (٤-٣) ولما شفق ... الملك : كتبها المؤلف

في الأصل على الهامش . (٨) ويرسلهم : يرسلها . (١٢) بمبلغ : بمبلغ .

(١٧) يطلبون : يطلبوا . (١٨) القضاة . القضاء .

عرضوهم في (٩٤ آ) المدرسة النورية وعينوا منهم جماعة يسافرون إلى إسطنبول ، فكتبوا أسماءهم في قوائم وألزموا كل واحد منهم بأن يحضر له بضامن يضمنه ، فلما أمحضروا لهم بضمان أطلقوهم إلى حال سبيلهم ، ويأتى الكلام من بعد ذلك في أمرهم وما تم لهم في هذه الحركة .

وفي يوم الأحد ثامن عشر منه قبض الوالى على شخص من العثمانية ، قيل إنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه ، فقطع رأسه في الحال وطاف بها في القاهرة وهي على رمح ، فظهر من ابن عثمان في ذلك اليوم بعض عدل فلعل أن يعتبروا بقيّة عسكره ويكفّوا عن الأذى .

وفي هذا الشهر وقع أن ابن عثمان شرع في فكّ الرخام الذى بالقلمة ، في قاعة اليسرية والدهيشة وقاعة البحرة والقصر الكبير وغير ذلك من أماكن بالقلمة ، وفكّ العواميد السماق التى كانت في الإيوان الكبير ، وقيل إنه يقصد أن ينشئ له مدرسة في إسطنبول مثل مدرسة السلطان النورى ، فلا تقبل الله منه ذلك . ثم صار يحيى بن نكار يركب ويأخذ معه جماعة من الرخمين فيهجمون قاعات الناس ويأخذون ما فيها من الرخام السماق والزرزورى واللون ، فأخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين وبيوت الأمراء قاطبة ، حتى القاعات التى في بولاق ، وقاعة الشهابى أحمد ناظر الجيش ابن ناظر الخاص التى على بركة الرطلى ، وغير ذلك من قاعات الباشيرين والتجار وأبناء الناس وغير ذلك . ثم إن الوزراء استدرجوا لأخذ الكتب النفيسة التى في المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرغتمشية ، وغير ذلك من المدارس التى فيها الكتب النفيسة ، فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها ، ولم يعرفوا الحرام من الحلال في ذلك .

وفيه نادوا في القاهرة بإبطال الفلوس المتق ، وضربوا للناس فلوسا جديدا خفافا

(١) يسافرون : يسافروا . (٢) أسماء : أسمائهم . (١١) التى كانت : التى كانوا .

(١٣) فيهجمون : فيهجموا . // يأخذون : ويأخذوا . (١٧) التى : التى .

(٢١) فلوسا جديدا خفافا : فلوس جدد خفاف .

جدا يخسرون فيها الثلث ، فوقف حال الناس بسبب ذلك ، وصارت البضائع تباع
بسريرين ، سمر بالفلوس المتق وسمر بالفلوس الجدد . - وفيه صاروا يقبضون على جماعة
من (٩٤ ب) مباشرى الأمراء ويقولون لهم : حاسبونا على خراج الأمراء الذين
قد قتلوا في المعركة .

وفي ربيع الآخر كان مستهلّ الشهر يوم الأربعاء ، فيه أشيع أن قد حضر قاصد
من شاه إسماعيل الصوفي وعلى يده مطالعة إلى ابن عثمان ، فلما قرأها تنكّد وقصد
يقبض عليه ، فهرب ذلك القاصد من عند ابن عثمان وكان بالمقياس ، فلما هرب صاروا
يكبسون بيوت مصر العتيقة وبيوت الروضة فلم يحصلوه لا في البحر ولا في البر ،
فحصل لأهل مصر العتيقة غاية الضرر من كبس البيوت بسبب هروب هذا القاصد ،
فمن الناس من يقول بأنهم قبضوا عليه فيما بعد وقطع رأسه ، ومنهم من يقول أنه
لم يحصله واستمرّ هاربا .

ومن الحوادث أن شخصا من التجّار الأروام كان له دين على الزينى عبد القادر
ابن الملكى وأخيه أبى بكر بن الملكى ، وذلك الدين نحو خمسة آلاف دينار ، وقيل
عشرة آلاف دينار ، فكان كلا طالبيهما يمتلاه ، فطلاه مدة طويلة ، فشكاهما من عند
الدقتردار ، فأرسل خلفهما ، فلما حضرا اعترفا لذلك التاجر بذلك القدر المذكور ،
فأمرهما الدقتردار بأن يدفعوا له ذلك القدر ، فقالا : ما معنا شيء حتى يبعث الله لنا .
وقد مطلوا هذا التاجر مدة طويلة ، فقال : ما بقيت أسبر عليكما شيئا . فحنق منهما
الدقتردار وأمر بسجن عبد القادر بن الملكى وأخيه أبى بكر ، فسجنا فى سجن الديلم
وأقاما به أياما حتى سعى فيهما الشهابى أحمد بن الجيعان وأطلقا من السجن ، ثم
استرضوا ذلك التاجر حتى أفرج عنهما .

وفي أوائل هذا الشهر حضر قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل والقاضى
المالكي محيى الدين بن الدميرى والقاضى الحنبلى شهاب الدين الفتوحى ، وكانوا
توجهوا إلى نحو البهنسا بسبب الأمان الذى كان أرسله ابن عثمان إلى السلطان
(١) يخسرون فيها : يخسروا فيهم . (٢) يقبضون : يقبضوا . (٣) مباشرى : مباشرين .

طومان باى ، ولم يفد من توجه هؤلاء القضاة إليه شيئا ، ولما حضروا هؤلاء القضاة أخبروا بصحة قتلة قاضى القضاة حسام الدين محمود بن الشحنة الحنفى هو وأخيه أبى بكر ، وقد تقدم القول على سبب قتلها ، ودفنا هناك . ٣

وفى يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى إلى المقياس ، وكان (٩٥٠ آ) فى ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد أن يفرق ، وما بقى من غرقه شيء ، فلما سلم من الفرق أقام بالمقياس وتقل وطاقه إلى الروضة ومصر المتيقة ، ثم إن أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر المتيقة وسكنوا فى دورهم ، فحصل للسكان الضرر الشامل بسبب ذلك ، فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام ، وكانت وزراؤه يمدون إلى الروضة فى كل يوم ويطلبونه بالأمور التى يفعلونها فى الناس من خير أو شر . ٦ ٩

وفى يوم الثلاثاء سابعه توفيت ابنة الأمير يشبك من مهدى أمير دوادار وهى زوجة الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير ، وقاست قبل موتها شداثد ومخنا وصودرت غير ما مرّة من السلطان الفورى ومن ابن عثمان ، واستمرت مخفية حتى ماتت ، وكانت من أعيان الستات فى سعة من المال ، وكانت لا بأس بها . - وفيه أخلع على شخص من العلماء يقال له الشيخ شمس الدين بن ياسين الطرابلسى ، وقرّر فى قضاء الخفية عوضا عن محمود بن الشحنة بحكم قتله كما تقدم . ١٢ ١٥

وفيه وقعت كايته عظيمة لخوند ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، وهى زوجة السلطان طومان باى ، وما ذاك إلا أن كان عندها جارية بيضاء جركسية رقاصة ، فهربت من عندها وتوجهت إلى بعض وزراء ابن عثمان فعرّفته بمكان حاصل سيدها ، فتوجهوا إليه ونقلوا كل ما كان فيه من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد سمور ووشق وعصايب ذهب ولؤلؤ ومرصع وكوامل ذهب ، وغير ذلك من القماش الفاخر ١٨ ٢١

(١) هؤلاء : هذه . (٢-٣) وأخيه أبى بكر : وأخاه أبو بكر . (٦ و٧) مصر المتيقة : مصر المتية . (٦) أمراءه : أمرايه . (٧) الذين : الذى . (٨) وزراؤه : وزرايه . (١١) دوادار : دوار . (١٢) شداثد ومخنا : شدايدا ومخن . (٢٠) سمور : سمور .

وأواني بلور وأواني فضة ونحاس كفت وصبى لازورد وغير ذلك ، فنقلوا جميع ما كان في الحاصل ، فذهب لها أشياء كثيرة بنحو خمسين ألف دينار ، وما قنع ابن عثمان منها بذلك فصادرها وقرّر عليها وعلى والدتها بنت العلاء على بن خاص بك ٣ عشرين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك القدر ، فحصل لها ولوالدتها الضرر الشامل ، وقاسوا شدائد عظيمة ومحنًا وبهدلة وتهديدا بالقتل ، وما جرى عليهما خير.

٦ وفي يوم الجمعة سابع عشره رسم الدفتردار بإخراج طائفة من اليهود ممن كان تعين إلى السفر لإسطنبول ، فخرجوا في ذلك اليوم جملة واحدة (٩٥ ب) فزلوا في المراكب وتوجهوا إلى نهر الإسكندرية إلى أن يمضوا إلى إسطنبول ، فأخذوا نساءهم وأولادهم ومضوا . وفي عقيب ذلك خرجت طائفة من البنائين والمهندسين والتجارين ٩ والحجارين والحدادين والرخمين والمبطلين ، وفيهم من مسلمين ونصارى ، حتى طائفة من الفعلة ، وذلك بسبب المدرسة التي قصد ابن عثمان ينشئها بإسطنبول مثل مدرسة السلطان النوري . وأشيع أنه أرسل طائفة من الفاربة أيضا تقيم ١٢ بإسطنبول .

وفي يوم السبت ثامن عشره خرج إلى السفر لإسطنبول طائفة أخرى من نواب القضاة والشهود ، فمهم القاضي شمس الدين الحلبي أحد نواب الشافعية ، وقد قاسى ١٥ من العثمانية غاية البهدة من الضرب والصكّ وأزلوه المركب على رغم أنفه ، وخرج القاضي زين الدين الشارنقاشي أحد نواب الحنفية ، والقاضي شمس الدين بن جمال الدين الأحمدي أحد نواب الشافعية ، والقاضي بدر الدين البلقيني نقيب قاضي القضاة ١٨ الشافعي ، والقاضي شهاب الدين بن الهيثمي أحد نواب الحنابلة ، والشريف البرديني الحنفي وآخرون من نواب القضاة الأربعة . وخرج في ذلك اليوم جماعة كثيرة من تجار الشرب والوراقين منهم محمد المسكي الأسود ، ومن تجار الباسطية منهم شهاب ٢١ الدين الخطيب الأسمر ، ومن تجار خان الخليلي ، وخرج يوسف الذي كان ناظر

(٥) شدائد ... ومحنًا ... وتهديدا : شديدا ... ومحن ... وتهديد .

(٨) نساءهم : نسايم .

الأوقاف ، وخرج ابن شقيرة التاجر الذي من مرجوش ، ومن تجار الهرامزة وغير ذلك من التجار والأعيان من مشاهير الناس ، فهؤلاء خرجوا في ذلك اليوم ، ثم تبعمها طائفة أخرى يأتي الكلام عليها . وكانت هذه الواقعة من أبشع الوقائع المنكرة التي لم يقع لأهل مصر قط مثلها فيما تقدم من الزمان ، وهذا عبارة على أنه أسر المسلمين ونقاهم إلى إسطنبول .

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر منه أشيع بين الناس أن ابن عثمان كان في أسبمه خاتم من الفضة ، وهو مرصود للمقابلة ، وكان يتبرك به ، فسقط من أسبمه في البحر وهو بالقياس فتأسف عليه غاية الأسف ، وأحضر النطاسين ففطسوا عليه عدة مرار فلم يجدوه في ذلك المكان ، ويقال إن هذا الخاتم كان في ذخائر أجداد ابن عثمان حتى فقد منه .

وفي أواخر هذا الشهر أرسل ابن عثمان يقول لأمير المؤمنين : اعمل يركك (٩٦ آ) حتى تسافر إلى إسطنبول . فلما تحقق الخليفة ذلك اضطربت أحواله وشرع في عمل يركه ، وقالوا له : سافر أنت وأولاد عمك خليل وصهره محمد بن خاص بك . فلما بلغهم ذلك تنكدوا أجمعين . - وفيه نزل ابن عثمان بالرخام الذي فكاه من القلمة فوضعه في صناديق خشب ، ونزل به في المراكب ليتوجهوا به إلى إسطنبول . ومن المجائب أن السلطان الفوري ظلم أولاد ناظر الخالص يوسف وأخذ رخام قاعتهم التي تسمى بنصف الدنيا وجعل ذلك الرخام في قاعة البيسرية ، فسلب الله تعالى عليه بعد موته من أخذه من البيسرية ولم ينتفع به أحد من بعده ، والمجازاة من جنس العمل . - وقد خرج هذا الشهر عن الناس وهم في أمر مريب مما جرى عليهم من ابن عثمان ، ومن حين فتح عمرو بن العاص مصر لم يقع لأهلها شدة أعظم من هذه الشدة قط .

وفي جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم الجمعة ، ففي ذلك اليوم خرج المقر العلاء على بن الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف أبنال ، وكان تعين إلى السفر إلى إسطنبول فخرج في ذلك اليوم ، وخرج جماعة من الفقهاء وأعيان التجار ممن تعين

(٧) خاتم : خاتما .

- إلى إسطنبول ، من ذلك شمس الدين بن روق ، وكان القاضي بدر الدين ابن الوقاد
أحد نوّاب الحنفية تعيّن إلى السفر إلى إسطنبول ، فلما تحقق ذلك اختفى وغيّب ،
وكان يونس نقيب الجيش ضمنه من قدام الدفتردار ، فلما اختفى ابن الوقاد حصل على ٣
نقيب الجيش من الدفتردار ما لا خير فيه وبهذه وهم بضربه بين يديه . - وفى يوم
السبت ثانى الشهر عرض السلطان سليم شاه عسكره ببرّ الجيزة ، وعيّن منهم جماعة
يسافرون صحبته إلى ثغر الإسكندرية ، وأشيع سفره إلى هناك . ٦
- وفى يوم الاثنين رابعه عدّى ابن عثمان من المقياس إلى برّ مصر المتيقة ، وشقّ
من جامع ابن طولون وطلع إلى القلعة ، وأقام بها إلى بعد العصر ، ودخل الحمام التى
بالقلعة ، ثم عاد من يومه إلى المقياس وأقام به . - ومن الحوادث أن شخصا من نوّاب ٩
الشافعية قيل عنه أنه أزوج امرأة من نساء الأتراك لشخص من العثمانية ، فظهر أنها
لم تكمل انقضاء عدّة زوجها الذى مات ، فدلّس ذلك على القاضي الذى أزوجها إلى
العثماني ، فلما رفع أمرها إلى قاضى العثمانية أحضر ذلك القاضي ولم يقبل (٩٦ ب) ١٢
لذلك القاضي عذرا ، وبطحه وضربه ضربا مبرحا ، ثم كشف رأسه وألبسه عليها
كرشا من كروش البقر بروثه وأركبه على حمار مقلوب وأشهره فى القاهرة . وكان
قبل ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن أحدا من قضاة مصر لا يعقد عقدا لعثماني ١٥
ولا يزوجه بأحد من نساء الأتراك ، وكذلك الشهود ، وحرّج عليهم فى ذلك إلى الغاية ،
فلم يسمعوا له قضاة مصر شيئا من ذلك ، وصاروا يزوجون العثمانية بنساء الأتراك
الذين قتلوا فى الحرب كما تقدم القول على ذلك . ١٨
- وفى يوم الخميس سابع هذا الشهر نزل السلطان سليم شاه من المقياس فى مراكب ،
هو وجماعته ، وقصد التوجّه إلى ثغر الإسكندرية ، وقيل كان معه من فرسان عسكره
ألف فارس ، وتوجّه يونس باشاه من البرّ من على تروجة بمسكر آخر يلاقيه من هناك . ٢١
- وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى خرج أمير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا
للسفر إلى إسطنبول ، وخرج صحبته أولاد ابن عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد ، وخرج

صحبه الناصري محمد بن العلاء على بن خاص بك صهر الخليفة، وخرج الشرفي يونس ابن الأتابكي سودون المعجمي، وآخرون من الأعيان، فتوجهوا إلى بولاق وزلوا من هناك في الركاب ليتوجهوا إلى ثغر رشيد، لحصل للناس على فقد أمير المؤمنين من مصر غاية الأسف، وقالوا: قد انقطعت الخلافة من مصر وصارت بإسطنبول. وهذه من الحوادث المهولة. فاستمر الخليفة مقبلاً بالركب بير بولاق إلى يوم الثلاثاء تاسع عشره، فعوم في أثناء ذلك اليوم من بولاق. ثم إن الخليفة عوم من بولاق وتوجه إلى رشيد، ثم بعد ذلك وردت الأخبار أن الخليفة لما وصل إلى ثغر رشيد أقام به.

وجاعة من الذين سافروا دخلوا إلى ثغر الإسكندرية، فوجدوا الصهاريج التي بها مشحوة من المياه، فبلغ ملء كل كراز هناك خمسة أنصاف، وذلك من كثرة الخلق التي اجتمعت هناك، ولا سيما لما دخل إليها عسكر ابن عثمان. - وأشيع أن السلطان سليم شاه لما أن دخل إلى ثغر الإسكندرية رسم بأن الجماعة الذين أتوا من مصر يسجنوا في الخانات وفي أبراج الإسكندرية إلى أن يتكاملوا ثم يسافرون دفعة واحدة، فوضعهم في الأبراج ونساءهم في الخانات، ففاسوا مشقة عظيمة بسبب ذلك. وخرج في عقيب ذلك مقدم المالك سنبل العثماني ونائبه جوهر وسافرا إلى إسطنبول، وقيل توجه سنبل إلى بيت المقدس من بعد ذلك.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين (٩٧٧ آ) جمادى الأولى خرج إلى السفر إلى إسطنبول الشهابي أحمد ناظر الجيش، وهو ابن الجمالي يوسف ناظر الخصاص، وخرج صحبه بدر الدين ابن أخيه كمال الدين، وخرج ناصر الدين الغزي موقع الدرج، وخرج جاني بك دوا دار طراباي، ويحيى بن الطنساوي، وخرج القاضي شرف الدين بن روق.

وفي يوم الجمعة المقدم ذكره حضر السلطان سليم شاه من ثغر الإسكندرية، فكانت مدة غيبته في هذه السفرة خمسة عشر يوماً ذهاباً وإياباً، وقيل إنه أقام بثر

(٦-٥) فاستمر ... من بولاق: كتبها المؤلف في الأصل على الهامش.

(١٠ و ٨) التي: الذي. (١١) الذين: الذي. (١٢) يسافرون: يسافروا.

(١٤-١٥) وخرج ... من بعد ذلك: كتبها المؤلف في الأصل على الهامش.

الإسكندرية ثلاثة أيام لا غير ، وقيل دخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان بالغربية ما بين خيول وجمال وأغنام وأبقار وغير ذلك . فلما حضر أتى إلى المقياس وشق من على الروضة بالمراكب ، فانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت . - وفي يوم الثلاثاء ٣ سادس عشرينه عرض يونس باشاه ، الذى قرّر نائب السلطنة بمصر ، فعرض عسكر ابن عثمان فى ذلك اليوم ، وأشيع أن ابن عثمان قد طرقتة أخبار رديّة بسبب الصوفى أنه قد زحف على بلاده وملك منها عدة بلاد . ٦

وفى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الأولى خرج إلى السفر إلى إسطنبول الشيخ زين العابدين ابن قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، فكثرت عليه الأسف والحزن فإنه كان محببا للناس . وخرج ولى الدين البتنونى ناظر المواريث ، وخرج ٩ الناصرى محمد بن الكوكب المتحدّث فى المواريث أيضا ، وآخرون من مباشرى المواريث . وخرج جماعة من الزردكاشية منهم : يحيى بن يونس ومحمد العادلى المعروف بابن البدويّة وزين العابدين بن محمود الأعمور وأحمد بن الهوايينى وآخرون من صنّاع الزردخانه . ١٢ وخرج إبراهيم مقدّم الدولة ، وخرج جماعة من مباشرى الحوشخانه .

وفى أثناء هذا الشهر توفى تقى الدين بن الطربى كاتب الشعير بالشون السلطانية ، وكان لا بأس به . - وفى يوم السبت سلخ هذا الشهر طلع ابن أبى الرداد بيشارة ١٥ النيل المبارك ، وجاءت القاعدة ثمانية أذرع وستة عشر أصبعا ، وكانت القاعدة فى العام الماضى لما أخذ قاع النيل جاءت القاعدة اثني عشر ذراعا ، حتى عُدد ذلك من النواذر الغربية . ١٨

وفى جمادى الآخرة كان مستهلّ الشهر يوم الأحد ، فى ذلك اليوم كان أول المناداة على النيل المبارك (٩٧ ب) فزاد ثلاثة أصابع . - وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم شاه أخلع على وزيره يونس باشاه ، وقرّره نائبا عنه بمصر وأعمالها إذا سافر إلى بلاده . فلما تقرر يونس باشاه فى اليابة بمصر وأشيع سفر ابن عثمان ظهر

(١٠) وآخرون من مباشرى : وآخرين من مباشرين . (١٢) أحمد بن الهوايينى :

كذا فى الأصل ، ولعله أحمد بن الهوارى . (١٣) مباشرى : مباشرين .

جماعة كثيرة من المالك الجراكسة ، وتزاوا بزى العثمانية ولبسوا الطرايعير
والقفطانات الحرير ، وصاروا يخالطون العثمانية ويركبون معهم فى الأسواق بطول
النهار . - وفى يوم الأربعاء رابع هذا الشهر نادى السلطان فى عسكره أن كل من
كان متزوجا بامرأة من نساء أهل مصر يطلقها وإلا يشنق من غير معاودة ، ففهم من
طلق زوجته ومنهم من أبقاها فى عصمته . - ومن الحوادث أن القاضى بدر الدين
ابن الوقاد كان تعين إلى السفر إلى إسطنبول وضمنه نقيب الجيش ، فلما تخلص غيب
واختفى أياما ، فغمز عليه فقبضوه من المكان الذى كان به ، فلما أحضروه بين يدي
الدفتردار وبخه بالكلام ويطحه على الأرض وهم بضربه حتى شفع فيه بعض
الحاضرين ، وقاسى من البهدة والسب ما لا خير فيه ، وغرم ماله صورة وآخر
الأمر سافر إلى إسطنبول ، والذى خاف منه وقع فيه .

وفى يوم الخميس خامسه عدى السلطان سليم شاه من الروضة وطلع إلى الرملة
وعرض عسكره فى الميدان الذى تحت القلعة ، وعين منهم جماعة يقيمون بمصر صحبة
يونس باشاه ، وعين منهم جماعة يسافرون صحبته ، ورسم للمشاة من عسكره بأن
يسافروا فى البحر ، واستمرّ يعرض عسكره ثلاثة أيام متوالية . - وأشيع أن سليم
شاه لما توجه إلى ثغر الإسكندرية احتوى على السلاح الذى كان بالأبراج ، فأخذها
جميعا . - وفى ذلك اليوم خرج حريم ملك الأمراء خاير بك ، وحريم جان بردى
الغزالى يقيمون بحلب إلى أن يأتى السلطان إلى هناك ، وقد قويت الإشاعات بسفر
السلطان عن قريب .

وفى يوم الجمعة سادس هذا الشهر خرج جماعة من المباشرين إلى السفر إلى إسطنبول ،
منهم القاضى عبد الكريم أخو الشهابى أحمد بن الجيعان كاتب الخزانة الشريفة ،
وخرج الناصرى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيعان كاتب الخزانة أيضا ، وخرج
الزبى عبد القادر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش ، وخرج شخص من أولاد

(٢) يخالطون : يخالطوا . (١٤) يسافروا : يسافرون . (١٤-١٦) وأشيع ...
جميعا : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش . (١٥) فأخذها : أخذها .

- ابن البارزى يقال [له] بهاي الدين ، وخرج محمد النجولى مهتار السلطان الفورى (٩٨ آ) بالطشتخاناه الشريفة وأخوه حُريب ، وخرج عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخاناه وولده زين ، وخرج فى ذلك اليوم بعض نصارى من كُتّاب الخزانة ، ٣ وخرج كمال الدين برددار طراباى ، وخرج فرج بن البريدى رأس نوبة حاجب الحجاب ، وخرج فتح الدين بن فُخيرة أحد كُتّاب الماليك ، ومحمد بن عبد العظيم أحد كُتّاب الماليك ، وخرج جماعة كثيرة من البرددارية والرسل وأرباب الصنایع من كل فن ٦ ممن تعيّن إلى إسطنبول ، وخرج الشهابى أحمد بن البدرى حسن بن الطولونى معلّم المعلمين ، وخرج يحيى بن نُكار دوادار الوالى ، وخرج بدر الدين شيخ سوق الغزل ، وخرج إبراهيم مقدّم الدولة ، وخرج جماعة كثيرة غير هؤلاء فى أوقات متفرقة ٩ ونزلوا فى المراكب وتوجهوا إلى ثغر الإسكندرية ومن هناك يتوجهون إلى إسطنبول . وقيل إن عدّة من خرج من أهل مصر إلى إسطنبول ألف وثمانمائة إنسان ، وقيل دون ذلك . وقيل إن السلطان سليم شاه لما أخذ من مصر هؤلاء الجماعة أحضر غيرهم ١٢ من إسطنبول يقيمون بمصر عوضا عن الذى خرج منها ، وقيل إن هذه عادة عنده إذا فتح مدينة فيأخذ من أهلها جماعة يعضون إلى بلاده ويحضر من بلاده جماعة إلى تلك المدينة عوضا عن الذين أخذهم منها . ١٥

- وفيه نادوا فى القاهرة بأن لا عبد ولا جارية ولا امرأة ولا صبي أمرد يخرجون إلى الأسواق حتى يسافر العسكر ، وذلك خوفا عليهم من التركان أن يخطفوهم ويسافروا بهم . - وفيه توجه السلطان سليم شاه إلى بئر البلسان التى بالمطرية ، ١٨ وأضافه هناك الناصرى محمد بن الرئيس شمس الدين القوصونى فدّله هناك مدّة حفلة ، وكذلك الشيخ دمرداش ، وانشرح ابن عثمان فى ذلك اليوم إلى الناية ، وجلس على بئر البلسان وغسل وجهه من مأثها ، وأقام هناك إلى بعد العصر ثم رجع إلى الوطاق . ٢١ ومن الحوادث فى هذا الشهر أن الدفتردار ضيق على الناس أصحاب الأملاك

(٢) بالطشتخاناه : بالطشتخانة . (٤) برددار : بردار . (١٠) يتوجهون : يتوجهوا .

(١٥) الذين : الذى .

بسبب أملاكهم ، وندب الشرفى يونس نقيب الجيش إلى ضبط البيوت التى فى القاهرة قاطبة ، فصاروا الناس يمرضون عليه مكاتبتهم ، فالذى يكون لأبناء الناس وغيرها من الأعيان فيفرج له عن بيته ، ويخدم نقيب الجيش بشيء من الدراهم ويكتب على مکتوبه : عُرض ، والذي يكون جارى فى ملك المالك الجراكسة ولم يظهر (٩٨ ب) له أصحاب يصير ملكا للسلطان ويدخل إلى الذخيرة . ويقرب من هذه الواقعة أن الدفتردار رسم لقاضى القضاة المنفصل علای الدين بن النقيب بأن يتحدث على أوقاف الحرمين الشريفين قاطبة ، ورفع یدى قاضى القضاة الشافى كمال الدين الطويل عن التحدث على أوقاف الحرمين ، فكانت أصحاب الأوقاف يعرضون مكاتبتهم على قاضى القضاة علای الدين ويكتب عليهم : عُرض ، ثم يمحضون بها إلى الدفتردار فيخرج مراسيمه بالإفراج عن ذلك ، فيقع لهم كلفة للقاضى علای الدين ، وكلفة لمراسيم الدفتردار ، وإن لم يفعلوا أصحاب الأوقاف ذلك ويخرجوا مراسيم الدفتردار بالإفراج عن جهات الأوقاف ، وإلا تضع المباشرون والظلمة أيديهم على بلاد الأوقاف ويستخرجون منها الخراج ويروح ذلك على النظار . وهذا من جملة مساوئ ابن عثمان فيما فعله بأهل مصر من الأنكاد والضرر الشامل لهم .

١٥ وفى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة حضر الشرفى يونس النابلسى الأستاذار ، وكان قد توجه إلى جهات بلاد الشرقية بسبب جمع الخراج من بلاد المقطمين والأتراك والأمراء الذين قتلوا فى المعركة ، فمسح بلاد الشرقية قاطبة وحصل منه غاية الضرر ، وضيّق على الناس فى أرزاقها من نساء ورجال ووضع يده على خراجهم بنير حق ، وما حصل لأحد منه خير ، فكان كما يقال فى المعنى :

مباشر فى الوردى لم تخف سيرته بين الأنام وما فيها من الريب .
تنجو به رجله مما جنت يده كأنه القط فى خطف وفى هرب .

(١) التى : الذى . (٨) يمرضون : يمرضوا . (٩) يمحضون بها : يمحضوا بهم .

(١٢) المباشرون : المباشرين . (١٣) ويستخرجون منها : ويستخرجوا منهم .

(١٧) الذين : الذى .

- وفى يوم الأحد خامس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة ، وكان سبب حضوره أنه حضر وأتى ليهتئ ابن عثمان بمملكة مصر ، وأحضر صحبته تقادم فاخرة إليه ، وحضر صحبته ببيردى من كسباى أحد الأمراء العشرات الذى كان باش المجاورين بمكة ، وحضر قرا كز الذى كان محتسبا بمكة . فلما حضرا أشيع بين الناس أن حسين نائب جدة قد قُتل على يدى الرئيس سلمان العثماني ، وقيل إنه أغرقه فى البحر ، وكان (٩٩ آ) حسين قد ظلم وجار على أهل جدة ومكة فى أيام السلطان الغورى ، وكان من المفسدين فى الأرض فقتل كما تقدم ، وكان غير محبب لأهل مكة وجدة . - ومن الحوادث أن النيل المبارك توقف فى أثناء الزيادة واستمر فى التوقف ستة أيام ، ففعلت الناس لذلك ، وزاد سعر القمح وتشحط سائر الغلال واضطربت الأحوال جدا ، ثم بعد ذلك زاد الله فى النيل المبارك أصبعا واحدا فسكن الحال قليلا .
- وفى يوم الاثنين سادس عشره حضر جماعة من المباشرين الذين كانوا قد توجهوا إلى الغريبة والمنوفية والحلة ، فحضر أبوالبقا ناظر الاسطبل وبركات أخو شرف الدين الصغير ويحيى بن الطنساوى وآخرون من المباشرين . - وفى يوم الثلاثاء سابع عشره أشيع أن ببيردى باش المجاورين وقرا كز المحتسب بمكة والماليك الذين حضروا صحبتهما من مكة ، فقيل أن ابن الشريف بركات شفع فيهم عند ابن عثمان من القتل ، فرسم بأن يتوجهوا إلى إسطنبول ، فخرجوا فى ذلك اليوم ونزلوا فى المراكب وتوجهوا إلى نهر الإسكندرية ، ومن هناك يتوجهون إلى إسطنبول . - وفى يوم الأربعاء ثامن عشره حضر الزينى بركات بن موسى المحتسب وحضر نضر الدين بن عوض ، وكانا فى بعض جهات الغريبة بسبب استخراج الخراج وعمارة الجسور التى هناك . - وفى يوم الخميس تاسع عشرة توفيت ابنة السلطان طومان باى الذى قتل ، وكان لها من العمر نحو ثلاث سنين ، فحصل لها طربة على أبيها لما شفق .

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه اضطربت أحوال القاهرة ، وصارت أرباب الأدراك
تقف على أبواب المدينة ويمسكون الناس من رئيس ووضيع ويضعونهم فى الجبال ،
٣ حتى من يلوح لهم من القضاة والشهود ، وما يعلم ما يصنع بهم ، فلما طلّعوا بهم إلى
القلعة أسفرت هذه الواقعة على أنهم جمعوا الناس حتى يسحبوا المكاحل النحاس
الكبار التى كانت بالقلعة ، وينزلون بهم إلى شاطئ البحر ، ثم يضمونهم فى المراكب
٦ ويمضون بهم إلى إسطنبول . وكان قبل ذلك بمدة نزلوا بالعمودين السماقي الذى قلعوها
من الإيوان الذى بالقلعة فارتجت لها الصليبة لما نزلوا بهما من القلعة ، وقاست الناس
فى سحبهما غاية المشقة ، وحصل لهم بهدلة من الضرب والسيك وخطف المائم
٩ والشدود . ثم فى عقيب (٩٩ ب) ذلك نزلوا بالمكاحل من القلعة وصاروا يربطون
الرجال بالجبال فى أرقابهم ، ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو أنهم من
أعيان الناس ، فحصل بسبب ذلك للناس ما لا خير فيه .

١٢ وفى يوم الخميس سادس عشرينه رسم السلطان سليم شاه بإحضار ألف رأس من
الغنم ومائة حمل ومائة بقرة ، فلما أن حضروا بين يديه أمر بأن تفرق قربانا على
مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا ومزارات الصالحين التى بالقرافة وغيرها من
١٥ المزارات المشهورة ، حتى على أبواب ترب السلاطين المتقدمة ، ففرقوا ذلك جميعه ،
وصاروا يذبجون الغنم والبقر والجمال على أبواب الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها
على المجاورين الذين بها . وقيل أن سبب ذلك أن لهم عادة فى بلادهم إذا نقلت الشمس
١٨ إلى برج الأسد يفرقون هذه القربان على مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا التى فى
بلادهم قاطبة ، ففعل مثل ذلك بمصر .

وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل فى مركب وتوجه نحو الآثار الشريف ،
٢١ فقام عليه ريح عاصف فانقلبت به المركب فى البحر ، فكاد أن يفرق وأغمى عليه ،

(٤) يسحبوا : يسحبون . (٥) كانت : كانوا ، وتلاحظ عامة الأسلوب فى العبارات التالية .

(١٨ و ١٩) مجاورى : مجاورين . (١٤ و ١٨) التى : التى .

(١٧) المجاورين الذين : المجاورين الذى .

وما بقى من موته شئٌ وقيل إنه كان سكرانا لا يمي ، فكان فى أجله فسحة حتى ماش إلى اليوم . وقد مدحه الناصرى محمد بن قانصوه من صادق بقوله .

- ٣ أهلا وسهلا بملك الورى سليم شاه من ملك حليم
من نصر قال لمصر : أبشرى للملكى جاء بقلب سليم
- ومن الحوادث فى هذا الشهر أن الخليفة لما سافر إلى إسطنبول أخرجوا عنه نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان ذلك بيدى الخلفاء من قديم الزمان ، وكان من جملة تعظيمهم ، وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت ، وكان يحصل لهم فى كل شهر من الصندوق الذى تحت رأس السيدة مبلغ له صورة من النذور التى كانت تدخل عليهم ، فخرج ذلك كله عنه ، وحصل للخليفة يعقوب ٩ والد المتوكل على الله غاية الضرر بسبب ذلك ، وشقّ عليه ذلك ولم يُفدّه شئٌ .
- وفى أثناء الشهر خرج الشرفى يحيى بن البردبى الذى كان ولى قضاية القضاء فى دولة الأشرف طومان باى ، فلما رأى الأحوال مضطربة وبمشوا أعيان الناس إلى ١٢ إسطنبول ، فسعى بمال له صورة حتى قرّر فى مشيخة الحرم الشريف النبوى كما كان شاهين الجمالى ، فخرج فى هذا الشهر وسافر من البحر (١٠٠ آ) الملح وتوجه إلى المدينة الشريفة من الينبع ، وكان من قديم الزمان لا يلى مشيخة الحرم إلا الطواشية . ١٥
- وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما كان بالمقياس أحضر فى بعض الليالى خيال الظلّ ، فلما جلس للفرجة قيل إن الخايل صنع صفة باب زويلة ، وصفة السلطان طومان باى لما شقّ عليه ولما انقطع به الحبل مرتين ، فانشرح ابن عثمان لذلك وأنهم ١٨ على الخايل فى تلك الليلة بمائتى دينار ، وألبسه قفطان مخمل مذهبا ، وقال له : إذا سافرنا إلى إسطنبول فامض معنا حتى يتفرّج أبى على ذلك . وقيل حضر بين يديه ٢١ وهو بالمقياس الغراب الذى يقول : الله حق ، الله ينصر السلطان . فأنتم على صاحبه بثلاثين دينارا وشكره على تعلمه ذلك الغراب . - وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه

(٢-٤) وقد مدحه ... سليم : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش . (٩) التى : الذى .

(١٩) بمائتى : بمائتين . (٢٠-٢٢) وقيل حضر ... الغراب : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

أنشأ له قصرا من خشب بالمقياس فوق القصر الذى أنشأه السلطان النورى فوق
بسطة المقياس ، وصار يجلس به فى اليوم الحر ، فأحضر جماعة من التجارين والبنايين
وشرع فى بنائه حتى فرغ فى أيسر مدة ، وقد قلت فى ذلك :

لو علم النورى أن قصره يسكن للمظفر المؤيد
أضرم فيه النار من يومه ولم يدع فى جدره جلد

٦ وفى رجب كان مستهل الشهر يوم الاثنين . - فى يوم الأربعاء ثلثه توفى القاضى
رضى الدين الحلبي الموقع ، وكان شابا حسن الشكل والهيئة ، وكان من أخصاء
القاضى كاتب السر محمود بن أجا ، وكان من أعيان الموقعين ، وكان من جملة أصحابنا
رحمة الله عليه ، وكان له مدة وهو متوقع فى جسده ، وكان تمين إلى السفر إلى
إسطنبول فرض عقيب ذلك ، فدخل أنكشارى من العثمانية فرآه مريضا ، فقال له :
اخرج فى هذا اليوم وسافر . فقال له : لا أستطيع القيام . فحمله العثماني بالنطع الذى تحته
١٢ وأراد يخرج به من الباب ، فتدخلوا عليه ودفعوا له سبعة أشرية حتى تركه ومضى ،
فات تلك الليلة من الرجة التى حصلت له .

وفى يوم الخميس رابعه خرج إلى السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة ،
١٥ فتوجه إلى وطاقه بالريدانية فكان له موكب حفل ، وأحلق عليه فقطان تماسيح
مذهبا ، وقدامه الرماة بالنفط ، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة ،
وقد نادى لهم السلطان بأن الحجازيين الذين بالقاهرة تخرج صحبته . وأشيع أن
السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضا
١٨ عن الباش الذى كان بها ، وجمله هو المتصرف فى أمر مكة قاطبة ، وأضاف له نظر الحسبة
بمكة أيضا ، وأنصفه غاية الإنصاف (١٠٠ ب) فترايدت عظمة الشريف بركات إلى الغاية ،
وأكرم ولده غاية الإكرام . ٢١

وفيه ترافع جماعة من المباشرين فى بعضهم وانتدب إلى عمل حسابهم الزينى بركات

(١٦ و ١٧) الذين : القى . (١٩) الحسبة : الحسبة .

ابن موسى ، وأزمهم بالعود إلى البلاد ثانيا ليغلقوا ما كان بقى من الخراج في البلاد ، فإنهم كانوا قد أرسلوا خلفهم بالاستمجال بسبب التوجه إلى إسطنبول . - ومن الحوادث [أن] الدفتردار أوقف أمر المناشير التي يبدى أولاد الناس بسبب إقطاعهم ٣ ولم يمش غير الأوقاف والرزق التي بالمكاتب والربعات الجيشية فقط ، فحصل لأولاد الناس غاية الضرر بسبب ذلك ، ووضعوا المباشرون أيديهم على خراجهم ، وراح عليهم الخراج في هذه السنة بين الفلاحين وبين المباشرين . - وفي أثناء هذه السنة ٦ توفي القاضي ناصر الدين محمد بن العمري موقع الأمير يشبك الدوادار ، وكان من المعمرين في الأرض .

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب حضر شيخ العرب أحمد بن بقر وقد أرسل إليه ٩ ابن عثمان أمانا بالإحضار ، فحضر وقابل يونس باشا وبقية الوزراء ، وكان له مدة وهو عاصي في وادي العباسية ، ومعه جماعة من المالكة الجراكسة ، وكان يحسن إليهم بالعليق وغير ذلك من القوت . - وفي يوم السبت ثالث عشر رجب ، ١٢ الموافق لثامن مسرى من الشهور القبطية ، أظلم الجو ظلمة شديدة ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت منه الأرض والأسواق ، وكانت الشمس في برج الأسد ، فتمجّب الناس من ذلك غاية العجب كون أن المطر جاء في غير أوانه ، وكان قد بقى ١٥ عن معياد الوفاء أربعة وستون أصبعا والنيل في قوة الزيادة ، فحشت الناس على النيل من النقص ، وأشيع كسوف الشمس في ذلك اليوم .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره تحوّل السلطان سليم شاه من المقياس وأتى إلى ١٨ بيت الأشرف قايتباي الذي خلف حاتم الفارقاني المطل على بركة الفيل فأقام به ، فتمجّب الناس لذلك كيف ترك المقياس في ليالي الوفاء وسكن في هذا المكان الذي بين الدروب ، فاختلفت الأقوال في سبب ذلك ، ولم يعلم ما سبب تحوّل من المقياس إلى ٢١

(٤٣) التي : الذي . (٤) ولم يمش : ولم يمشي . || بالمكاتب : بالامكاتب .

(٦-٨) وفي أثناء ... في الأرض : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(١١) عاصي : عاصي . (١٣) لثامن : لثامن . || شديدة : شديدة .

هذا المكان مع وجود كثرة رغبته في إقامته بالمقياس ، فلما سكن في ذلك المكان طفشت عساكره في بيوت الناس التي حول الصليبية وأعمالها وطردها أصحابها (١٠١ آ) عنها وسكنوا بها ، فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه طلع ابن عثمان إلى القلعة ودخل إلى الحمام الذي بها بالبحيرة ، ثم رجع إلى بيت الأشرف قايتباي ، فقيل اصطفت عساكره من الصليبية إلى باب السلسلة ما بين مشاة وركاب . - وفيه وردت الأخبار من البحيرة بأن حسن بن مرعي [كان] محاصرا مع الجولي ، فأرسل لها السلطان تجريدة إلى البحيرة ، وعين بها ألف عثمانى من عسكره .

٩ ومن الحوادث الموهلة أن النيل المبارك توقف ليالى الوفاء على أصبع واحد ، وكان مضي من مسرى ثمانية عشر يوما ، فاضطربت أحوال الديار المصرية بسبب ذلك ، ثم أشيع أن النيل قد نقص أربعة أصابع ، واستمر في ذلك التوقف ستة أيام وقد مضي من مسرى أحد وعشرين يوما ، فاضطربت الأحوال بسبب ذلك ، ولولا خافت السوق من ابن عثمان لرفعوا الخبز من الأسواق وكادوا ينشئون غلوة عظيمة ، وقد توقف النيل في هذه السنة مرتين ، ستة أيام في أييب ، وستة أيام في مسرى ، ولولا بعث الله تعالى بالزيادة بعد ذلك لأكلت الناس بعضها بمضا ، وقد قال القائل في المعنى :

لو نطق النيل قال قولاً يشقى به غاية الشقاء

قد كثرا الجور فاعذروني لما توقفت في الوفاء

١٨

فلما كان يوم السبت سابع عشرين رجب ، الموافق لثاني عشرين مسرى زاید الله في النيل المبارك أصعبا واحدا من النقص الذي كان نقصه . - ثم في يوم الأحد ثالث عشرين مسرى القبطي ، الموافق لثامن عشرين رجب زاد النيل ما كان قد نقصه وأوفى ستة عشر ذراعا وأصعبا من سبعة عشر ذراعا ، وكان النقص أربعة أصابع عن الوفاء فزاد النقص وأوفى وزاد أصعبا من السابع عشر ذراعا ، وذلك من فضل الله

٢١

(٢) التي : الذي . (١٣) ينشئون : ينشوا . (٢٢ و ٢٣) وآوفى : وأوفا .

تعالى على عباده . فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرين رجب ، الموافق لرابع عشرين مسرى ، فتح السدّ وجرى الماء في الخليج الحاكى والناصرى ، وقد قيل في المعنى :

عجبت لنيل مصر وثى على جور الأنام الساديات
فخضنا في حديث النيل لكن مزجناه بأوصاف الفرات

(١٠١ ب) وكان الذى فتح السدّ في ذلك اليوم يونس باشاء نائب السلطنة ،

٦ فلم يكن ليوم الوفاء بهجة مثل العادة ، وبطل ما كان يعمل في ذلك اليوم من الأسطة التى كانت تصنع بالقياس ، والجامع الحلوى والمشتات الفاكهة التى كانت تفرّق في ذلك اليوم ، فنزل يونس باشاء في الحراقة السلطانية وتوجّه إلى السدّ وفتحه على العادة ،

٩ ولكن أين الثريا من يدى التناول ، بالنسبة لما كان يعمل في يوم الوفاء بمصر . - ومن الحوادث أن الماء لما دخل إلى بركة الرطلى سكنت العثمانية في بيوت الجسر قاطبة ، وربطوا خيولهم في القياطين المطلة على البركة ، وأخذوا الأبواب والطيقان والدرابزينات

١٢ فأوقدوها في النار ، وكذلك بيوت المسطاحى وحكر الشامى ، وسكنوا في بيوت الأكاير التى على البركة قاطبة ، فامتنت مراكب البياعين من الدخول إلى البركة ، وكذلك المتفرّجين ، ومنعوا المتفرّجين من الدخول إلى الجسر ، وصاروا يهوشون

١٥ على الناس بالعصى . وأما الجزيرة الوسطى فإنها خربت عن آخرها ولم يبق بها إلا الجدر ، ونقلوا أصحاب الأملاك سقوف البيوت والأبواب والطيقان ولم يبقوا بها غير الحيطان . وأما بركة الأربكية فإن التركان نصبوا وطاقهم بها ، ومنعوا الماء من الدخول إليها ، وأخربوا غالب بيوتها ، وأخذوا ما فيها من الأبواب والطيقان وغير ذلك من ١٨ الأخشاب ، وكذلك بيوت بولاق .

وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب أشيع أن حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة

٢١ قد حضر بالأمان ، وكان قد بقى له إدلال على ابن عثمان من حين تحمّل على السلطان طومان باى وقبض عليه ، فلما قابل ابن عثمان قبض عليه وسجنه بالبرج الذى بالقلمة ،

(٧) التى : الذى . (١٢) فأوقدوها : فأوقدوهم . (١٣) التى : الذى .

(١٤) يهوشون : يهوشوا .

وقبض على ابن عمه صقر ، وقبض على ابن أخى الجويلي وسجنوهم في البرج . وكان شيخ العرب أحمد بن بكر أتى ليقابل ابن عثمان ، فلما رأى ما جرى على مشايخ العربان هؤلاء رجع بمد أن دخل إلى القاهرة ومضى إلى الشرقية ، وقد شمت بحسن بن مرعي كل أحد من الناس الذي سجن ، فإنه كان سببا لمسك السلطان طومان باي حتى شفق ، والمجازاة من جنس العمل . - وفي أواخر هذا الشهر توفي صاحبنا القاضي أبو الفتح السراجي أحد نواب الحنفية رحمة الله عليه ، وكان عالما فاضلا نحويا بارعا في النحو ، وكان له شعر جيد وآلف عدة كتب ، وكان من الأفاضل في عصره عارفا بطريقة (١٠٣ آ)

(١) صقر : سفر . || أخى الجويلي : أخو الجولي .

(٧) ١٠٣ آ : كتب المؤلف ما يأتي على الورقة رقم ١٠٢ وأصلها في الأصل بين الورقتين رقم ١٠١ ورقم ١٠٣ .

(١٠٢ آ) الحمد لله وحده ، من نظم الأديب البارع فاسر الدين محمد بن فائضه من صادق في الجرا كسة قوله من أبيات فيا وقم لهم :

نسل جركس ياله نسب	مذ إلى غسات ينتسب	
ملكوا مصرا وأولهم	ملك برقوق وانجلبوا	
واستمر الملك لارثهم	وهما من قبل فيه ربوا	١٥
وخيل العز تحتمهم	بسروج كلها ذهب	
وملوك الأرض ترهبهم	من سظام والسطا عجب	
لو أرادوا الراسيات من الـ	أرض جذبا بالقنا جذبوا	١٨
وهما في نظم عزم	جوهرا أو لؤلؤ رطب	
واستمروا في النظام إلى	زمن الفوري فالتكبوا	
ذهبوا مذ أظلموا وسروا	فيه عن طريق الهدى ذهبوا	٢١
وانحى ذلك النظام ومن	نظم ذاك العز قد سلبوا	
أصل سلب العز خلفهم	فلهذا أسلبوا وسبوا	
معه ساروا إلى حلب	لقتال الروم واتدبوا	٢٤
والتقوا في دابق وهما ما	ينا ألف وما غلبوا	
ذكروا الأروام ثارهم	مع قايتباي فالتهبوا	
وسيوف التار في يدهم	وبها أعناقهم ضربوا	٢٧
قد أراد الله نصرتهم	فيهى من بعد ما غلبوا	
وأثوا مصرا ودورهم	خربوا من بعد ما نهبوا	

صنعة التوقيع ، حسن العبارة ، وكان مجلسه بخط جامع ابن طولون ، وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة ، وكان حسن الهيئة . - ذكر مرثية تتضمن ما وقع من الحوادث بالديار المصرية :

٣

نوحوا على مصر لأمر قد جرى
زال عساكرها من الأتراك في
وأنى إليها عسكر سيهاجم
لا يُعرف الأستاذ من غلمان
جلّ الإله مصدقا عما حكى
قد أوعد الرحمن وعدا صادقا
ولّاه ربّ العرش سلطانا على
أين الملوك بمصر من ظلماتها
يا لهف قلبي للمواكب كيف لم

من حادث عمت مصيبته الورى
نمض العيون كأنها سنة الكرى
خلق الذقون ولبس طرطور يرى
وأمرهم بين الأنام تحقرا
في سورة الروم العظيمة أخبرا
أن ابن عثمان يلى وكذا جرى
مصر وهذا الأمر كان مقدرا
مثل البدور تضىء وكانت أنورا
نلقى بقلعتها الحزينة عسكرا

١٢

وابن عثمان المظفر من
كان طومان باى آخرهم
(١٠٢ب) ثم صار الملك منه له
وعفا عن بعضهم كرم
وغدوا من بعض عسكره
ورأوا فيهم عوامله
وفا بالصفو نحوهم
رفعوا من بعد خفضهم
هكذا فعل الزمان وإن
من يعش بالسيف مات به
عجبوا والعجب ذوقهم
لا عجب إن أكن لسانا
لفظى السحر الحلال طلى
حبذا من زانه حسب

خلفهم والنار تلتهب
ملكا ، أعنى الذى صلبوا
بعد أمر واتهى الطلب
مذ له أرواحهم وهبوا
حيث فى ديوانه كتبوا
حيث منها قد خبوا وحبوا
بعد صرف درسه القضب
بحروف الجر وانصبوا
يصف يكدر كله كرب
من تعالى سوف يتقلبوا
منه ما ذاقوه مذ عجبوا
جرّكس من أصلها عرب
وعليه نسيتى حبيب
حبذا من زانه أدب

١٥

١٨

٢١

٢٤

٢٧

تمت القصيدة بعون الله تعالى ، والحمد لله وحده ، انتهى ذلك .

(٨) سورة : صورة .

- لهفى على ذاك النظام وحسنه
لهفى على ضرب الكراة ولعبها
لهفى على النشاب والرمح الذى
لهفى على لبس الكلفنة والقبيا
لهفى على تلك التخافيف التى
لهفى على لبس الكواف بقندس
لهفى على الهماز والخف الذى
لهفى على أعياد مصر كيف قد
وكذا الكنايش التى قد زُخرفت
وكذا السروج المفرقات بلمعها
لهفى على الكوسات كم دُقت على
لهفى على الأبواب كيف تكسرت
لهفى على نهب القماش وبيعه
وأشيع بيع الخيمة المظلى التى
بيعت بأبخس قيمة عما حكي
لهفى على شيخو وجامعه الذى
(١٠٣ب) درست معاله بمحرق صار من
لهفى على سوق الصليبة كيف قد
لهفى على فك الرخام ونقله
زالت محاسن مصر من أشياء قد
لهفى على الأمراء كيف تشتتوا
لهفى على أتراك مصر إذ غدت
لهفى على الفرسان كيف تقطعت
- ما كان فى الترتيب منه أنفرا
فى الحوش صارت فى الحضيض إلى ورا
كانا مع الدبوس تكسر عنترا
كانت بها التجميل لا ذى الازدرا
كانت على الأمراء تزهو منظرا
بطلت وألقوا كل زمط أحمر
كانوا نهار الحرب أصون للثرى
أفنت تشاريفا بها ومثمرا
كانت تُشدّ خيولها عند السرى
كانت كبرق أو كليل أقرأ
باب بسعد أميره قد بشر
وخلت أماكنها وصاحبها سرا
وبأبخس الأمان صارت تشتري
للمولد النبوى أحسن ما يرى
يا لهف قلبى كم يزيد تحسرا
قد كان للصلوات مجتمع الورى
بعد التزخرف والرياضة أغبرا
أخلت حوانيت بما مما جرى
من كل بيت كان زاه أزهر
كانت بها تزهوا على كل القرى
وخلت منازلهم وعادت مقفرا
مكسورة وقلوبها لن تجبرا
أعناقها بيد العدو إذ افترى

- صارت على الطرقات من أجسادهم
لهفى على ذاك الحريم وهتكه
وتيتمت أطفال جند قد غدت
قتلوا بأصغر بندق من شأنها
وأذاقهم ذلّ السؤال وفاقه
لما تكبرت الجراكسة الذى
لهفى على سلطان مصر كيف قد
شنقوه ظلما فوق باب زويلة
ياربّ فاعفُ عن عظام جرمه
يا لهف قلبى للخليفة كيف قد
وكذا بنو عمّ له قد أخرجوا
وكذاك أبناء الملوك تحيّرُوا
وكذا أعيان التجار وغيرهم
لهفى على الشرع الشريف وحكمه
يا لهف قلبى للشهود بمجلس
الله أكبر إنها لمصيبة
ولقد وقفت على تواريخ مضت
لهفى على عيش بمصر قد خلت
وأنى من التكدير ما لا مخبر
وتوقف النيل السعيد عن الوفا
(١٠٥آ) وتزايد الكرب العظيم لأجله
- ٣ رمم حكّت عيد الضحايا الأكبر
من بمدّ صون فى القصور مخدّرا
أجسامهم نهش الكلاب على الثرى
كالسمّ تسرى فى الجسوم ولا ترى
الأيدى وأذّبهم بما قد أقمّرا
٦ كانوا بمصر ذلّهم ربّ الورى
ولّى وزال كأنه لن يذكر
ولقد أذاقوه الوبال الأكبر
٩ واجمل بجنّات النعيم له قرا
طردوه عن مصر بجور وافترا
معه لإسطنبول وامتدّ السرى
١٢ عند الخروج ولم يراعوا الأوقرا
ممن بمصر صار دمعوا أنهر
قد كان فى زمن القضاة موقرا
١٥ كانوا بهم تُقضى الحوايج للورى
وقعت بمصر ما لها مثل يرى
لم يذكروا فيها بأعجب ما جرى
١٨ أيامه كالحلم ولّى مدبرا
سمعت به أذن ولا عين ترى
فى هذه الأيام آخر ما جرى
٢١ حتى وفا وبه النادى بشرا

(٩) فاعف : فاعفوا . (١٨) ولّى : ولا .

(٢١) ١٠٥ آ : كتب المؤلف ما يأتى على الورقة رقم ١٠٤ التى ألصقت فى الأصل بين

=

الورقتين رقم ١٠٣ ورقم ١٠٥ :

- قد كان هذا الانتقام بمصرنا سبقت به الأقدار كان مقدرا
يا ليت شعري بمد هذا كله تنفي الهموم وزنجي فرجا نرى
يا ربّ إنا بالنبي المصطفى والأنبياء الكل سادات الورى
نسألك فى كشف الهموم بسرعة واعفُ عن الإجرام عفوفا واغفرا
قد جاد لابن إياس شعر قاله لكن منه النظم يحكى جوهرها
ثم الصلاة على النبي محمد والآل والأصحاب ممن بشرا

= (١٠٤آ) الحمد لله وبما رثى به مصر أيضا الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

- يا مصر كنتى ناظره حسنا وكنتى ناضره
أين المحيا والجبا ل والعيون الباصره
أين الحبول والسرو ج والثياب الفاخره
أين الجراكسة الذى كانوا أسودا كاسره
وهم بأفق ملككى مثل النجوم الزاهره
من ذا الذى أزالهم عنه وهم أكاسره
وهم عظام وغدوا منه عظاما ناخره
ودورهم صيرها من الحراب دائره
من بعد ما كانت قصو را بالجمال عامره
غير الذى الملك له لا ملك إلا الآخره
يا مصر كم بالكى قد خضعت جبابره
(١٠٤ب) يا مصر كيف ملككى زال بلا محاصره
وكيف ذقتى القهر با لذل وأنتى القاهره
لا شك أنتى بدمهم إلى الحراب صايره
لهفى على جمالكى يا مصر كنتى ناظره

تمت . وقوله أيضا :

- كان فى مصر ملوك أظهروا فيها العجايب
ذهبوا عنها وصارت دورهم فيها خرايب
وهى أضحت بعد عز قرية فى حكم نايب
من سوى الله تعالى قد رماهم بالمصايب
صاحب الملك عظيم من عصاه كان خايب

(٤) واعف : واعفوا .

ما ماس غصن في الرياض وغرّدت أطيّاره عند النسيم إذا سرا انتهى ذلك .

٣ وفي شعبان المكرم كان مستهلّ الشهر يوم الأربعاء ، ففي ذلك اليوم أشيع أن شيخ العرب أحمد بن بكر لما رأى أن السلطان سليم شاه قبض على حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة وسجنه بالبرج ، تخاف على نفسه وخرج من القاهرة على حين غفلة وتوجّه إلى جهات الشرقية ولاقته العربان ، ولو تكاسل يوما آخر لقبض عليه ابن عثمان وسجنه كما قد فعل بحسن بن مرعى . - وفيه أشيع أن جماعة من العثمانية قتلوا أميرا من أمراء ابن عثمان وهو نائم على فراشه ، وكان صاحب صنّجق ، ولم يعلم ما سبب ذلك ، وقيل قبضوا على من فعل ذلك من العثمانية ، وشُنق منهم جماعة ممن فعل ذلك . - وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه بدا له أن يعزل يونس باشاه من نيابة السلطنة بمصر ، ويولّي ملك الأمراء خاير بك عوضا عنه ، وذلك لأمر قد عنّ له . - ومن الحوادث أن ابن عثمان لما سكن في بيت الأشرف قايتباي المطلّ على بركة الفيل ، فلما جرى الماء في الخليج الحاكي ، أمر بسدّ الخليج من عند قنطرة عمر شاه حتى تمتلئ بركة الفيل بالياه بسرعة .

١٥ وفي يوم الجمعة ثالث شعبان أشيع أن ابن عثمان قوى عزمه على المود إلى بلاده وخروجه من مصر ، فمئّن شخصا من أمرائه يقال له على بك ، تفرّج في ذلك اليوم وصحبته جماعة من العثمانية بسبب إصلاح الآبار التي في طريق غزّة ، وتنظيف الطرقات من الوعر قبل خروج السلطان ، فلما تحقّق عسكريه أمر خروجه إلى السفر إلى إسطنبول ، شرعوا في عمل رفقهم ومشتري زواذتهم ، فارتجت (١٠٥ب) لهم القاهرة بسبب ذلك .

٢١ وفي يوم السبت رابع شعبان وقعت حادثة مهولة ، وهو أن السلطان سليم شاه قبض على جماعة كثيرة من عسكريه نحو أربعة وعشرين إنسانا ، وقيل أكثر من ذلك ، فلما قبض عليهم رسم بشنق جماعة منهم في أماكن مختلفة ، وكلب منهم اثنين على باب زويلة ، واثنين على باب الصاغة ، واثنين بين القصرين ، والبقية شيء عند

جامع قوصون وشيء في الصليبية وشيء في قناطر السباع ، وخوزق منهم جماعة وقطع أيديهم وأرجلهم . وأشيع أن سبب ذلك أن جماعة من الأنكشارية قصدوا أن يقتلوا ابن عثمان لما كان بالمقياس ، فاستدرك فارطه وتحول إلى بيت ابن السلطان قايتباي الذي خلف حمّام الفارقاني ، وصار يقبض على من كان سببا لإشاعة قتله . ٣

وفيه حضر الرئيس سلمان العثماني الذي كان قد توجه صحبة المراكب التي كان أرسلها السلطان الغوري إلى الهند ، فلما حضر أشيع أن الرئيس سلمان هو الذي أغرق حسين نائب جدّة ، وكان بينهما عداوة من أيام الغوري ، فلما مات الغوري ظفر سلمان بحسين وقتله عن ما قيل . ولما حضر الرئيس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتمبث به ، ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرّون من هناك . وأشيع أن الرئيس سلمان وحسين نائب جدّة كانا فتحا عدة بلاد بالهند من بلاد الشيخ عامر ، وغنموا منها أموالا جزيلة لا تحصى ، هم والعسكر الذي توجه صحبتهما في أيام السلطان الغوري ، وهم من عسكر الطبقة الخامسة التي كان قد جدّدها الغوري في أيامه . ٦ ٩ ١٢

وفي يوم السبت ثاني عشر شعبان كان يوم النوروز ، وهو أول السنة القبطية ، سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة . - وفيه أشيع أن ابن عثمان أرسل إلى خير بك الذي قرّره في نيابة السلطنة صنجقا ، وتحقيق أنه نائب السلطنة عوضا عن يونس باشا ، وكان ابن عثمان قرّره في نيابة السلطنة قبل ذلك . وفيه عرض ابن عثمان عسكره بالميدان الذي تحت القلعة وهم لابسون زرديات وفي أيديهم الرماح والأتراس ، وأشيع سفره أواخر الشهر إلى إسطنبول . ١٥ ١٨

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وقفت جماعة من جماعة الوالي على أبواب المدينة ، وصاروا يقبضون على من يدخل من الباب ومن يخرج منه من العوام وغيرها ، فإذا قبضوا عليهم يضمنونهم في الحبس ، فصاروا يقبضون على الناس (١٠٧ آ) ٢١

(١٣٥٥) التي : الذي . (١٠٩ و١٠) الذين : الذي . (١٣) جددها : تجدها .
(٢٢) ١٠٧ آ : كتب المؤلف ما يأتي على الورقة رقم ١٠٦ التي ألصقت في الأصل =

من شطوط بولاق ومن شطوط مصر المتيقة ، وكذلك صاروا يقبضون على جمال السقاين بالروايا التي عليها ، فاضطربت أحوال الناس وغلقت الأسواق والدكاكين ، واختفت الناس في البيوت وكثر القيل والقال في ذلك ، فمن الناس من يقول يقبضون ٣ عليهم بسبب أنهم يسكون خيول الجنائب إذا سافر ابن عثمان ، ومن الناس من يقول إنهم قبضوا عليهم حتى يسافروا بهم إلى إسطنبول في المراكب ، فحصل للناس الضرر الشامل بسبب هذا . وأما سبب مسك جمال السقاين فإنهم أشاعوا أن ابن عثمان إذا ٦ خرج يأخذ معه جمال السقاين بالروايا إلى أن يصل غزّة ، لأجل عدم الماء في الطريق

== بين الورتين رقم ١٠٥ ورقم ١٠٧ :

- ٩ (١٠٦ آ) وما كان من ترجمة ملك الأمراء المقر السيفي خاير بك من ملباى ، قيل كان اسم أبيه ملباى الجركسى ، وكان جنسه أباطا وكان له خمسة من الأولاد ، وهم كسباى وخضر بك وجان بلاط وقانصوه وخاير بك ، فأما كسباى فإنه مات بالطاعون في دولة الأشرف قايتباى ، ومات خضر بك أيضا ، وأما جان بلاط فإنه صار مقدم ألف ومات في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، وأما قانصوه فإنه كان يعرف بالبرجى فولى نيابة حلب ونيابة الشام ومات في دولة الغورى ، وأما المقر السيفي خاير بك فإنه ولد بقرية يقال لها صصوم بالقرب من بلاد الكرج ولم يولد ببلاد جركس . وقيل إن أباه ملباى قدمه للأشرف قايتباى ولم يكن قط دخل تحت رق ، ولهذا يعرف بخاير بك من ملباى ، يعنى أباه ملباى . ثم إن الأشرف قايتباى أنزله بالطبقة وصار من جملة المالك السلطانية ، ثم أخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة الجمدارية ، (١٠٦ ب) ثم قرره خاصيا وجعله دوا دار سكين ، ثم بقى أمير عشرة في سنة إحدى وتسعمائة في دولة الأشرف قايتباى ، ١٨ ثم بقى أمير طبلخاناه في دولة الناصر محمد بن قايتباى ، وأرسله قاصدا إلى السلطان أبى يزيد بن عثمان ملك الروم في سنة ثلاث وتسعمائة ، ثم بقى أمير مائة مقدم ألف في دولة الأشرف جان بلاط ، وخرج إلى البلاد الشامية صحبة العسكر لما خرج إلى قتال قصره نائب الشام ، فلما تسلطن ٢١ طومان باى العادل هناك سجن خاير بك في قلعة الشام ، فلما حضر العادل إلى مصر أفرج عنه وأحضره إلى مصر وأنعم عليه بتقديم ألف كما كان ، فلما تسلطن الأشرف الغورى جملة حاجب الحجاب ، واستمر على ذلك حتى توفى أخوه قانصوه المسمى البرجى نائب الشام تقل سيباى من ٢٤ نيابة حلب إلى نيابة الشام واستقر بالأمير خاير بك في نيابة حلب عوضا عن سيباى وذلك في سنة عشر وتسعمائة ، واستمر على ذلك حتى تحرك على السلطان الغورى سليم شاه بن عثمان وانكسر الغورى وجرى ما جرى ، أخلع السلطان سليم شاه على خاير بك وجملة نائباه عنه بمصر ، وكان ٢٧ قرر يونس باشاه أولا ثم عزله وقرر خاير بك ، انتهى ذلك .

(٣) يقبضون : يقبضوا . (٤) يسكون : يسكوا .

من هنا إلى غزّة ، فامتنت السقاين من الخروج في هذه الأيام وعزّ وجود الماء فضجت الناس لذلك ، فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام متوالية .

٣ وفيه خرج الوالى الذى كان ابن عثمان قرّره في ولاية القاهرة ، فخرج وبرّز إلى الريدانية إلى أن يخرج ابن عثمان . - وفيه أشيع أن ابن عثمان أطلق الجماعة الذين كانوا قبضوا عليهم من الأعوام والفلاحين والسوقة الذين كانوا أشيع عنهم بأن يتوجهوا بهم إلى إسطنبول ، وكانوا لما قبضوا عليهم سجنوهم في عدّة أماكن حتى يكون من أمرهم ما يكون ، ثم نادى في القاهرة بأن لا أحدا يبقى يشوش على أحد من العوام ولا من الفلاحين ، فسكن الاضطراب قليلا وفتحت الدكاكين في الأسواق وخذت هذه الحركة ، وقيل إن بعض وزراء ابن عثمان شفع عنده في إطلاق الناس الذين سجنوهم كما تقدم .

١٢ وفي يوم الجمعة سابع عشره توجه السلطان سليم شاه إلى الجامع الأزهر وصلى به صلاة الجمعة ، وتصدّق في ذلك اليوم بماله سورة ، ثم شقّ من القاهرة في موكب حفل ، وكان ذلك آخر مواكبه بالقاهرة ، ثم رجع إلى المكان الذى كان به . - وفي يوم الاثنين حادى عشرينه عرض السلطان سليم شاه كسوة الكعبة الشريفة ، ١٥ وكسوة لضريح النبي صلى الله عليه وسلم ، وكسوة لضريح سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وصنع للمحمل الشريف كسوة ، وقد تناهى في كسوة الكعبة بخلاف العادة ، وتناهى في زركش البرقع إلى الغاية ، وكذلك في ثوب المحمل وما أبقى في ذلك (١٠٧ ب) ممكنا . ١٨

٢١ وفيه أطلق ملك الأمراء خير بك نائب السلطنة جماعة كثيرة من المالك الجراكسة كانوا في سجن الديلم ، فأطلقهم أجمعين ، وكانوا نحو أربعة وخمسين مملوكا ، وقد راج أمر المالك الجراكسة قليلا . - وفي يوم الأربعاء ثانى عشرينه خرج القاضى محب الدين محمود بن أجا كاتب السرّ الشريف وصاحب ديوان الإنشاء ، فخرج هو ونساؤه وعياله وصهره الجمالى يوسف بن الطحان ، فخرجت النساء في عمار

وشقادف . فلما خرج القاضي كاتب السرّ سكن في بيته الذي عند قنطرة سنقر
الوزير يوسف البدرى .

- ٣ وفي يوم الخميس ثالث عشرين شعبان ، فيه خرج وتوجّه إلى السفر سلطان مصر
الملك المظفر سليم شاه بن عثمان ، فخرج من بيت ابن السلطان قايتباى الذى خلف
حمّام الفارقانى ، وشقّ من على الصليبة وطلع إلى الرملة ، فخرج في موكب حفل
٦ وقدّامه ملك الأمراء خاير بك نائب حلب وجان بردى النزالى نائب الشام ، وقدّام
المسكر طبلان وزمران وعدة جنائب حربيّة ، وكان راكباً على بغلة صفراء عالية ،
قيل إنها من بغال السلطان النورى كان يركبها في الأسفار ، وكان عليه قفطان مخمل
أحمر وقدّامه جماعة من وزراء ، منهم يونس باشا والدقتردار وبقية من له من الوزراء
٩ والأمراء ، والجّم الفقير من عساكره مابين مشاة وركاب ، وجماعة كثيرة من الرماة
بالنفوط المربعة ، فطلع من على الصوّة ونزل من على تربة الأشرف قايتباى ، ووقف
هناك وقرأ سورة الفاتحة وأهداها إليه ، ثم شقّ من بين التراب إلى تربة العادل التى
١٢ بالفضاء ، واستمرّ على ذلك حتى نزل بالوطاق الذى نصبه في بركة الحاج ، ولو شقّ
من القاهرة لكان له يوم مشهود ، ولكن خرج على حين غفلة فلم يشعر به أحد من
الناس . وكان لما خرج من بين التراب قسم عسكره فرقتين ، فرقة صرّت من تحت
١٥ الحبل الأحمر ، وفرقة من على تربة العادل ، ثم تلاقوا في بركة الحاج ، فلما وصل إلى
الوطاق لم ينزل به وتوجّه على ظهر إلى الخانكاه فنزل هناك . ثم إن ابن عثمان لما رحل
من مصر ترك بها من عسكره ، ممن يقيم بالقاهرة عند خاير بك ، نحو خمسة آلاف
١٨ فارس ، ومن الرماة بالبندق الرصاص نحو خمسمائة رام ، وقرّر من أمرائه شخصاً
يقال له خير الدين باشا وجعله نائب القلعة ، فيقيم بها ولا ينزل (١٠٨ آ) إلى المدينة.
ومن المعجائب أن مصر صارت نياية بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين
٢١ في سائر البلاد قاطبة ، لأنه خادم الحرمين الشريفين ، وحاوى ملك مصر الذى افتخر به
فرعون اللعين ، حيث قال : أليس لى ملك مصر ، وقد تباهى بملك مصر على سائر
(١٠) وجماعة : جماعة . (١٢) سورة : سورة . || التى : الذى . (١٩) رام : رأى .

٣ ممالك الدنيا . ولكن ابن عثمان انتهك حرمة مصر ، وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها ويقيم أطفالها وأسرى رجالها وبدد أحوالها وأظهر أهوالها . فلم يدخل إليها أحد من الخوارج ولا قط ملكها ولا جرى عليها ما جرى إلا أن كان في زمن البخت نصر المائلي ، فقد جرى عليها من ابن عثمان بعض ما جرى عليها من البخت نصر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٦ وأصبح أن ابن عثمان خرج من مصر وصحبه ألف رجل مئيلة ما بين ذهب وفضة ، هذا خارجا عن ما غنمه من التحف والسلاح والصيني والنحاس المكفت والخيول والبغال والجمال وغير ذلك ، حتى نقل منها الرخام الفاخر ، وأخذ منها من كل شيء أحسنه ، ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده من قبله أبدا . وكذلك ما غنموه وزراؤه من الأموال الجزيلة وكذلك عسكره ، فإنه غنم من الذهب ما لا يحصى ، وصار أقل ما فيهم أعظم من أمير مائة مقدم ألف ، مما غنمه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك ، ١٢ فراحوا عن الديار المصرية إلا والناس في غاية البلية . وفي مدة إقامة ابن عثمان بالقاهرة حصل لأهلها الضرر الشامل ، وبطل منها نحو خمسين صنعة ، وتعطلت منها أصحابها ، ولم تعمل في أيامه بمصر .

١٥ فكانت مدة إقامة ابن عثمان بمصر ثمانية أشهر إلا أياما ، وأما من حين قتل السلطان الغوري واستولى على حلب ، فتكون مدة استيلائه على مصر والبلاد الشامية والحلبية سنة وشهرا واحدا وهو مالك من الفرات إلى الشام إلى مصر ، ويخطب فيها باسمه ، وكذلك السكة على الذهب والفضة باسمه ، وكذلك ما حول المراقين وقد وعده الله تعالى بذلك ، وفي مدة إقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلمة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ، ولا رآه أحد ، ولا أنصف مظلوما من ظالم في محاكمته ، بل كان مشغولا بلذته وسكره وإقامته (١٠٨ ب) في القياس بين الصبيان المرد ، ويجعل الحكم لوزرائه بما يختارونه . فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء الممالك الجراكسة ، وما كان له أمان إذا أعطاه لأحد من الناس ، وليس له قول ولا فعل ،

وكلامه ناقض ومنقوض لا يثبت على قول واحد كمادة الملوك في أفعالهم ، وليس له
مماط يُعرف ولا نظام كمادة السلاطين في مماطهم الذي كانت تجلس عليه الخاصكية

٣

كل يوم .

- وأما عسكره فكانوا جيمانين العين أنفسهم قنطرة ، يأكلون الأكل وهم راكبون
خيولهم في الأسواق ، وعندما عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين ، يتجاهرون بشرب
الخور في الأسواق بين الناس ، ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ٦
ولا يصلي في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم ، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة ،
وليس لهم نظام يعرف لاهم ولا أمراؤهم ولا وزراؤهم وهم هجج كلبهايم . ولما خرج
ابن عثمان من مصر رسم لابن السلطان الفوري بأن يسافر معه ، فبرز سنيحه وخرج ٩
وسافر صحبته . وأشيع أن جان بردى الغزالي لما خرج مع ابن عثمان كان أوعده بناية
الشام ، فلما خرج لم يوليه نيابة الشام ، بل قيل إنه ولّاه نيابة طرابلس ونيابة صفد
و نيابة غزّة والرملة وبيت المقدس وجبل نابلس ، ولم يوليه نيابة الشام فشق ذلك ١٢
عليه ، ثم قرّره في نيابة الشام وتوجه إليها صحبته .

- وفي يوم السبت خامس عشرينه نادى خاير بك في القاهرة بأن المالك
الجراكسة تظهر وعليهم أمان الله تعالى ، فظهر منهم الحجم الغفير وهم في سوء حال ، ١٥
في زىّ الفلاحين وعليهم زموط قرع وبرد سود وقصان بأحكام كبار ، فإذا رآهم أحد
فلا يفرق بينهم وبين الفلاحين . - وفيه وردت الأخبار بأن ابن عثمان قد وصل إلى
بلييس وحصل له توعك في جسده ، فأرسل إلى خاير بك يطلب محقة ، فأرسل له ١٨
خاير بك محقة إلى بلييس .

- وفي يوم الأحد سادس عشرين شهر شعبان طلع المقر السيوف ملك الأمراء خاير
بك من ملباى نائب السلطنة بالديار المصرية إلى قلعة الجبل ، فكان له موكب حفل ، ٢١
وقدّامه عدة جنائب بغواشي حرير أصفر ، وقدّامه جماعة كثيرة من الثمانية مشاة
يرمون بالنفط ، وقدّامه الحجم الغفير من عسكر ابن عثمان ، فشق من الصليبية بعد

طلوع الشمس وطلع إلى القلعة وأقام بها ، وصارت سلطنة مصر نيابة ، وقد تقلبت الأحوال وكثرت (١٠٩ آ) الأقوال ، وقد قلت في خير بك لما ولى نيابة السلطنة بمصر ، وهو قولى :

مصر أُنحت في سرور عند ما قد تولى للنيابة خير بك
فلسان الحال عنها قائل يا لعمري قد أتاني خير بك

٦ أى خير أمير . فلما أقام خير بك بالقلعة أرسل خلف البنائين والتجارين والبلطين ليرتوا ما فسد من أما كن القلعة ، ثم إن خير بك أخلع على شخص من الأتراك يقال له كشبغا وقرّره في ولاية القاهرة ، وهو مملوكه . - وفيه أخلع ملك الأمراء خير بك على جماعة من المباشرين وقرّره في وظائف سنّية ، فأخلع على القاضي ناظر الخاص علاى الدين بن الإمام وقرّره كاتب السرّ الشريف عوضا [عن] محمود ابن أجا بحكم توجهه إلى حلب ، وقرّره ناظر الجيش أيضا عوضا عن الشهابى أحمد بن ناظر الخاص ، وأبقى علاى الدين في نظارة الخاص أيضا مضافة لما بيده من هذه الوظائف ، وقيل إنه قرّره في نظر الكسوة الشريفة أيضا ، وجعله أمير ركب المحمل أيضا ، فصار بيده خمس وظائف سنّية ، فتضاعفت عظمته فوق ما كان . وأخلع على الزينى بركات بن موسى وقرّره مدبر المملكة وناظر الحسبة الشريفة وناظر الذخيرة الشريفة وناظر البيارستان المنصورى وغير ذلك من الوظائف ، فتزايدت عظمته واجتمعت الكلمة فيه وصار عزيز مصر في هذه الأيام الفترة ، فتوجهت الناس إلى بابه لقضاء حوائجها وصار هو حاكم البلد ، وقد قلت فيه :

يا نجل موسى عُدت بالبركات في أعلى المراتب حيث كنت وأُزيّدا

قد كان قطعاً زال عنك ولم تزل فى السعد عمّالاً على رغم العدا

٢١ وأخلع على الشهابى أحمد بن الجيعان وقرّره نائب كاتب السرّ على عادته ، ورسم له بأن يتوجه إلى مكة من البحر الملح وصحبته كسوة الكعبة الشريفة .

(٤) للنيابة : نيابة .

- وأُخلع على القاضي شرف الدين الصغير وقرّره متحدثاً في ديوان الوزارة وكاتب المالك
على عادته . وأُخلع على الشرفي يونس النابلسي وقرّره أستاذار المالية وصاحب الديوان
المفرد . وأُخلع على نحر الدين وأخيه شمس الدين أولاد ابن عوض وقرّرها في التحدث ٣
على جهات النخيرة . وأُخلع على عبد العظيم الصيرفي وقرّره في أستاذارية الشعير
وغير ذلك من الوظائف ، فزلوا من القلعة وعليهم القفطانات المحمل عوضاً عن الخلع ،
فأُخلع على هؤلاء الجماعة في يوم واحد ، وهذا أول تصرف خاير بك في أحوال ٦
المملكة . - وفيه أشيع أن قد عقد لخاير بك على خوند مصر باي زوجة الظاهر
قانسوه . - وفيه ظهر الزبي أبو بكر بن الملك ، وكان له مدة وهو مخفف ، فلما ظهر
أُخلع عليه خاير بك قفطان مخمل وقرّره في استيفاء الجيش (١٠٩ ب) على عادته . ٩
وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر شعبان حضر الأمير قايتباي الذي كان نائب
الكرك ، وكان توجه إلى ابن عثمان بسبب أن خاير بك أرسله بمطالبة من عنده إلى
ابن عثمان ، لأجل أن جماعة من عسكره من الأنكشارية ثاروا على خاير بك ، ١٢
وقالوا له : رتب لنا جامكية كما كانت تأخذ المالك الجراكسة ، واجعل لنا لحماً وعليقاً
مثل المالك الجراكسة ، فقال لهم : حتى أرسل أطلع أستاذكم بذلك . فأرسل الأمير
قايتباي نائب الكرك إلى ابن عثمان بسبب ذلك ، فلما حضر قايتباي ما علم بماذا أجاب ١٥
ابن عثمان عن تلك المطالبة التي أرسلها بسبب جماعة من الأنكشارية كما تقدم .
فلما حضر قايتباي أشيع أن ابن عثمان لما أن دخل إلى الخطارة قتل يونس باشا وقطع
رأسه ، ولا يعلم ما سبب ذلك ، وكان يونس باشا أعظم وزرائه ، وكان لطيف الذات ١٨
وعنده رقة حاشية بخلاف طبع التراكمه ، وكان قرّره أولاً في أن يكون نائباً عنه
بمصر ، ثم رجع عن ذلك وقرّر خاير بك في النيابة ، وكان يونس باشا مقرّباً عند
ابن عثمان إلى الغاية بخلاف بقية الوزراء ، ويقال إن يونس باشا هو الذي كان سبباً ٢١
لولاية سليم شاه على مملكة الروم دون إخوته فسعى في ذلك حتى ولّاه مملكة الروم .

(٨) مخفف : مخفف .

(١٦) تلك : ذلك . // التي : الذي .

ولكن سليم شاه بن عثمان ليس له صاحب ولا صديق ولا أمان لأحد من وزرائه ولا عسكره ، ومن طبعه الرهج والخفة ، ويحب سفك الدماء ولو كان على ولده ، ويقال إنه قتل أباه وإخوته لأجل مملكة الروم ، وآخر الأمر قتل يونس باشا لكون أنه صار له عليه يد قديمة ، وكان يونس باشا يظن أن سليم شاه يرعى له الود القديم ، فكان كما قيل :

٦ رُبما يرجو الفتى نفع فتى خوفه أولى به من أمله
رُبّ من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

فلما أشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة وغلقت أبواب المدينة من بعد مصر ، وخشوا من هجمة العرب على المدينة ، ثم سكن ذلك الاضطراب قليلا .

٩ وفي شهر رمضان كان أول الشهر يوم الخميس ، فلما كان ليلة الرؤيا ركب الزيني بركات بن موسى المحتسب من المدرسة النصورية ، وقدامه الفوائيس موقودة والمشاغل على عادته ، وكان له موكب حافل . - فلما كان صبيحة (١١٠ آ) شهر رمضان أخلع ملك الأمراء خاير بك على القاضي شرف الدين الصغير وابن موسى قفطانات مخمل ، كما هي عادتهم في أول شهر رمضان ، ونادوا في القاهرة بأن أحدا لا يجتمى على الزيني بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة . - وفي يوم الخميس مستهل الشهر أخلع ملك الأمراء خاير بك على الأمير قايتباي الشهير بنائب الكرك وقرّره في الدوايرية الكبرى ، وكانت شاغرة من حين مات الأمير علان الدواidar .

١٨ وفي يوم الخميس ثامن شهر رمضان طلعت إلى القلعة خوند مصر باى ، وقد تقدم القول على أن ملك الأمراء خاير بك قد تزوّج بها ، فطلعت إلى القلعة في ذلك اليوم قبل إشتراق الشمس ، وصحبها جماعة كثيرة من نساء الأعيان وهنّ على مكارية . - وفي يوم الجمعة تاسع الشهر أشهروا في القاهرة أربعة نسوة وهنّ على حير ووجوهنّ ملطّخة بالسواد ، قيل كنّ يجمعن عندهنّ جماعة من التراكمة في رمضان ويمرّسن عليهم

(١) وزرائه : وزراء . (٢١) ووجهن . ووجهن .

(٢٢) كن يجمعن : كانوا يجمعوا . II ويمرّسن : ويمرّصوا .

- مع النساء الأجانب ، ففمز عليهنّ حتى أشهروهنّ . - وفي يوم السبت عاشره ظهر
الأمير قانصوه العادلى الذى كان كاشف الشرقية ، وقد أرسل إليه ملك الأمراء
خاير بك بمنديل الأمان ، فدخل من باب النصر وعلى رأسه منديل الأمان وصحبته ٣
جماعة من المماليك الجراكسة ، فلما طلع إلى القلعة وقابل خاير بك أخلع عليه قفطان
مخمل ، ونزل وسكن في دار الأمير قانصوه بن سلطان جر كس الذى في حارة السقاين .
وأشيع ظهور جماعة من الأمراء المشراوات . - وفيه قابل شيخ العرب أحمد بن بقر ٦
وأخلع عليه وعلى ولده يبيرس ، وقد التزما بإصلاح جهات الشرقية ، ولم يتم ذلك
واستمرت أحوال الشرقية في غاية الفساد من عبد الدايم بن بقر وإخوته .
وفي يوم الاثنين ثانى عشر شهر رمضان ، كان أول بابه من الشهور القبطية ، ٩
فيه ثبت النيل المبارك على أربعة عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا ، واستمرّ في ثبات
إلى أيام في بابه ، لكن شرق غالب بلاد الصعيد وأكثر البلاد الملوّة وهى البلاد
التي لا تروى إلا من عشرين ذراعا ، وكان نيلا شحيحا من أوّله إلى آخره . - وفيه ١٢
ظهر أبو البقا ناظر الاسطبل وكان مخفيا ، فلما ظهر ألبسه خاير بك قفطان مخمل
وأقرّه على عادته (١١٠ ب) متحدثا في جهات الخاص .
وفي يوم الاثنين المقدم ذكره عرض ملك الأمراء خاير بك كسوة الكعبة ١٥
الشريفة والبرقع ومقام إبراهيم عليه السلام ، وكسوة لضريح النبي صلى الله عليه وسلم ،
وعدة ستور وكسوة لضريح إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحملا من قبل ابن عثمان ،
وقد تناهوا في زركش البرقع ونسيج العكسوة بخلاف العادة إلى الناية ، فشقوا من ١٨
القاهرة وقد أمهم الأعيان من المباشرين ، والجم الفقير من العثمانية ، ومن الرماة جماعة
كثيرة يرمون بالنفوط ، فشقوا من القاهرة ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فلما طلّعوا
إلى القلعة عرضوا على خاير بك نائب السلطنة ثم رجعوا ثانيا من حيث جاءوا . ٢١
وفي يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان نادى ملك الأمراء خاير بك بأن
الممالك الجراكسة الذين ظهوروا بمصر يركبون الخيول ويشترون السلاح ، وكان قبل

ذلك نادى فى القاهرة لتجّار القَبْو بأنهم لا يبيعون على المالك الجراكسة شيئا من
آلة السلاح ، فلما نادى ثانيا بأنهم يبيعون عليهم ما يختارونه من آلة السلاح ، فشق
ذلك على العثمانية ووقفوا لخاير بك فى الحوش وكلموه وأرادوا معه فتح باب الشر ،
فقالوا له : نحن ما يكفيننا هذا القدر الذى رتبته لنا وهو ثلاثة أنصاف فى كل يوم ،
وكل شيء فى السوق غالى . ثم قالوا له : رتب لنا جوامك ألفين كل شهر ولحم وعليق
وفرق علينا إقطاعات مثل ما كانت المالك الجراكسة . وأغلظوا عليه فى القول
فقال لهم : أنا سلطان حتى أفرق عليكم الإقطاعات ؟ ارسلوا قولوا لأستاذكم يفرق
عائكم الإقطاعات ويجعل لكم الجوامك واللحوم والعليق . فلما سمعوا ذلك منه سبوه
سبّا قبيحا وهموا بقتله ، فقام ودخل المبيت مسرعا وأغلق عليه الباب ، فوقع فى ذلك
اليوم بعض اضطراب بالقلمة ، وكادت أن تكون فتنة عظيمة ، وثاروا على خير الدين
الذى جعله ابن عثمان نائب القلمة ، فأغلق أبواب القلمة واخفى . وأشيع أن خاير بك
أرسل إلى ابن عثمان ساعيا يخبره بما وقع من أمر هذه الحركة ، وعول خاير بك على
ردّ الجواب عن ذلك .

وفى يوم الأحد ثامن عشر رمضان نادوا (١١١ آ) فى القاهرة بأن المالك
الجراكسة الذين ظهروا يلبسون الزموط الحمر والملايط على عاداتهم ، ولا يتزاوا بزى
العثمانية ، وقد أشيع أن ثم جماعة من المالك الجراكسة يتزاون بزى العثمانية
ويخرجون إلى الطرقات ويخطفون البضائع التى تمرّ بهم ويخطفون العائم فى حجة
العثمانية ، فنادى لهم خاير بك بأن المالك الجراكسة يلبسون الزموط والملايط حتى
يمتازوا عن العثمانية ، وقد صارت المالك الجراكسة يلبسون القفطانات والعائم مثل
العثمانية ويخطفون عائم الناس ومهما يلوح لهم من البضائع وغيرها .
وفى يوم الاثنين تاسع [عشر] شهر رمضان ، فيه خرج الشهابى أحمد بن الجيعان

(١) يبيعون : يبيعوا . (١٢) ساعيا : ساعى . (١٥) الذين : الذى .
يلبسون : يلبسوا . (١٦) يتزاون : يتزاوا . (١٧) ويخرجون : ويخرجوا .
(١٧ و ٢٠) ويخطفون : ويخطفوا .

نائب كاتب السر ، ومصالح الدين خازندار ابن عثمان ، وخرج محبتهم كسوة الكعبة الشريفة وهي محزومة محملة على الجمال ، وأشيع أنهما يتوجهان من البحر الملح إلى جدة ومن جدة إلى مكة ، فكان لهما في القاهرة موكب حفل ، وكان ذلك اليوم مشهودا . وخرج محبتهم نحو من ألقى عثمانى ، وقد أمهم طبلان وزمران ورماء بالنفط ، وركب قدماهما الأمير قايتباي الدوادار الكبير وأعيان جماعة من المباشرين . فلما شقوا من القاهرة رجّت لهم ، فخرجوا من باب النصر وتوجهوا إلى الوطاق بالريديانة .

وفي ذلك اليوم ثارت جماعة من العثمانية على الزيني بركات بن موسى المحتسب بسبب الفلوس الجدد ، فإن ابن عثمان ضرب فلوسا جددا وجعل عليها اسمه ، ورسم للسوق ونادى لهم أن كل ستة عشر جديدا يصرف بنصف فضة معاددة ، وكانت هذه الفلوس في غاية الخفة ، فوقف حال الناس بسبب ذلك ، وحصل لهم الضرر الشامل ، وغلقت الدكاكين . فلما جرى ذلك نادى الزيني بركات بأن النصف الفضة يصرف بأربعة وعشرين جديدا ليعرف الدرهم الفلوس من الدرهمين في المعاملة ، فثارت العثمانية على ابن موسى وقالوا له : سليم شاه بن عثمان هو مات حتى تبطل من مصر معاملته ؟ وهموا بضربه ، فنادى في ذلك اليوم كل شيء على حاله في أمر الفلوس الجدد بأن يصرف النصف الفضة بستة عشر جديدا كما كان في الأول . فأغلقت السوق الدكاكين ، ورفضوا البضائع ، ووقع في القاهرة بعض اضطراب . وأشيع أن خير بك نائب السلطنة صنع من الخوازيق الحديد عدّة ، وأنه بعد العيد يخوزق ويشنق جماعة من السوق على أبواب القاهرة ، فلما أشيع ذلك خافت السوق وفتحت الدكاكين ، ومشوا صرف النصف الفضة بستة عشر جديدا كما كان في الأول .

وفي يوم الثلاثاء عشرين شهر رمضان نزل ملك الأمراء خير بك من القلعة وتوجه (١١١ب) إلى نحو تربة العادل ليودّع مصالح الدين والشهابي أحمد بن الجيمان ،

(٢) يتوجهان : يتوجها . (٤) ألقى : ألقين . || طبلان وزمران : طبلين وزمرين .

(١١) فوقف : فوقي . (١٧) بعض : بعد .

فوادعهما ورجع ودخل من باب النصر وشقّ القاهرة في موكب حفل ، وقدّامه نحو
من ألفين من العثمانيّة وجماعة مشاة يرمون بالنفوط قدّامه ، فرجّت له القاهرة في ذلك
اليوم ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة ، وهذا أول مواكبه في القاهرة
من حين تولّى نيابة السلطنة . - ثم في يوم الخميس ثاني عشرينه نزل ملك الأمراء من
القلمة ثانيا وتوجّه إلى باب الشرية ، وزار الشيخ عبد القادر الدشطلوطي وجلس
عنده ساعة ، فقيل إن الشيخ عبد القادر قال له : اتوصّى بالرعية فإنك تسأل عن ذلك
يوم القيامة . فسكى خاير بك وباس يد الشيخ وخرج من عنده وعاد إلى القلمة
من يومه .

وفي يوم السبت رابع عشرين شهر رمضان ، فيه ظهر الأمير أرمك الناشف
أحد الأمراء القدامى ، فلما طلع إلى القلمة وقابل ملك الأمراء خاير بك ، فطلع
ومندبل الأمان على رأسه ، فقام له خاير بك واعتنقه وأجلسه بين يديه ، وكان لما طلع
إلى القلمة لابسا زيّ العرب وعليه زمط وشاش وملوطة بأحكام كبار ، فألبسه خاير
بك قفطان مخمل تماسيح ، وألبسه عمامة عثمانية . وكان لما قابل طلع معه ستة أنفار
ما بين أمراء عشرات وخاصكية ، فأخلع عليهم قفطانات مخمل ونزلوا من القلمة إلى
أماكن عُدت لهم . - وفي يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر رمضان ختم صحيح البخاري
بالقلمة ، وحضر ملك الأمراء خاير بك والقضاة الأربعة وجماعة من أعيان العلماء
والفقهاء وأعيان الباشريين . فلما انفضّ المجلس أخلع خاير بك على القضاة قفطانات
جوخ أزرق بوجه صوف ، وفرّق على الفقهاء والعلماء صررا فيها دراهم ، وكان ختما
حافلا ، وشتان بين هذا الختم وما كان يعمل في ختم السلاطين الماضية في مثل هذا اليوم . -
ولما سافر سليم شاه بن عثمان وخرج من مصر استمرت الخطبة والبسكة عمالة في مصر
باسمه ، فكان سائر الخطباء يدعون في يوم الجمعة باسمه ، ويقول : وانصر اللهم السلطان
الملك المظفر سليم شاه . وكذلك اسمه على الدنانير والدرهم والفلوس الجدد ، واستمرّ ذلك
عمالا بمد خروج ابن عثمان من مصر إلى الآن .

- وفي شوال كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع القضاة (١١٢ آ) الأربعة
وجاعة من أعيان المباشرين ، ففرج ملك الأمراء خاير بك وصلى صلاة العيد بجامع
القلعة . ثم إن خاير بك مدّ مدّة حفلة لجاعة من العثمانية ، فزّلوا على ذلك السباط مثل
الصقورة ، فلم يبقوا منه غير العظام ، ولم يفضل لفلان القلعة شيء . وكان خاير بك
يظن أن الأمراء الجراكسة الذين ظهروا والخاصكية يطلعون ويحضرون المدّة ، فلم
يطلع له أحد من هؤلاء ، وخافوا أنها تكون مكيدة أو حيلة عليهم فلم يطلعوا . وكان
هذا العيد في غاية الخمود من كل شيء . - وفي يوم هذا العيد لم يخلع خاير بك على أحد
من قضاة القضاة ، ولا على أحد من المباشرين قاطبة .
- وفي يوم الثلاثاء حادى عشر شوال نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة وتوجّه
إلى نحو البريم على سبيل التنزه ، ونصب له هناك خياما على شاطئ البحر ، وأراد أن
يبات هناك ، وأحضر جماعة ممن يقولون السمك ، وقصد أن ينشرح في ذلك اليوم
هناك ، فصنع له السيد نقيب الأشراف مدّة حفلة وأحضرها إلى هناك ، ففرج عليها
جماعة من العثمانية في أثناء الطريق ، فحفظوا ذلك الأكل من على رموس الحمالين ،
فلما بلغ خاير بك ذلك تنكّد من العثمانية بسبب هذه الفعلة ، ولم يكن لخاير بك عند
العثمانية حرمة ولا وقار ولا مراعاة له في سائر الأحوال . - وفي ذلك اليوم فُتح البريم
بحضرة خاير بك ، وأحضر جماعة من الصيادين في مراكب ومعهم أسماك كثيرة ،
فصارت القلايون يقولون من هذه الأسماك ويطعمون المسكر الذين أتوا صحبته . وانشرح
في ذلك اليوم إلى الغاية ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، ثم نزل في مركب وشقّ من
على الروضة وطلع من برّ مصر إلى القلعة . - وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم
شاه بن عثمان أرسل مطالعة إلى خاير بك على يد ساع ، فكان من مضمونها أنه وصل
إلى الشام ودخل إليها وزيّنت له لما دخلها ، ومن مضمون تلك المطالعة أن ابن عثمان
أرسل يطلب من خاير بك أربعين ألف أردب قح وشعير ، يرسلها له في مراكب

(٥) الذين : الذى . || يطلعون : يطلعون . || ويحضرون : ويحضروا .

(١٥) مراعاة : مراعاة . (١٧) يقولون من هذه : يقولوا من ذلك . || الذين : الذى .

من البحر الملح إلى الشام ، فأُزِمَ خاير بك المباشرين بذلك ، فأخذوا في أسباب ذلك القمح والشعير حتى يرسلوها إليه من البحر .

٣ وفي أثناء هذا الشهر وردت الأخبار من عند الجماعة الذين خرجوا (١١٢ ب) من مصر وتوجهوا إلى إسطنبول ، بأنهم قد وصلوا إلى بلد تسمى أنطالية بالقرب من إسطنبول ، وأخبروا في كتبهم بأن مركبا من المراكب التي توجهوا قد غرقت في البحر الملح ، وغرق فيها للناس جملة أموال ، وغرق فيها نحو أربعمائة إنسان ، وفيهم جماعة من الأعيان الذين خرجوا من مصر ، ولكن لم يثبت إلى الآن أسماء من غرق فيها من الأعيان . وقد أشيع أن كان بها بيبردى من كسباى أحد الأمراء العشرات الذى كان باش المجاورين وحضر صحبة ابن الشريف بركات أمير مكة ، وقد تقدم القول على ذلك ، وكان بتلك المركب قراكرز الحكيم رأس نوبة عصاء الذى كان محتسبا بمكة ، وكان بها نحو أربعين مملوكا الذين كانوا صحبة باش المجاورين بمكة ، وكان بتلك المركب محمد بن إبراهيم الشرايشى الذى كان ناظر أوقاف الزمامية في أيام السلطان النورى ، وكان بها غير هؤلاء جماعة كثيرة من الناس ، فأشيع غرقهم أجمعين ، ولكن لم يثبت أكد القول بذلك إلى الآن ، وأشيع غرق جماعة من البرددارية الذين كانوا خرجوا من مصر ليتوجهوا إلى إسطنبول . وأشيع أن الطاعون عمّال إسطنبول وبها الوخم عمّال والنلاء ، وهذا ما أشيع والله أعلم بصحة ذلك .

وفي يوم السبت خامس عشر شوال حضر أمير من عند ابن عثمان من الشام ، يقال له الأمير على ، قيل هو الذى كان واليا بالقاهرة لما كان بها ابن عثمان ، فخرج الأمير قايتباى الدوادار إلى ملاقاته ، فدخل من باب النصر ، وحضر صحبته جماعة كثيرة من العمانية ، وحضر صحبته أيضا جماعة من ممالك ملك الأمراء خاير بك الذين كانوا يجلب ، قيل إنهم نحو ثلثمائة مملوك . فأنزلوا هذا القاصد في بيت الأتابكي سودون المسمى الذى في قنطرة سنقر ، فلم تصح هذه الإشاعة وأنزلوه في مكان غير ذلك المكان الذى ذكره . فأخبر هذا القاصد بأن ابن عثمان دخل إلى الشام وهو مقيم بها ، وقيل يُسقى هناك ،

وأن أهل الشام مع عسكره في غاية الضنك ، وطردهم عن بيوتهم وسكنوا بها ،
 وحصل منهم لأهل الشام الضرر الشامل أكثر مما حصل لأهل مصر . وأخبر أن الغلاء
 بالشام حتى بلغ ثمن العليقة الواحدة ستة أنصاف ولا توجد . وقد (١١٣ آ) اختلفت ٣
 الأقوال في سبب مجي هذا القاصد ، فمن الناس من يقول إنه جاء بسبب استمجال النمل
 الذي أرسل يطلبه ابن عثمان ، ومن الناس من يقول إن ابن عثمان ولآه نيابة الإسكندرية ،
 وقيل جاء بسبب غير ذلك والأقوال في ذلك كثيرة . - وفي يوم الأحد سادس عشره ٦
 نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة وتوجه إلى منشيّة المهراني بسبب وسق
 المراكب بالنمل الذي أرسل يطلبه ابن عثمان ، فقيل إنه جهّز من النمل نحو ثلاثين
 ألف أردب قح وشعير ، وقيل أكثر من ذلك . ٩

وفي يوم الاثنين سابع عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل
 حافل ، وكان أمير ركب المحمل في هذه السنة القاضي علاي الدين بن الإمام ناظر
 الخالص الذي قرر في كتابة السر كما تقدم ، وقد خرج الحاج في هذه السنة ركبا ١٧
 واحدا ، الأول والمحمل سوى . وكان الحاج في هذه السنة قليلا جدا خوفا من فساد
 العربان في الطريق ، فإن في السنة الماضية في دولة الأشرف طومان باي لم يخرج
 المحمل من القاهرة ، ولم يحج فيها أحد من الناس . ولما خرج القاضي ناظر الخالص ١٥
 طلب طلبا حرييا ، يشتمل على أربعة نوب هجن بأكواري نخل ، وبعض خيول جنائب
 عليها ركستوانات فولاذ ، وثمى بكنائيش زركش ، وثلاث خزائن بأغشية حرير
 أصفر ، ومحفة جوخ أزرق ، وقدّاه طبلان وزمران من غير صنجق ، وقد احتفل ١٨
 بعمل سنيح حافل بسبب من حجّ معه من العمانية في هذه السنة . ولما شقّ من
 القاهرة كان قدّاه من الأمراء الأمير قايتباي الدوادار والأخير أرزمك الناشف أحد
 الأمراء المقدمين الذي ظهر عن قريب والأمير قانصوه المادلي الذي كان كاشف الشرقية، ٢١
 وكان قدّاه جماعة من أمراء ابن عثمان ومن عسكره ، وركب قدّاه سائرا عيان المباشرين
 من كبير وصغير ، ثم أتى بعده المحمل وقدّاه القضاة الأربعة على المادة . وكان من

حجّ في هذه السنة من الأعيان قاضي القضاة المالكي محيي الدين يحيى بن السميري ،
فألْبسه خاير بك قفطان مخمل مزهرا وقرره قاضي المحمل ، وحجّ آخرون من الأعيان
٣ ما يحضرنى أسماؤم الآن . وقد جدّد ابن عثمان كسوة المحمل في هذه السنة ، فصنع له
كسوة فاخرة كلها زركش ، وكتب عليها اسمه ، فلما شقوا من القاهرة كان لهم يوم
مشهود على المادة القديمة ، (١١٣ ب) وهذا ما كان من ملخص خروج المحمل في
٦ ذلك اليوم .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه أخلع ملك الأمراء خاير بك على قانصوه المادلي
قفطان مخمل تماسيح ، وقرره كاشف الشرقية كما كان أولا . - وفي يوم الأحد
٩ ثالث عشرينه قبض الرالى على خمسة أنفار من المماليكة أشيع عنهم أنهم يخطفون
المائم ويعرّون الناس في الطرقات ، وأنهم يخطفون النساء والصبيان المرد وأنهم
تزايد منهم الفساد ، فلما قبض عليهم رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن
١٢ يشنقوا ، فشنق منهم اثنان على باب زويلة وواحد على باب الشرعية ، وأما الاثنان
فقد شفع فيهما من الشنق في ذلك اليوم فسجنا . وكانت المماليكة الذين بمصر كثير
منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم ، وصاروا لا يسمعون
١٥ لخاير بك كلاما ، ولا له عليهم حرمة .

وفي يوم الاثنين رابع عشرين شوال توجهت الممالك الجراكسة إلى بيت الأمير
قايتباى الدوادار بسبب أنه واعد الممالك أنه يصرف لهم جوامك في ذلك اليوم ، فطلع
١٨ إلى القلعة واجتمع بملك الأمراء خاير بك ، وأقام بالقلعة إلى قريب الظهر والممالك
الجراكسة في استنظاره على بابه ، فلما نزل قال لهم : يا أغاوات شاورت ملك الأمراء
عن أمركم ، فقال حتى نجمع المال ثم ننفق عليهم الجوامك . ولم يواعدهم على يوم
٢١ متعين ، فرجموا من عنده بنير طائل . وقد صارت الممالك الجراكسة في غاية الندب
من الفقر والعري ، ومنهم من سأل الناس في رغيقتات به ، ومنهم من يطوف

(٣) أسماؤم : أسماءهم . (٩) يخطفون : يخطفوا . (١٠) ويعرون : ويعروا .

(١٣) فقد : قد . // الذين : الذى .

في الأسواق ويسأل التجار والسوقة في درهم فلوس يشتري به كبشة فول يأكلها ، فسبحان من يمزّ ويذلّ ، وصاروا يمشون في الأسواق على أرجلهم لا خيول لهم (١١٤ آ) ولا قاش ولا سلاح ، ولا بيوت تأويهم ، ولا اسطبلات ولا غلمان ولا عبيد ، وقد نظر الله تعالى إليهم بعين المقت جزاء بما كانوا يعملون .

وفي يوم الأحد كان مستهلّ ذى القعدة الحرام ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء خاير بك نائب السلطنة بالشهر ، ثم عادوا إلى بيوتهم . - وفي ٦ يوم الخميس رابع شهر ذى القعدة أخلع ملك الأمراء خاير بك على الأمير يوسف البدرى وأعادته إلى الوزارة كما كان أولا ، فأخلع عليه قفطان مخمل عوضا عن الثمر . وقد صارت الأمراء الجراكسة الذين ظهروا كلهم بقفطانات مخمل ، وشيء بقفطانات جوخ وطراير جوخ أسود عليهم عمام مدوّرة ، وفي أرجلهم سقمّانات جلد في زيّ العثمانية ، فصارت الأمراء الجراكسة والمالّيك السلطانية الذين ظهروا كلهم على هذه الهيئة ، وقد اختلطوا العثمانية مع المالّيك الجراكسة حتى صار لا يُعرف هذا من هذا ، والكل بقفطانات وسقمّانات جلد وطراير جوخ أسود عليهم عمام ، وصارت المالّيك الجراكسة تعرف بدقونهم والعثمانية بنير ذقون ، وقد قلت في المعنى هذه المواليا :

امشى مع الدهر ما أمكنتك يا غلطان واخلع ثياب الموكب واتبع السلطان
في لبس سقمّان أو طرطور أو قفطان وكن مع القوم في اللبوس والأوطان

وفي يوم الأحد ثامن الشهر نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة باكر النهار ، وتوجّه إلى نحو قبة الأمير يشبك الدواidar التي على الملقّة بالمطرية ، وأقام هناك إلى أواخر النهار ، ومدّ في ذلك اليوم هناك مدّة حفلة ، وأهدت إليه جماعة من المباشرين عدّة حمالين عليها مجامع حلوى ومشنّات فاكية ، وحمالين عليها سكر وخرقان شوى وأقفاص أوز ودجاج وغير ذلك أشياء فاخرة ، وكان ذلك اليوم بالسلطاني . - ومن الحوادث في ذلك اليوم أن بعد العصر نزل جماعة من العربان من نحو الجبل الأحمر (١١٩) الذين : الذي . (١٢) اختلطوا : اختلطوا . (٢١) فاكية : فاكة .

بالقرب من سبيل علان ، فقطعوا الطريق على جماعة من الفلاحين (١١٤ ب) معهم
جمال محملة قح وبطيخ ، فأخذوا منهم نحو أربعين جملا وذهبوا بهم إلى الجبل ومضوا
بهم ، ولم تنتطح في ذاك شاتان ، فلما بلغ ملك الأمراء ذلك تنكّد غاية التكد بسبب
ذلك ، فلما ذهبت العرب بالجمال أتت الفلاحون إلى بين يدي ملك الأمراء واستفتاوا
بين يديه وبكوا ، فقام من وقته وهو منكّد وطلع إلى القلعة بمد المصر ، ولم يطلع
من يده شيء في ردّ الجمال من أيدي العرب إلى أصحابها .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شهر ذي القعدة حضر إلى الأبواب الشريفة شيخ العرب
عبد الدايم بن شيخ العرب أحمد بن بقر شيخ عربان الشرقية ، وقد حضر بالأمان من
ملك الأمراء خاير بك ، وكان أرسل إليه بمندبل الأمان على يد الأمير قانصوه العادلي
كاشف الشرقية ، فلما توجه إليه تلطّف به في الكلام ولا زال عليه حتى أطاع وحضر
صحبه . وكان عبد الدايم عاصيا على السلطنة من أيام السلطان الغوري لم يدخل تحت
طاعته ، ثم عصى على ابن عثمان ، فلما أرسل إليه خاير بك قانصوه العادلي بالأمان
حضر وقابل خاير بك ، وصحبته مقدمة ما بين خيول وجمال وأغنام وغير ذلك ، فلما
مثل بين يدي ملك الأمراء خاير بك أخلع عليه قفطان نخل مزهرا ، ونزل من القلعة
في موكب حفل وقدّاه رايات زعفران . وكان عبد الدايم هذا من أكبر أسباب
الفساد في الشرقية ، فأخرب غالب بلاد الشرقية ونهب أموالها ، وقطع الطريق على
الأقفال الواردة من الشام في فتنة ابن عثمان ، وأخذ ما لا يحصى من أموال التجار ،
وقتل جماعة كثيرة من المالك السلطانية وأخذ ما كان معهم من الخيول والسلاح ،
وكذلك الأمراء لما وقعت عليهم الكسرة في الريدانية وتشقّتوا في البلاد بالشرقية ،
فصار يأخذ ما عليهم من الثياب والسلاح والخيول وغير ذلك ، وفرح بأموال وتحف
ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده ، وقد غنم أموال التجار وأموال العسكر من المالك
الجراكسة وغيرها (١١٥ آ) من أموال المقيمين من البلاد ، وعمل من المفسد في
الشرقية ما لا يُسمع بمثلها .

- وفي يوم الخميس التاسع عشر ذى القعدة وقع بالقاهرة اضطراب عظيم ، وغلقت أبواب المدينة قاطبة ، حتى غلقت أبواب الدروب والخور ، وأقامت الأبواب مغلقة إلى ضحوة النهار ثم فتحت بعد ذلك ، وأشيع أن حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة ^٣ الذى كان سببا لمسك السلطان طومان باى ، فتحيل عليه السلطان سليم شاه بن عثمان حتى قبض عليه وقيده بقيدين ، وأودعه فى الاعتقال فى طبقة عند باب القلعة ، ووكل به جماعة من العثمانية يحفظونه ، فأقام على ذلك مدة وغافلهم وبرذ ذلك القيدى بمبرد ^٦ وتدلى بحبل من السور الذى بالقلعة ، وهرب بعد العشاء من القلعة ، فلما بلغ ملك الأمراء خاير بك هروب حسن بن مرعى من القلعة تنكده لذلك غاية النكد ، وهرب حسن بن مرعى وفاز بذلك . ^٩
- وفيه وردت الأخبار من الشام بأن لما أقام بها ابن عثمان وقع بها فى [تلك] الأيام وخم عظيم ، ومات فيه من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة نحو ألف وخمسمائة إنسان من ذلك الوخم ، وأشيع موت حليم جلبي فقيه ابن عثمان ونديمه ، وأشيع موت أخى ^{١٢} حليم جلبي أيضا ، ومات من أمرائه جماعة كثيرة . وأنه وقع بالشام غلاء عظيم حتى وصلت كل عليقة إلى خمسة أنصاف ، ووصل سعر الرغيف الخبز نصف فضة ، وأن عسكره تقلق من الغلاء والوخم وتفرقوا عنه فى الضياع والجبال . وأشيع أن عسكر ^{١٥} ابن عثمان أخرب غيطان الشام ونهب الفواكه من على الأشجار ، ورعت خيولهم فى النيطان وأكلوا أوراق الأشجار ، وطرّدوا الناس عن بيوتها وسكنوا بها ، وأخربوا غالب بيوت الشام ، وحصل منهم لأهل الشام غاية الضرر أكثر ما حصل منهم فى ^{١٨} حق أهل مصر من الفساد بها .

- ومن الحوادث الشنيعة ما وقع فى هذا الشهر ، أن جماعة من المباشرين بالديوان المفرد منهم يونس النابلسى الأستاذار ونفر الدين وأخوه شرف أولاد ابن عوض ^{٢١} وبركات أخو شرف الدين الصغير وأخوه شرف الدين وأبو بكر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش وبركات بن موسى وعلاى الدين ناظر الخصاص وعبد العظيم أستاذار
-
- (٣) النهار : نهار . || مرعى : موعى . (٧) السور : الصور . (١٣) وأنه : وأن .

الشمير ، فهؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، اتفقوا على أخذ أموال المسلمين فاستباحوا أموالهم ودماءهم ، وما ذاك إلا أن (١١٥ ب) غالب البلاد قد شَرِقَ في هذه السنة بسبب خسة النيل وشرقي الأراضي ، وكانت المباثرون ٣ التزموا بتفليق المال الذي في البلاد ، فلما حصل هذا الشرقي ضربوا مشورة في بعضهم ، وقالوا : نحن في العام الماضي أوقفنا إقطاعات أولاد الناس التي بالمناشير وأخذنا خراجهم ، وفي هذه أوقفوا الرزق التي بالربعات الجيشية ونضع أيدينا على خراجهم في هذه السنة في نظير شرقي البلاد . فطلبوا إلى ملك الأمراء خاير بك وعرضوا عليه ذلك ، وحسنوا له عبارة في استخراج خراج الرزق في هذه السنة في نظير الشرقي ، فقال لهم : ازلوا اعملوا ذلك . فزلوا من عنده وأطلقوا في الناس النار ، وأرسلوا العمال بالمراسيم إلى البلاد ليستخرجوا منها الأموال من الرزق التي بالربعات قاطبة ، حتى الرزق الأحباسية ، هكذا أشاعوا بين الناس ، ولو كانت الرزقة ١٢ مشترى بمربعة شريفة ، فضجت أولاد الناس والنساء من هذه الحادثة المهولة وحصل الضرر الشامل للأرامل مع الأيتام ، والله تعالى لا يفل ولا ينام . وصاروا الناس يقفون إلى ملك الأمراء خاير بك ، فيقول لهم : أنا أوقفت المناشير والربعات بأمر الخندكار ابن عثمان . فينزلون من عنده في سوء حال ، وصاروا يسألون الأستاذار ١٥ بمال يدفعونه له حتى يفرج عن رزقهم فلا يقضى لهم حاجة . ثم إن نغر الدين بن عوض استدرج من الرزق إلى خراج بلاد الأوقاف التي بالمكاتب الشرعية ، فيستخرج خراج الأوقاف ويأكلها على أصحابها غصبا على رغم أنفسهم ، فحصل للناس ١٨ في هذه الحركة غاية الضرر الشامل ، وقد اشتد الأمر على الناس بسبب ذلك وكل هذا من المباشرين وأذام في حق المسلمين ، وقد قلت في معنى ذلك مواليا :

٢١ كان ابن عثمان مُدْجاً مصر مثل الضيف رحل ووَلَّى علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا في الشتا والصيف أطراف أفلامهم تفعل فعال السيف
(١١٦ آ) وفي يوم الأحد ثاني عشرين ذى القعدة خرج الأمير قايتباي الدوادار

وعُدّي إلى برّ الجيزة ، وخرج صحبته جماعة كثيرة من العثمانية ومعهم مكاحل نحاس ومدافع وعجل ، وقد أشيع أن عدّة قبائل من قبائل العرب نزّلوا على الجيزة وافتنوا مع عرب عزالة وحصل معهم غاية الفساد ، فخرج الأمير قايتباي وصحبته تجريدة ٣ وعسكر من الجراكسة والعثمانية بسبب العريان وطردهم عن البلاد ، فخرج وأقام في برّ الجيزة إلى أن يتكامل المسكر.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه اجتمعت الممالك الجراكسة في بيت الأمير قايتباي ٦ الدوادار ، وهو بيت الأتابكي قرقاس الذي عند حوض العظام ، واجتمع القاضي شرف الدين الصغير كاتب الممالك ، ولم يكن الأمير قايتباي الدوادار حاضرا بل حضر أخوه جاني بك ، فنفقوا على الممالك الجراكسة لكل واحد منهم ألفا درهم ، ٩ وصاروا يستدعونهم طبقة بعد طبقة ، فنفقوا عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء رابع عشرينه ، ونفقوا يوم الأربعاء ويوم الخميس أيضا . وقد ظهر من الممالك الجراكسة الجملّ النغير فوق الخمسة آلاف مملوك ، وقد كانوا موزعين في البلاد عند الفلاحين ، ١٢ وآخرون قد اختفوا في البيوت والحارات حتى خمدت الفتنة ثم ظهروا بعد ذلك .

وفي يوم الخميس سادس عشرينه أشيع أن الأمير قايتباي الدوادار ، لما توجه إلى برّ الجيزة بسبب فساد العريان ، أقام هناك أياما حتى يتكامل خروج العسكر ، فوردت ١٥ الأخبار من هناك بأن العسكر العثماني لما توجه إلى هناك وقع بينهم خلف في بعضهم ، فوثبوا على باشهم ، وهو شخص من أمراء ابن عثمان ، فراموا قتله ، فهرب واستجار بالأمير قايتباي ، فلما جرى ذلك أرسل الأمير قايتباي كاتب ملك الأمراء بما جرى ١٨ من العثمانية في حقّ باشهم . ثم أشيع واستفاض بين الناس أن حماد شيخ عريان عزالة قد حضر إلى عند ملك الأمراء خاير بك ، وأخبره أن العريان الذين أتوا إلى الجيزة عدّة قبائل لا تحصى ، وأن العسكر الذي أرسله ما يطبّ طبّة مع هذه العريان ٢١ السكينة ، وأنهم فوق العشرين ألف (١١٦ ب) إنسان ، ثم قال له : إن لم تخرج أنت بنفسك وتعدّي إلى هناك فما يقع للعسكر اتفاق بينهم . فصلى ملك الأمراء خاير بك

٣ صلاة الفجر، ثم نزل من القلعة وقدامه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط، والجمل الغفير من المنيّة، ومعهم صناجق حرير أحمر، فشقّ من الصليبة وتوجّه إلى بولاق على أنه يمدّى إلى إنابة وصحبته المساكر من المنيّة والماليك الجراكسة، وحمل معه زردخاناه حافلة، فلما وصل إلى بولاق وقصد أن يمدّى إلى ذاك البرّ فوق بينهم وبين المنيّة الذين توجّهوا مصحبته تشاجر، وأغلظوا عليه في القول، فرجع من وقته وطلع إلى القلعة، وقد كثر القاتل والقتيل في هذه الأيام حتى خرج عن الحدّ، وصار لا يُعرف الكذب من الصدق في صحّة الأخبار.

٩ وفي يوم الأحد أكلوا تفرقة الجامكية على الماليك الجراكسة، ولم يتأخّر منهم إلا القليل، ولم ينفقوا على أحد من أولاد الناس جامكية قاطبة، وأوقفوا أمرهم، وتمعّب عليهم ملك الأمراء خاير بك ولم يصرف لهم جوامكهم كما أصرف للمماليك السلطانية، فحصل لأولاد الناس كسر خاطر بسبب ذلك.

١٢ وفي ذى الحجة كان مستهلّ الشهر يوم الاثنين، فطلع القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء خاير بك بالشهر. - واستمرّ الأمر في سكون إلى يوم الثلاثاء تاسمه، حضر الأمير أرزمك الناشف الذي كان توجّه إلى البحيرة صحبة الأمير قايتباي الدوادار بسبب فساد العربان، فحصل بين المسكر وبين العربان بعض معركة هيّنة فطردوا العربان حتى هربوا من وجوههم وصعدوا إلى الجبال، واستمرّوا يخادعون المسكر حتى تقلّعوا عن وجوههم، ثم إنهم أخذوا أولادهم وعيالهم ومواسيهم وجالهم وتوجهوا إلى الجبال، وتمتّ حيلتهم على الأمير قايتباي. ثم أشيع أن حمّاد، أخا حسن بن مرعي، قد حضر إلى الأمير قايتباي بالأمان، على أنه يحضر أخاه حسن إلى بين يدي الأمير قايتباي، وكل هذا من جملة خداع العرب. فلما تحقّق الأمير قايتباي أن هذا لم يفد منه شيء قبض على حمّاد أخى حسن بن مرعي وأرسله صحبة الأمير أرزمك الناشف إلى ملك الأمراء (١١٧ آ) خاير بك، فشقّ به من الصليبة وهو في الحديد، وطلعه إلى القلعة، فأودعه ملك الأمراء في الاعتقال، هو وشخص (تاريخ ابن إلياس ج ٥ - ١٥)

من العرب كان صحبته من أقاربهم .

- وفي يوم الأربعاء عاشره كان عيد النحر ، فلم يفرق فيه ملك الأمراء خاير بك
على أحد من المماليك أنحية ، حتى ولا على الأمراء ، ولا على الزوايا والزارات التي
٣ بالقرافة وغيرها شيئا من الأنحية ، وقطع عادنهم ومنع جماعة من المباشرين أن لا
يفرقوا على أحد من الناس أنحية ، وقيل إنه فرّق على العثمانية بقرا وغنا ، فحصل
للأمراء والمماليك الجراكسة كسر خاطر بسبب ذلك . وقد بطل ما كان يُعمل من
٦ الواكب في يوم عيد النحر ، وكان ذاك النظام لم يكن ، وبطل أشياء كثيرة من شمار
الملكة مما كان يُعمل للسلطين الماضية في الأعياد ، وصارت مصر لا يُعرف لها
نظام مما كان يُعمل بها .

- وفي يوم الجمعة ثاني عشره حضر الأمير قايتباي الدوادار ، وكان قد خرج
باش التجربة التي توجهت إلى العرب ، فلم يظفر بحسن بن مرعي فرجع من غير طائل .
وأشيع أن باش عسكر العثمانية ، وهو فايق بك ، هو الذي فند في أمر حسن بن مرعي
١٢ حتى أخل من وجه المسكر ومضى بنجمه ودخل إلى الأودية والجبال . فلما حضر
الأمير قايتباي طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء في ذلك اليوم .

- وفي يوم الخميس رابع عشرينه وقع بين القاضي نجر الدين بن عوض وبين خشقدم
الأشرفي مملوك السلطان النوري ، الذي كان شاد الشون وهرب وتوجه إلى بلاد
ابن عثمان ، وكان سببا لإنشاء هذه الفتنة بين سليم شاه بن عثمان وبين السلطان النوري ،
وقد تقدّم القول على ذلك ، فلما دخل ابن عثمان إلى مصر وملكها قرّر خشقدم هذا
١٨ كاشف أسيوط مع منفوط ، فلما رحل ابن عثمان [من] مصر وقرّر ملك الأمراء
خاير بك نائب السلطنة بمصر عزل خشقدم من التحدث على أسيوط ، فلما حضر
خشقدم من أسيوط وقع بينه وبين نجر الدين بن عوض بسبب الرزق التي هناك ،
٢١ فحصل بينهما تشاجر عظيم ، فتشاعرا وتسايبا سبّا قبيحا ، فقال نجر الدين بن عوض
لخشقدم : أنت كنت سببا لوقوع هذه الفتنة بين أستاذك النوري وبين ابن عثمان .

فجعل خشقدم على خاطره من نحر الدين بن عوض وشق عليه ذلك .

- فلما كان يوم السبت (١١٧ ب) سابع عشرينه طلع خشقدم إلى القلعة ووقف
 ٣ إلى ملك الأمراء خاير بك وشكى له نحر الدين بن عوض فيما قاله في حقّه ، فغضب
 إلى خشقدم جماعة من العثمانيّة وأغلظوا على خاير بك في القول بسبب فخر الدين بن
 عوض ، فلما طلع ابن عوض إلى القلعة يوم السبت وبجّه خاير بك بالكلام ، وقامت
 ٦ عليه الدائرة من أمراء ابن عثمان الذين بمصر ، وقالوا لابن عوض : هذا خلى أستاذه
 النورى وهرب منه وجاء إلى الخندكار وصار من جماعته ، وأنت تهبدله وتشتمه ؟
 فقامت البيّنة على ابن عوض بأنه شتم خشقدم وسبّه ، فغضب خاير بك على فخر الدين
 ٩ ابن عوض ووضعه في الحديد وسلّمه للوالى ورسم له بأن يوسطه ، فقصّد الوالى أن
 ينزل به من القلعة حتى يوسطه ، فقامت جماعة من المباشرين وتدخلوا على خشقدم
 وأصلحو بينه وبين فخر الدين بن عوض ، ودخل إلى ملك الأمراء خاير بك وشفع
 ١٢ في ابن عوض من التوسيط . وقاسى ابن عوض في ذلك اليوم غاية البهدة من أمراء
 ابن عثمان بسبب خشقدم ، وكان ابن عوض مستحقاً لذلك ، فإنه صار في هذه الأيام
 من وسائط السوء ، ولا سيما ما فعله في جهات القرية ، ووضع يده على رزق الناس
 ١٥ وأوقافهم واستخرج خراجهم ، وضاعت على الناس حقوقهم ، وحصل منه الضرر
 الشامل ، والأمر لله .

- وفى ذلك اليوم المذكور أحضر ملك الأمراء خاير بك في الحوش كباشا
 ١٨ يتنطاحون قدّامه ، وكان قبل ذلك نادى خاير بك في القاهرة : كل من كان عنده
 كبش نطاح يطلع به إلى القلعة ينطاح بين يدي ملك الأمراء . فاستخفّ الناس عقل
 خاير بك على ذلك .

- ٢١ وفى ذلك اليوم حضر هجان بكتّب الحجاج ، وقد حضر في السابع والعشرين من
 ذى الحجة ، وأشيع أن فى كُتّب الحجاج أن مكة مغلّية ، وقد وصل الحلّ الدقيق إلى
 أربعين ديناراً ، ووصل الأردب القمح إلى عشرة أشرفية ، ووصلت البطة الدقيق إلى

ثلاثة أشرفية، وكذلك اشتدّ السعر في سائر البضائع والأصناف من الغلال. وذكروا أن مات من الجبال ما لا يحصى حتى وصل كراء الموهية إلى أربعين ديناراً، وذكروا من هذا النمط أشياء مهولة، وأن أمير مكة السيد الشريف نادى في مكة أن لا أحداً (١١٨ آ) يجاور بها من الناس بسبب الفلاء. وأشيع في كُتب الحجاج أن الشهابي أحمد بن الجيعان قد جاور بمكة، وكذلك مصلح الدين خازندار ابن عثمان، وغير ذلك من الأعيان جاؤوا بمكة في هذه السنة، والذين كانوا بها نزلوا صحبة الحجاج لما اشتدّ ٦ أمر الفلاء بمكة.

انتهى ما أوردناه من حوادث سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وقد خرجت هذه السنة ومضت على خير. وكانت سنة صعبة شديدة على الناس، كثيرة الحوادث والفتن، ٩ جرى فيها أمور شنيعة لم تجر في سالف الأزمان، وقتل فيها جماعة من الأمراء والعسكر والماليك السلطانية في فتنة ابن عثمان، وقتل فيها من أهل مصر ممن ليس له ذنب، فراح ظلماً، فقتل من الناس ما لا يحصى عددهم، ولعب السيف في أهل ١٢ مصر سبعة أيام. وقتل فيها ثلاثة سلاطين وهم: الأشرف النوري والأشرف طومان باي والظاهر قانصوه، قُتل في البرج بغير الإسكندرية. وتفسير فيها ثلاث دول، وخرّب فيها دور كثيرة، ونُهّب فيها أموال وقاش ما لا يحصى قدره، وتبيّث فيها ١٥ أطفال وترمل فيها نسوان، وجرت فيها مفاسد كثيرة ما لا يسمع بمثليها. ولم تقاس أهل مصر شدة أعظم من هذه إلا في زمن البخت نصر المايلى، فإنه أخرج مصر وأحرقها حتى أقامت أربعين سنة خراباً، فكان النيل يطلع وينهبط وينفرش على ١٨ الأرض فلا تجد من يزرع أراضي مصر عليه. وهذا كله كان بتقدير الله تعالى فيما جرى على أهل مصر، ونسأل الله حسن الخاتمة، وردّ العاقبة إلى خير.

وقد وقفت على كتاب من تأليف الشيخ جلال الدين الأسيوطى رحمة الله عليه، ٢١ ذكر فيه أن في هذا القرن يبدو الخراب في مصر من سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة،

(٦) والذين : والذي . (١٠) لم تجر : لم تجرى . (١١) ممن : مما .
(١٣) ثلاثة : ثلاث . (١٦) ولم تقاس : ولم تقاسى . (١٨) يطلع : طلع .

ثم يتزايد الأمر إلى سنة خمسين وتسعمائة فيقع فيها فناء عظيم ، حتى يفنى من أهل مصر نحو النصف ، وقد ظهرت علامة ذلك في هذه السنة . ومن أعظم مساوئ سليم شاه ابن عثمان خروج أعيان رؤساء الديار المصرية ونفيهم إلى إسطنبول ، ونحن نذكر منهم ما تيسر ذكره .

ذكر من توجه في هذه السنة إلى القسطنطينية

- ٦ من أعيان رؤساء الديار المصرية وهم : مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن المستمسك بالله يعقوب ، وأولاد ابن عمه سيدى خليل وهما أبو بكر وأحمد ، والمقر الملاى على بن الملك المؤيد (١١٨ ب) أحمد بن الأشرف أيتال . ومن أولاد الأمراء:
- ٩ الجناب الشرفى يونس بن الأتابكى سودون المعجمى ، والجناب الناصرى محمد بن الملاى على بن خاص بك صهر الأشرف قايتباى . ومن الأمراء : بيبرى من كسباى الذى كان باش المجاورين أحد الأمراء العشرات ، وقرا كز الحكى أحد العشرات محتسب مكة ، وقانصوه القيم باش المدينة الشريفة ، وجماعة من المالك السلطانية الذين كانوا مجاورين بمكة ، وجانى بك دوا دار الأمير طراباى . ومن أولاد الناس : الشهابى أحمد بن البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين ، ويوسف بن أبى الفرج الذى كان نقيب الجيش ، ويحيى بن نوكار الذى كان دوا دار الوالى .

- ومن نواب السادة الشافعية : الشيخ زين العابدين بن قاضى القضاة كمال الدين الطويل ، والشيخ شرف الدين بن روق ، والشيخ شمس الدين الحليى ، والشيخ شمس الدين بن وحيش ، والشيخ كمال الدين بن مظفر ، والشيخ بدر الدين البلقينى ، والشيخ برهان الدين الأناسى ، والشيخ شمس الدين الحجازى ، والشيخ شمس الدين ابن الآدى الديماطى ، والقاضى شمس الدين المقسمى العزى ، والسيد الشريف الحجار ، والقاضى ولّى الدين البتنونى بن الشارمساحى ، والقاضى شمس الدين بن جمال الدين الأعمدى . ومن نواب السادة الحنفية : الشيخ زين الدين الشرفقاشى ، والسيد الشريف البردى ، والشيخ بدر الدين بن الوقاد السمودى ، والشيخ بدر الدين محمد

- ابن الرومى . ومن نواب السعادة المالكية : الشيخ شهاب الدين أحمد الفيشى ،
والشيخ شهاب الدين الأبنشادى . ومن نواب السادة الحنابلة : الشيخ شهاب الدين
الهيتمى ، والشيخ جلال الدين الطنبدى ، والقاضى جمال الدين الحنبلى . ٣
- وأما من توجه إلى إسطنبول من السادة المباشرين السلطانية ، وهم : المقر الشهابى
أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص يوسف ، وابن أخيه بدر الدين بن كمال الدين ،
والجناب الشمسى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيمان ، والقاضى عبد الكريم ٦
أخو الشهابى أحمد بن الجيمان كُتّاب الخزائن الشريفة ، والقاضى زين الدين عبدالقادر
ابن الملكى مستوفى ديوان الجيوش المنصورة ، والشمسى محمد بن البارزى ، والقاضى
أبو البقا بن السيرجى من ديوان جيش الشام . ومن كُتّاب المالك : شمس الدين ٩
محمد بن فخر الدين كُتّاب المالك ، وسعد الدين ، وفرج ، وكريم الدين ، وفتح
الدين ، من أولاد بن فخيرة ، (١١٩ آ) وابن أبى المنصور ، ومحمد بن عبد العظيم ،
ومحيى الدين ابن بهاء الدين ، وشمس الدين محمد بن إبراهيم الشرايشى ناظر أوقاف ١٢
الزمامية ، وشمس الدين محمد من أولاد ابن البقرى ، وأولاده ، وأبو الحسن
بن الرقيق ، وعبد العظيم بن أبى غالب ، ويحيى بن الطنساوى ، وشهاب الدين
ابن عبد العظيم ، وعبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخانة ، وولده زين ، وتاج ١٥
الدين أخو عبد الكريم اللادنى ، وكمال الدين من أولاد ابن البقرى ، وشرف
الدين ، وعلى المرجوشى ، وأخو يونس الأستاذار ، وابن الزكى ، ومحمد بن على كاتب
الخرزانة ، وأبو السعادات ، وأفضل الدين المنوفى ، وناصر الدين الغزى الموقع ، ١٨
وأحمد بن قريميط ، وعبد القادر بن قريميط ، وولى الدين ناظر المواريث وعامل
المواريث ، وسعد الدين أخو علاى الدين ناظر الخاص ، وبركات المنوفى ، وسعد
الدين المنوفى أيضا ، ومحمد بن الكؤيز ، وأحمد بن حشواطن ، وابن نصر الله ، ٢١
وكريم الدين صهر عبد الفتاح ، ومحمد بن أبى غالب ، وصفى الدين ، وابن الهيصم ،
وتاج الدين بن البقرى ، وشقيقه ، وبركات بن سلما ، وكمال الدين الناصرى ،
وحامل المزة زين ، وعبد الرحمن مباشر أمير آخور كبير ، وبدر الدين بن خازوقة ٢٤

ورفيقه ، وأبو الفضل مباشر الوالى ورفيقه ، والعبادى ورفيقه ، وبدر الدين مباشر
الأمير أنصباى ، وكمال الدين العاين مباشر أمير آخور كبير ، وآخرون من المباشرين
ما يحضرنى أسماؤهم الآن . ٣

ومن أعيان الناس : المهتار محمد النجولى مهتار السلطان النورى ، والمهتار سليمان ،
ومحمد بن يوسف الذى كان ناظر الأوقاف ، وعلم الدين جلبى السلطان النورى ، وعلى
مقدم الدولة . ومن الزردكاشية : يحيى بن يونس ، ومحمد العادلى الشهير بابن البدوية ،
وزين العابدين بن محمود الأعور ، وجماعة من السيوفية والصياقلة والسبّاكين والحدّادين .
ومن تجّار الباسطية شهاب الدين الخطيب الأسمر ، وأحمد الديروطى وأولاد ابن نفيس .
ومن تجّار الورّاقين : ناصر الدين الماوردى ، ومحمد المسكى الأسود ، وعلى بن خَشيم .
ومن تجّار سوق مرجوش : ابن الشقيرة ، وأبو الفوز ابن الحصانى ، وبدر الدين
الغزولى شيخ سوق الغزل . (١١٩ ب) ومن تجّار المغاربة : الشيخ سالم ، وسعيد
التاجورى ، وسعيد البدى ، وأبو سَعيدة ، وآخرون لم يحضرنى أسماؤهم من التجّار
بأسواق القاهرة وغيرها من التجّار الذين توجّهوا إلى إسطنبول . ١٢

ومن الخدّام مقدّم المالك سنبل العثمانى ، ونائبه جوهر الرومى ، وقيل إن
جوهر توجه إلى القدس بطالا ، وآخرون من الخدّام والسقاة . ومن البرددارية :
كمال الدين برددار أمير كبير ، وعبدالقادر ، وابن المنقار ، وشهاب الدين أحمد الجارحى
قيل مات من الرجفة قبل سفره بأيام ، وابن الشيخ ، ومحمد بن رسلان ، وناصر الدين
واسماعيل ، ومحمد الكاتب ، وأبو بكر ، وابن السمينى ويحيى بن يحيى ، وبركات
ابن البيض ، ومحمد بن الجبان ، وبركات النائب ، وسعد الدين البُحلاق ، ويحيى مقدّم
الخاص ، وحسن نائب البرماوى والسوهاجى ، ومحمد قطاره ، ومحمد بن فرو شيخ
جهاز المطرية ، وآخرون ما يحضرنى أسماؤهم الآن . ومن رهوس النوب : فرج
ابن البريدى رأس نوبة حجّاب الحجاب وآخرون من رهوس النوب ، ومقدّمين
السقاين : عبيد ، وأبو الخير ، وابن فُريخ الفار . ٢١

وتوجه إلى إسطنبول جماعة من البنائين والتجارين والحدادين والمخمين
والمبطلين والخرّاطين والمهندسين والحجارين والفعلة جماعة كثيرة ما يحضرنى أسماؤهم
الآن . وزعموا أن الخندكار ابن عثمان يقصد أن ينشئ له مدرسة في إسطنبول مثل ٣
مدرسة السلطان الغورى التى فى الشرايشين . وتوجه إلى إسطنبول جماعة من طائفة
اليهود والسمره ، ومن طائفة النصارى : بانوب الكاتب فى الخزائن الشريفة
وأبو سميد ، وأمين الدولة ، ويوحنا الصغير ، ويوسف بن هبّول ، وشيخ ٦
المكين السكندرى وولده ، وآخرون من النصارى واليهود ما يحضرنى أسماؤهم .
فيقال إن مُجمع من خرج من أهل مصر وتوجه إلى إسطنبول دون آلاف إنسان ،
والله أعلم بحقيقة ذلك ؛ وفيهم نسوان أيضا وأولادهم صغار رضع ، وشيء كبار ، ٩
ولم تقاس أهل مصر شدة من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة ، ولا سمعت بمنثلها
فى التواريخ القديمة ، وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ، ففارقت الناس أوطانها
وأولادها وأهاليها وتفرّجوا من بلادهم إلى بلد لم يطؤوها قط ، وخالطوا أقواما غير ١٢
جنسهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . (١٢٠ آ) وكانت سنة مشومة على
أناس ، ومباركة على أناس ، وسمعت فيها أناس ، وتمست فيها أناس . وكانت سنة
مباركة على المباشرين الذين بمصر ، وصاروا هم الملوك يتصرفون فى المملكة بما يختارونه ١٥
من الأمور ، ولا سيما ما فعلوه فى جهات الشرقية والغربية وجهات الصعيد ، ووضعوا
أيديهم على رزق الناس والإقطاعات ، ثم استدرجوا إلى أخذ أموال الأوقاف ، وصار
ليس على يدهم يد يفعلون ما يشاءون من هذا النمط ، ففتموا فى هذه السنة أموالا جزيلة ١٨
من البلاد مما أخذوه من خراج الناس ، فكان محبى ابن عثمان إلى مصر رحمة فى حق
المباشرين وغيرها من الناس ممن أودعوا عندهم الأمراء والعسكر الأموال والقماش
وقُتلوا فى الوقعة ، فقمعدوا على تلك الودائع ، وراحت على من راح ، فكان كما يقال ٢١
فى المعنى : مصائب قوم عند قوم فوائد ، انتهى ذلك .

(٢) أسماؤهم : أسمايهم . (٤) الشرايشين : الشرايشين .

(١٠) ولم تقاس : ولم تقاس . (١٥) الذين : الذى .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وتسعمائة

٢ فيها كان افتتاح شهر المحرم يوم الأربعاء ، فطلع القضاة إلى القلعة وهنأ ملك
الأمراء خار بك بالعام الجديد ، ثم رجعوا إلى دورهم . - فلما كان يوم السبت رابع
المحرم شكى الناس من أذى العثمانية الذين بمصر ، وتزايد منهم الفساد في حق الناس ،
وصاروا يتوجهون إلى الأماكن التي في زقاق الكحل والمسطاحي ، والتي في الجسر
٦ وحكر الشامي والأزبكية ، يأخذون ما فيها من الأبواب والسقوف والشبابيك الحديد
والطيقان ، ويحملونها على الجمال بين الناس على النداء والأجهار ، ويبيعونها بأبخس
الآثمان ، ولم يجدوا من يردم عن ذلك . ثم صاروا يطلعون بالنساء إلى القلعة ،
٩ ويحشرون بها في أطباق الممالك التي بالقلعة . وصنعوا بالطباق أدنان بوزة ، وصارت
حانة برسم خرافهم . وصاروا يأخذون ما (١٢٠ ب) بالطباق من الأبواب والسقوف
ويطبخون بها الطعام ، حتى أخبروا غالب الطباق التي بالقلعة . ثم تزايد منهم الفساد
١٢ حتى صاروا يخطفون النساء والصبيان المرد ، وعمائم الناس من الطرقات والأسواق
والأزقة في النهار والليل ، وصاروا الناس على رءوسهم طيرة من العثمانية ، ويجدون
القتلاء مرمية في الطرقات .

١٥ فلما تزايد هذا الأمر دخل جماعة من الناس إلى القاضي ، الذي جعله ابن عثمان في
المدرسة الصالحية أمينا على قضاة مصر ، فشكوا له من أفعال هذه العثمانية وما يفعلونه
بالناس . فلما سمع هذا الكلام ركب وتوجه إلى بيت الأمير قايتباي الدوادار وأركبه
١٨ وطلع به إلى القلعة ، وأخبروا ملك الأمراء خير بك بهذه الأحوال التي بتصدر من
العثمانية . ثم إن قاضي ابن عثمان أغلظ على خير بك في القول ، وقال له : انظر في
أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها ، فقد فسدت الأحوال جدا ، ومتى بلغ
٢١ الخندكار هذه الأخبار يرسل بضرب أعناقنا ، ويقول لنا كيف كتمتوا عنى أخبار
مصر وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى ؟ فلما سمع ملك الأمراء

(١٨ و ١٩) التي : الذي . (٨) يطلعون : يطلعوا .

(١٨) بتصدر : كذا في الأصل .

خاير بك هذا الكلام واعد القاضي والأمير قايتباي إلى يوم السبت حادى عشر الشهر،
فأحضر الأنكشارية والأصبهانية وأعرضهم وأخص من يفعل ذلك منهما . ثم إن
خاير بك نادى فى القاهرة بأن لا امرأة تخرج من بيتها ولا صبي أمرد ولا يتوجهون
فى هذا العشر إلى السيدة نفيسة ولا إلى مشهد الحسين ولا إلى بين القصرين ، وأن
الدكاكين والأسواق تُغلق من بعد المغرب ، ولا يمشى أحد من الناس من بعد المغرب .
وفى يوم الأحد ثانى عشر المحرم حضر من الشام من عند ابن عثمان قاصدان زعموا
أنهما من أعيان أمرائه ، وقيل إن أحدهما أغات (١٢١ آ) طائفة الأنكشارية ،
والآخر أغات الأصبهانية ، فلما بلغ ملك الأمراء حضورها ، نزل من القلعة ولاقاهما ،
وكان لهما موكب حافل ، فطلعا إلى القلعة واجتمعت الأمراء العثمانية والأمير قايتباي
الدوادار وقرأوا مطالعة الخندكار . ثم أشيع بأن ابن عثمان أرسل يطلب الأمير أرزمك
الناشف أحد الأمراء القدمين ، والأمير قانصوه العادلى كاشف الشرقية ، والأمير
تمر باي العادلى ، وأرسل يطلب جماعة من الأنكشارية وجماعة من الأصبهانية الذين
كان قد تركهم بمصر ، فكثرت القال والقال فى ذلك .

فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشره أرسل ملك الأمراء خاير بك إلى الأمير أرزمك
الناشف أربعائة دينار ، وقال له : هذه نفقة السفر فاعمل بها يركك واخرج سافر .
فتشكى أرزمك من ذلك ، وقال : إيش يكفينى هذا القدر لعمل يرقى ؟ ثم ركب وتوجه
إلى بيت قايتباي الدوادار وشكى له من أمر هذه النفقة ، فقال له : حتى أطلع إلى ملك
الأمراء بعد المصر وأراجعه فى ذلك . - ثم فى يوم الأربعاء خامس عشره أشيع بين
الناس أن جماعة من الأنكشارية والأصبهانية لما تحققوا أن الخندكار أرسل يطلبهم
أظهروا العصيان ، وخرج بعضهم إلى نحو الشرقية والغربية وتفرقوا فى البلاد .

ومن الحوادث الغربية أن فى يوم الجمعة سابع عشر المحرم من هذه السنة أشيع
واستفاض بين الناس أن قد قبض على قاسم بك بن أحمد بك بن أبى يزيد بن محمد بن

(١) حادى عشر : ثانى عشر . (٢) عمن : عمنن . (٦) قاصدان : قاصدين .

(١٩ و ٧) الأنكشارية : الانكشاره . (١٢) الذين : الذى .

- عثمان ملك الروم ، وقاسم بك هذا هو الذى كان السلطان قانصوه الغورى اجتهد كل
الاجتهاد حتى أدخله إلى مصر ، وصار ضدًا إلى سليم شاه بن عثمان ، وكان سليم شاه
يخشى من أمر قاسم بك هذا أن يلتفت على عسكر الروم من عساكر جدّه ويؤتوه ٣
مملكة الروم ، وسافر قاسم بك هذا صحبة الملك الأشرف قانصوه الغورى إلى حلب
وصنع له يرقا وسنيحا حافلا ، (١٢١ ب) وجعل له صنّجق حرير أخضر وأحمر كما
هى عادة ملوك الروم ، وحضر الوقعة التى كانت فى مرج دابق ، فلما تقدّم السلطان
الغورى وجرى ما جرى ، رجع قاسم بك صحبة الأمراء إلى مصر ، وصار معظما عند
السلطان طومان باى ، وحضر معه فى الوقعة التى كانت بالطرية ، فلما انكسر السلطان
طومان باى هرب معه إلى جهة الصميد ، فلما اتّفق طومان باى هو وابن عثمان فى الجيزة ٩
بالقرب من وردّان وانكسر طومان باى وهرب ، فلما قبضوا عليه وشنقوا قاسم
بك ولم يُعلم له خبر مدة طويلة ، وقد فاتته القتل مرارا عديدة . وكان السلطان سليم
شاه حاسبا حسابه ليلا ونهارا ، وكان عسكر ابن عثمان قصدهم الخامرة عليه والتوجّه ١٢
إلى قاسم بك . وقد أشيع بين الناس أنه لما هرب بعد كسرة طومان باى ، توجّه مع
بعض العربان إلى نحو الجبل الأخضر الذى بأعلى البحيرة ، وكان قد نُسئ أمره .
- فلما كان يوم الجمعة المقدم ذكره أشاعوا أنهم قد قبضوا عليه فى مكان عند ١٥
المطوف بالقرب من البرقية ، وقد غمز عليه بعض غلمانه فى ذلك المكان ، فتوجّه إليه
كشيبغا والى القاهرة ، وشخص آخر يقال له جانم الحزاوى شاد الشون بخدمة ملك
الأمراء خاير بك ، وهو دوا داره الآن ، فتوجّها إليه وقبضا عليه من ذلك المكان ١٨
المذكور . فلما قبضوا عليه عمرّوه من أثوابه وقلعوه عمامته وألبسوه برنسا أسود
وغطّوا وجهه ، وسبب ذلك أنهم خشوا أن العثمانية متى بلغهم أنهم قد قبضوا عليه
وهو طالع إلى القلعة ، فيخلّصونه ويقتلون من معه وتثور بين العثمانية فتنة عظيمة ٢١
وتكون سببا إلى زوال ملك سليم شاه ابن عثمان . فلما طلبوا به إلى القلعة بعد العصر
قريب المغرب من يوم الجمعة ، فمرضوه على ملك الأمراء خاير بك ، فرسم بإدخاله إلى

- سجن المرقانة الذي هو داخل الحوش السلطاني ، فأدخلوه به وأغلقوا عليه باب (١٢٢) السجن . ثم اجتمع ملك الأمراء خاير بك والأمير قايتباي الدوادار ، ومن الأمراء العثمانية : فايق بك وسانان بك ومصطفى بك وخير الدين بك نائب القلعة ، فلما اجتمعوا ضربوا مشورة في أمر قاسم بك ، فقال ملك الأمراء خاير بك : دعوه في السجن وأرسلوا كاتبوا الخندكار في أمره وانتظروا الجواب فيما يرسم به . فقال فايق بك : هذا ما هو رأي ، متى ما بات في قيد الحياة تدخل علينا التراكمة وتقتلنا عن آخرنا وتقع فتنة كبيرة . فلما دخل وقت العشاء أحضروا المشاعلي ودخلوا عليه وهو في المرقانة ، فخنقوه بها وكان آخر النهذ به .
- فلما أصبح يوم السبت ثامن عشره أخرجوا قاسم بك من المرقانة وهو ميت ، وأرقدوه على مصطبة بالحوش وكشفوا عن وجهه ، وأرسلوا خلف العثمانية قاطبة حتى رأوه ، فقالوا لهم : هل هذا قاسم بك بن أحمد بك بن أبي زيد بن عثمان ؟ فصاروا يلقبوه باطنا وظاهرا ، ثم شهد منهم جماعة كثيرة أن هذا هو قاسم بك بن أحمد بك بن عثمان ، فعند ذلك أرسل ملك الأمراء خاير بك خلف قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الحنفى الطرابلسي ، وقامت عندهما البيّنة بصحّة معرفة قاسم بك هذا ، فكتبوا بذلك محضرا وثبت على قضاة القضاة . ثم أنهم شرعوا في تجهيز قاسم بك ففسلوه وكفّنوه وأخرجوه إلى قدام التكة التي بالحوش السلطاني فصّلوا عليه هناك ، وكان الذي صّلّى عليه قاضي القضاة الشافعي . وكان في يوم السبت باكر النهار أطلقوا له مدرأ في القاهرة بأن الصلاة على الشاب الشهيد قاسم بك بن عثمان ينزل من القلعة . ثم إن ملك الأمراء خاير بك أشهر المناداة في القاهرة بأن يصلى على قاسم بك بن عثمان في الجوامع صلاة الغيبة ، كل هذا حتى يتحققوا الناس موته عن يقين . فلما صّلّوا عليه بالحوش حملت الأمراء نعشه على أكتافها ، ثم نزلوا به من سلم المدرج ، ووضعوا عمامته على نعشه ، ورفعوا عليه علما أبيض ، ثم توجهوا به إلى تربة البجاسي فدفنوه بها على أقاربه . وكانت جنازته مشهودة ، وكثر عليه الأسف والحزن من الناس ،
- (٣) ومصطفى : ومطفى . (١١) عثمان : عثمان .

فإنه كان شاباً جميل الصورة حسن المنظر له من العمر نحو سبع عشرة سنة (١٢٢ب) وقد قُتل ظلماً بغير ذنب ، وقد تناحرت عليه العثمانية بالبكاء .

٣ فلما دفنوه بالصحراء في تربة البُجاسي ، أشاعوا بين الناس أنهم لما دفنوه ولحدوه قطعوا رأسه ووضعوها في علبة ، وتوجّه بها هي والمحضر على يده ، جثم الحزاوي شاد الشون إلى عند الخندكار بالشام ، هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك ٦ وقد عُذّ مسك قاسم بك وقتله من جملة سعد سليم شاه ابن عثمان ، فإن له سعدا خارقا ، وقد أمن من كل طارق ، فكان مسك قاسم بك وقتله أعظم من مسك الأشرف طومان باي وقتله . فتمعّج الناس من قوّة سعد سليم شاه ٩ بن عثمان من مبتداه إلى منتهاه ، وهذا أمر من الله تعالى ليس في قدرة بشر . وكانت الناس تقيس أن قاسم بك هذا سلى مملكة الروم بعد عمه سليم شاه ، فخابت فيه الظنون وعاجله ريب النون ، وكان ذلك مما قد سبقت به الأقدار والحكم لله الواحد القهار . ومن العجائب أن قاسم بك كان مسكه أسرع من طرفة عين ، ولم يُسلّ في ذلك سيف ولا خرج له تجريدة ، فعدّ ذلك من النوادر الغريبة .

وفي يوم الأحد تاسع عشره نفقوا الجامكية على المالك الجراكسة في بيت الأمير قايتباي الدواidar ، فنفقوا لكل مملوك ألفي درهم ، وهي جامكية شهر واحد ، فنفقوا عليهم يوم الأحد ويوم الاثنين . - وفي ذلك اليوم نادى في القاهرة ملك الأمراء خاير بك بأن أحدا من الناس لا يخجّي في بيته عثمانيا ولا أنكشاريا من عسكر ابن عثمان ، وكل من خبأ عنده أحدا من ذلك وغمز عليه شفق على باب داره من غير معاودة . وسبب ذلك أن الخندكار ابن عثمان لما أرسل يطلب جماعة من الأنكشارية ومن الأصهبانية ، اخفق منهم جماعة ، وجماعة تفرّقوا في الشرقية والغربية ، وتوجّهوا إليها هارين في البلاد وأظهروا العصيان ، وقد تقدم القول على ذلك . ١٥ ١٨ ٢١

وفي يوم السبت خامس عشرينه أشهروا الناداة في القاهرة حسبا رسم ملك الأمراء خاير بك ، بأن جميع الأنكشارية والأصهبانية يخرجون يوم الاثنين صحبة القُصاد (١٥) ألني : ألفين . (١٨) خبا . خبي . (٢٢) خامس عشرينه : سابع عشرينه . (٢٣) يخرجون : يخرجوا .

- وكل [من] تأخر منهما يشنق من غير معاودة ، فشقّ من القاهرة جماعة من الأمراء
 العثمانية وقدّامهم مشاعلى ينادى بالتركي ، والآخر ينادى بالعربي ، وذلك (١٢٣ آ)
 بعد الظهر . فلما بلغ العثمانية ذلك اضطربت أحوالهم وخرج غالبهم إلى نحو الشرقية ،
 وقد التفت عليهم المماليك الجراكسة وصاروا يرمون بينهم وبين الأمراء العثمانية الذين
 بمصر الفتن ، حتى يقع بينهم الشرّ ، ويظهروا المصيان على ابن عثمان .
- ٦ وفي يوم الاثنين سابع عشرينه وقع بالقاهرة بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن
 قد تقدّم القول على أن ملك الأمراء خاير بك نادى في القاهرة ، بأن الأنكشارية
 والأسبانية من عسكر ابن عثمان ، بأن يخرجوا يسافروا إلى الشام . فلما كان يوم
 الاثنين لم يخرج منهم أحد وأظهروا المصيان عن السفر ، فرسم خاير بك للأмир
 قايتباي الدوادار بأن ينزل إليهم وكل من رآه منهم يقبض عليه ، فنزل قايتباي من
 القلعة وهو في كبكبة عظيمة من المماليك الجراكسة وهم بالرماح والسيوف ، وقدّامهم
 رماة بالنفوط ، فرجّت لهم القاهرة . فلما بلغ الأنكشارية ذلك خرج منهم نحو
 ١٢ خمسمائة إنسان ، ومعهم رماة بالبندق الرصاص ، فتوجّهوا إلى نحو طرا وبساتين
 الوزير ، فلم يتبهم أحد من الأمراء ولا من العسكر . فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم
 ١٥ ونقل التجّار بسوق جامع ابن طولون قاشهم من الدكاكين خوفا من النهب ، وأشيع
 وقوع فتنة كبيرة بين العثمانية وبين ملك الأمراء خاير بك ، وتقلّ غالب الناس قاشهم
 من البيوت إلى الحواصل ، وقد تزايد الضرر الشامل من الأنكشارية في هذه الأيام
 ١٨ في حق الناس ، وصارت الأحوال غير صالحة .
- وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم ، دخل الحاج إلى القاهرة ، ودخل
 المحمل الشريف ، والقاضي على الدين ناظر الخاص أمير ركب المحمل ، وقاضي قضاة
 المالكية عبي الدين بن الميرى ، وبقية الحجاج ، وأخبروا أنهم قاسوا في هذه السنة
 ٢١ مشقة زائدة وشدايد عظيمة ، من الغلاء وموت الجمل ، وفساد الربان في الطريق ،
 وكثرة الأمطار والسيول ، وقلة الملق ، ومشى غالب الحاج على أقدامه في الرجمة .
- (٤) يرمون : يرموا . (١١) كبكبة : كذا في الأصل .

وقد أثنوا على ناظر الخاص فيما فعله بالحجاج في الطريق من البرّ والصدقات وفعل الخير، وكان إذا رأى أحدا من الحجاج منقطعا يركبه على جماله، وينعم (١٢٣ب) عليه بالمال والبسماط، في الطلعة والرجعة، فرجع الحجاج وهم عنه راضيون فيما فعله بهم، وقد رفق بهم في مشي الركب بسبب المنقطعين من الحجاج، وقد أثنوا عليه خيرا في هذه السنة.

٦ وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه دخل إلى القاهرة الأمير قانصوه المادلي كاشف جهات الشرقية، وكان أشيع عنه المصيان من حين تميّن إلى السفر، فأتى حتى يبطل عنه تلك الإشاعات. - فلما طلع يوم الخميس إلى القلعة أخلع عليه ملك الأمراء خير بك قفطان مخمل مذهبا وزل يعمل يرقه. - وقد مضى هذا الشهر وعسكر ابن عثمان في خلف بينهم بسبب السفر إلى الشام، واستمرت الأنكشارية في أمر المصيان عن السفر، وصاروا يكبسون عليهم البيوت والحارات ويقبضون على جماعة منهم، وصاروا يقبضون على نسائهم التي تزوجن بهن من مصر، وحصل لمن الضرر الشامل بسبب ذلك.

١٥ وفي صفر الخير كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة، فهتوا ملك الأمراء خير بك بالشهر، ورجعوا إلى دورهم. - وفي ذلك اليوم خرج جماعة من الأنكشارية والأصبهانية من الطائعين منهم دون العاصيين الذين هربوا كما تقدم، فخرجوا صحبة القصاد الذين جاءوا بطلبهم من الشام، حسبما رسم الخندكار سليم شاه بن عثمان، قيل إنه أرسل يطلب ألف إنسان من أصبھانية، ومن الأنكشارية أربعمائة إنسان. - وفي يوم الاثنين رابع صفر خرج بقية المسكر المماني الذي تميّن للسفر، وخرج الأمراء المميّنون إلى السفر وهم: أرزمك الناشف أحد المقدمين والأمير قانصوه المادلي كاشف الشرقية والأمير تمرباي المادلي والأمير خشقدم الأشرفي الذي كان شاد الشون أيام السلطان الفوري، فلم يشعر بخروجهم أحد من الناس، ولم يطلبوا طلبا على جاري المادة، فلما خرجوا توجهوا إلى الريدانية

ونزلوا بها إلى أن يرحلوا منها . - وفي هذه الأيام تزايد القتل والقتل بين الناس بوقوع فتنة كبيرة .

- وفي يوم الثلاثاء خامس صفر فيه أخلع ملك الأمراء خاير بك على شيخ العرب ٣ الأمير أحمد بن بقر ، وقرّره في مشيخة (١٢٤ آ) جهات الشرقية عوضا عن ابنه عبدالدايم وقد أظهر عبدالدايم العصيان ونهب منية غمر وأحرقها وآخرين من البلاد بالشرقية ووقع الاضطراب بها ، وطفشت العربان في البلاد بالفساد والنهب ، وحصل منهم ٦ الضرر الشامل ، وصار عبد الدايم رأس كل فتنة في كل دولة ، وقد تقدم القول على ذلك . - وفي يوم السبت تاسعه قويت الإشاعات بعصيان عبد الدايم ، وأن قد التفّ عليه عربان كثيرة من الشرقية والغربية ، وطرّد أباه الأمير أحمد من الشرقية ، ٩ واضطربت أحوال الشرقية إلى الغاية .

- وأشيع في البلاد أن مصر ما بقي فيها أحد من عساكر ابن عثمان ، فلما بلغ ذلك ملك الأمراء خاير بك رسم لخير الدين نائب القلعة ، وجماعة من الأمراء العثمانية ، ١٢ بأن يشقوا من القاهرة ومعه من الأنكشارية الذين تأخروا بمصر ، فنزل من القلعة وقدمه من الأنكشارية نحو ثلاثمائة إنسان ، وهم مشاة وبأيديهم مكاحل ، فشقّ من الصليبية ، وتوجّه من بين الصوريين ، وطلع من على سوق مرجوش ، وشقّ ١٥ من القاهرة فرجّت له في ذلك اليوم ، ثم عاد إلى القلعة .

- وفيه أشيع أن ملك الأمراء خاير بك أخذ في أسباب تحصين القلعة ، وسدّ منها عدة أبواب وأبقى منها الأبواب الكبار على حكمهم ، وقصد يسدّ بعض أبواب من ١٨ القاهرة ، وأظهر الخوف والفزع ودخلت رأسه الجراب من عبد الدايم بن بقر وكثرة العربان الذي اجتمعت معه ، وكثر القاتل في ذلك والقتل على روايات مختلفة . - وفيه أشيع أن الرئيس سلمان العثماني ، الذي كان في البرج بالقلعة ، وضعه خاير بك في ٢١ الحديد وأرسله إلى ابن عثمان بالشام . وكثرت الحوادث في هذه الأيام جدا . - وفي يوم الاثنين حادى عشره أشيع أن ملك الأمراء خاير بك عين الأمير قايتباي الدوادار

- بأن يخرج إلى عبد الدايم بن بقر ، وصحبته جماعة من المالك الجراكسة ومن العثمانية .
وعرض في ذلك اليوم طائفة من العثمانية يقال لهم : كولى ، فمرضهم في بيت سنان
باشاه العثماني ، وعين منهم جماعة يخرجون إلى التجريدة صحبة الأمير قايتباي الدوادار ٣
بسبب عبد الدايم (١٢٤ ب) كما تقدم . - وفي أثناء هذا الشهر أشيع أن الخندكار
سليم شاه بن عثمان خرج من دمشق وقصد التوجه إلى حلب ، وما يعلم ما سبب ذلك ،
وكرت الأقاويل في سبب خروجه من الشام إلى حلب . ٦
- وفي يوم الأربعاء عشرين شهر صفر عرض الأمير قايتباي الدوادار المالك
الجراكسة في بيته الذي بين القصرين ، وعين منهم جماعة يخرجون إلى الشرقية بسبب
عصيان شيخ العرب عبد الدايم بن بقر . وقد قويت الإشاعات بمصيانه ، وقد التف ٩
عليه جماعة كثيرة من العربان ، وفسدت أحوال الشرقية قاطبة ، من قطع الطريق
على القصاد ، ونهب البلاد ، ووقع الاضطراب هناك جدا ، حتى كادت أن تخرب
غالب بلاد الشرقية . ولما عرض الأمير قايتباي المالك الجراكسة وجد غالبهم مشاة ١٢
على أقدامهم بغير خيول ولا سلاح ، فبطل أمر العرض والتجريدة . - وفي يوم السبت
ثالث عشرينه خرج شيخ العرب بيبرس بن بقر ، أخو عبد الدايم ، وصحبته الشيخ
أبو الحسن بن الشيخ أبو العباس الغمري ، ليسعوا بين عبد الدايم وبين أبيه الأمير ١٥
أحمد وبين إخوته بالصلح . وأشيع أن ملك الأمراء خير بك أرسل صحبتهما خلعة
إلى عبد الدايم ، ولعل يقع الصلح على أيديهما وكذا جرى .
- وفي يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول ، ففي ذلك اليوم حضر جانم الجزاوى ١٨
دوادار ملك الأمراء خير بك ، وقد تقدم القول أنه كان توجه إلي الشام إلى عند
السلطان سليم شاه بن عثمان بيشارة قتل قاسم بك بن بن عثمان ، فلما أخبر سليم شاه
بذلك سر إلى الغاية ، وأشيع أنه أنعم على جانم الجزاوى بنبابة نجر الإسكندرية عما ٢١
أشيع ذلك ، ثم رسم له بالعود إلى القاهرة وأرسل على يده خلعة إلى ملك الأمراء

(١٥) ليسعوا : ليسعون . (٢١) عما : عما .

خاير بك باستمراره في نيابة السلطنة بمصر على عادته ، وأرسل خلمة إلى الأمير قايتباي الدوادر ، وقيل إلى كمشينا وإلى القاهرة (١٢٥ آ) كون أنه قبض على قاسم بك ابن بن عثمان ، فلما وصل القاصد محبة جانم الحزاوي إلى الريدانية بات في تربة العادل . ٣ فلما كان يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول ، نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة وصحبته الأمير قايتباي الدوادر والأمراء العثمانية الذين بمصر ، وطائفة الأنكشارية والأصبهانية وغير ذلك من الطوائف الذين تركهم ابن عثمان بمصر ، وصحبته جماعة ٦ كثيرة من الأمراء الجراكسة والماليك الجراكسة الذين ظهروا كما تقدم ، وخرج الجم الغفير من المساكر العثمانية وفيهم جماعة يرمون بالنفوط ، فتوجه إلى تربة العادل وجلس على المصطبة التي هناك . ثم إن ملك الأمراء خاير بك لبس القفطان المخمل ٩ المذهب الذي أرسله إليه السلطان سليم شاه بن عثمان ، فأشيع في ذلك اليوم أن ابن عثمان جملة باقي على نيابته بمصر على عادته ، وأن يجعل السكة والخطبة باسمه ، فلم تصح هذه الإشاعة فيما بعد .

١٢

ثم إن ملك الأمراء أوكب من هناك ودخل من باب النصر ، وشق من القاهرة في موكب حفل ، وقدامه قضاة القضاة ، وموجب ذلك كان ذلك اليوم مستهل الشهر ، فتوجه إليه القضاة هناك ليهنوه بالشهر ، فلما رجع إلى القاهرة رجموا محبته وركبوا ١٥ قدامه إلى أن طلع إلى القلعة ، وركب قدامه أعيان المباشرين ، ولافته النصاري بالشموع في أيديهم من باب النصر ، فلما وصل إلى بين القصرين ومرة من على باب الأمير قايتباي الدوادر نثر على رأسه كبشة جيدة من الفضة فتخطفتها الناس . ١٨ فلما شق من القاهرة زينت له زينة خفيفة في بعض أماكن ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس ، وأشهر النداء قدامه للناس بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن لا أحدا يشوش على أحد من الرعية ، وأن كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك ٢١ الأمراء ، والدعاء بالنصر للملك المظفر سليم شاه ، فضج له العوام بالدعاء قاطبة . (١٢٥ ب) واستمرت الأنكشارية يرمون قدامه بالنفوط وهم مشاة حتى طلع إلى

القلعة ، وكانوا نحو أربعمائة إنسان . وكان أشيع أن ملك الأمراء خاير بك يستقل بملكه مصر بمفرده ، ويجعل الخطبة والسكة باسمه حسب رسم الخندكار بن عثمان ، فلم تصح هذه الإشاعة وحدث كأنها لم تكن ، واستمر نائبا على حكمه . وكانت هذه الإشاعة من الكلام المختلق من جملة كذب الناس ، فصار غالب أهل مصر في هذه الأيام يختلقون الكلام الكذب ، ويشيعونه بين الناس بما يختارونه ، ثم يبتلون ذلك الكلام وينقضونه ويأتون بكلام غيره ، والكل ليس له صحة وهو من جملة الكذب المختلق ، وقد قال الفائل في المعنى :

أبناء مصر مقالهم عجب تواتر الصدق منه مرفوض

مقالهم لا يزال مختلفا وكله نافض ومنقوض

ولما حضر جانم الحزاوى ، أشيع بين الناس أن السلطان سليم شاه لما أقام بالشام رسم لقاضى القضاة الشافى محب الدين بن قاضى القضاة شهاب الدين بن فرفور ، بأن يتقلد بمذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وترك مذهب الإمام الشافى ، وأشيع أن لا يحكم بالشام غير قاضى قضاة حنفى لا غير ، كما هى عادته فى بلاده إسطنبول ، وأبطل من الشام المذاهب الثلاثة ، ففتاء الناس له بسرعة الزوال عن قريب . وأشيع أنه أبطل الوكلاء والرسل من أبواب القضاة ونوابهم ، فلما بلغ ملك الأمراء خاير بك ذلك رسم لقضاة القضاة بمصر أن يخفوا من نوابهم ، فرسم لقاضى القضاة الشافى بخمسة من النواب ، وقاضى القضاة الحنفى بأربعة من النواب ، وقاضى القضاة المالكي بثلاثة من النواب ، وقاضى القضاة الحنبلى من النواب اثنين ، من غير زيادة على ذلك . ثم إن ملك الأمراء خاير بك رسم لنواب القضاة أن يبتلوا الرسل (١٢٦ آ) والوكلاء من المدرسة الصالحية وأن نواب القضاة لا يحكمون إلا فى بيوتهم من غير رسل ولا وكلاء ، فلم يتم هذا الأمر ولا سمعوا له شيئا .

ومما حدث فى هذه الأيام من الحوادث الشنيعة أن شخصا من أمراء ابن عثمان صار يجلس على تكة بباب المدرسة الصالحية يسمونه المحضر وحوله جماعة من الأنكشارية ، فكان لا يقضى أمر من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه ، فكان

٣

٦

٩

١٢

١٥

١٨

٢١

٢٤

يقف بين يديه الشاكي والمشتكى ويخاطبونه بترجمان بينهما عن أمر الشكاة ، فكان
يقرر على كل عاكمة على الأثر في ستة نقرة يأخذها لنفسه من الشاكي والمشتكى يسمون
ذلك مصلحة ، وكان إذا أمر بشيء لا تمارسه القضاة ، وكان يزعم أنه مستوفى على ٣
القضاة في الأمور الشرعية ، وكان يضرب من كان يستحق الضرب ، ويسجن من
يستحق السجن ولا يُراجع القضاة في ذلك ، فكان يتحصل في كل يوم له من ذلك
القدر المعلوم مال له صورة يأخذها من الشاكي والمشتكى . - ثم أحدثوا مظلة أخرى ، ٦
وهو أنهم قرروا على كل دكان من الشهود ومجالس القضاة التي بمصر والقاهرة قاطبة ،
على كل دكان في كل شهر ستة أنصاف ، ويزعمون أنهم يردون ذلك القدر لبيت مال
المسلمين ، ويجهزونه إلى السلطان ابن عثمان ، وقد ضعفت شوكة الشرع في هذه الأيام ٩
جدا ، وقد قال القائل في المعنى :

ياربّ زاد الظلم واستحوذوا والفعل منهم ليس يخفى عليك
وما لنا إلّاك فانظر لنا ونجّنا منهم وخُذْهم إليك ١٢
ولما حضر الأمير جانم الحزاوي دوا دار ملك الأمراء ، أخبر بأن السلطان سليم
شاه لما دخل إلى الشام استقرّ بالأمير جان بردى الغزالي نائب الشام ، وجعل له
التحدث من غزاه إلى الشام وأعمالها ، يوتى بها من يختار ويمزل من يختار . - وأشيع ١٥
أن عسكر ابن عثمان لما دخلوا إلى الشام طردوا الناس عن بيوتها وسكنوا بها كما فعلوا
بمصر ، وأخربوا غيطانها ، ورعوا (١٢٦ ب) زروعها ، وقطعوا أشجارها ، وأكلوا
جميع فواكهها . ١٨

وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الأول أشيع بين الناس بالمراسيم التي حضرت من
عند الخندكار سليم شاه على يد الأمير جانم الحزاوي ، كان من مضمونها أنه يرسل
يقول لملك الأمراء خاير بك : اصرف لأولاد الناس جوامكهم على المادة ، وكذلك ٢١
الماليك الجراكسة ، وكل من كان له جامكية يصرفها له ، ويجرى الناس على عوائدهم

(٥) يتحصل : يتخلص . (٧) التي : الذي . (١١) واستحوذوا : واستحوزوا .

(١٧) زروعها : زرعوها . (٢٢) جامكية : جامكة .

من كبير وصغير ، فشكروا له الناس ذلك ودعوا له . فلما بلغ أولاد الناس ذلك طلعا
إلى القلعة ونزلوا أسماءهم عند القاضي شرف الدين الصغير كاتب المالك ، حتى من كان
له جامكية أشرفى أو مائتا درهم . وأرسل يقول له احتفظ بالرية . ٣

وفى يوم الاثنين عاشره طاع المالك الجراكسة إلى الميدان الذى تحت القلعة ،
وحضر كاتب المالك شرف الدين الصغير ، ونفق على المالك جامكية شهر واحد ،
وبقى لهم شهران مكسورة ، ولم يحضر ملك الأمراء تفرقة الجامكية بالميدان ، بل حضر ٦
شرف الدين الصغير وجماعة من كتّاب المالك ، وشرع شرف الدين كاتب المالك يقول
للممالك : يا أغوات كل من أخذ الجامكية يعمل يرقه للسفر ويكون على بقطة . وصار
يضمن كل عشرين مملوكا إلى واحد من أغواتهم ، ويقول له : إذا طلبت منك هؤلاء
المالك للسفر ، احضر بهم . فنزلوا من القلعة على ذلك . ٩

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول كان ليلة المولد النبوى ، فصنع له ملك
الأمراء مولدا لم يشعر به أحد من الناس ، فقبل حضر عنده عشر جوق من القراء ١٢
والوعاظ وبمض فقهاء ، فرسم لكل جوقة من هؤلاء بأثرفين فضجوا من ذلك ،
وقلوا : نحن كان يدخل علينا فى مولد السلاطين لكل واحد منا مائة شقة ، فكيف
نأخذ فى مولد ملك الأمراء أثرفين . فرسم لكل جوقة بأربعة أثرفية لا غير . وقيل ١٥
إن ملك الأمراء أخلع على الوعاظ فى ذلك اليوم كوامل بسمور ثم استردّهم منهم
بعد ذلك وأعطاهم مبلغا يسيرا . ثم (١٢٧ آ) بعد العصر مدّ سباطا فى المقعد الذى

بالحوش ، ليس بكبير أمر ، تخاطفته الثمانية على لمح البصر وبات غالب الفقهاء ١٨
بلا عشاء . وأين الحسام من النجلى ، بالنسبة لما كان يعمل فى مولد السلاطين الماضية
من الأسطة الحافلة والشقق الحرير التى كانت تدخل على جوق القراء والوعاظ ، ولا سيما
ما كان يعمل فى موالد السلاطان قانصوه الغورى ، فكان يصرف على سباط المولد فوق ٢١
آلاف دينار ، وكان يحضر عنده فى تلك الخيمة المعظمة ، التى لم يبق يسمح الزمان بمثلها
أبدا ، القضاة الأربعة ، ومن الأمراء المقدمين أربعة وعشرون أميرا مقدّم ألف ، غير بقية

الأمراء والمسكر وهم بالشاش والقماش ، فأين ذلك النظام العظيم كيف ذهب أوقاته ؟
فيا أسفى على تلك الأيام كأنها كانت منامات ، وقد قال القائل فى المعنى :

٣ يادهر ربيع رتب العالى مسرعا بيع الهوان ربحت أم لم ترج
قدم وأخر من أردت من الورى مات الذى قد كنت منهم تستحى

وفى يوم السبت خامس عشر ربيع الأول ، أخلع ملك الأمراء خاير بك على

الزيبى بركات بن موسى المحتسب واستقر به أمير ركب المحمل ، وكانت هذه الوظيفة ٦

لا يستقر بها إلا أمير مائة مقدم ألف ، ولعمري إن هذه الوظيفة قد هانت حتى

سامها كل مفلس ، فأخلع عليه قططان مخمل مذهبا ونزل من القلعة فى موكب حفل ،

وقدّاه أعيان الباشيرين والأمراء العثمانية وجماعة من الأمراء الجراكسة والمالليك ٩

الجراكسة ، وركب قدّاه قضاة القضاة ، فرجت له فى ذلك اليوم القاهرة ، وزينت

له الدكاكين ، ووقدت له الشموع ، وعلقت له الأحمال بالقناديل ، ولافته مشايخ

المربان من بنى حرام ، وكاشف الشرفية ، ومشت قدّاه جماعة من الأنكشارية ١٢

نحو مائتى إنسان يرمون بالنفوط ، ومشت قدّاه جماعة من القواسة نحو ثلثمائة

قوّاس ، ومشت قدّاه السقاؤون يرشون الماء بطول الطريق ، ومشت قدّاه الضويّة

بالمشاعل وعليها النفوط الزركش ، (١٢٧ ب) ومشت قدّاه جميع الرسل قاطبة ١٥

وبأيديهم المعصى ، ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية مثل مواكب السلاطين ، ولاقاه

المغانى من النساء بالطارات ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وسافت

قدّاه البرجاس عريان بنى حرام . وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة ، قل أن بقى ١٨

يقع لأحد من الأعيان موكب مثل ذلك ، فلهج الناس بهذا الموكب لعله كان نهاية

سعد الزيبى بركات بن موسى ، ولم يقع مثل هذا الموكب للملك المظفر سليم شاه

ابن عثمان لما دخل إلى القاهرة حين ملكها . فلما نزل الزيبى بركات بن موسى إلى داره ٢١

أنعم على الأنكشارية بثلاثمائة دينار نخص كل واحد منهم أشرفى ، وأنعم على

(٣) ترج : ترجى . (١٣) مائتى : مائتين . (١٤) السقاؤون : السقاين .

(٢٢) بثلاثمائة دينار : بثلاثمائة مائة دينار . // فخص : فخلص .

القواسة والسقايين أيضا بمبلغ جيد ، وقد قلت في هذه الواقعة هذه الآيات :

٣ إن ابن موسى لم تزل حركاته تأتي بسعد خارق بين الورى
عابنته في موكب حفل فلا سمعت به أذن ولا عين ترى
في يوم سبت شرفوه بخلمة فاق الملوك وصار يزهو منظرا
لما استقر أمير محل سرتنا واستبشرت لقدمه أم القرى
٦ وتساءل الحجاج أن بكمة ياقوا الرخا والأمن ممن بشرا
يارب طل ببقائه في نعمة تحمد بها الركبان عاقبة السرا

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه تفق ملك الأمراء على جماعة من الأمراء الجراكسة فأعطى لكل أمير طبليخاناه أربعين دينارا ، وأعطى لكل أمير عشرة خمسة وعشرين دينارا ، وذلك في كل شهر في نظير أفاطيمهم ولحومهم وعليهم ، وأعطى المالك الجراكسة لكل واحد منهم ألفي درهم من غير زيادة على ذلك . - وفي يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الأول ، وافق ذلك اليوم دخول أول يوم من الخماسين ، وهو يوم عيد النصرى وفطرم ، ومن جملة إتمام الله تعالى أن لم يقع في هذا الخماسين طاعون بمصر ولا غيرها من البلاد . - وفي ذلك اليوم كانت وفاة صاحبنا الناصرى محمد بن منسكى بُنا ، وكان موته فجأة ، وكان لطيف الذات فكه المحاضرة حسن العبارة في كلامه ، رقيق الطباع عسير الناس ، وكان لا بأس به . - (١٢٨ آ) وفي أثناء هذا الشهر حضر الناصرى محمد المعروف بابن الأوزة لاعب الشطرنج ، وكان بالشام من حين أرسل خلفه السلطان سليم شاه ، وكان السلطان أرسل له مبلنا له صورة يتسفر به ، فلما توجه إلى الشام وجد الخندكار ما هو منشرح بسبب الصوفى ، فأقام بالشام مدة ، ثم استأذن السلطان في عوده إلى مصر ، فأذن له بالعود إلى مصر . فأخبر الناصرى محمد بن الأوزة أن قصاد الصوفى قدموا على ابن عثمان وهو بالشام من مكان غير الطريق السالكة ، فاشمر بهم ابن عثمان إلّا وهم بين يديه ، فدفعوا إليه مطالمة من عند الصوفى وتقدمة حفلة ، فلما قرأ تلك المطالمة وجد فيها عبارة لطيفة وألفاظا

رقيقة تتضمن أمر الصلح بينه وبين الصوفي ، ونعته بأنعام عظيمة في الطالعة .
فلما قرأ المطالعة اضطرب لذلك ، وقال : هذا كله مخادعة من الصوفي حتى يثني عزى
عن ملاقاته ، ثم يطرقني على حين غفلة كما فعلتُ أنا مع السلطان الفوري . فرحل ٣
من الشام على الفور وقصد التوجه إلى حلب ، وقال لوزرائه : أنا أعلم من حيل إسماعيل
الصوفي ومخادعته ما لا تعلمونه . فكان كما يقال في المعنى :

توقع كيد من خاصمت يوما ولا تركن إلى ودّ الأعداى ٦
فإن الجرح ينسكت بعد حين إذا كان البناء على فسادٍ
ثم أشيع بأن ابن عثمان لما دخل إلى حلب أخذ في أسباب أمر تحصين المدينة ،
ثم قبض على جماعة من أهل بانقوسة ممن كان مشهورا بالفساد فشنق منهم جماعة ، ثم ٩
أشيع أنه صادر جماعة من أهل حلب وأفرد عليهم الأموال الجزيلة ، وحصل لأهل
حلب منه ومن عساكره غاية الضرر والأمر لله .

وفي شهر ربيع الآخر كان مستهلّ الشهر يوم الأحد . - ففي يوم الخميس خامسه ١٢
قدم إلى الأبواب الشريفة مصلح الدين بك خازندار ابن عثمان ، وكان توجه إلى مكة
من البحر الملح صحبة الشهابي أحمد بن الجيعان ، ثم عاد من البحر أيضا قبل حضور
الشهابي أحمد بن الجيعان . فلما نزل بركة الحاج خرج الأمير قايتباي الدوادر إلى ١٥
ملاقاته ، وكذلك أعيان الباشرين . فلما طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء (١٢٨ ب)
أخلع عليه ونزل إلى داره في موكب حفل ، وقدّامه الأمراء العثمانية والجراكسة والجم
الغفير من العساكر . ١٨

وفي يوم الثلاثاء عاشره وقعت حادثة غريبة ، وهو أن ملك الأمراء خير بك أشهر
النداء في القاهرة بأن كل من رأى كلبا يقتله ويملّقه على دكانه ، فبادرت الناس على
القبض على الكلاب ، وصارت التراكمة يسكنون الكلاب من الطرقات ويوسّطونهم ٢١
نصفين بالسيوف ، فقتلوا في ذلك اليوم ما لا يحصى من الكلاب ، حتى قيل قتلوا في
ذلك اليوم فوق الخمسمائة كلب على ما أشيع . وصارت العتياق يسكنون الكلاب من

الحارات والأزقة ويقتلونهم أشرف قتلة ، وصاروا يعلقونهم على الدكاكين ولم يعلم ما سبب ذلك . ثم أشيع بأن عادة التراكمة في بلادهم بإسطنبول إذا كثرت عندهم السكلاب في المدينة يقتلون منهم في كل سنة جانبا كبيرا في أيام الخماسين ، ويزعمون أن بذلك يخفف الطاعون من المدينة ، فصارت عندهم هذه عادة . ثم استمر السيف يعمل في السكلاب يوما وليلة حتى هجّت السكلاب مما دهاهم إلى الترب والصحارى .

٦ وقد قلت في المعنى :

تأمّـاوا ما جرى بمصر من حادث عمّ بالعذاب

فما رعوا الترك في دماء فكيف رعوا دما السكلاب

٩ فلما تزايد الأمر في قتل السكلاب ، طلع الزينى بركات بن موسى المحتسب إلى

ملك الأمراء خاير بك وشفع في السكلاب من القتل ، وقال لملك الأمراء : لا تعرض

إلى قتل السكلاب فإن أربك أمير كبير تعرض لقتل السكلاب الذى كانوا بالأزبكية

١٢ فلم يمش بعد ذلك غير سنة واحدة ومات . فرجع ملك الأمراء عن قتل السكلاب ، ونادى

في القاهرة بأن ترفعوا القتل عن السكلاب ، وكل من قبض على كلب يطلقه إلى حال

سبيله ، فدعوا الناس للقاضى بركات بن موسى الذى شفع في السكلاب من القتل ،

١٥ ثم سكن الاضطراب (١٢٩ آ) الذى كان بالقاهرة بسبب قتل السكلاب .

وفي هذه الأيام أشيع أن ملك الأمراء أخذ في أسياح تحصين القلعة ، وسد منها

عدّة أبواب ، وحصّن الأبراج التى بها وركب عليها المكاحل ، وشرع في عمل عجلات

١٨ وعمل مكاحل ومدافع وعمل نشاب ، وما يعلم سبب ذلك . ثم أشيع أن ملك الأمراء

أحضر مصحفاً شريفاً وأحضر الأمراء العثمانية الذين بمصر وحلّهم عليه بأنهم لا

يخونوه ولا يندروه وأن يكونوا هم وإياه كلمة واحدة . ثم إنه حلّف الأمير قايتباى

٢١ الدوادار بمعنى ذلك ، فأقاموا الأمراء في القلعة إلى بعد الظهر وهم في ضرب مشورة

بينهم .

(٣) يقتلون : يقتلوا . || جانبا كبيرا : جانب كبير . (٥) يعمل : يعلم . (١١) فإن : بأن .

(١٧) التى : الذى . (١٩) الذين : الذى . (٢٠) هم : هو .

- ومن الوقائع الغريبة أن في يوم الثلاثاء سادس عشره وقعت نادرة غريبة ، وهو أن شخصا ظهر بالنحارية وزعم أنه السلطان قانصوه النورى قد ظهر وهو في قيد الحياة ، وصار يفسد عقول الفلاحين ويقول لهم : أنا السلطان النورى . وصار يكتب ٣ كتباً ويرسلها إلى مشايخ العربان وهى مخلقة بالزعفران ، فصدق بذلك غالب الناس بأن السلطان النورى قد ظهر وهو في قيد الحياة فامتلات القاهرة بهذه الإشاعة . فلما قويت أخبار ذلك الرجل بهذه الإشاعة ، أرسل ملك الأمراء بالقبض عليه من ٦ النحارية ، فقبضوا عليه وأحضروه بين يدى ملك الأمراء . فلما مثل بين يديه عرفه ، وكان نصَّبَ عليه قبل ذلك وهو نائب حلب ، وادعى وأشاع بحلب أنه قانصوه خمسمائة الذى تسلطن ، وأفسد عقول الناس بحلب أيضا ، فضربه ملك الأمراء فى ٩ حلب بالمقارع وقطع أنفه ، ثم أتى إلى مصر وأشاع أنه الأمير محمد بك قريب السلطان النورى الذى قتل فى غزاة الفرنج ، وقد نصَّبَ بسبب ذلك وأخذ من الكشاف ومشايخ العربان جملة تقادم ، وقد قرَّب إلى عقولهم أنه الأمير محمد بك قريب السلطان ، ١٢ فقبض عليه السلطان النورى وضربه وسجنه بالمقشرة فأقام بها (١٢٩ ب) مدة . وقيل كان أصله من القواسة بيمض جهات دمشق . فلما أن سافر السلطان النورى إلى حلب ، واستقر بالأمر طومان باى الدوادار نائب النيبة ، فأطلقه من المقشرة مع ١٥ جملة من أطلقه ، فلما ادعى أنه السلطان النورى وقبض عليه ملك الأمراء خاير بك ، فقال له : أنا ما قطعت أنفك بحلب ، وقلت لى إنك بُت من الكذب على الملوك ؟ ثم إنه رسم بتشكيبه على باب الشمرية ، فنزلوا به من القلعة وربطوا رجله فى ذنب ١٨ إكديش ، وصار يسحبه على وجهه من القلعة إلى باب الشمرية ، والمشاعلية تُنادى عليه : هذا جزاء من يكذب على الملوك . فرُجَّت له القاهرة فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشهودا فى الفرجة عليه ، والناس تقول : قد مسكوا السلطان النورى . فلما ٢١ وصل إلى باب الشمرية كلبوه على الباب بين البرجين ، فاستمرّ مكبلا ثلاثة أيام لم يمت ، فلما بلغ ملك الأمراء أنه لم يمت إلى الآن ، فرسم أن ينزلوه ويوسطوه فأنزله ووسطوه على باب للشمرية فى مفرق الطارق بمد أن قاسى أنواع العذاب ، فدفنوه ومضى أمره ، ٢٤

وكفى الله الناس شره .

- وفيه كانت كايئة الشيخ أرك الروى ، وقد تغيّر خاطر ملك الأمراء عليه
 ٣ فوضعه فى الحديد ، وقيل ضربه بالمقارع ، وأشيع أنه قصد أن يشنقه فشفع فيه بعض
 الفقراء ، ولم يعلم ما ذنبه حتى تغيّر خاطر ملك الأمراء عليه ، وقد اختلفت الأقوال
 فى أمره ، وكان عنده تحشّر زائد فى الأكابر وآخر الأمر وقع فى هذه الكايئة المهولة .
 ٦ وفى يوم الأربعاء سابع عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وعدّى إلى الروضة وأقام
 بالمقياس ، وكان صحبته الأمير قايتباى الدوادار وجماعة من الأمراء العثمانية ، وأضافهم
 ضيافة حافلة ومدّ لهم هناك أسمطة وطوارى . وسبب ذلك أن ملك الأمراء خاير بك
 ٩ كان بينه وبين الأمير قايتباى وحشة ، وقد صار بعض الوسائط السوء يرى بينهما
 الفتن . ثم (١٣٠ آ) إن ملك الأمراء خاير بك حلف الأمير قايتباى الدوادار على
 مصحف شريف بأن يكون هو وإياه كلمة واحدة ، ولا يخون بعضهم بعضا ، وقد تقدّم
 ١٢ القول على ذلك ، فلما تحالفا زال ما كان بينهما من الوحشة ، وكان نقل لملك الأمراء
 أن الأمير قايتباى الدوادار متفق مع المالك الجراكسة على زواله ، وكانت هذه فتنة
 من الأعداء بينهما . ثم أشيع بين الناس أن الشيخ أرك كان يرى بينهما الفتن وينقل
 ١٥ الكلام الباطل ، فلما تحالفا زال ما كان عندهما من الوحشة ، فصنع ملك الأمراء
 خاير بك تلك الوليمة فى المقياس ، وعزم على الأمير قايتباى وجماعة من الأمراء العثمانية .
 وأقام ملك الأمراء فى المقياس إلى أواخر النهار ، فأرسل إليه الزينى بركات بن موسى
 ١٨ هناك مدّة حفلة على رءوس الحمالين ، وصار كل واحد من المباشرين يهدى إليه شيئا
 من المأكول الفاخر وغير ذلك ، وكان يوما بالسلطاني . ثم عاد ملك الأمراء إلى
 القلعة بعد العصر من يومه .

- ٢١ وفيه حضر شخص من حلب فهلوان ونصب فى بركة القرع التى بالجنيّة صواري
 وحبالا ، وكان يوم الجمعة فاجتمع الجوّ الفغير من الخلايق . فلما صعد على الحبال أظهر
 أشياء غريبة فى صنعة الفهلوانية وهو واقف على الحبال ، منها أنه نصب له أوماج وبتية
 ٢٤ وأرمى بالنشاب فى البتية وهو واقف على الحبال ، ومنها أنه مشى على الحبال وهو مقيد

وعينيه مربوطة بمخرقة ، ومنها أنه مشى على الحبل وفي رجله قبقاب وتحت ألواح صابون وأرمى في الأوماج وهو واقف على حمل فيه سيوف مسالوة ، ومنها أنه مشى على الحبال مقلوبا وهو مغنى العينين ، وأظهر من هذه الأنداب المعجائب والفرائب . وكان لمصر ٣ مدة طويلة من أيام الأشرف بُرسباى لم يدخلها فهلوان مثل هذا في صنعة الفهلوانية ، وكان هذا الفهلوان يدعى يوسف ، وقيل إنه من أبناء حلب ، وقيل إنه نشأ باللاذقية ، وكان شابا جميل الصورة ، وله عبيد علمهم صنعة الفهلوانية يمضون على الحبال أيضا ٦ ويظهرون الفنون الغريبة مثله .

وفيه حضر الزينى طيلان الرأس نوبة ، وكان توجهه إلى مكة المشرفة من البحر الملح بحبة (١٣٠ ب) مُصلح الدين بك والشهابى أحمد بن الجيمان . وكان أشيع عنه ٩ أنه توجه إلى إسطنبول مع جملة من توجه إلى هناك فلم يصح ذلك ، وإنما كان توجهه إلى مكة وحضر من البحر الملح أيضا . - وفيه توفى الملاى على بن طوغان ، الذى كان دوا دار الأشرف قانصوه خمسمائة ، وكان من أعيان أولاد الناس ، وكان رئيسا حشما ١٢ لئن الجانب سيوسا في أفعاله ، وقاسى في أواخر عمره شدائد ومحن بسبب قانصوه خمسمائة .

وفيه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه ، فلما حضر أشيع بين الناس أن ١٥ السلطان مقيم بحلب وأن شاه إسماعيل الصوفى متحرك على ابن عثمان وهو في جمع كبير من المساكر ، وأن ابن عثمان أخذ حذره منه . وأشيع بين الناس أن نائب الشام جان بردى الغزالى تحايل على ناصر الدين بن الحنش شيخ الأعوار والباق وغير ذلك من جهات دمشق ، فلما تحايل عليه وتمت حيلته قتله وقتل شخصا آخر من مشايخ العربان يقال له ابن الحرفوش . وكان ناصر الدين بن الحنش كثير العصيان على نواب الشام ، بل وعلى سلاطين مصر أيضا . وكان لما ملك ابن عثمان دمشق امتنع من ٢١ المقابلة له ، فتحايل عليه جان بردى الغزالى حتى أخذه بفتة وقتله وحز رأسه هو وابن الحرفوش ، وأرسل رءوسهما إلى ابن عثمان وهو بحلب ، فمد ذلك من جملة

سعد ابن عثمان ، ولولا تحيّل الغزالي على ابن الحنش وقتله بحيلة صعدت من يده لما قدر على قتل ابن الحنش أبدا ، وقد عجزت عن ذلك سلاطين مصر والأمراء .

- ٣ وفيه أشيع أن الخندكار سليم شاه لما توجه إلى حلب أرسل سيدي ابن السلطان الغورى إلى إسطنبول من هناك ، وأرسل حبيته آخرين من أمرائه يحتفظون به إلى أن يدخل إلى إسطنبول . وأرسل الخواجا يونس المادلى حجة ابن السلطان الغورى إلى إسطنبول . - وأشيع أن الخندكار لما دخل إلى حلب أقام بها مدة وحصّن سورها وأبراجها وأبوابها ، وعمر فيها ما يحتاج إليه من العمارة ، وقتل من أهل حارة بان قوسه جماعة من شرار أهلها ، وقيل وزّع على جماعة من أعيان حلب (١٣١ آ) مالا له صورة وعمل فيهم البطييط ، فلما بلغه أن شاه إسماعيل الصوفى يقصد أن يزحف على البلاد الحلبية أخذ يتلافى خواطر أهل حلب ، ورفع عنهم ما أحدثه عليهم من المظالم . وقد تقدّم القول على أن ابن عثمان لما كان مقبلا بدمشق طرقتة قُصّاد الصوفى على حين غفلة من طريق غير الطريق السالكة ، وهى طريق عسرة قليلة السالك يقال لها الحلوية بالقرب من تدمر ، فاشمر ابن عثمان إلا وهم بين يديه ، فقال لهم : لم لا أتيتوا من الطريق السالكة ؟ فقالوا له : إن شاه إسماعيل أرسل إليك عدّة قُصّاد ونوّابك الذين فى البلاد يقتلونهم ، فقال لنا توجهوا من هذه الطريق . ثم قدّموا إليه مطالعة الصوفى ، فأشيع أن من مضمونها أنه أرسل يترقق له فى المطالعة ، ونعته فيها بأنعام عظيمة ، وبأنك ملكت البلاد والعباد وملكك مصر وصرت خادم الحرمين الشريفين ، وأنت الآن إسكندر عسكر الماضى بيننا ما يُعاد ، ففتوجه أنت إلى بلادك وأوجه أنا إلى بلادى ونصون دماء المسلمين بيننا ، ومهما كان قصدك فعلته لك . فلما وقف الخندكار على مطالعة الصوفى ، قال لوزرائه : إن هذه الهدية التى أرسلها إلىّ وهذا الكلام الذى فى المطالعة كله حيل وخداع ، حتى يثنى عزمى عن ملاقاته ويترقى على حين غفلة كما فعلته قُصّاده . فقيل إنه أخذ الهدية التى أرسلها وقتل القُصّاد وما أبقي

(٦-٥) وأرسل ... إسطنبول : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش .

(١٥) الذين : الذى . (٢٠) هذه : هذا .

منهم سوى كبيرهم ، فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم :

وإن من يستنصح الأعادى يردّونه بالنش والفسادى

٣ ثم إن ابن عثمان لما وردت قصّاد الصوفى وهو بالشام ، رحل عنها وتوجّه إلى حلب ، وأخذ فى أسباب تحصينها كما تقدم .

وفى جادى الأولى كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع القضاة إلى القلعة وهنّوا

٦ ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى يوم الأربعاء ثانيه توفيت زوجة الأمير قايتباى الدوادار ، وهى سرّية الملك الأشرف طومان باى التى تدعى نال باى ، فلما ماتت دفنت فى حوش مدرسة السلطان النورى . - وفى يوم الخميس ثالثه قدم

٩ القاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان (١٣١ ب) نائب كاتب السرّ ، وكان توجّه إلى مكة المشرفة من البحر الملح صحبة مصلح الدين خازندار ابن عثمان ، فسبقه مصلح الدين وتأخّر بمده مدة ثم حضر . فلما حضر طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء ، فأخلع

١٢ عليه قفطان مخمل أحمر مذهبا ، ونزل من القلعة فى موكب حفل ، وقدّامه علّاي الدين ابن الإمام كاتب السرّ وأعيان المباشرين من أرباب الوظائف ، وركب قدّامه نقيب الجيش الشرفى يونس وجماعة من الأمراء العثمانية ومن الأمراء الجراكسة ، فزيّنت له حارته بالبندقانيين ووقدوا له بها الشموع على الدكاكين ، وتخلّقت جماعته بالزعفران ،

١٥ وكان ذلك اليوم مشهودا فى القصف والفرجة . - وفيه رسم ملك الأمراء بالإفراج عن ما بأيدي أولاد الناس والنساء من المربعات التى كانوا أوقفوهم من أول السنة ولم تمسّها المباثرون ، فحصل لأولاد الناس الضرر الشامل بسبب ذلك ، وعملت المباثرون فى هذه الحركة بجملة مال له صورة ، ومشّوا للناس الإفراج عن رزقهم وعن أقاطيمهم ونفعوا الناس غاية النفع ، ولم يشعر ملك الأمراء بشيء من ذلك .

٢١ وفيه وقعت حادثة شنيعة ، وهو أن شخصا من العوام ، كان أصله مؤذّنا فدخل إلى بعض النيطان وقطع عيسدان خيار شنب ووضمهم فى قفّة ، فقبض عليه الخولى وحصل بينهما تشاجر ، فأغلظ عليه الخولى فى القول ، فتشأتا وخرجا من القول للفعل ، فقبض عليه الخولى وأتى به إلى بيت الوالى وقصّ عليه أمره ، فطلع به الوالى وعرضه

٣ على ملك الأمراء وهو حامل القفّة التي فيها الخيار الشنبر ، فلما علم ملك الأمراء بذلك ، وكان ملك الأمراء حرج على بيع الخيار الشنبر وصار يشتريه على ذمته ويتجر فيه .
ثم إن ملك الأمراء رسم للوالى بشنق ذلك الرجل الذى سرق الخيار الشنبر ، فأشهره الوالى فى القاهرة وعلق القفّة التي فيها الخيار الشنبر فى رقبته ، وشقّ به من القاهرة حتى (١٣٢ آ) أتى به إلى القنطرة الجديدة التي بزقاق الكحل فشنقه هناك ، وأقام ثلاثة أيام وهو مصلوب لم دفن ، وراح الرجل ظلما على بعض عيدان خيار شنبر ما يساواوا أربعة أنصاف ، فتأسف عليه الناس كيف راح ظلما على شيء ما يستحق هذا كله ، وكان له أولاد وأمّ وزوجة . وكان ملك الأمراء خاير بك ييات يسكر بطول الليل ويصبح فى خبال السكر يحكم بين الناس بما يقتضيه عقله ، ولم يظهر العدل فى محاكماته قط منذ ولى على مصر .

١٢ وفى يوم الثلاثاء خامس عشره ، فى تلك الليلة خسف جرم القمر وأقام فى الخسوف ثمانية وأربعين درجة . - وفيه نفق ملك الأمراء الجامكية على الأمراء الطبلخانات وعلى الأمراء العشرات وعلى المالك الجراكسة ، فأعطى الأمراء الطبلخانات لكل واحد منهم أربعين ديناراً ، وأعطى الأمراء العشرات لكل واحد منهم خمسة وعشرين ديناراً ، كما نفق عليهم فى الشهر الماضى ، ونفق على المالك لكل واحد منهم ألفين على المادة ، ونفق لأولاد الناس ممن نزل اسمه فى الديوان ، فنفق على المسكر جامكية شهرين كانت منكسرة لهم فى الديوان ، من غير لحوم ولا عقيق . - وفى يوم السبت تاسع عشره توفيت والدته الشهابى أحمد بن الجيمان ، وكان لها جنازة حفلة . - وفى يوم الأحد عشرينه وقعت حادثة مهولة ، وهو أن ملك الأمراء خاير بك كان عيّن جماعة من الأنكشارية والأصبهانية بأن يسافروا إلى الخندكار بحلب بحجة مُصلح الدين ، فلما قصد مُصلح الدين السفر هربت الأنكشارية والأصبهانية تلك الليلة ، وكسروا أبواب القلعة ونزلوا منها على حمية ، وتوجهوا إلى مصر العتيقة فنزلوا فى المراكب الكبار ،

(١٤) التى : الذى . (٧) مايساواوا : كذا فى الأصل .

(٢١) الأنكشارية : الأنكشاره .

ثم أخذوا جماعة من النواتية وسافروا في المراكب وقصدوا أن يتوجهوا إلى جهة الصعيد .

- ٣ فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أرسل يقول للأمير قايتباي الدوادار : اخرج في هذه الساعة وسافر خلف الأنكشارية ، وكل من ظفرت به منهم اقله . فصلّى الأمير قايتباي صلاة الصبح وركب وخرج على حمية ، وصحبته الأمير جانم الحزاوي (١٣٢ ب) والأمير على العثماني ، وجماعة كثيرة من المالك الجراكسة ، وجماعة من العساكر العثمانية ، فعدّوا إلى برّ الجزيرة ، فأقاموا فيه ذلك اليوم حتى تكامل العسكر هناك ، وخرجوا أفواجا أفواجا ، فرجّت لهم القاهرة في ذلك اليوم ، وكثر القال والقليل بين الناس بسبب ذلك ، واضطربت أحوال العثمانية في بعضهم ، وصاروا فرقتين ، ٩ فرقة مع ملك الأمراء ، وفرقة منهم عليه . ثم إن الأمير قايتباي رحل من الجزيرة هو والعسكر وتوجّه إلى نحو الميمون بالقرب من جزيرة بني عدى ، فتلاقوا هناك مع الأنكشارية والأصبهانية الذين هربوا هناك . ثم إن الزيني بركات بن موسى المحتسب ، ١٢ رسم له ملك الأمراء خاير بك بأن يتوجّه إلى مصر العتيقة ويمسك مراكب ويرسل فيها زوادة للأمراء والعسكر الذي توجّه إلى الميمون ، فأوسق عدّة مراكب فيها زوادة ما بين بسماط وجين حالم وعسل وسمن وأرز وغير ذلك من الزوادة ، وأرسل ١٥ ذلك إلى العسكر .

- ثم في يوم الأربعاء ثالث عشر ربه وردت الأخبار بأن الأمير قايتباي الدوادار قد انتصر على الأنكشارية والأصبهانية الذين هربوا ، فلما تلاقوا معهم عند جزيرة ١٨ بني عدى ، فتصدّى إلى قتالهم الأمير جانم الحزاوي والأمير على العثماني ، فحاصروا الأنكشارية في المراكب ورموا عليهم بالمدافع والبندق الرصاص ففرقوا مرابكهم ، فطلبوا الأمان من الأمير على والأمير جانم ، وقد أرمى غالبهم نفسه في البحر ففرق ، ٢١ وقبضوا على الباقيين وأسروهم ، فحزّوا رؤوس جماعة منهم ، فكانوا نحو ستة وثلاثين رأسا ، وأسروا الباقيين بالحياة ، ولم تفترض المالك الجراكسة إلى قتالهم . ثم إن

الأمير قايتباى أرسل تلك الرؤوس والأسرى إلى ملك الأمراء خاير بك في مراكب،
فلما طلبوا بهم علقوهم على مدارى كما كان فعلوا برؤوس المالك الجراكسة ، والمجازاة
من جنس العمل . فلما طلبوا بهم إلى القلعة قصد ملك الأمراء أن يعلق تلك الرؤوس ٣
على أبواب المدينة ، فشق ذلك على بقية العثمانية ومنعوا ملك الأمراء من ذلك . وأما
بقية الأنكشارية الذين أسروا بالحياة [فقد] قطعوا رؤوسهم أجمعين ، فقبل كان عدة
٦ (١٣٣ آ) الأنكشارية والأصبهانية الذين قتلوا والذين غرقوا والذين هربوا نحو مائة
وخمسين إنسانا عن ما قيل . - ومن المعجائب أن التراكة كانت في العام الماضى
يقتلون المالك الجراكسة ، فما عن قريب حتى صارت المالك الجراكسة تقتل التراكة ،
٩ إن في الليل والنهار عجائب ، وقد ورد في بعض الأخبار : لا تكبروها الفتن فإن فيها
حصاد النافقين ، وقد قيل في المعنى :

لا تكبروها الحرب إن فيه حصاد نذل مع الخبيث

١٢ فستربح ومستراح منه كما جاء في الحديث

وفيه خرج مُصلح الدين خازندار ابن عثمان ، الذى قدم من مكة ، فتوجه إلى
الريديانية وقصد السفر إلى الخندكار ابن عثمان ، وقد أشيع أن ابن عثمان كان قد أرسل
١٥ خلفه ، فلما أقام بالريديانية نزل إليه ملك الأمراء ووادعه ، ثم رجع ودخل من باب
النصر وشق من القاهرة في موكب حفل ، وارتفعت له الأصوات من الناس بالدعاء ،
واستمر على ذلك حتى طلع إلى القلعة . ثم إن مُصلح الدين أقام بالريديانية أياما
١٨ وعاد إلى القاهرة ، فأشيع أن كان سبب ذلك أن قاصد صاحب اليمن قد وصل إلى
الطور . وصحبته مقدمة حافلة إلى السلطان سليم شاه بن عثمان ، فلما بلغ ذلك إلى ملك
الأمراء خاير بك أرسل استرد مُصلح الدين إلى القاهرة حتى يدخل قاصد صاحب
٢١ اليمن ، ويأخذه صحبته مع المقدمة ويعضى إلى الخندكار ، فهذا كان سبب رجوع
مُصلح الدين إلى القاهرة .

- وفيه رسم ملك الأمراء لقضاة القضاة بأن يتوجهوا إلى مقام الإمام الشافعى رضى الله عنه ويقرأوا هناك ختمة ، ويدعوا إلى الله تعالى بالنصر إلى السلطان سليم شاه ، بالنصر على إسماعيل الصوفى ، فتوجهوا قضاة القضاة إلى مقام الإمام الشافعى وقرأوا ٣ هناك ختمة ، وفرقوا أجزاء الربة على الحاضرين فقرأوا فى أجزاء الربة عشر مرار هذؤ ، وأهدوا ثواب ذلك إلى السلطان سليم شاه ، ودعوا له بالنصر على الصوفى . - وفى يوم السبت سادس عشرينه حضر الأمير قايتباى الدوادار والأمير جانم الحزاوى ٦ والأمير على بك العثمانى ، وكانوا توجهوا إلى اليمون بسبب محاربة الأنكشارية الذين هربوا كما تقدم ، (١٣٣ ب) فلما انتصروا عليهم وقتلهم رجعوا وطمعوا إلى القلعة ، فأخلع عليهم ملك الأمراء ونزلوا إلى دورهم . ٩
- وفيه حضر إلى القاهرة الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين ، وكان لما ظهر أرسل الخندكار طلبه وهو بحلب ، فتوجه إليه هو والأمير قانصوه العادلى والأمير تمر باى العادلى ، وأقام عنده مدة ثم رسم له بالعود إلى القاهرة . وكان أشيع بين ١٢ الناس أن ابن عثمان قرّره فى الأتابكية بمصر ، فلما حضر لم يظهر لهذه الإشاعة نتيجة واستمرّ بطالا مقبلا بداره . ولما حضر حضر بصحبته الأمير شاد بك نائب المهندار والأمير جانم الطويل أحد الأمراء العشرات ، وكان أشيع موتهما بمرج دابق ، ١٥ فظهر أنهما فى قيد الحياة وحضرا إلى مصر . - وفى أواخر هذا الشهر كثرت الإشاعات بأن عربان السوالم قد حضر منهم ما لا يحصى عددهم ، وقد تصدّوا إلى محاربة أولاد بقر ، وأظهروا غاية الفساد بالشرقية . ١٨
- وفى جمادى الآخرة كان مستهلّ الشهر يوم الخميس ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهتّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى يوم الخميس ثامن رسم ملك ٢١ الأمراء بقراءة ثمان ختمات : واحدة فى مقام الإمام الشافعى ، وواحدة فى مقام الإمام الليث رضى الله عنهما ، وواحدة فى مقام السيّدة نفيسة رضى الله عنها ، وواحدة فى مقام الشيخ عمر بن الفارض رحمة الله عليه ، وواحدة فى مقام أبى الحسن الدينورى ،
- (٥) هدؤ ، أى للاهداء . (٨) الذين : الذى . (٩) فأخلع : أخلع .

- وواحدة في مقام الشيخ أبي الخير الكلّيباني رحمه الله ، وواحدة في المقياس ،
 وواحدة في جامع الأزهر ، ورسم بأن يهدوا ثواب ذلك إلى السلطان سليم شاه
 ابن عثمان ، فإنه قد خرج إلى ملاقاته إسماعيل الصوفي . - وفيه قدم رسول صاحب اليمن ٣
 وعلى يده مقدمة حفلة إلى السلطان سليم شاه ابن عثمان ، واستمر القاصد مقبلا بالقاهرة
 إلى أن سافر صحبة مصلح الدين كاسياتي الكلام على ذلك . - وفي يوم الأحد حادى
 عشر هذا الشهر طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ، وأخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ٦
 ستة أذرع وعشرة أصابع ، أنقص عن (١٣٤ آ) السنة الخالية بذراعين وستة
 أصابع ، وكانت القاعدة في السنة الخالية ثمانية أذرع وستة عشر أصبعا .
 ٩ وفي يوم السبت سابع عشره طرقت ملك الأمراء أخبار رديّة ، بأن عربان السوالم
 قد طفشوا حتى وصلوا إلى بركة الحاج ، ووصل أوائلهم إلى المطرية ، فلما بلغ ملك الأمراء
 ذلك تنكّد وأرسل إلى الأمير قايتباي الدوادار يقول له : أخرج في هذه الساعة واطرد
 ١٢ العربان . فخرج من يومه هو والمالّيك الجراكسة وجماعة من العثمانية ورماة من
 الأنكشارية ، فرجّت لهم القاهرة في ذلك اليوم ، وخرجوا وهم سائقون إلى بركة
 الحاج . فقبل حصل بين الترك والعرب معركة يسيرة ، قتل فيها جماعة من العرب ،
 ١٥ وأسروا منهم اثنين ، وحزّوا رءوس أربعة منهم ، ثم رجعوا الأتراك بعد المغرب
 وقد وقفت خيولهم وشيء منهم تفرقع من المعطش وما قاسوا خيرا ، فهربت العرب
 من وجوههم وصعدوا إلى الجبل . ثم رسم ملك الأمراء بشنق ذلك الشخصين الذى
 ١٨ قبضوا عليهما من العرب ، فشنقوا على باب قنطرة الحاجب ، وعلقوا عليه تلك الرءوس
 التى حزّوهم من العرب . وقيل جرح من الأتراك جماعة ، وردّوا بغير طائل من العربان .
 وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه وقعت حادثة شنيعة ، وهو أن شخصا يقال له
 ٢١ حسين ، وكان طشتدارا عند الأمير نوروز أحد الأمراء المقدّمين ، ثم بقى في طشتخانه
 السلطان الغورى ، وهو رجل شيخ مسنّ ، زعم أنه رأى النّبي صلّى الله عليه وسلم
 في المنام ، وقال له : امض إلى سليم شاه بن عثمان ، وقُلْ له يرجع إلى بلاده ويكفّ القتال
 (١٩) التى : الذى . (٢١) طشتدارا : طشتدارا . || طشتخانه : طشتخانه . (٢٣) امض : امضى .

- عن المسلمين بسبب إسماعيل الصوفي . وادّعى أن ابن عثمان دفع إليه مالا له صورة فلم يقبله منه ، ثم أتى ذلك الرجل إلى ملك الأمراء خاير بك وقصّ عليه تلك الرؤيا ، فهاون خاير بك بكلامه ، ثم إن ذلك الرجل قال لخاير بك : ارجع عن مظالم العباد ، ٣ وأنت وهؤلاء المباشرين خربتوا مصر بظلمكم . ثم سبّ المباشرين بمحضرة خاير بك سبّا قبيحا ، وقال لبركات بن موسى المحتسب : أنت لو حججت في هذه السنة ما يقبلك النبي صلى الله عليه وسلم . فلما تزايد في القول حنق منه ملك الأمراء وأمر ٦ بضرب عنقه ، فضرب عنقه في الميدان . وقيل إن ذلك الرجل تكلم بكلام كثير ، وأظهر أنه كُشف له عن أمور تأتي (١٣٤ ب) في أواخر هذه السنة من الأحوال ، فإن كان صادقا فيما ادّعاء من هذه الأخبار التي ذكرها فسوف تقع ويظهر صلاحه ٩ من كذبه . - وفيه أشهر ملك الأمراء النادرة في القاهرة بأن لا أحدا من الحجاج يسافر من البحر الملح ، ولا يرسل له أحالا من البحر ، وموجب ذلك فساد العربان في الطرقات وتمتث الفرنج في سواحل البحر الملح . ١٢
- وفي يوم الخميس ثاني عشرينه خرج مُصلح الدين خازندار ابن عثمان وتوجه إلى نحو الريدانية وقصد السفر إلى الخندكار ابن عثمان ، فخرج وقت صلاة الصبح وصحبته الأمير قايتباي الدوادر وأعيان المباشرين والأمراء العثمانية ، فكان له موكب حفل . ١٥ ثم خرج بعده مقدمة حافلة أرسلها ملك الأمراء خاير بك إلى الخندكار ابن عثمان ، هو وولده سليمان بك الذي بإسطنبول ، فكان ما اشتملت عليه تلك المقدمة ، فكان بها من الخيول أربعون فرسا خاصات عليها عبي قلمي ، يسحبها أربعون فرسا من ١٨ الأكاديش ، وجمالها اثنان وعشرون جملا محملة قاشا محزومة ، قيل ضمنها تفاصيل سكندري وأبراد منزلاوى وقاش فارسكوري ، وغير ذلك من شاشات وأزر ومقاطع خمسيني وخام رفيع وغير ذلك ، ومن جمالها أربعة وستون جملا محملة سكرا ضمن ٢١ صناديق جريد بأغشية لباد أبيض ، قيل جملة ذلك أربعمئة قطار ، وقيل إن ملك الأمراء كرّر السكر ثانيا وجعل فيه المسك والعنبر الخام . ومن جملة المقدمة أحوال ٢٤ محملة مصفرا وحنة وغير ذلك ، ومن جملة المقدمة أحوال شقافد ضمنها صراطيين

- أشربة مرييات . وأشيع أن ملك الأمراء أرسل إلى الخندكار ابن عثمان أحمالا عليها مال من خراج مصر عن سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، لم يعلم ما قدر ذلك . فلما مضت مقدمة ملك الأمراء طلع في عقيب ذلك مقدمة صاحب اليمن ، وهي مقدمة حفلة تشتمل على شاشات وأزر وتحف ولؤلؤ ومعادن وفصوص وطواشية وغير ذلك . فلما مضت مقدمة صاحب اليمن طلعت مقدمة الأمير على بن عمر متولى جهات الصعيد ، وهي مقدمة (١٣٥ آ) حفلة ، منها مائتا قنطار سكر ورقيق ما بين عبيد وجوار وخيل وجمال ، وغير ذلك أشياء حافلة تصلح للملوك . - وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه رحل مُصلح الدين من الريدانية وتوجه إلى الخانكاه ، وأشيع أن لما كان مُصلح الدين بالريدانية سُرِق من تحت رأسه بقجة قاش وفيها مبلغ له صورة .
- وفي يوم الجمعة المذكور طرق ملك الأمراء أخبار ردية بأن حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة ، الذى كان سببا لمسك السلطان طومان باى ، بأنه قد أظهر العصيان وخرج عن الطاعة والتفّ عليه قبائل عربان البحيرة وغيرها . فلما تحقّق ملك الأمراء صحة هذه الأخبار نزل إلى الميدان قبل صلاة الجمعة وعرض المالك الجراكسة والعسكر العثماني ، فكتب من الفريقين نحو خمسمائة إنسان ما بين أنكشارية ورماة ، وعيّن صحبتهم عشر عجلات يكونوا قدّام العسكر ، وعيّن الأمير قايتباى الدوادار باش المالك الجراكسة وعيّن أدير آخوره باش العثمانية . - وفي هذه الأيام اضطربت أحوال ملك الأمراء جدا ، وقد بلغه أن العربان قد طردوا إسماعيل ابن أخى الجولى عن أرض البساط وملكوه منه ، واضطربت أحوال الغربية إلى الغاية ، واضطربت أيضا أحوال الشرقية بسبب عربان السوالم وعبد الدايم بن بقر وإخوته ، واضطربت أيضا أحوال جهات الصعيد بسبب أولاد ابن عمر مشايخ عربان الصعيد ، وقد ضاعت مصالح المسلمين بينهم ، وخربت من الشرقية والغربية عدة بلاد ، وظهر الفساد والفتن برا وبحرا ، والأمر لله تعالى .

وفي يوم السبت رابع عشرينه أرسل حسن بن مرعى أخاه شكر يطلب الأمان

- لنفسه من ملك الأمراء ، فأرسل إليه ملك الأمراء مندبل الأمان وصورة حلف على يد القاضي نجر الدين بن عوض ، وأرسل إليه قفطان حرير (١٣٥ ب) مخملا ، وأخلع على شخص من أقارب حسن بن مرعى الذى جاء يطلب له الأمان من ملك الأمراء . ٣
- وفى يوم الأحد خامس عشرينه خرجت التجريدة التى كانت تعيّنت إلى حسن بن مرعى ، وكان باش المسكر أمير آخور ملك الأمراء ، وصحبته جماعة من العثمانية ما بين أنكشارية ورماة بالبندق الرصاص ، وخرج صحبة المسكر تلك العجلات التى عيّنت لهم فكان عدتها ثمان عجلات ، وخرج طائفة من المماليك الجراكسة وتوجهوا إلى البحيرة وصحبهم الأمان والخلمة إلى حسن بن مرعى .
- وفى هذا الشهر قدمت الأخبار من مكة بأن عدة مراكب بها إفرنج يتعبدون فى البحر المالح ويقطعون الطريق على المسافرين من التجار ، وأرسل السيد الشريف بركات مطالعة إلى ملك الأمراء بأن يرسل إليه تجريدة بسرعة وقد خشى على بندر جدة أن لا يطرقة الفرنج على حين غفلة ويعلكونه من المسلمين . - وفى يوم الثلاثاء ١٢
- سابع عشرين جمادى الآخرة نزل ملك الأمراء إلى الميدان الذى تحت القلعة ، وعرض المسكر وعين منهم جماعة يسافرون إلى جدة بسبب حفظ البندر ، فلما عرض المسكر كتب منهم جماعة ما بين ممالك جراكسة وأولاد ناس ومفاربة وغير ذلك ، فكان مجموع ما كتب من المسكر فى ذلك اليوم نحو مائتين وخمسين إنسانا ، ونفق فى ذلك اليوم على طائفة المفاربة البحارة على حكم ما كان ينفق عليهم السلطان النورى ، فنزلوا من القلعة وشرعوا فى أسباب عمل يرقهم إلى السفر ، وأما بقية المسكر لم ينفق عليهم ١٨
- شيئا ، وقد تصبر حتى يرد عليه من مكة خبر آخر فى أمر الفرنج يعتمد عليه .
- وفى شهر رجب كان مستهل الشهر يوم الجمعة ، فطلع القضاء وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، وعادوا إلى دورهم . - وفى يوم (١٣٦ آ) الاثنين رابسه حضر جاني بك ٢١
- دوادار الأمير قايتباى الدوادار والأمير يخشبای قرا الذى كان شاد الشون والقاضى عبد الفتاح وآخرون من المباشرين ، وكانوا هؤلاء توجهوا إلى نحو الشرقية بسبب

أنهم مسحوا جهات الشرقية قاطبة وميزوا الشراق من الرى ، ومسحوا الإقطاعات
والرزق ، وعملوا بالباع والذراع فى الشرقية ، وجاروا على المقطعين فى المساحة . ثم
انتقلوا من الرزق والإقطاعات إلى جهات الأوقاف فمسحوها ، وصاروا ينزلون على ٣
البلاد ويفردون عليها الأموال ويضمون الفلاحين فى الحديد بمسد الضرب المؤلم ،
ويقررون على كل بلد بحسب ما يختارونه من الأموال ، فحبوا من الشرقية فى هذه الحركة
فوق المائة ألف دينار ، وخرب فى هذه الحركة غالب بلاد الشرقية ورحلوا منها ٦
الفلاحين ، وكان هذا من أكبر أسباب الفساد فى حق الناس . فتمت هذه الحادثة
أصحاب الأوقاف والرزق من الرجال والنساء حتى الأراذل والأيتام والمستحقين ،
وقد تعطلت الأوقاف بسبب ذلك . وكان هذا كله بواسطة ملك الأمراء خاير بك ٩
فإنه كان سببا لذلك ، فمعد هذا من جملة مساوئه فى حق أهل مصر ، وحصل فى هذه
الحركة غاية النفع للباشيرين الذين تكلموا فى أمر هذه المساحة بالشرقية ، والأمر لله .
وفى يوم الاثنين حادى عشره أشهر المنادة فى القاهرة ملك الأمراء بأن المالك ١٢
الجراكسة لا يلبسون زموطا ولا يمشون بقباقيب فى الأسواق ، ولا يجلسون على
المصاطب فى الحارات ولا على أبواب الجوامع ، وكان ملك الأمراء سامح لهم فى الأول
عن ذلك ، ثم ضيق عليهم ومنعهم من هذه الأفعال فيما بعد . - وفى يوم السبت ١٥
سادس عشره رسم ملك الأمراء بشنق شخص عجمى فشنق على باب زويلة ، وكان
هذا الشخص تاجرا فى سعة من المال ، فلما حضر من بلاد الشرق ومعه متجر بمال
له جرم ، فطمع ملك الأمراء فى ماله ، وزعم أنه جاسوس من عند شاه إسماعيل ١٨
الصوفى حضر ليكشف عن أخبار مصر وأحوالها ويطالع الصوفى بذلك ، (١٣٦ ب)
فشنته ظلما واحتاط على جميع أمواله ، وجعل له ذنبا بأنه جاء من عند الصوفى
جاسوسا . ٢١

وفى يوم الأربعاء عشرينه حضر شيخ العرب شكر أخو حسن بن مرعى شيخ
جهات البحيرة ، فحضر محبة القاضى نجر الدين بن عوض ، وقد تقدم القول بأن ملك

الأمراء كان أرسل له مندبيل الأمان على يد ابن عوض ، فأطاع وحضر وطلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء ، فأخلع عليه قفطان حرير ونزل من القلعة وتوجه ليحضر أخاه حسن بن مرعى ، فتوجه إلى نحو قايوب وصحبته القاضي بركات المحتسب ليحضر ٣ حسن بن مرعى ، وأرسل له ملك الأمراء مندبيل الأمان على يد القاضي بركات المحتسب . ثم في أثناء ذلك اليوم حضر حسن بن مرعى ودخل القاهرة وعلى رأسه مندبيل الأمان ، وصحبته جماعة من العثمانية وأمير آخور ملك الأمراء والربيعي بركات المحتسب وغفر ٦ الدين بن عوض وجماعة كثيرة من المريان ، فشق من القاهرة ومندبيل الأمان على رأسه . فلما طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء أخلع عليه قفطان مخمل مزهرا ونزل من القلعة في موكب حفل ، وكان أشيع أن ملك الأمراء سيقبض عايه فإنه وقع في ذنب ٩ عظيم ، وسبب ذلك أنه كان مسجوناً بالقلعة من حين قبض عليه الخندكار وسجنه بالقلعة ، فتسحب من هناك ليلا وهرب ، واستمر في عصيان وهماج مدة طويلة ، وكثر القال والقليل بسببه ، والتفت عليه جماعة كثيرة من عربان القرية ، فلما طلع وقابل ١٢ ملك الأمراء وأخلع عليه بطلت تلك الإشاعات التي كانت تشاع بين الناس بسبب عصيانه .

وفي يوم الاثنين خامس عشرين شهر رجب ، فيه كانت وفاة صاحبنا الشيخ بدر الدين ١٥ محمد بن محمد الزيتوني الموفى رحمة الله عليه وكان أحد نواب السادة الشافعية ، وكان فاضلا عازفا بصنعة القضاء والتوقيع ، ماهرا في الخطب ، وكان فكه المحاضرة كثير المشرة للناس ، وكان علامة في فن الأزجال ، وكان ينظم السبعة فنون وهي الشعر ١٨ والذويت والمواليا والموشحات والأزجال وكان وكان والقوما ، وكان له شعر جيد ، ونظم أرجوزة في الفقه مفيدة للحفاظ وشرحها شرحا على الأوضاع مفيدا (١٣٧ آ) في معناه ، ومن شعره الرقيق قوله ملفزا في اسم حمزه :

٢١

ياسائل عن اسم من خدوده كالمنمدم
في خدّه وثفره وفي قوادى الفرم

وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وذلك في شهر شعبان في سادسه ، فكان مدة حياته أربعا وتسعين سنة إلا أياما ، ولما مات حضر قضاة القضاة الأربعة وصلّوا عليه ، وكان له جنازة حافلة ، ودُفن بحوش تربة الصوفة رحمه الله تعالى ، ولما توفى الشيخ بدر الدين الزيتوني رثاه ولده القاضي بدر الدين عم بهذه القطعة الزجل اللطيف ، وهو قوله فيه :

- | | | |
|----|--------------------------------|------------------------------------|
| ٦ | يحقّ أن أرتى لموت والدى | كان أفصح النُظام وعقلو رجيح |
| | في درج الأكماف للقيام اندرج | واجب على فقدو بعزى أصبح |
| | كان والدى في فن الأزجال تقصدو | حُفاظ مصر والكل ييه يمتنون |
| ٩ | وفي جميع الملم ما لو نظير | فقيه مدرّس في جميع الفنون |
| | يدرى الأصول والنحو معرب خطيب | ومنطقي في الصرف عاقل مصون |
| | جا الموت خذو وأصبحت بين الورا | فريد وجمع الناس بحزنى تبيع |
| ١٢ | ويندبو همى عليه بالفراق | وما جرى من جفن عيني القريج |
| | قوما بنا جمع الموالى والصحاب | رثى الذى قد كان وكان في الدهور |
| | زين الوجود ما لو مثيل في الورا | عارف بفن الشعر والكل زور |
| ١٥ | أصحابنا زيدوا النواح والنحيب | على أديب يدري أصول البحور |
| | مثلوا أحد يحسن زجل في الأنام | ولا موشح لو وذو بيت صحيح |
| | والفرق ظاهر مثل صبح الدجا | ما بين قاضى الكل والزمر ديج (١٣٧ب) |
| ١٨ | كان في الأدب ناظم ونائر فصيح | وقد حوى جملة محاسن ملاح |
| | إن قلت في التحرير حريرى النظام | بل سيدو لما تعدّ الفصاح |
| | أو عنتر العيسى نهار المجال | أو نشر حاتم طىّ عند السفاح |
| ٢١ | وما لشتاخ رقتو في البديع | وقيس ما ينقاس بنطقو الفصيح |
| | وساير الحفاظ ترام لديه | ما يقتدوا إلا بقولو الصحيح |
| | يا من روى الأخبار كان والدى | مختص بالآداب وكان لى مفيد |
| ٢٤ | إذا اخترتو صبت نطقو صواب | وإذا استشرتو كل رأيو رشيد |

- مفتاح لباب الرزق للضيق فرج
مختار لفعل الخير بشير الفرج
ياقوتيا الخطّ وبجوهر أتي
كان آخر النظام وبحر المعلوم
وثقلدان مع راح وريحان وروح
كيف لا نحرك للفرح ساكني
ومشتكى حزني وروضى الترب
والروح والريحان وما قد عدم
بمدو على الدوم قد ألفت النواح
وأصبحت مما نوح سفيني غريق
يا ربّ هبني صبر أيوب عليه
قلبي من أجلو صار بحزني كلم
ونا غريق محروق بنار الخليل
قد نظم الجوهر بتأليف كتاب
وقد شرح لو شرح واضح مفيد
وقال ذخيرة لي ليوم النشور
دار النعيم فيها مقيم لم يزل
والحور والولدان وما يشتهي
ونا ابن زيتوني عريق النسب
اجبر بلطفك كسر قلبي الحزين
واعطف عليّ بمحوّ الورا
مدح المعجّد للخلائق شفا
ونا أريد أمدح محمد عسى
- ٢ وجهو سرور كعبو مبارك سميد
٣ مرشد ومحسن كل ما فيه مليح
٤ فرقو صباح زاهر ووجهو صبيح
٥ وروض تزيه زاهر بديع الصفات
٦ جمع ضريحو ذى الماني الشتات
٧ وأبكي عليه طول الحيا للمات
والنقل والراح الذي لي يريح
٨ من الوجود موجود بذاك الضريح
٩ والحزن عن يعقوب أخذت التحيب
والدمع طوفان ما طفا لي لهيب
١٠ وارسل إليه رحمه بطه الحبيب
١١ والدمع لو في صحن خدي مسيح
وشبه إسماعيل بحزنو ذبيح (١٣٨ آ)
١٢ حاوى علوم الفقه سهل البيان
١٣ وصار لو بيه تذكار بطول الزمان
أسكنه ربّي في فسيح الجنان
١٤ ما بين أشجار وكوثر يسبح
١٥ من الفواكه مع مقام فسيح
١٦ ياربّ الأرباب يا لطيف يا خير
١٧ يا جابر العظم الرميم الكسير
١٨ وما تمسّر فاجملو لي يسير
١٩ بيه يهتدى قلبي وبو أستريح
٢٠ يطنى لهيبي واهتدى بالديح

- ٣ صلوأ على المختار حبيب الإله من أرسلو الله للخلائق شفيح
يوم القيامة والخلائق زمر يأتوا لآدم يقول ما أستطيع
أشفع ولا الأنبياء أجمعين إلا محمد يُجيئو السميع
أشفع تشفع في أمتك يسمع الـ مولى ويفر كل ذنب قبيح
ويدخلوا الجنة كذا قد ورد عن النبي مُسند حديث صحيح
- ٦ انتهى ذلك . - وفي هذا الشهر توقف النيل وسلسل في الزيادة وصار يزيد كل
يوم أصبع وتارة أصبعين ، وقد مضى من مسرى عشرة أيام ولم يصل النيل إلى عشرة
أذرع ، فاضطربت أحوال الناس في تلك الأيام وتشحطت الفلال وبلغ سعر البطة
٩ الدقيق اثني عشر نصفاً ، فعند ذلك رسم ملك الأمراء للوالى بأن ينزل ويكبس الروضة ،
فزل هو وجماعة من الأمراء العثمانية وكبس الروضة ، وفك الخيام التي كانت بها ،
وأشهر المناداة هناك بأن أحدا لا يتجاهر بالمعاصي ، ولا يجمع جموعاً ، ولا ينصب
١٢ خيمة على شاطئ البحر ، ومن يفعل ذلك شنق على باب داره من غير معاودة في ذلك
فأنكف الناس عن التجاهر بالمعاصي في الروضة ، (١٣٨ ب) فزل في ذلك اليوم
غالب الناس من الروضة .
- ١٥ وفي شهر شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الأحد ، فطلع القضاة الأربعة وهتوا
ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الاثنين تاسع الشهر كانت وفاة
الشيخ الصالح القطب العارف بالله تعالى الزاهد الناسك الوارع الشيخ محي الدين
١٨ عبد القادر بن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين حسن ابن الشيخ الصالح
العارف بالله تعالى شرف الدين موسى الدشوطي رحمة الله عليهم أجمعين ، وكان الشيخ
عبد القادر شافعي المذهب ، مجذوباً واعياً ، وكان مكشوف الرأس دائماً بشمرة في
٢١ رأسه ، وعلى لحيه جبة خشنة دائماً ، وكان سواحلاً يتخذ له مسكناً ولا زوجة ولا
ولداً ولا عيالاً ، وكان يفتدي بالقرايش والزعر دائماً ، ولا يأكل الطعام واللحم إلا

(١) أرسلو : أرسل . (٣) أجمعين : الجميع . (١٥) وفي : في .

(٢٠) مجذوباً واعياً : مجذوب واعى .

- قليلا ، وكان مهابا معظما عند الملوك والسلاطين وأعيان الناس ، وكانت رسالته عندهم لا تُرد ، وكان في أواخر عمره حصل له كفاف في عينيه واستمر على ذلك حتى مات ، وقد عاش من العمر نحو ثمان وثمانين سنة أو فوق ذلك . وكان محبا للناس ، وكانت ٣
- النذور التي تدخل عليه من عند الأكبر ينشئ بها جوامع بخطب ومساجد ، فله عدة مساجد وجوامع في أماكن شتى . ولما توفي ارتجت له القاهرة ، ونزل ملك الأمراء ٦
- من اقلعة وحضر الصلاة عليه ، وسنان باشا وبقية الأمراء العثمانية والأمير قايتباي الدوادار والقضاة الأربعة وأعيان الناس وأرباب الدولة ، وخرج نعشه من بيت المعلم حسن بن الصياد المهندس خارج باب الشعرية ، ورُفعت الأعلام على نعشه ، وحضر ٩
- أطفال المكاتب وعلى (١٣٩ آ) رؤوسها المصاحف ومشوا حول نعشه ، واستمر على ذلك حتى وصل إلى عند مدرسته التي أنشأها تجاه زاوية سيدى يحيى البلخى فدفن بها ، وكانت له جنازة حفلة رحمة الله عليه ، وكان بقية السلف من الأولياء .
- وفي هذا الشهر قبض ملك الأمراء على يوسف البدري الوزير وكاشف الغريبة ، ١٢
- ورسم عليه وعلى زوجته وعياله وغلماؤه وحاشيته ، وقرّر على يوسف البدري مالا له صورة ، وعلى زوجته وجماعته ، وتمادى أمره في المصادرة حتى ذهب ما يملكه جميعا من صامت وناطق ، حتى اتباع أثاث البيت من قطارميز وزلع حتى الحصر وغير ذلك ، ١٥
- واستمر في المصادرة شهرين وهما في الترسيم هو وزوجته وعياله ، وآخر الأمر أرسلوه إلى إسطنبول ، وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه . - وفيه نادى ملك الأمراء في القاهرة للمباشرين والعمال بأنهم لا يستخرجون من البلاد الشرقية والغربية عن سنة ١٨
- أربع وعشرين وتسماية شيئا إلا بمرسوم من عند ملك الأمراء ، فاضطربت أحوال المباشرين ، وكثر بينهم القال والقيل بسبب ذلك .
- وفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر شعبان ، الموافق لسابع عشرين مسرى وفي النيل ٢١
- المبارك الستة عشر ذراعا ، ولم يزد من الذراع السابع عشر شيئا ، فلم يُفتح السد في ذلك اليوم . - ثم في يوم السبت رابع عشر شهر شعبان أوفى النيل المبارك وزاد من

الذراع السابع عشر أصبما واحدا ، ففتح السدّ في ذلك اليوم ، فلما أوفى نزل ملك
 الأمراء وتوجّه إلى المقياس وخلق الممود ، ومدّ هناك مدّة حفلة وحضر الأمراء
 ٣ المنيّة ، ثم نزل في الحراقة وصحبته الأمراء المنيّة وتوجه إلى السدّ وفتحّه ، وكان
 يوما مشهودا ، وأوكب وهو طالع إلى القلعة موكبا حفلا . وكان وفاء النيل في هذه
 السنة على غير القياس ، فإنه كان نیلا شحيحا وسلسل في الزيادة وتوقف أياما ،
 ٦ واشتطت أسعار النلال جميعا ، ثم أوفى بعد ذلك ففرح به كل أحد من الناس ، فكان
 الأمر كما قاله الممار في المعنى : (١٣٩ ب) .

النيل وافى وزال الهَمّ وانفرجت عنا الهموم وهان القمح ثم رُمي
 ٩ وراح خزّانه للنيل ينظره فاستكثر الماء في عينيه ثم عمى
 ومن الحوادث في يوم وفاء النيل أن شخصا من المنيّة غرق في البحر ، وتنفّد
 ملك الأمراء في ذلك اليوم والمنيّة بسبب ذلك . - وفي يوم الثلاثاء سابع عشره
 ١٢ حضر قاصد من البحر من عند الخندكار ابن عثمان ، ولم يُعلم ما قد جاء فيه وما سبب
 مجيئه ، وكثر القول والقليل في ذلك ، ثم ظهر من بعد ذلك ما جاء بسببه ، وسنذكر
 ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . - وفي اليوم الموافق لثامن عشرين مسرى المقدم ذكره ،
 ١٥ فتح السدّ على العادة ، ولما فتح السدّ وجرى الماء في الخليجان لم تسكن البيوت التي
 في الجسر ولا التي في المسطاحي ولا حكر الشاي ، فشكى أصحاب الأملاك من ذلك
 إلى وإلى القاهرة ، فنادى للناس في الجسر بأن يسكنوا وعليهم أمان الله تعالى ، والذي
 ١٨ ما يسكن في بيته ولا يعمّره يضرب عليه ملك الأمراء رنكه ويصير ملكه ، فصار
 يكرر هذه المناداة للناس ثلاثة أيام متوالية فسكن في الجسر بعض بيوت ودخل بركة
 الرطلى بعض مراكب بيّاعين .

٢١ وأما الجزيرة الوسطى فإنها خربت عن آخرها ولم يبق منها غير الجُدُر ورسوم
 البيوت لا غير ، واتباع أصحاب الأملاك بيوتها أنقاضا ، وكان السلطان القورى سدّ

(١٤) إن شاء : إنشاء . (١٤-١٥) وفي اليوم ... العادة : كتبها المؤلف في الأصل

على الهامش . (١٥) الخليجان : الخليجان . أا التي : الذي .

- خليج الزبئية بحسر عند قنطرة موردة الجبس ، فتلاشى أمر الجزيرة الوسطى من يومئذ وخلت بيوتها من السكان ، وكانت من أجل مفترجات الديار المصرية ، وكان مبتدأ منشأها في دولة الأشرف أبنال سنة اثنتين وستين وثمانمائة ، ولا زالت تنشىء ٣ الناس فيها الأملاك الجليلة إلى سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، فتلاشى أمرها وخرت جملة واحدة لما دخل ابن عثمان إلى القاهرة وجرى منه ما جرى ونزل في برّ الجزيرة على رملة البحر ، فصار عسكره يخرب بيوت الجزيرة ويأخذ سقوفها وأبوابها ٦ وطبقاتها فخرت بالكلية (١٤٠ آ) من يومئذ ، وانقطع الرجاء من عمارتها ثانيا ، والأصل في ذلك أنها أسست على غير تقوى ، وكانت بقعة فسق وزنا فال أمرها إلى الخراب سريعا . - وفي يوم الاثنين ثالث عشرين هذا الشهر وافق ذلك اليوم يوم ٩ النوروز ، وهو أول سنة أربع وعشرين وتسعمائة القبطية ، فدخل النوروز والنيل في ستة عشر ذراعا ولم يدخل في الذراع السابع عشر ، وكان من مبتداه إلى منتهاه نيلا شحيحا . - وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه توفى سودون نائب دمياط كان ، وهو أحد ١٢ الأمراء المشرات ، مات بطالا .

- وفي شهر رمضان أهلّ يوم الاثنين ، فطلع القضاة الأربعة وهنّوا ملك الأمراء بالصوم ، ثم عادوا إلى دورهم . - ولما دخل شهر رمضان كانت الأسعار مشتتة في ١٥ سائر البضائع ، وقد تناهى سعر القمح إلى أشرفين كل أردب ، والبطّة الدقيق إلى أربعة عشر نصفا ، والسكر تناهى سعره إلى أربعة وعشرين أشرفيا كل قنطار ، والقطر النبات بخمسة أنصاف كل رطل ، والقطر المكرر بأربعة أنصاف كل رطل ، ١٨ والمسل النحل بثلاثة أنصاف كل رطل ، والمسل الأسود بنصفين كل رطل ، والسمن بثلاثة أنصاف كل رطل ، والزيت الطيب بثلاثة أنصاف كل رطل ، والزيت الحار بثمانية عشر كل رطل ، والسيرج بثلاثة أنصاف الرطل ، والجبن المقل بثلاثة ٢١ أنصاف كل رطل ، والجبن الحالوم بنصفين فضة كل رطل ، والجبن الأزرار الذى في مائه بنصف فضة كل رطل ، وتشحط اللحم الضأن واللحم البقرى حتى صار لا يوجد

إلا قليلا ، فاتباع اللحم الضانى بئانية عشر كل رطل ، والبقرى بئانية كل رطل ،
واتباع الحلوى المشبك من القادري بخمسة أنصاف كل رطل ، والنفوش بستة
أنصاف كل رطل ، وعمت هذه التشحيطة سائر الجبوبات حتى الخضر . وسبب ذلك ٣
أن الزينى بركات بن موسى المحتسب كان مشغولا بعمل يرق الحجاز ، وقد أهمل أمور
الحسبة ولم يلتفت إليها ، فجارت السوق على الناس فى تلك الأيام واضطربت أحوال
الناس جدا ، فدخل شهر رمضان على الناس وهم فى أمر مريب بسبب هذه التشحيطة ٦
التي وقعت فى تلك الأيام ، وكادت الناس أن تأكل بعضها بمضا .

وفى يوم السبت ثالث عشره جلس ملك الأمراء فى المقعد الذى بالحوش ،
(١٤٠ ب) فتكاثرت عليه المالك الجراكسة فى المقعد فخنق منهم ، فقال ٩
للأنكشارية الذين كانوا حوله بأن يضربوهم ويطردوهم من المقعد ، فلما سمعوا منه
ذلك ضربوا المالك الجراكسة بالمصى على وجوههم ضربا فاحشا ، فجاءت ضربة على
أكتاف جاني بك دوادار الأمير قايتباى الدوادار فارتجعت كتفه ، فحصل للممالك ١٢
الجراكسة فى ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة على أقبح وجه . ثم فى عقيب
ذلك طلع المالك الجراكسة إلى الميدان بسبب تفرقة الأطلاق ، فحضر القاضى شرف
الدين الصغير كاتب المالك وفرق الأطلاق ، فأعطى لجماعة من المالك فداناً ونصف ١٥
طين وشيء فداناً وشيء نصف فدان ، فتضررت المالك من ذلك وقالوا : إيش يكفانا
نصف فدان ؟ وشكوا من ذلك ، فسبهم القاضى شرف الدين كاتب المالك سباً قبيحاً ،
وقال لهم : يا كلاب يا زرايل أنتموا بقى لكم باب أوراس حتى تتكلموا إيش ؟ بيضنتوا ١٨
وجوهكم فى إيش حتى تستحقوا إطلاقات ؟ وبهدلهم غاية البهدة ، فزلوا من الميدان
على أقبح وجه ، وقد قلت من أبيات فى هذه المعنى :

لما تكبرت الجراكسة الذى ٢١
وأذاقهم ذل السؤال وفاقة ال
كانوا بمصر ذلهم رب الورى
أيدى وأدبهم بما قد أقهرا

وفى هذا الشهر وقع بين ملك الأمراء خاير بك وبين الأمير قايتباى ، وصار كلما

- طلع إليه بمقتته ، وكان عنده شخص من مشايخ عربان السوالم ، فأرسل إليه أنكشاريا أخذه من عنده ووضع في الحديد ، وصار بينهما حظ نفس في الباطن . -
- ٣ وفيه قدمت الأخبار من إسطنبول على يدى شخص من العثمانية ، وصار يفرق الكتب على عيال من توجه إلى إسطنبول ، فذكروا في كتبهم وفاة جماعة كثيرة من أهل مصر ممن توجه إلى إسطنبول لم يحضرني أسماؤم الآن ، وأشيع أن الخندكار لما رحل من حلب توجه إلى بلاد على الدولات فنزل بالعرش ، وأقام به مدة ثم رحل ٦ من هناك وتوجه إلى إسطنبول ، وهى القسطنطينية العظمى ، محل كرسى مملكة بنى عثمان ، فقيل (١٤١ آ) إن أمير المؤمنين محمد التوكل على الله لما بلنه بحج الخندكار ، خرج من إسطنبول ولما هو وأولاد عمه والعلای على بن الملك المؤيد أحمد ٩ وأولاد الأمراء الذين هناك والباشرون وأولاد الجيمان الذين هناك وأعيان الناس من أهل مصر الذين توجهوا إلى إسطنبول ، فلما وقعت عين الخليفة على ابن عثمان أراد أن ينزل له من على الفرس ، فحلف عليه الخندكار ومنعه من النزول إليه ، وقيل إنه ١٧ عظمه غاية التعظيم . وأما بقية أعيان أهل مصر الذين هناك فلم يلتفت إليهم لما خرجوا إليه ولما قوه ، هكذا أشيع بين الناس ، وكانوا يظنون أن الخندكار إذا دخل إلى إسطنبول يفرج عنهم ويرسم لهم بالعود إلى مصر ، فلم يخاطب منهم أحدا ولم يلتفت ١٥ إليهم . وأشيع أنه لما دخل إلى إسطنبول دخل في موكب حافل ، فأقام بها نحو ستة أيام ورحل عنها وتوجه إلى بلد من أعمال مملكته يقال لها أدرنة فأقام بها ، وسبب ذلك أنه لما دخل إلى إسطنبول وجد بها فناء عظيما ، وقد فتك بها الطاعون فتكا ذريعا ، ١٨ ومات بالطاعون من عسكره ما لا يحصى عدده ، وقيل مات من أهل مصر ممن توجه إلى إسطنبول نحو من ثمانين إنسانا ، منهم أعيان وغير أعيان ، ولكن لم أقف على حقيقة أسماء من توفى هناك من الأعيان ، وسيظهر فيما بعد من توفى هناك من الأعيان . ٢١ ومن المجائب أن أرباب النجوم والفلكة حكموا بأن سليم شاه بن عثمان لم يبق يدخل

(٣) العثمانية : عثمانية . (٥) أسماؤم : أسمايهم . (٧) العظمى . الطاء .

(١٠ و ١١) الذين : الذين . (١٢) حلف : حلف . (٢٢) لم يبق : كذا في الأصل .

إلى بلده إسطنبول ، وهي القسطنطينية ، فكذبهم الله تعالى فيما قالوه ، ودخلها وأقام بها أياما وبطلت أقوالهم الكاذبة ، فكان كما يقال :

لا ترقب النجم في أمر تحاوله فالله يفعل لا جدنى ولا حمل

مع السعادة ما للنجم من أثر فلا يضرك مريخ ولا زحل

وقيل بلغ الخندكار أن شاه إسماعيل الصوفى طرد عسكر ابن عثمان عن البلاد التى كان ملكها واستناب بها جماعة من العثمانية ، فطردهم الصوفى عن بلاده واستخلصها من أيديهم ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك (١٤١ ب) خرج من إسطنبول مسرعا وأقام بأدرنة حتى يرى ما يكون من أمر شاه إسماعيل الصوفى ، هكذا أشيع بين الناس ، والله أعلم بحقيقة ذلك . - وفى يوم الخميس ليلة الجمعة عشرين شهر رمضان صنع له الزينى بركات المحتسب مسامرة حفلة ، وركب معه جماعة من أعيان المباشرين ، فشقّ من القاهرة بمسد صلاة المشاء بأربمين درجة وقدامه أنكشارية وقواسة مشاة ، وفوانيس ومشاعل كثيرة ، فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وارتفعت له الأصوات من العوام بالدعاء ، وكانت من الليالى المشهودة ، وارتجت له القاهرة فى تلك الليلة ، وكان محببا للناس قاطبة .

وفيه وقع من الحوادث أن شخصا من العثمانية كان فى خان الخليلي ، فقبض على شخص من العوام وزعم أنه قد سرق من جيبه أربعة أنصاف ، فلما قبض عليه طلع به إلى ملك الأمراء ، فلما أوقفه بين يديه وقصّ عليه قصته وما فعله به فى خان الخليلي ، وأنه قبض على يده وهى فى جيبه ، وأخذ من جيبه وهو ماش أربعة أنصاف ، فلما سمع ملك الأمراء ذلك رسم للوالى بأن يقطع يده ، فقطع يده وعلقها فى رقبتة وأشهره فى القاهرة ، فتأسف الناس عليه كيف قطعت يده على أربعة أنصاف وقد راح ظلما . وقد تقدّم لملك الأمراء أنه شنق شخصا على عيدان خيار شنبّر سرقها من جنينة فى زقاق الكحل ، فشنقه على باب الجنينة وراح ظلما على عيدان خيار شنبّر . وكان ملك

الأمراء يصبح وهو مخمور ، فيحكم بين الناس بالمسف والظلم ما لا يسوغ الشرع في محاكماته ، وكان الغالب عليه الجهل وقلة الدين في أفعاله كلها .

- وفي يوم الخميس خامس عشر منه حضر شيخ العرب عبدالدايم بن بقر ، وكان ملك ٣
الأمراء أرسل إليه بمنديل الأمان وخلمة بأن يستقر في شياخة الشرقية ، فلما أن حضر
وقابل ملك الأمراء تقدم إليه والده شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر ومسك ابنه
عبدالدايم من طوقه بين يدي ملك الأمراء ، ثم التفت إلى ملك الأمراء وقال له : ٦
يا ملك الأمراء متى أطلقت هذا صار في ذمتك إلى يوم القيامة (١٤٢ آ) وأخرب
الشرقية عن آخرها . فتمصّب للأمير أحمد خير الدين بك نائب القلعة وقال لملك
الأمراء : إذا كان أبوه يشكى منه فكيف تطلقه أنت ؟ فساعده على ذلك سنان باشا ، ٩
فما وسع ملك الأمراء إلا أنه وضعه في الحديد وسلّمه إلى خير الدين نائب القلعة .
ثم إن ملك الأمراء قبض على جماعة عبدالدايم الذين كانوا حضروا صحبته قاطبة ،
فقبل كانوا نحواً من ثلاثين نفراً من أعيان العربان من جماعته ، ووضعهم في الحديد ١٢
وأرسلهم إلى السجن ، ثم أحضر قفطان حرير وأخلعه على الأمير بيبرس بن الأمير
أحمد بن بقر وقرّره في مشيخة الشرقية عوضاً عن عبدالدايم . وقد سرّ بمسك
عبدالدايم كل أحد من الناس ، فإنه كان من المفسدين في الأرض ووقع منه أمور ١٥
شنيعة من حين دخل ابن عثمان إلى مصر ، فقطع الطريق على القفول التي تأتي من الشام
وقتل التجار وأخذ أموالهم ، وقتل جماعة كثيرة من المالك الجراكسة الذين كانوا
قد طفشوا في البلاد وأخذ سلاحهم وخيولهم ، وقد فعل من هذه الأفعال القبيحة ١٨
ما لا يحصى عددها ، ووضع يديه على خراج بلاد الأوقاف واستخرجها ، وفعل من
هذا النمط أشياء كثيرة . ثم إن ملك الأمراء أرسل ضرب الحوطة على موجود
عبدالدايم من صامت وناطق ، حتى على سواقيه وزروعه ومواشيه وثيرانه وأبقاره ٢١
وغير ذلك ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا .

وفي يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان ثبت النيل المبارك على ستة أصابع

من تسعة عشر ذراعا وانهبط سريعا ، ولم يزد في بابه غير خمسة أيام ونقص ولم يزد في بابه شيئا ، وكان نيلا شحيحا من مبتداه إلى منتهاه . - وفي ذلك اليوم نزل ملك الأمراء وشقّ من القاهرة ، وقد بلغه أن قاصدا حضر من عند الخندكار ابن عثمان ٣ فنزل إلى ملتقاه . فلما شقّ القاهرة ضجت إليه العوام من قلة الخبز في الأسواق ، وانطلقت ألسن العوام في حقّ ملك الأمراء بالكلام الفجّ ، وقالوا له : انظر في أحوال المسلمين نور الله تعالى ، ألا (١٤٢ ب) يصير ذلك في ذمتك . فتتكدّ ملك الأمراء في ذلك اليوم إلى الغاية ، وكان صحبته الزيني بركات بن موسى المحتسب ، فقاسى في ذلك اليوم من ملك الأمراء ما لا خير فيه ، وقال له : قد غفلت عن أحوال الناس حتى صارت غلوة بمصر . ثم إن ملك الأمراء لما طلع إلى القلعة رسم بفتح شوتين وأن تفرّق على الطحّانين ففعل ذلك . ٩

ويوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان أرسل ملك الأمراء أمير علم إلى بيت الأمير قايتباي الدوا دار ، وقال له : قد رسم لك ملك الأمراء بأن تدقّ على بابك في هذه الليلة طبلخاناه وكوسات . فلما سمع ذلك الأمير قايتباي أرسل يقول لملك الأمراء : أدقّ الطبلخاناه على بابي دائما وآلا في هذه الليلة فقط ؟ فلما عاد هذا الجواب على ملك الأمراء قال : قل له في هذه الليلة فقط . فلما بلغ الأمير قايتباي ذلك لم يوافق على دقّ الطبلخاناه على بابه في هذه الليلة فقط وقال : أدقّ الطبلخاناه على بابي ليلة واحدة حتى تضحك على الناس . وامتنع من ذلك ولم يدقّ الطبلخاناه على بابه في تلك الليلة . وقد بطل أمر دقّ الطبلخاناه من على أبواب الأمراء من حين دخل ابن عثمان إلى مصر ، وحتى ولا ملك الأمراء كانت تدقّ له كوسات بالقلعة في مدة نيابته بمصر ، وقال : ما أمشى إلا على طريقة ابن عثمان . وقد قلت من أبيات : ١٢

لحقى على الكوسات كم دقت على باب بسعد أميره قد بشرا ٢١

وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الأربعاء ، فخرج ملك الأمراء وصلى صلاة العيد في جامع القلعة ، وخطب به قاضي القضاة كمال الدين الشافى . وانفضّ موكب العيد (١٩-٢٠) وحتى ... ابن عثمان : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

- كانه لم يكن ، ولم يخلع فيه ملك الأمراء على أحد من أرباب الوظائف ولاخمة ، حتى ولا على قضاة القضاة ، ولا على أحد من المباشرين ، ولا على الأمير قايتباى الدوا دار ، وبطل ما كان يعمل فى يوم العيد من تلك المواكب الجليلة والخلع والثمرات والتشريف السنية ، وبطلت تلك الطرز اليلبغاوى العراض والقوقانيات الحرير الأخضر ، وبطل أشياء كثيرة كانت من شعار الملكة . ووقع لى فى الرثية التى قلتها فيما جرى فى مصر ، وقد قلت فيها (١٤٣ آ) من أبيات فى معنى ذلك ، وهو قولى :
- لحقى على أعياد مصر كيف قد بطلت تشاريفها ومثمرا
وكذا الكنايش التى قد زُحرفت كانت تُشدّ خيولها عند السرى
وكذا السروج المفرقات بلمعها كانت كبرق أو كليل أقرأ
زالت محاسن مصر من أشياء قد كانت بها تزهو على كل القرى
- ثم نزل الزينى بركات بن موسى من القلعة فى موكب حفل وقدامه الملاية ، والمشاعل بالقوطة الزركش عليها ، والأنكشارية بالنفوط قدامه والقواسة قدامه مشاة ، فشقّ من القاهرة فى ذلك الموكب . - وفى يوم الخميس ثانى شوال طلع أعيان جماعة من المباشرين إلى القلعة على جارى العادة ، فلما تكاملوا أخرج إليهم ملك الأمراء مرسوم الخندكار ابن عثمان بأنه أرسل هذا المرسوم على يد صوباشى من العثمانية الذى تقدم ذكر حضوره من البحر الملح ، فكان من مضمون ذلك المرسوم أنه أرسل يطلب خمسة من المباشرين يتوجهون إلى إسطنبول وهم : العلاى على ناظر الخاص والشرقى يونس النابلسى الأستاذ دار والقاضى بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب الرجوع والقاضى نغز الدين بن عوض والقاضى أبو البقا ناظر الاسطبل ، وأرسل يطلب الأمير يوسف البدرى الوزير الذى كان كاشف الغريبة ، وأرسل يطلب الشرقى يونس نقيب الجيش ، فلما تحققوا ذلك اضطربت أحوالهم ورسموا عليهم بالقلعة وقالوا لهم : اكتبوا وصاياكم ويوم الجمعة تسافروا من البحر .

ثم فى ذلك اليوم أخلع ملك الأمراء على القاضى شهاب الدين بن الجيمان

- واستقرّ به في كتابة السرّ عوضاً عن علای الدين ناظر الخاص ، وأُخلع على القاضي شرف الدين الصغير واستقرّ به في كتابة المالك على عادته ومتحدّثاً في جهات الغربية ، وأُخلع على القاضي شرف الدين بن عوض أخى نغر الدين واستقرّ به في نظر كتابة الخزانة ومتحدّثاً في جهات الشرقية ، وأُخلع على القاضي بركات بن موسى وقرّره في الحسبة على عادته وجعله متحدّثاً على الأستاذارية عوضاً عن يونس النابلسي ، وأُشرك معه الشرفي يونس أستاذار ملك الأمراء ، وأُخلع على القاضي أبى بكر بن (١٤٣ ب) الملكي وقرّره على عادته مستوفى ديوان الجيش ، وأُخلع على يوسف ابن نقيب الجيش واستقرّ به في نقابة الجيش عوضاً عن أبيه ، فأُخلع على هؤلاء الجماعة في يوم واحد ، ونزلوا من القلعة وعليهم القفطانات الحرير .
- وفي يوم السبت رابع شوال نزل ملك الأمراء من القلعة وسيّر نحو بركة الحاج ، وصحبته الأمير قايتباي الدوادار وسنان باشاه وفاق بك وجماعة من الأمراء العثمانية وجماعة من المالك الجراكسة ، فلما وصل إلى سبيل علان ساقوا من هناك قدامه الركابة بالخيول الجنايب وساقوا معهم خيول الأمراء ، فسبق فرس الأمير قايتباي الدوادار فرس سنان باشاه ، وقيل إن هذه عادة عند العثمانية أن في أيام العيد يخرج الخندكار ويسير في الفضاء ويسوقون قدامه بالخيول فمن سبق فرسه ينعم عليه الخندكار بمائة دينار ، والذي فرسه تقصّر عن السباق ينعم عليه ببطيخة ، وهذا من أنواع المجانة ، فانشرح ملك الأمراء في ذلك اليوم إلى الغاية . - وفيه قبض ملك الأمراء على الخواجا شهاب الدين أحمد بن أبى بكر السكندري ووضعه في الحديد وقرّر عليه مალأ له صورة ، وأشيع أن الخندكار أرسل يطلبه إلى إسطنبول ، فاضطربت أحواله بسبب ذلك إلى الغاية . - وفيه أُخلع على محيى الدين بن يوسف بن أبى أصبع وقرّر على عادته أستاذار الذخيرة الشريفة .

وفي يوم الجمعة عاشر شوال حضر القاضي شرف الدين الصغير كاتب المالك إلى نحو الميدان ، وعرض جماعة من أولاد الناس ومن المالك ، وكتب منهم جماعة بأن

يتوجهوا إلى عقبة أيلة ويقيموا بها كما كان يُفعل ذلك في أيام السلطان النورى ،
وعين منهم جماعة يقيمون بالأزمن ، فكتب منهم في ذلك اليوم نحو ستين إنسانا
أو فوق ذلك، فحصل لأولاد الناس بسبب ذلك غاية الضرر لأجل قلة العليق ، وكانت ٣
القاهرة في تلك الأيام في غاية الانشحات من قلة العليق وعدم الجمال بسبب خروج
الحجاج . - وفي يوم السبت حادى عشره نزل ملك الأمراء وجلس بالميدان ، وعُرض
(١٤٤ آ) عليه كسوة السكبة الشريفة ومقام إبراهيم والحمل وشقوا بهم من القاهرة، ٦
وكان ذلك اليوم مشهودا .

وفي يوم الأحد ثانى عشره أشيع أن ملك الأمراء أفرج عن القاضى نور الدين
على الفيوم الحنفى ، وكان له مدّة وهو فى الترسيم بالقلة بسبب مكتوب ثبت عليه ، ٩
وكان غير محمود السيرة فى أفعاله وجرت له وقائع كثيرة . - وفى يوم الاثنين
ثالث عشره نفق ملك الأمراء على المسكر الذى تمّين للعقبة والأزمن ، فأعطى لكل
واحد منهم جامكية ثلاثة أشهر معجّلا وهى عبارة عن ستة آلاف درهم ، وقيل رتب ١٢
لكل واحد منهم فى كل يوم رطلين بقسماط تصرف لهم فى العقبة ، ورسم لهم بأن
يجوا مع الحجاج إذا حضروا إلى القاهرة . وسبب توجّه هذا المسكر إلى هناك لأجل
حفظ ودائع الحجاج وملاقاتهم التى تتوجّه لهم من مصر ، فإن الربان تزايد فسادهم ١٥
فى حق الحجاج ، وأرسلوا يطلبون لهم نجدة عند عودهم إلى مصر . - وفى يوم الأربعاء
خامس عشره رسم ملك الأمراء بشنق عشرة أنفار من جماعة عبد الدايم بن بقر ،
فإنهم كانوا من المفسدين فى الأرض ، فشُنقوا وعُلّقوا فى أماكن شتى من القاهرة ، ١٨
فشيء فى قنطرة الحاجب ، وشيء فى رأس الحسنية ، وشيء فى باب النصر ،
وقد وسّطوا منهم جماعة وشنقوا منهم جماعة وشيء خوزقوم .

وفى يوم الجمعة سابع عشر شوال أنزلوا من القلة جماعة من الباشيرين ممن كان ٢١
فى الترسيم ، وقد تقدّم القول على أنهم يتوجهون بهم إلى إسطنبول ، فأنزلهم

(١) يتوجهوا : يتجهون . // وقيموا : وقيمون . (١٦) يطلبون : يطلبوا .

(٢٢) يتجهون : يتوجهوا .

- من القلعة بعد صلاة الصبح ، ومنهم من هو راكب على بغلة ومنهم من هو راكب على حمار ، فشقوا بهم من الصليبية وتوجهوا بهم إلى بولاق ، وحولهم جماعة من الأنكشارية مشاة بالسيوف في أوساطهم ، والصوباشى الذى هو متسفر عليهم راكب قدامهم ، فكثر عليهم الأسف والحزن والبكاء من الناس ، فكان عدتهم سبعة أنفس وهم : القاضى علاى الدين بن الإمام ناظر الخاص والشرقى يونس النابلسى الأستاذار والقاضى بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب الممالك والقاضى نغر الدين ابن عوض والقاضى أبو البقا ناظر الاسطبل ومستوفى ديوان الخاص والشرقى يونس نقيب الجيش والأمير يوسف البدرى وزير الديار المصرية (١٤٤ ب) وكاشف القرية ومحتسب القاهرة المعزية ، وكان من أعيان الرؤساء بالديار المصرية وأصله من ممالك الأمير يشبك من مهدى الدوادار وقدمه للأشرف قايتباى ، ولازال يرقى حتى رأى من العز والمظلة غاية الملا وجرى عليه بمد ذلك شذائد ومنا وآخر الأمر نقي إلى إسطنبول .
- ١٢ فلما وصلوا هؤلاء إلى بولاق نزلوا بقصر ناظر الخاص الذى هناك حتى تنهى أشغالهم . فحصل لنساء القاضى أبى البقا والقاضى بركات كاتب الرجى على أزواجهن غاية الحزن فقاموا نعيمهم ودقوا عليهم بالطارات ، وكذلك زوجة يوسف البدرى وبقية المباشرين ، وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث التى لم يقع قط مثلها فيما مضى من الزمان . فاستمروا بقصر ناظر الخاص ببولاق إلى يوم الاثنين عشرين شوال ، فزلوا فى المراكب فتوجهوا إلى نهر الإسكندرية . وكان هؤلاء المباشرين لما صفا لهم الوقت طاشوا وصاروا هم الملوك بمصر ، يتصرفون فى أمور المملكة بما يختارونه ، ليس على يدهم يد ، واستغفروا فى اللذات وانكفوا على شرب الخمر وسماع الزمور ولم يتفكروا فى عواقب الأمور ، فاستمروا على ذلك حتى طرقتهم هذه الطوارق الردية وأحاطت بهم كل رزية ، فكان كما يقال فى المعنى :
- ٢١ من يرتشف صفو الزمان يُفنى يوما بالكدر

ثم فى عقب ذلك سافر إلى إسطنبول الناصرى محمد بن الأوزة لاعب الشطرنج

ورفيقه الشهابى أحمد الإسكندرانى ، وقيل إن الخندكار سليم شاه أرسل بطلبهما إلى إسطنبول على لسان الخوجا يونس العادلى ، وأرسل لهما مبلغا له صورة بسبب كلفة السفر وعمل الزوادة . ويقال إن جماعة من المباشرين الذين توجهوا إلى إسطنبول سألوا ٣ ملك الأمراء بأن يعطوه مالا له صورة ويعفيهم من السفر إلى إسطنبول ، فما يقدر على ذلك .

- ٦ وفى يوم السبت ثامن عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل عظيم ، وكان أمير ركب المحمل الزينى بركات بن موسى المحتسب ، فخرج بطلب حفل ، فكان ما اشتمل عليه الطلب خمسة عشر نوبة من الهجن وعليهم أكوار ما بين غمل ملون وجوخ أصفر ، وبه بعض جنائب بيركستوانات فولاذ وبالطبول ، وعفتين ٩ جوخ لنسائه وثلاث خزائن على العادة ، وكاشات (١٤٥ آ) على العادة ، وتختين كما هى عادة الأطلاب ، وطلبلين وزمرين ، وعلى رأسه صنجق عثمانى حرير أحمر .
- ١٢ وركب محبته جماعة من المباشرين الذين تأخروا بمصر ، وهم : الشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى شرف الدين الصنير كاتب الماليك والقاضى تقي الدين أبو بكر بن اللسكى والقاضى عبد العظيم الصيرفى وآخرون من المباشرين ، وكان قدّامه أنكشارية مشاة وقواسة نحو مائتى إنسان . فلما شقّ من القاهرة دعوا له العوام وانطلقت له النساء ١٥ بالزغاريت من الطيقان ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فلمج الناس بأن ذلك سيكون هو آخر سمد . وخرج فى هذه السنة حجّاج كثيرة وغالبهم فلاحون وريّافة . وأشيع أن العرب مفتنة فى الطريق وأن الفلاء موجود معهم من حين خرجوا من مصر ، ١٨ وكذلك الملق كان مشحوتا . فلما خرج الحاج وقف جماعة من أولاد الناس والماليك الذين عيّنوا إلى العقبة إلى ملك الأمراء وشكوا له من عدم الجبال وأنها ما توجد ، فرسم بإبطال جماعة منهم نحو ثلاثين إنسانا ، وكانوا الذين تعيّنوا فى الأول نحو ستين ٢١ إنسانا أوفوق ذلك . وأشيع أن أرباب الأدراك من العربان وقفوا إلى القاضى بركات ابن موسى بسبب عاداتهم من العرر ، فطفش فيهم ونهرم وسبهم فخرجوا من عنده

على غير رضا . وقيل إن ناظر الخاص لما حجّ في السنة الخالية أنعم على العربان وأرباب الأدراك بألف جوخة ، حتى رجع بالحاج وهو سالم وبيض وجهه عند الناس .

٣ وفي شهر ذي القعدة كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فلما تكامل المجلس وقع تشاجر بين قاضي القضاة المالكي محي الدين بمحيي ابن الدميري وبين قاضي القضاة نور الدين علي الطرابلسي الحنفي ، فتفاوض الكلام بينهما حتى خرجا في ذلك عن الحدّ بسبب وقف الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير ، فإنه أشرط في وقفه بالنظر والتكلم للأمير تغرى بردى الأستاذار ، وأنه يُدخل من شاء ويُخرج من شاء من المستحقين ، فاستمرّ على ذلك حتى توفى الأمير تغرى بردى فسعت ابنة يشبك الدوادار من عند قاضي القضاة عبد البرّ بن الشحنة في إبطال ما كان شرطه والدها للأمير تغرى بردى ، ويجعل لها النظر على ذلك والتحدث على وقف والدها وحكم بنفسه في ذلك ، وقد ساعدها (١٤٥ ب) السلطان الغوري ، فلما ثبت ذلك على القاضي عبد البرّ وحكم به وأبطل ما كان شرطه الأمير يشبك لتغرى بردى ، فلما توفى قاضي القضاة عبد البرّ وتوفيت ابنة يشبك ، فسعى جماعة من معاتيق الأمير يشبك الدوادار من عند قاضي القضاة الحنفي نور الدين الطرابلسي فنقض ما كان حكمه به قاضي القضاة عبد البرّ وحكم بما أشرطه الأمير يشبك الدوادار لتغرى بردى ، وحكم بصحته وتبع في ذلك شرط الواقف .

فلما جرى ذلك عزّ على بقية القضاة ذلك كونه نقض حكم قاضي القضاة عبد البرّ ، فحضر في ذلك اليوم شخص من أولاد عبد البرّ وقال لقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي : أنتقض حكم شيخ الإسلام عبد البرّ وأنت من بمض طلبته ؟ وساعده قضاة القضاة على ذلك وحطّ عليه ملك الأمراء خير بك ، وكان المجلس كله عليه ، فما وسمه في ذلك المجلس إلا أنه قال : رجعت عن حكمي وأبقيت حكم قاضي القضاة عبد البرّ على ما كان عليه . فشهدوا عليه في ذلك المجلس بإبطال ما كان حكمه به ، فعدّ ذلك ناقصة عظيمة في حقّ قاضي القضاة نور الدين الطرابلسي ، ولاموه الناس

على سرعة نقضه لحكمه في الحال ، فمُد ذلك من النوادر الغريبة في شناعتها ، وصارت الوحشة عمالة بين قاضي القضاة المالكي والحنفي في الباطن ، فنزل قاضي القضاة الحنفى من القلعة في ذلك اليوم وهو في غاية التعفّيش . - وفي عقيب ذلك عزل قاضي ٣ القضاة الشافى كمال الدين الطويل نوابه أجمعين ، ولم يبق منهم سوى أربعة أنفس لا غير ، فاستمرّوا على ذلك مدة ثم إنه فوّض لبعض جماعة من أعيان نوابه ممن اختاره . ٦

وفي مستهل هذا الشهر أخلع ملك الأمراء على القاضي عبد العظيم الصيرفي وقرّره في نظر الحسبة الشريفة نائباً عن الزينى بركات بن موسى إلى أن يحضر من الحجاز ، فلما ولى القاضي عبد العظيم أمر الحسبة أظهر النتيجة العظمى في انحطاط سائر الأسعار ٩ في البضائع ، بعد ما كانت قد اشتطت الأسعار في تلك الأيام وصارت غلوة كبيرة بمصر ، واضطربت أحوال الناس وارتفع الخبز من الأسواق وغلقت الطواحين وارتجّت بسبب ذلك القاهرة ، وكان عقيب خروج الحجاج وسفر المحتسب ، فجارت ١٢ السوق على الناس في سمر البضائع . فلما ولى القاضي (١٤٦ آ) عبد العظيم صار يطوف القاهرة في كل يوم ثلاث مرار ، وشرع يضرب الطحّانين والخبّازين ضرباً مبرحاً ويشهرهم في القاهرة ، وكذلك السوق والزبّاتين وصار يوعدهم بالشنق والخورقة ١٥ حتى انحطت أسعار البضائع قليلاً وسكن ذلك الاضطراب الذى كان بمصر . ثم رسم للجبّانين والسماكين بأن يلقوا بالسرج الطرى دائماً ، وكتب قسائم على المصريين أن لا يصنموا الزيت الحلو أبداً ، ثم نادى في القاهرة بتسمير اللحم الضانى والبقرى والجبن ١٨ القلى والجبن الأبيض وسائر البضائع جميعها ، ثم سمر الدقيق وجمل كل بطة بثلاثة عشر نصفاً ، وكانت البطة الدقيق حصلت إلى ستة عشر نصفاً كل بطة ، فنفع الناس غاية النفع بعد ما صار بمصر غلوة شديدة ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء من الناس ٢١ قاطبة . ثم أحضر القزّازين والتجار وعمل معدّتهم في بيع الفزل والمقاطع الخلام وسائر

(٧) الصيرفي : الصيرفي . (٩) العظمى : الضياء . (١٢) وسفر : وسافر .
(١٥) وكذلك : وكذلك . (١٨) والجبن : وجبن . (٢٠) حصلت : وحصلت .

القماش الأبيض قاطبة ، فهابته التجار والسوقة ودخل في الحسبة دخولا مهولا وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة .

- ٣ وفيه توفى الأمير ماماي أمير آخور ثاني كان ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وأصله من ممالك الأمير قاني باي قرا أمير آخور كبير ، وكان موته فجأة على حين غفلة . وقيل إنه كان في صحبة مع العثمانة ، فوقع بينهما تشاجر ، فضربه أحدهم ، فمات في ليلته قتيلا . - وفيه ثارت العثمانية على ملك الأمراء وقالوا له : زد في جوامكنا وإلا اعطنا دستورنا نرجع إلى بلادنا ، فإنا اشتقنا إلى أولادنا وعيالنا وإن في مصر غلاء ، وكل شيء غالى وهذه الجوامك ما تكفيننا . فأوعدهم أنه يرسل يشاور عليهم الخندكار وأمهلهم إلى شهرين ، وكان القائم في هذه الحركة جماعة الأصهبانية . - وفيه قدمت الأخبار من بلاد الصعيد بأن قد فشى الموت هناك في الأبقار والأغنام فمات منها ما لا يحصى عدده ، ووقع مثل ذلك بالشام وضواحيها ، ووقع مثل ذلك بمجعات الشرقية والغربية ، وزيادة على ذلك أن الدودة رعت البرسيم من أراضي الجيزة وغيرها من الأراضي التي زرعت بدرى ، ووقع أواخر هذه السنة تشحيطة عظيمة في سائر الغلال . - وفي يوم الأربعاء سادسه رسم ملك الأمراء بشنق ستة أنفار من جماعة عبد الدايم بن بقر ، فشنقوا في (١٤٦ ب) عدة أماكن .

- وفي يوم السبت تاسعه نودي في القاهرة بأن أحدا من الناس لا يصنع على الطرقات خيال ظل ولا مغاني عرهب ولا غير ذلك ، ولا ييطى بزفة عريس إلى بعد العشاء ، ولا يمشى في الأسواق من بعد العشاء ، وأن الأسواق تغلق من بعد المغرب ، وسبب ذلك أن العثمانة صاروا يشوشون على الناس في الليل ويخطفون المهائم والشدود ، ويخطفون النساء والمردان من الطرقات ليلا ونهارا ، وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل ، فصارت الدكاكين تغلق من بعد المغرب ، والأسواق تُقْفَر من قلة السالك بها ، وصار على الوجود خدمة . - وفيه قدمت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن الجماعة الذين توجهوا هناك من المبشرين لما زلوا في المراكب وسافروا في البحر الملح غابوا فيه

ثلاثة أيام ثم عادوا إلى ثغر رشيد ، وسبب ذلك أن في تلك الأيام نار ريح عظيم فردّ المراكب من حيث جاءوا ، فأقاموا في رشيد أياما حتى طاب الريح ثم سافروا وقصدوا التوجه إلى إسطنبول .

٣

وفيه أشيع أن القاضي بركت بن موسى المحتسب أرسل يطلب من ملك الأمراء تجريدة تلاقيه من الأزم من عند عود الحجّاج ، فإن العربان شوشوا على الحجّاج وأخذوا منهم جمالا محملة بما عليها من الأحمال ، وحصل منهم غاية الفساد في حق الحجّاج . فلما بلغ ملك الأمراء ذلك نزل إلى الميدان وعرض جماعة من المسكر وعين تجريدة تلاقى الحجّاج من الأزم ، فكتب جماعة من المسكر مابين ممالك جراكسة وجماعة من العثمانية وجماعة [من] أولاد الناس ، واستحثّهم في سرعة الخروج إلى الأزم .

٩

وفي يوم الاثنين خامس عشر ربيع نزل ملك الأمراء من القلعة بعد صلاة الصبح ، وعدّى إلى برّ الجزيرة وتوجّه إلى نحو شبرامنت وقناطر العشرة وذلك على سبيل التنزه ، فصنع له الشهابي أحمد بن الجيمان هناك مدّة حفلة ، وكذلك القاضي شرف الدين الصغير كاتب المالك ، وكان صحبته الأمير قايتباي الدوادار والأمير أرزمك الناشف وستان باشا وفايق بك ، وجماعة من الأمراء (١٤٧ آ) العثمانية ، وجماعة كثيرة من المالك الجراكسة ، فاستمرّ هناك إلى بعد العصر فركب وعدّى من برّ الجزيرة وطلع إلى القلعة . وأشيع أن كان بين ملك الأمراء وبين الأمير قايتباي الدوادار حظّ نفس في الباطن ، فعزم عليه هناك وزال ما كان بينهما من تلك الوحشة وطابت الخواطر منهما .

١٥

وفي يوم الجمعة سلخ الشهر خرج الأمير قايتباي الدوادار وسافر إلى نحو العباسية ، وسبب ذلك أنه غيب من المالك الجراكسة من خشداشينة لأجل تفرقة الأنحية ، فإنها كانت غالية ومشحونة ولا توجد .

٢١

وفي شهر ذي الحجة كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، وعادوا إلى دورهم . وفي يوم الخميس سادس الشهر خرج المسكر المعين إلى الأزم وكان باش هذه التجريدة شخصا يسمى إياس ،

نفرج في ذلك المسكر . - وفيه قدمت الأخبار من الصعيد بأن الأمير علي بن عمر خرج يغزو صاحب النوبة ، وأن الصعيد أحواله مضطربة .

٣ وفي يوم الجمعة سابه خرج الأمير جانم الحزاوي دوا دار ملك الأمراء وقصد التوجه إلى نحو البلاد الشامية ، وسبب ذلك أن ملك الأمراء أرسل على يده مقدمة حفلة إلى شخص من أمراء ابن عثمان يقال له برى باشا ، وكان من أعيان أمراء ابن عثمان ، وكان مقبياً على البيرة ، وقيل بحلب . فلما خرج الأمير جانم الحزاوي ووصل إلى المكراشا ، وردت عليه الأخبار من هناك بأن الأمير برى باشا الذي خرج بسببه قد توجه إلى نحو إسطنبول ، وقد تغلب عليه العسكر الذي كان على البيرة من الغلاء وشدة البرد فرجع إلى إسطنبول إلى أن يذهب الشتاء . فلما تحقق الأمير جانم رجوع الأمير برى باشا إلى إسطنبول أرسل يشاور ملك الأمراء أيرجى إلى مصر أو يسافر إلى حلب ، فرسم له ملك الأمراء بالعود إلى مصر ، فرجع من المكراشا وصحبته المقدمة التي عيّنت لبرى باشا . ١٢

ومن الحوادث (١٤٧ ب) أن ملك الأمراء رسم للوالى بأن ينادى في القاهرة بسد قناطر الخروبي ، الثلاث قناطر ، فوزعوا سد هذه القناطر على السكان الذين بيوتهم فوق السور ، وحصل للسكان الذين بيوتهم على السور غاية الضرر من مصروف المعارة على ذلك . وأشيع سد قناطر السباع أيضاً ، وقنطرة الموسيقى ، ولم يعلم ما القصد بذلك . وسدوا قناطر الخروبي الثلاث بالحجر الفص النحيت ، فعُد ذلك من النوادر الغريبة وكثر القال والقليل في ذلك . - وفي يوم الاثنين عاشره كان عيد النحر ، فلم يفرق ملك الأمراء على أحد أنحية ، لا من الأمراء ولا من العسكر ، وقطع ضحايا الفقهاء والباشرين ، حتى ضحايا الزوايا والمزارات التي في القرافة وغيرها ، وقال : أنا ما أمشي إلا على طريقة ابن عثمان في سائر أفعاله . فقطع سائر الأضحية التي كانت تفرق في الأعياد .

(٢) يغزو : يفتوح . (١٢ و ٢٠) التي : الذي . (١٤ و ١٥) الذين : الذي .

(١٥) السور : الصور . (١٨) والقليل : والقليل .

وفي أواخر هذا الشهر وقع بين ملك الأمراء وبين الأصهبانية من عسكر ابن عثمان ، وقالوا له : اعطنا دستوراً نساfer إلى بلادنا فإننا اشتقنا إلى أولادنا وعبائنا . فقال لهم : حتى أرسل أشاور الخندكار . فقالوا له : نحن لا نصبر حتى ترسل تشاوره . وأغلظوا ٣ على سنان باشاه في القول ، وقالوا له : هذا كله شغلك . فاتفق معهم ملك الأمراء إلى بمد مضى الشتاء يأذن لهم بالسفر والعود إلى بلادهم .

اتمعى ما أورده من أخبار سنة أربع وعشرين وتسعمائة ، وقد خرجت عن ٦ الناس على خير ، وكانت سنة كثيرة الحوادث ، ووقع فيها حوادث كثيرة ، منها خسة النيل ، ووقع الغلاء في سائر البضائع والغلال ، واستمرت هذه التشحيطة تزايد إلى أواخر السنة . ووقع فيها من الحوادث نفي المبشرين إلى إسطنبول ، ٩ وغير ذلك حوادث كثيرة وقد تقدم ذكرها .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وتسعمائة المباركة

فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم الاثنين ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة ١٢ وهنوا ملك الأمراء (١٤٨٨ آ) بالعام الجديد ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم مستهل الشهر أمطرت السماء مطراً غزيراً ، فتفاد الناس بأن ذلك العام يكون مباركاً خصباً . - وفي يوم الخميس رابع المحرم وصلت من ملك الأمراء نائب الشام جان بردى ١٥ الفزالي إلى ملك الأمراء خير بك تقدمه ليست بكبيرة أمر ، فأهدى إلى خير بك أربعة أرؤس خيل ، وثمانية شقاف تشتمل على قطار ميز ضمنها مخلات ، وفي بعض الشقاف كثرى وتفاح وسواقة . وأرسل إلى الأمير قايتباي الدوادار فرسا وأربعة ١٨ شقاف ، ومثل ذلك للأمير أرزمك الناشف ، والأمير جانم الحزاوى مثل ذلك ، ومثل ذلك إلى بعض الأمراء العثمانية ، فشكروا له ذلك . - وفي يوم الجمعة خامس المحرم حضر مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة لهم ، غير أن معهم الغلاء الشديد ٢١ وموت الجبال ، فوصل كرمى الجبل مائة وعشرين ديناراً ، وأن مكة مغلية غلاء شديداً ونزل غالب من كان بها من المجاورين بسبب الغلاء ، وأن المربان جائرة في الطرقات ، وكانت سنة صعبة شديدة على الحجاج . ٢٤

وفي يوم الأحد سابع المحرم قدمت الأخبار من قطيا بأن والى قطيا ، وهو شخص من الأتراك يقال له قان بردى ، وأصله من مماليك الظاهر قانصوه ، وقيل من مماليك السلطان النورى ، فأرسل إليه ملك الأمراء أنكشاريين يطالبونه بتمحصل مال قطيا ، فلم يمتطهم شيئا ، فأغلظوا عليه فى القول ، وقالوا له : نأخذك معنا فى الحديد إلى ملك الأمراء . فبطحهما إلى الأرض وضربهما بالقارح حتى أشرفا على الموت ، وقيل مات أحدهما من الضرب ، وقال لهما : امضوا إلى أستاذكما وقولوا له إيش ما طلع من يدك افعله . فحضر أحدهما وأخبر ملك الأمراء بذلك . فلما مضى من قطيا أخذ والى قطيا ماله وغلمانه وتوجه إلى عند جان بردى الغزالى نائب الشام ، وكان الغزالى فى غزة بسبب ملاقة الحاج ، وقيل كان عند والى قطيا جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة ، فلما توجه إلى الغزالى توجهوا معه إليه . فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أخلع على شخص من الأتراك وقرره فى (١٤٨ ب) ولاية قطيا عوضا عن قان بردى ، بحكم غيبته عن قطيا كما تقدم . ١٢

وفى يوم الأربعاء سابع عشره ركب عبد العظيم الصيرفى نائب المحتسب ونادى فى القاهرة ، بأن أرباب الدكاكين من السوقه يُبييضون دكاكينهم ويزخرفونها بالدهان ، ويبييضون آلات النحاس التى عندهم فى الدكاكين ، لأجل مجىء القاضى بركت بن موسى المحتسب من الحجاز . ١٥

وفى يوم الأربعاء المقدم ذكره وقعت حادثة مهولة ، وهو أن ملك الأمراء نزل من القلعة وتوجه إلى نحو بركة الحبش وعزم على وردبش دوادار نائب الشام الذى حضر مع التقدمة ، فصنع له هناك مدة حفلة ونصب له ملك الأمراء هناك سحابة ، وحضر عنده الأمير قايتباى الدوادار وجماعة من الأمراء الجراكسة ، وحضر جماعة من الأمراء العثمانية منهم سنان باشا وفايق بك وغير ذلك من العثمانية ، وحضر الأمير كمشبنا والى القاهرة وجماعة من المماليك الجراكسة ، فلما انقضى أمر المدة أحضر ملك الأمراء سفرة الشراب ، فلما دارت الكاسات عليهم وطلع (١٥٠) التى : التى . (١٨) وردبش : وردفش . || نائب الشام : سيباى نائب الشام . ١٨

- الخر في رءوسهم طفع ما كان في قلوبهم من الغدر ، فقال فايق بك لكشبنفا
الوالى : الجراكسة خاينين . وأجرى ذكر جان بردى الغزالي بما لا يليق ، فقال له
كشبنفا والى : الله يعلم من هو الذى خان منا نحن أو أنتوا ، وقد كتبوا أمانكم
في أوراق وفرقتوها على الأمراء ووضعوها على رءوسهم وطمعوا عليكم بالأمان ،
فندرتوهم وقتلتوهم ، فن خان نحن أم أنتوا ؟ ثم تزايد بينهما الكلام الفج حتى خرجا
في ذلك عن الحد ، فوثب فايق بك على كشبنفا والى بخنجر ليقته ، فجاءت الضربة
في قفطانة فأنحرق ، فوثب كشبنفا على فايق بك ليقته ، فحال بينهما بمض الحاضرين .
ثم ركب كشبنفا وركب جماعة من المالك الجراكسة وسلوا أسياهم ،
وركب فايق بك وجماعة من المانية وسلوا أسياهم وقصدوا الوثوب على
بعضهم ، وكادت أن تكون فتنة عظيمة تذهب فيها الأرواح . فتسكّد
ملك الأمراء لذلك (١٤٩ آ) وركب على الفور ، وحال بين الفريقين ونجّد هذه الفتنة
قليلا ، ورسم للمانية أن يمضوا من على طريق مصر العتيقة ، ومضى هو والمالك
الجراكسة والأمراء من على طريق القرافة ، واستمرّ على ذلك حتى طلع إلى القلعة من
الميدان ، فما رأى نفسه في القلعة وفي عينه قطرة وقد اضطربت أحواله وخاف أن هذه
الفتنة تتسع ، فقبل إنه حلف لا يشرب خرا في هذه السنة . واستمرت النفوس
معمّرة بالشرّ بين فايق بك وبين كشبنفا والى ، وهذه الحادثة أوّل حوادث سنة خمس
وعشرين وتسعمائة ، ثم إن ملك الأمراء بعد وقوع هذه الحركة انحجب عن الناس
ثلاثة أيام لم يظهر لأحد من الناس من شدة نكده مما قاساه في ذلك اليوم .
وفي يوم الاثنين ثانى عشرينه خرجت الخيمة المدوّرة إلى بركة الحاج بسبب
الملافاة ، فلما أقامت المدوّرة هناك يوما وليلة أشيع أنها رجعت إلى القاهرة ، وسبب
ذلك أن الزينى بركات بن موسى أرسل هجانا إلى ملك الأمراء وأخبره أن الحجاج
وصلوا إلى عين القصب ، وأنهم في غاية ما يكون من الأنكاد بسبب موت الجلال والفلاء
وفتنة العربان ، فتسكّد الناس لذلك ورجع من كان طلع إلى بركة الحجاج من الملايين .

- وفي يوم السبت سابع عشرينه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان ،
 وحضر صحبته الناصري محمد الحلبي مهندار ملك الأمراء ، الذي كان توجه صحبة
 ٣ التقدمة المقدم ذكرها التي أرسلها ملك الأمراء إلى ابن عثمان . وحضر قاصد الأمير
 على بن عمر شيخ عربان جهات الصعيد ، وكان قد توجه صحبة التقدمة التي
 أرسلها الأمير على بن عمر إلى ابن عثمان . فلما بلغ ملك الأمراء وصول القاصد إلى
 ٦ سرياقوس ، نزل من القلعة وتلافاه من عند تربة العادل التي بالمطرية ، (١٤٩ ب)
 وخرج صحبته الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة وأعيان المباشرين والعسكر العثماني ،
 والأنكشارية قدّامه مشاة يرمون بالنفوط ، فلما وصل إلى تربة العادل نزل وجلس
 ٩ على المصطبة التي هناك ، ثم حضر القاصد فأخرج قفطان مخمل تماسيح على أحمر أرسله
 إليه الخندكار ابن عثمان بالاستمرار على نياية مصر ، فلبسه ملك الأمراء وقبل الأرض
 مرارا ، وأرسل قفطانات تماسيح إلى سنان باشاه وإلى فايق بك وخير الدين نائب
 ١٢ القلعة ، وأرسل قفطان تماسيح إلى الأمير قايتباي الدوادار باستمراره في الدوادارية
 قلبسه . ثم ركب ملك الأمراء من هناك ودخل من باب النصر وشقّ القاهرة في
 موكب حفل ، ولافته قضاة القضاة الأربعة من باب النصر ، ثم مشى طائفة النصارى
 ١٥ قدّامه بالشموع ، وكان ذلك يوم السبت فلم تحضر طائفة اليهود في ذلك اليوم ،
 واستمرّ في ذلك الموكب حتى طلع إلى القلعة ، وكان ذلك اليوم مشهودا . فلما أقام
 القاصد أياما أشيع بين الناس أنه حضر يطلب طائفة الأصبهانية التي بمصر . وأشيع
 ١٨ أن الخندكار ابن عثمان أرسل مقدمة حفلة إلى الأمير على بن عمر شيخ عربان الصعيد ،
 وأرسل إليه قفطان تماسيح باستمراره على عادته ، ورسم بأن التقدمة والقفطان تتوجه
 إليه صحبة قاصده إلى الصعيد ، فتضاعفت عظمة الأمير على بن عمر بسبب ذلك .
 ٢١ وفي يوم الأحد ثامن عشرينه نزل الحاج بالبركة ، وحضر الحمل الشريف صحبة
 القاضي بركات بن موسى المحتسب أمير الحاج ، فتقدّى في بركة الحاج ، ثم توجه وبات

(١٩) باستمراره : بالاستمراره . (١٧ و ١٨) التي : التي .

(تاريخ ابن مياي ج ٥ - ١٩)

- في مدرسة السلطان النورى . فلما طلع النهار من يوم الاثنين تاسع عشرينه ركب من هناك وطلع إلى عند ملك الأمراء وقابله ، فأخلع عليه قفطان غمل أحمر مذهبا ونزل من عنده وشقّ القاهرة في موكب حفل ، وقدّامه (١٥٠ آ) أعيان المباشرين ، ٣ وقدّامه جماعة من الأنكشارية مشاة يرمون بالنفوط ، فكانوا نحو مائتى إنسان ، فشقّ القاهرة الزينى بركات وهو لابس عمامة هوّارية على زمط وهو ضارب لثام .
- ثم أشيع بين الناس أن الحجاج قاسوا في هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء ٦ وموت الجلال وقلة العليق ، وكانت سنة صعبة شديدة بفساد العربان والغلاء ، وقد منموا مبشّر الحاج من الدخول إلى القاهرة ، فلم تعلم أخبار الحجاج إلا عند دخولهم إلى القاهرة . ثم أشيع وفاة الطواشي الأمير بشير رأس نوبة السقاة ، وكان قد توجه ٩ إلى المدينة الشريفة من حين دخل ابن عثمان إلى القاهرة ، فتوجه محبة قاضى القضاة الشرفى يحيى بن البردبنى شيخ الحرم النبوى ، فأقام هناك إلى أن مات ودفن هناك بالمدينة ، وأشيع موت آخرين من الأعيان . وكان غالب الناس قطع وجزم بعدم عود ١٢ الزينى بركات بن موسى إلى القاهرة ، فإنه حمل فوق ما لا يطيق كون أنه طلع إلى الحجاز أمير حاج ، وكان هذا وظيفة الأمراء المقدمين ، وكانت هذه السنة شديدة صعبة من فساد العربان في طريق الحجاز وشدة الغلاء وموت الجلال ، فأعانه الله تعالى على ذلك ورجع مع السلامة . ١٥ وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن جماعة من الأصهبانية تفايروا على صبيّة ، فلما توجهت إلى غيرهم كبسوها بالوالى في ذلك المكان الذى كانت فيه ، وزعموا أنها كانت عند شخص نصرانى ، فقبضوا عليها وعلى ذلك النصرانى ، فلما عرضوا على ملك ١٨ الأمراء رسم بأن تُرمى المرأة من أثوابها ، وأن يُكتفوا أيديها وأرجلها ، وأن تربط من رجلها في ذنب كديش وتسحب على وجهها من الكدّاشين إلى باب زويلة ، ففعلوا بها ذلك وشقّوا بها من القاهرة وقصدوا شنعها على باب زويلة ففعل بها ما مات ٢١ في أثناء الطريق ، وقيل بل غرقوها في البحر عند الجزيرة الوسطى ، ومضى أمرها وقد قاست ما لا (١٥٠ ب) خير فيه حتى ماتت .

- وفي شهر صفر أهل الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي أوائل هذا الشهر قدمت الأخبار من ثغر الإسكندرية مع بعض التجّار البنادقة ، أن جماعة المباشرين الذين خرجوا من مصر وتوجهوا إلى إسطنبول في البحر الملح ، أنهم لما وصلوا إلى قريب جزيرة إقريطش خرج عليهم طائفة من الفرنج الروادسة ، الذين هم أشدّ طوائف الفرنج ، فتحاربوا مع الجماعة العثمانية الذين خرجوا صحبة المباشرين فقتلوا منهم جماعة ، ومن جلتهم الخوaja هاشم ، وكان من أبناء المعجم ، وكان من أخصاء ملك الأمراء خاير بك ، وكان قرّره في نظر المرستان ونظر جهة الجوالى ، فقتل في هذه المعركة ، وكان قصده أن يتوجّه إلى الخندكار صحبة المباشرين ، فلما خرجت عليهم الفرنج تحارب معهم حتى قُتل في المركب الذى كان فيها ، وكان لابأس به . ثم ظهر من بعد ذلك أن الخوaja هاشم لم يقتل ، وأنه باق في قيد الحياة إلى الآن ، وقد تزايدت عظمته إلى الغاية ، صَحَّ ذلك .
- ثم أشيع من الأخبار أن المركب الذى كان فيها الشريفى يونس النابلسى الأستاذار والقاضى بركات كاتب الرجع أخو القاضى شرف الدين الصّغير كاتب الماليك ، وكان بهذه المركب يوسف البدرى الوزير والناصرى محمد بن الأوزة لاعب الشطرنج ورفيقه الإسكندرانى أحمد لاعب الشطرنج أيضا ، فلما خرجت عليهم الفرنج وتحاربوا معهم أرموا على مركبهم بالدفاع فانخرقت وغرقت ، وغرق كل من كان فيها من المباشرين وغيرهم ، ففرقوا هم وأموالهم التى كانت معهم جميعها ، ففرق الشريفى يونس النابلسى الأستاذار وبركات كاتب الرجع ويوسف البدرى الوزير ومحمد بن الأوزة لاعب الشطرنج ، وقيل سلم من الفرق ، ورفيقه أحمد الإسكندرانى .
- ثم أشيع أن المركب الذى كان فيها علای الدين ناظر (١٥١ آ) الخالص ونفر الدين بن عوض والقاضى أبو البقا بن إبراهيم المستوفى ناظر الاسطبل والشرفى يونس ابن الأقرع نقيب الجيش وأحمد الإسكندرانى لاعب الشطرنج ، فقيل إن المركب الذى
- (٣٥٥ و ٦) الدين . الذى . (١٠ - ١١) ثم ظهر ... صح ذلك : كتبها المؤلف في الأصل على الهاشم . (١٧) التى : التى . (٢١) الاسطبل : الاصطبل .

كانوا فيها سلمت من الفرق فسار بها الهواء إلى نحو جزيرة إقريطش ، فخرج عليهم الفرنج
فأسروهم أجمعين وأخذوا أموالهم ، فظلموا إلى جزيرة إقريطش وهم عرايا حفايا مكشفين
الردوس . فاستمروا يمشون على أقدامهم في جزيرة إقريطش نحو سبعة أيام حتى أعيوا^٥
من المشى وتورمت أقدامهم وأشرفوا على الموت مرارا . فأما الشرقي يونس نقيب
الجيش فإنه مرض هناك ومات ودفن بجزيرة إقريطش ، وأما علاي الدين ناظر
الخاص فإنه مرض وأعيى عن المشى حتى حمله بعض الفرنج على أكتافه ، وكذلك^٦
أبو البقا ناظر الاسطبل ونجر الدين بن عوض ، فاستمروا على ذلك مدة سبعة أيام
حتى وصلوا إلى صاحب جزيرة إقريطش ، فلما رآهم أحسن إليهم وأكساهم وأقاموا
عنده مدة طويلة ، ثم بعد ذلك جهزهم وأرسلهم إلى إسطنبول ، هكذا أشيع والعم^٧
عند الله تعالى .

فلما ثبت موت هؤلاء المباشرين طاف نعيمهم في القاهرة ودقوا عليهم بالطارات ،
وكان هؤلاء المباثرون تزايد ظلمهم وضيقوا على الناس بسبب أوقافهم ورزقهم^{١٢}
وإقطاعاتهم ، ولا سيما ما فعله فخر الدين بن عوض في جهات الغربية من وجوه الظلم ،
فكثر عليهم الدعاء من الناس « وسيعلم الذين ظلموا أيّ متقلب ينقلبون » ، فكان^{١٥}
كما يقال :

فاستغن بالسمع عن مرآم عظة فأصبحوا لا ترى إلّا مساكنهم
وصاروا يفتحون على الناس أبواب المظالم شيئا بعد شيء ، ووضعوا أيديهم على
البلاد قاطبة حتى على الأوقاف التي على الجوامع (١٥١ ب) والمدارس والمساجد^{١٨}
والزوايا ، وضاع على الناس خراجهم وحصل لهم الضرر الشامل ، ثم إنهم أبطلوا
الإقطاعات التي بالناشير وأدخلوها في ديوان السلطان ، ثم في السنة الثانية أوقفوا
الرزق التي بالربعات الجيشية التي بيدي أولاد الناس والنساء وغير ذلك وصاروا^{٢١}

(١) الهواء : الهوى . (٧) الاسطبل : الاسطبل . المدة : منذ .

(١٤) وسيعلم : وسيعلموا . (١٧) يفتحون . يفتحوا .

(٢١ و ٢١٨) التي : الذي .

يضعون أيديهم على بلاد الأوقاف ويستخرجون منها الأموال ولا يفرجون عنها إلا بعد جهد كبير لمن يأخذون برطيلة . وكانوا إذا قرروا مع ملك الأمراء شيئا في أمر البلاد يطاوعهم على الفساد ، ويقول لهم : افعلوا ذلك . وهو في أيديهم مثل اللوب يدورونه كيف شاءوا . وكان الوقت قد صفا لهم وصاروا هم المتصرفون في أحوال المملكة بما يختارونه ، فأخذهم الله أخذا ويلا ، ولم يجدوا لهم من المقدّر سبيلا ، وتكدرت معاشهم بعد الصفا ، وخانهم الدهر بعد ذاك الوفا ، وقد قلت في المعنى :

إذا صفا الدهر يوما إلى التكدّر يرجع

هل من لبيب تراه بأيسر الرزق يقنع

فليعتبر من يشاهد لمصرع بعد مصرع

وفيه قدمت الأخبار من دمشق بأن الحاج الشامي قد استولوا عليه العربان ، وقد عوقبهم عن الدخول إلى الشام ونهبوا أموالهم وجالهم ، وغنموا منه أموالا لها صورة ، فلما بلغ الأمير جان بردى الغزالي نائب الشام ذلك خرج إلى العربان من يومه ، وخرج صحبته نائب غزّة بمساكر غزّة ، ونائب الكرك ، فالتق مع العربان وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة ، وغنم أموالهم وما كانوا غنموه من الحاج الشامي وهو شيء لا ينحصر ، فاحتاط على جميع مامعهم وهربوا من وجهه إلى الجبال وخلص ما كان أسروه من رجال ونساء (١٥٢ آ) وصبيان وغلان ، فكان له الشكر على ذلك . وفيه تزايد الضرر من الأصهبانية في حقّ الناس ، وصاروا يخطفون النساء من الطرقات ، وكذلك الصبيان المرد ، حتى قيل إنهم خطفوا امرأة عند سلّم المدرسة المؤيدية وقت الظهر ، وفسقوا بها جهارا عند سبيل المؤيدية تحت دكان الذي يبيع الكمك ، والناس ينظرون إليهم وهم يفسقون بها ولم يحجر أحد من الناس أن يخلصها منهم . ثم صاروا يقطعون الطريق في البرّ والبحر يأخذون ضيافات الناس من الفم والبقر والأوز والدجاج وغير ذلك ، ويقطعون الطريق أيضا على المتسبّبين

(١) يضعون : يضموا . || ويستخرجون : ويستخرجوا . || يفرجون : يفرجوا .

(٢) يأخذون : يأخذوا . (٩) فليعتبر : فليعتبر . (١٩) المؤيدية : المؤيده .

الذين يبيعون الجبن والسمن والبيض والدريس وغير ذلك من البضائع ، وصارت أهل مصر معهم في غاية الضنك من كل وجه ، والأمر لله تعالى .

- وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه نزل ملك الأمراء إلى الميدان وأحضر سنان باشا ٣ أغات الأصبهانية ، وكان قد وقع بينه وبينهم بسبب جوامكهم ، فكان يأخذ من ملك الأمراء المال ولا يصرف عليهم شيئا . فلما وقع الحساب ظهر في جهته لهم واحد وثمانون ألف دينار ، فاعترف أنها في جهته وسيوصلها للخندكار ، فحصل بينه وبين ٦ الأصبهانية في ذلك اليوم بمض تشاجر بسبب ذلك ، فقالت الأصبهانية : لا تبقوا تعطوا سنان باشا شيئا من جوامكنا ، واصرفوا لنا مثل جوامك المالك الجراكسة كل شهر على البساط . - ثم في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سلخ الشهر عرض ملك ٩ الأمراء الأصبهانية الذين هم من مضافات فايق بك ، فوجد في جهته من جوامك الأصبهانية مثل ما وجد عند سنان باشا من المال ، (١٥٢ ب) وقال مثل قوله ، فكثر بينهما القال والقال بسبب ذلك ، وقد دبت عقارب الفتن بين الأصبهانية وبين ١٢ سنان باشا وفايق بك ، واستوعدوا سنان باشا بالقتل غير ما مرة .

- وفي شهر ربيع الأول كان مستهل الشهر يوم الخميس ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة فهتوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الاثنين خامس ١٥ الشهر نزل ملك الأمراء إلى الميدان ، وعرض الأصبهانية وعلم من بقى منهم ومن فقد ، ثم ظهر له ما كان يأخذه سنان باشا وفايق بك من جوامك الأصبهانية وليس له وجود ، فظهر زيفه في هذه الحركة . - وفي يوم الخميس ثامن الشهر قبض ملك الأمراء ١٨ على طيلان الرأس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع في الحوش ضربا مبرحا ، وكان سبب ذلك أن أخت السلطان طومان باى رافته وذكرت أن السلطان طومان باى أودع عنده ثمانية آلاف دينار ، فأنكر طيلان ذلك وحلف أنه ما أودع عنده شيئا من ٢١ ذلك ، فلما تزايد الأمر من أفواه الناس بسبب هذه الوديمة وصار طيلان ينكر ذلك ، حنق منه ملك الأمراء وأمر بضربه بالمقارع ، وهو لم يقر بشيء ، فنزل من القلعة

وهو في الترسيم حتى يحقّق أمر ذلك .

٣ وفي يوم الأحد حادى عشره ، في ليلة الاثنين ، كان المولد الشريف النبوى ،
 لجلس ملك الأمراء في المقعد الذى بالحوش السلطانى ، واجتمع عنده بعض مباشرين ،
 وخير الدين نائب القلعة وبعض أمراء عثمانية ، واجتمع عنده من القراء والوعاظ
 ثلاث عشرة جوقة ، ثم في أواخر النهار مدّة سماطا (١٥٣ آ) لا يُسمَن ولا يُغنى
 ٦ من جوع ، وأين هذا مما كان يُعمل في موالد من تقدّم من السلاطين ، ثم إنه أخلع
 على الوعاظ قفطانات واستردّها بقدر هتين .

٩ وفي يوم الاثنين ثانى عشره أخلع ملك الأمراء على مملوكه برسباى واستقرّ به
 أمير حاج ركب الحمل ، فنزل من القلعة في موكب حفل . - وفي يوم الخميس خامس
 عشره حضر قاصد من عند نائب حماة ومحبته مقدمة حفلة إلى ملك الأمراء . وأشيع
 أن الأمير جان بردى الغزالى نائب الشام قد قبض على أربعة من مشايخ عربان جبل
 ١٢ نابلس ، منهم قراجا بن طراباى ، فلما قبض عليهم حزّ ردوسهم وأرسلهم إلى الخندكار
 بأدرنة ، فلما فعل ذلك اضطربت أحوال جبل نابلس وصارت العربان ينهبون الضياع
 التى حول جبل نابلس ويقتلون أهلها ، وتزايد الغلاء بالشام من قلة الجالب إليها .

١٥ وفي يوم الثلاثاء عشرينه قدمت الأخبار من الغريسة بأن أينال السيفى طراباى
 كاشف الغريسة قد احتال على حسن بن مرعى وأخيه شكر مشايخ الغريسة ، وهما اللذان
 كانا سببا لمسك السلطان طومان باى ، وقد تقدّم ذكر ذلك ، فعزم أينال على حسن
 ١٨ ابن مرعى وأخيه شكر فى مكان بالقرب [من] سنهور ، فأتوا إليه وأركنوا له وظنّوا
 أن ذنبهما قد نُسى ، فكان كما يقال فى المعنى :

قالت ترَقَبَ عيون الحىّ إنّ لها عين عليك إذا ما نمت لم تنم

٢١ فلما أقاما عنده ذلك اليوم مدّة لها مدّة حفلة ، ثم بعد ذلك أحضر لهما سفرة
 الشراب ، فلما شربا ودخل السكر فى ردوسهما ، هجم عليهما جماعة من المالك
 الجراكسة ممن كان عند أينال ، فماجلوا حسن وشكر بالحسام قبل الكلام ،

- فقطعوا رءوسهما واشتفوا منهما ، حتى قيل إن بعض المماليك الجراكسة شرب من دمهما ، وبعضهم جزل لحومهما بالسيف ، والمجازاة من جنس العمل ، (١٥٣ ب)
- ٣ وكما تدين تدان . - وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه حضر إلى القاهرة رأس حسن ابن مرعى ورأس شكر فرسم ملك الأمراء للوالى أن يعلقوها على باب النصر . وقيل إن رأس حسن بن مرعى لما دخلوا بها ورأس شكر علقوها فى رقبة فرس السلطان طومان باى الذى كان راكبا عليها لما قبضوا عليه فى تروجة ، فصودف ٦ أن هذا الفرس كان تحت حسن بن مرعى لما أتى إلى أيناى ، فعد ذلك من النوادر الغريبة . وقيل إن عيال السلطان طومان باى لما علقوا رأس حسن وشكر على باب النصر ، أظهروا فى ذلك اليوم الفرح والسرور وأطلقوا الزغاريت وتحلقوا بالزعران . ٩ وأشيع أن أخا حسن بن مرعى كان مختفياً بالقاهرة لما قتل أخواه فغمز عليه ، فقبضوا عليه من بيت بعض أصحابه .
- ١٢ وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه قدمت الأخبار من ثغر دمياط بأن وصل إلى دمياط قاصد من البحر ، أرسله الخندكار ابن عثمان بطلب سنان باشاه وفايق بك اللذين كانا بمصر ، فلما بلغ سنان باشاه وفايق بك ذلك تنكّدا لهذا الخبر ، وقالوا لملك الأمراء ١٥ خاير بك : هذا كله شغلك ، أنت تكاتب فينا الخندكار فى الدس وترافع فينا عنده . فلما وردت الأخبار بمجيء القاصد من دمياط ، رسم ملك الأمراء للقاضى بركات بن موسى بالتوجه إلى ملاقاته ، فخرج إلى قليوب وأرمى على البلاد من الشرقية والغربية أغناما وأبقارا وأوزا ودجاجا ، فجمع فى هذه الحركة فوق من ألف رأس غنم غير ١٨ البقر والأوز والدجاج ، فدّله القاضى بركات بن موسى فى قليوب مدّة حفلة ، فأشيع أنه صنع فى تلك المدّة أربعمائة رأس غنم ومثلها أوز ومثلها دجاج ، وخمسمائة مجمع حلوى ، وقيل ألف مجمع ، ثم مدّله فى أبى الفيث مدّة ثانية مثل الأولى . فلما وصل ٢١ القاصد إلى هناك فإذا هم أميران ، أحدهما يسمى إسكندر باشاه والآخر يسمى فرحات بك ، وصحبتهما من الغلمان نحو مائة إنسان . فلما انتهى أمر (١٥٤ آ) المدّة
- (١٠) مختفيا : مختفى .

- أحضروا القاضي بركات بن موسى بين أيديهما وقالوا له : الخندكار يسلم عليك ، ويقول لك بيض الله وجهك الذي رجعت بالحججاج سالمين ، بخلاف ما جرى على الحاج الشامي . فقام وقبل الأرض عدة مرار وكشف رأسه . فلما وصلوا القصاد إلى شبرا ٣ خرج الأمير قايتباي الدواذار إلى ملاقاتهم وجماعة من الأمراء الجراكسة ، فسلموا عليهم ورجعوا إلى دورهم .
- ثم في يوم الثلاثاء سابع عشرينه دخلوا القصاد إلى القاهرة وقت صلاة الصبح ، فطلعوا ٦ من على الجزيرة الوسطى ، وأتوا من على باب الخرق ، وأتوا إلى تحت الربع ، وتوجهوا من القرييين فأنزلوهم في بيت الأتابكي قرقماس من ولي الدين الذي عند حوض العظام ، فأنزلوا به إسكندر باشاء ، وأنزلوا فرحات بك في بيت الأمير كسباي المحتسب الذي عند مدرسة ٩ سودون من زاده ، فمد لها القاضي بركات بن موسى هناك مدة ثلاثة لسكر واحد منهما على انقراذه . فاستمروا هناك إلى يوم الثلاثاء سابع عشرينه طلع القصاد إلى القلعة ١٢ واجتمعوا بملك الأمراء ، وقروا مطالعة الخندكار بحضرة ملك الأمراء ، وبحضرة سنان باشاء وفايق بك وخير الدين نائب القلعة ، فكان من مضمون تلك المطالعة أن الخندكار أرسل يطلب سنان باشاء وفايق [بك] ، وأرسل يقول لملك الأمراء خاير بك ١٥ بأن يتوصى بالماليك الجراكسة وأن يصرف لهم جوامكهم على العادة ، ولحومهم وعليقهم ، وأن ينظر في أحوال المعاملة ويزيل عنها الغش من الذهب والفضة ، ويحفظ الثغور .
- فلما تحقق سنان باشاء وفايق [بك] أن الخندكار أرسل يطلبهما اضطربت ١٨ أحوالهما وهما يقتل ملك الأمراء خاير بك ، وعلموا أن هذا كله منه مما يرسل للخندكار يشكو له منهم ، فاخفى ملك الأمراء بالحريم ثلاثة أيام لم يظهر لأحد من الناس حتى أشيع بأنه قد هرب من القلعة ، فاضطربت أحوال القاهرة ووزعوا الناس ٢١ أمتعهم بالحواصل ، ولهج الناس بوقوع فتنة عظيمة تخرب فيها القاهرة وتُنهَب عن آخرها من طائفة (١٥٤ ب) الأصبهانية والكمولية ، فأقامت الناس على وجل (١٠) من زاده : مزداذه . (١٦) ويزيل : ويزل .

- ثلاثة أيام . ثم طلع القاضي بركات بن موسى إلى ملك الأمراء وقال له : ارسم للوالى
ينادى فى القاهرة للناس بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن الأسواق والدكاكين
تفتح ، وأن أحداً لا يكثر كلاماً ولا يتحدث فيما لا يعنيه فيشتق من غير معاودة . ٣
فطاف الوالى فى القاهرة وأشهر النداء بذلك . وصار ملك الأمراء على رأسه طيرة من
الأصبهانية ، فبنى حائلاً تجاه باب الستارة وجعل فيها باباً صغيراً يدخلون منه إلى باب
الستارة . وصارت الإشاعات قائمة بوقوع فتنة عظيمة من الأصبهانية وكان عدتهم ٦
نحو ألفى إنسان غير السكولية ، وصاروا يركبون فى كل يوم ويقفون فى الرملة
ويستبون ملك الأمراء سباً فاحشاً ويهيمون بالهجم عليه .
وفيه قدمت الأخبار من الشرقية بقتل شيخ العرب على الأسمر بن أبى الشوارب ، ٩
وقد احتال عليه كاشف المنوفية وعزم عليه وأسكره ، فهجم عليه دواذره فقتله بنته
ولعب فيه بالسيف . فلما جرى ذلك خاف شيخ العرب حسام الدين بن بغداد على نفسه
فاختفى مدة أيام ، وقد قوى عزم المالك الجراكسة من حين قتل الأمير أبنال كاشف ١٢
الغربية حسن بن مرعى وشكر . - وفيه تفرّخ خاطر ملك الأمراء على يونس الحلبي
الأستادار ، وقيل كان أصله فلاحاً من الشرقية فبقى أميراً أستاذاراً ، وكان بمقدار
عند ملك الأمراء ، بسبب انشغاح المال على الجامكية ، فبطحه فى الحوش وضربه ١٥
ضرباً مبرحاً نحو ستمائة عصاً ، فنزل إلى بيته وهو مبطوح على حمار ، فأقام أياماً ومات ،
وقد نال منه الضرب حتى مات .
وفى شهر ربيع الآخر فيه فى يوم الاثنين رابعه وقعت فتنة عظيمة بالقلمة بين ١٨
الأصبهانية وبين الأنكشارية من عسكر ابن عثمان ، وقتل فيها من الأصبهانية شخص
وقيل اثنان ، فرسم ملك الأمراء للأنكشارية بأن يقيموا بالقلمة دائماً ولا ينزلوا إلى
المدينة أبداً ، فبطل أمر الأنكشارية الذين (١٥٥ آ) كانوا يجلسون على أبواب ٢١
المدينة ويشتكون الناس بهم فى خلاص الحقوق من بعضهم ، فرسم لهم ملك الأمراء
بأن يسكنوا بأطباق المالك التى بالقلمة ولا ينزلوا إلى المدينة أبداً . وكان يحصل منهم
(٢٠) يقيموا . يقيمون . || ينزلوا : ينزلون . (٢١) الذين : الذى . (٢٣) التى : التى .

غاية الفساد في حق الناس ، من خطف النساء والصبيان الرد والضيافات والبضائع من أيدي المتسببين ، فضجّ الناس من ذلك .

٣ وفيه أشيع أن سنان باشاء وفايق بك قد برّزوا خيامهم بالريدانية بسبب السفر إلى إسطنبول ، وأشيع أن سنان وفايق يتوجهون من البحر ، وخبوهم وبركهم يتوجهون من البرّ . - وفي يوم الاثنين حادى عشره خرج سنان باشاء وفايق بك وتوجّها إلى بولاق ، وشقّا من الصليبية في موكب حفل ، وقدّامهما الأصهبانية قاطبة والأنكشارية ، وألبس كل منهما قفطان مخمل ، وقيل أنم عليهما لكل واحد بألف دينار ، فاستمرّوا معهما العسكر العثماني حتى أنزلوها في المراكب من بولاق ، وساروا في البحر إلى ثغر دمياط ومن هناك ينزلون في الأغربة . ٩

وفي يوم الجمعة خامس عشره انتهى العمل من الجامع الذي أنشأه المقر الشهابي أحمد بن الجيعان ، الذي عند بركة الرطلى بالقرب من حدره الفول ، وخطب به في ذلك اليوم . وكان مسجدا قديما بُنى في دولة الناصر محمد بن قلاوون سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، ودفن به الشيخ خليل الرطلى رحمه الله ، وهو الذي تنسب إليه بركة الرطلى فاستمرّ على ذلك حتى خرب فجده الصاحب سعد الدين إبراهيم البشيرى في دولة الملك المؤيد شيخ ، فأقام مدة طويلة وجعل به خطبة كونه كان بجوار بيته الذى بالبركة ، فاستمرّ على ذلك إلى أن خرب . وأقام مدة طويلة وهو خراب ، فجُدّد بناءه القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرّ في هذه السنة . فاجتمع به في ذلك اليوم القضاة الأربعة (١٥٥ ب) وأعيان الناس من المباشرين وغيرها ، وخطب به ١٨ في ذلك اليوم قاضى القضاة الشافى كمال الدين الطويل ، فخطب خطبة بليغة في معنى إنشاء الجوامع . فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الشهابي أحمد بن الجيعان زبادى صينى فيها سكر وأقسما ، نحو عشرين زبدية ، فطاف بها على الناس ، ثم قامت جماعة من النشّادين وأنشدوا قصائد في إنشاء هذا الجامع ، من نظم جمال الدين السلمونى الشاعر وعبد اللطيف الدنجيى وغيرها من الشعراء . ثم إن الشهابي أحمد بن الجيعان قرّر

بهذا الجامع حضوراً من بعد العصر وصوفية ، وجعل شيخ الحضور الشيخ نور الدين على بن ناصر شيخ حضور للشافعية ، وشيخ حضور للحنفية الشيخ شهاب الدين أحمد

ابن الصايغ ، وقرر شيخ الحديث الشريف شيخ شمس الدين الديروطى . ٣

وفى يوم الأحد سابع عشره أشيع أن المملوك الذى قتل على الأسمر بن أبى الشوارب ، قد قبض عليه الكاشف وأحضره إلى ملك الأمراء ، فرسم بشنقه ، فشنق

على باب زويلة ، وقيل إن أصله من ممالك الأتابكي سودون الدوادارى ، فأرضى ملك الأمراء مشايخ العربان بشنق هذا المملوك . - وفى يوم السبت ثالث عشره وقع فتنة

كبيرة بين الأصهبانية وبين الأنكشارية ، فأغلقوا باب السلسلة وباب الميدان فى ذلك اليوم ، واستمرّ الشرّ قائماً بين الفريقين إلى بعد الظهر ، فنزل الكاخية الكبير ليصلح

بين الفريقين ، فضر به فوئى هارباً . - وفى يوم الاثنين خامس عشره كان يوم فطر النصارى ، وهو أول الخمسين .

وفى شهر جمادى الأولى كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - ومن الحوادث فى ذلك

اليوم أن ملك الأمراء أحضر طائفة الأنكشارية إلى القلعة ، ورسم لهم بأن (١٥٦ آ) يحضروا بمكالحهم والبندق الرصاص الذى عندهم ، فلما أن أحضروهم رسم ملك

الأمراء بإدخال تلك المكاحل والبندق الرصاص فى الزردخاناه ، ورسم للأنكشارية بأن يقيموا بأطباق المالك التى بالقلعة ولا ينزلوا إلى المدينة أبداً ، فشق ذلك عليهم

إلى الغاية وانتصفت عليهم طائفة الأصهبانية . - وفى يوم الأربعاء خامس نزل ملك الأمراء فى مركب وعدى إلى المقياس ، فأقام بها إلى آخر النهار ، ثم توجه فى المركب

إلى قصر ابن العيني الذى بالمنشية ، ثم توجه من هناك إلى بولاق وأقام فى السبكية ، ثم طلع إلى القلعة فى أواخر النهار ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية . - وفيه خلع

على القاضي شرف الدين الصغير والقاضى شرف الدين بن عوض ، واستقرّا فى التحدث فى جهات الشرقية عوضاً عن يونس الذى كان أستاذاراً ومات تحت العقوبة.

- وفى يوم الأحد تاسمه خرج القاضى بركات بن موسى المحتسب إلى مساحة بلاد الصعيد واستخراج النخل الذى بها ، وكانت هذه وظيفة الأمير يشبك الدوادر
- ٣ والأمير أقبردى الدوادر وغيرهما من الدوادرية ، نخرج فى موكب حفل وقدّامه الأنكشارية يرمون بالنفوط ، وسافر معه جماعة من المالك الجراكسة ، وفك فى أمر السنيح والحيام والبرك ما عجز عنه من الأمراء المقدمين ، وقد ساعدته الأقدار على بلوغ
- ٦ الأوطار ، ورأى من المزمّ والمظمة فى دولة ابن عثمان ما لا رآه فى دولة السلطان النورى . وفى يوم الخميس ثالث عشره توفى الشيخ الصالح المعتقد عبد الرحمن البهنساوى ، الذى كان مقبياً بالمدرسة البروقية ، وكان للناس فيه اعتقاد . - وفيه عرض ملك
- ٩ الأمراء خير بك طيلان الرأس نوبة ، وضربه بين يديه بالمقارع ثانيا ، وسبب ذلك أنه تأخر عليه ألفا دينار مما كان تقرر عليه من المال الذى يردّه ، (١٥٦ ب) ثم بعد الضرب أرسله إلى سجن الديلم فأقام به .
- ١٤ وفيه قبض ملك الأمراء على جماعة من اليهود من معلّمين دار الضرب ومن الصيارف ، وسبب ذلك أن معاملة السلطان ابن عثمان فى الذهب والفضة قد فسدت ، وصارت كلها غشّ وزغل ، فقبض على معلّم دار الضرب وألزمه بأن يرد إلى الخزائن
- ١٥ الشريفة مائة ألف دينار ، أو أن معلّمين دار الضرب قاطبة يتوجّهون إلى نحو إسطنبول أو يلتزمون بإصلاح المعاملة ، فلما جرى ذلك أغلظوا عليه جماعة من اليهود وقالوا له : أرنا مرسوم الخندكار إن كان أرسل يطلبنا إلى إسطنبول . وأقاموا أياما فى السجن
- ١٨ بالقلمة حتى يكون من أمرهم ما يكون . وقد تغيّر خاطر ملك الأمراء على الأمير كشيبنّا وإلى القاهرة ، فحنق كشيبنّا من ملك الأمراء ، فلما نزل من عنده أغلق بابَه وطرّد النقباء عن بابَه وشال دكّته ، وأقام
- ٢١ أياما لم يخرج من بيته ، فنزل إليه الأمير جانم الحزاوى وطلع به إلى ملك الأمراء وقابل به ، فأخلع عليه قفطان نخل ونزل إلى داره على عادته ، بعد ما كان أشيع وقوع فتنة عظيمة ، وقيل إنه أورد إلى ملك الأمراء ستة آلاف دينار . - وفيه أشيع أن
- (١٠) ألفا دينار : ألفين دينار . (١٢ و١٥) معلّمين : كذا فى الأصل .

ملك الأمراء خاير بك قد ضرب زوجته خوند مصر باى الجر كسية ضربا مبرحا ، حتى كادت أن تموت ، ولم يُعلم ما سبب ذلك ، وكثر في ذلك القال والقليل .

- ٣ وفي يوم الاثنين سادس عشرينه حضر من عند الخندكار ألق ، يعنى مبشر بمجىء
عسكر عوضا عن الأصهبانية الذين بمصر ، وقد عين الخندكار عسكرا وهو في أدرنة
بأن يحضر إلى مصر ، وزعم هذا القاصد أنه أتى من أدرنة إلى مصر في واحد وعشرين
يوما ، وكانت الأصهبانية قد تفلقوا من الإقامة بمصر فجاء هذا الألق يبشر بمجىء
٦ هذا العسكر حتى يُطمئن الأصهبانية بذلك (١٥٧ آ) .

- وفي شهر جمادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الاثنين ، فطلع القضاة الأربعة
إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الثلاثاء تاسعه
توفى طيلان الرأس نوبة ، وقد نال منه الضرب بالمقارع كما تقدم ، فاستمرّ عليلا حتى
مات ، وكان من وسائل سوء ، ظالماً عسوفاً من جملة أعوان الظلمة . - وفي يوم الثلاثاء
سادس عشره حضر قاصد ، أيضاً من عند الخندكار ، وأخبر أن الفرنج قد تحرّكت
١٢ على الخندكار ، وأرسل يقول لملك الأمراء بأن يحفظ الثغور ويحصن ثغر الإسكندرية
وثغر دمياط بالكاحل وآلة السلاح وغير ذلك .

- ١٥ وفي يوم الاثنين ثانى عشرينه طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل ، وأخذ القاع فجاءت
القاعدة ستة أذرع وعشرين أصبعاً ، أرجح من العام الماضى بعشرة أصابع ، وكانت
الزيادة أول يوم خمسة أصابع ، فتفاءل الناس بذلك . - وفي يوم الخميس خامس عشرينه
حضر شخص شريف من عند ابن عثمان ، وزعم أنه قد قرّره في نقابة الأشراف ،
١٨ وأظهر مرسوم الخندكار بذلك . وأشيع أن الخندكار أرسل بطلب الأصهبانية بأن
يتوجهوا إلى إسطنبول ، فأخذوا في أسباب عمل يرقهم .

- ٢١ وفي يوم السبت سابع عشرينه أخلع ملك الأمراء على القاضي عبد العظيم واستقرّ
به في التحدث في نظر الحسبة الشريفة ، عوضاً عن الزينى بركات بن موسى
وكان مسافراً نحو الصعيد كما تقدم ، وكان سبب ذلك أن ابن موسى لما سافر
(٤) الذين : الذى . (١٥) ثانى عشرينه : ثالث عشرينه . (١٧) الخميس : الاثنين .

إلى الصعيد جعل شخصا من العمانية متحدثا عنه في الحسبة إلى أن يحضر من السفر ،
 فضاعت أحوال المسلمين في هذه الأيام ، ووقع الغلاء بالديار المصرية ، وتشحطت
 ٣ الغلال ، وعزّ وجود الخبز من الأسواق ، وتناهى سعر الأردب القمح إلى (١٥٧ ب)
 ألف درهم كل أردب ، وتناهى سعر البطة الدقيق إلى عشرين نصفًا كل بطة ، وعزّ
 وجود الشعير والفلول والتبن ، فضجّ الناس من ذلك ، وعزّ وجود الأجبان والسمن
 ٦ والسيرج وغير ذلك. فتوجّه طائفة من التركان إلى بيت ابن موسى وضربوا المباشرين
 والرسل الذين على الباب ، وهرب التركانى الذى كان يتحدث فى الحسبة . ثم إن
 التركان توجهوا إلى بيت القاضى عبد المظيم ، وهجموا عليه من حريمه وأخذوه
 ٩ وأركبوه غصبا وطمعوا به إلى ملك الأمراء ، وقالوا له : إن لم تولّ هذا الحسبة وإلا
 تخرب مصر على أيامك ونهب المدينة عن آخرها . فإسع ملك الأمراء إلا أن
 أحضر له قفطانا وأفاضه عليه واستقرّ به ناظر الحسبة عوضا عن ابن موسى ، فزل
 ١٢ من القلعة بمد المصر وشقّ من القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء من الناس ،
 وكان محبّيا لأهل مصر قاطبة ففرح كل أحد من الناس بولايته ، وظهر الخبز فى ذلك
 اليوم على الدكاكين ، وتبادل الناس بكعبه بالرخاء ، وسكن ذلك الاضطراب الذى
 ١٥ كانت فيه الناس قليلا .

وفى هذه الأيام توقف النيل عن الزيادة أياما فتقلق الناس لذلك . - وفى يوم
 الاثنين سلخ الشهر ثارت طائفة من الأصهبانية على الأمير جانم الحزاوى وهو نازل
 ١٨ من القلعة ، وعينوا له الضرب ، وقالوا له : قل لملك الأمراء قد متنا من الجوع ،
 نحن وخيلنا من قلة الشعير ، ولا نلتقى فى الأسواق خبز ، فإما أن يأذن لنا بالسفر
 أو أنه يكفينا من القوت . فإخلص منهم الأمير جانم الحزاوى إلا بعد جهد كبير ،
 ٢١ وذكروا أن لهم ثلاثة أشهر جامكية مكسورة فى الديوان .

وفى شهر رجب كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع القضاة وهنّوا ملك
 الأمراء بالشهر ، وعادوا إلى دورهم . - (١٥٨ آ) وقد تقلق الناس من أمر

الأصبهانية . - ثم إن النيل استمر في التوقف لم يزد شيئا ، فأمر ملك الأمراء بإبطال
الحرّمات من النيذ والحشيش والبوزة ، ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش . - ثم
٣ إن الوالى قبض على امرأة يقال لها أنس ، وكانت ساكنة في الأزبكية تجمع عندها
بنات الخطا الذى يعملون الفاحشة ، وكان عليها مبلغ مقرر ترده في كل شهر للوالى ،
وكان أمرها مشهور ، فرسم ملك الأمراء بتفريقها هي وامرأة أخرى يقال لها بدرية
زوجة شخص من الناس يقال له البغضى ، كانت ماشية على طريقة أنس هذه
في جمعها لبنات الخطا ، فلما قبض الوالى على أنس توجه بها إلى عند قصر ابن العيني
الذى في المنشية وغرقها هناك بعد العصر ، فاجتمع الجم الغفير من الناس بسبب
الفرجة عليها ، وكان يوما مشهودا ، ففرقت على النداء والإجهار ، وأراح الله
٩ تعالى المسلمين منها ، وطهرت الأرض منها .

وفي يوم الجمعة رابع الشهر صلى ملك الأمراء صلاة الجمعة بالقلمة ، ثم نزل من
القلمة وتوجه إلى المقياس وقرأ هناك ختمة ، ومدّ هناك للقراء مدّة حفلة . واستمرّ
١٢ النيل سبعة أيام لم يزد فيها شيئا ، وأشيع أنه نقص أربعة أصابع فتعلّق الناس لذلك ،
ووقع التلاء في سائر البضائع والأصناف . - ثم في يوم السبت خامس رجب زاد الله
في النيل المبارك أصبعا واحدا بمد أن أوفى النقص ، فرح الناس بذلك وسكن
١٥ الاضطراب الذى كان بمصر قليلا . وفي ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه :

قد أصبح الخزان مذ زاد هـ ذا النيل بمد النقص في بوسى

١٨ وقد غدا يقرأ على قححه قراءة تُنسب للسوسى

فلما زاد النيل هذا الأصبع وسكن الاضطراب ، شرع القاضى عبدالمعظم المحتسب
في تسمير البضائع قاطبة ، فانصلحت أحوال الديار المصرية قليلا ووقع الرخاء وتفاؤل
بكبه كل أحد من الناس . وقد قلت في ذلك (١٥٨ ب) :

يا قاضيا قد غدا بالله محتسبا على الأعادى ولم يخش من الياس

(٢) النيذ : التبذ . (١٢) وقرأ : قرأ . (١٧) في بوسى ، أى في بؤس .

(٢٠) تسمير : تسم . (٢٢) ولم يخش : ولم يخشى .

- رخصت أسمارنا من بعد ما غليت وحزت حسن الثنا من ألسن الناس
لما توليت زاد النيل وانفجرت وقد خزي كل خزان ودراسي
٣ إن زال هذا الفلاء من مصر لا عجب فكعبكم أخضر يزهو على الآس
- ومن الحوادث أن في يوم الخميس عاشر رجب وقعت [واقعة] شنيعة ، وهو أن
إسكندر بك أحد أمراء ابن عثمان ، الذي كان حضر إلى مصر عوضا عن سنان
٦ باشاه ، لما أقام بمصر صار يمارض قضية القضية في الأحكام الشرعية ، فوقع بينه وبين
نور الدين على الميموني نقيب قاضي القضية الشافعي . ثم إنه في يوم الخميس رسم بعزل
على الميموني من النقابة ، فلم يكتف بذلك وتكلم مع ملك الأمراء في نفيه ، فنفاه إلى
٩ دمنهور وأخرجه من يومه . ثم إن ملك الأمراء رسم بإبطال نقباء قضية القضية
الأربعة ، ف عزل من النقابة شهاب الدين أحمد بن شيرين نقيب قاضي القضية الحنفي ،
وعزل نقيب قاضي القضية المالكي شمس الدين الدميري ، وعزل من النقابة ابن قاضي
١٢ القضية الحنبلي ، ومنع جماعة من الوكلاء الذين كانوا يجلسون على باب المدرسة
الصالحية ، ومنع جماعة من الرسل أيضا ، وحصل لقضية القضية منه غاية المقت
بسبب نقبائهم .
- ١٥ وقد تقدم القول على أن ملك الأمراء لما توقف النيل سبعة أيام ، أمر بإبطال
بيوت الحشيش وبيوت الخمار وبيوت البوزة ، وغرق أنس التي كانت تجمع عندها
بنات الخطا التي كانوا يعملون الفاحشة من أمر الزنا ، فلما زاد النيل رجع كل شيء
على حاله ، وسبب ذلك أن المماليك تعصبوا في إعادة ذلك فإن أكثرهم كان يبيع
١٨ البوزة في الدكاكين ، ورسم ملك الأمراء (١٥٩٩) أن أولاد المرأة أنس التي غرقوها
لا يمارضون فيما يفعلونه من أمر جمع بنات الخطا ، كما كانت تفعل أمهم أنس . وفي
٢١ يوم الخميس عاشر رجب قدمت الأخبار من حلب بأن الخندكار أرسل عمكرا يقيمون
بمصر ، عوضا عن الأصهبانية الذين كانوا بها .

(٨) فلم يكتف : فلم يكتف . (١٢ و ٢٢) الدين : الذي .

(تاريخ ابن لياس ج ٥ - ٢٠)

وفي يوم السبت ثانى عشره رسم ملك الأمراء بشنق شخص سروجى ، فشنع
 عند خان الخليلي ، وسبب ذلك أن كان له عبد وأباعه لبعض المالك الجراكسة ،
 ٣ ثم إن العبد لما جرى للمالك الجراكسة ما جرى خدم عند بعض التركان ، ثم إن ابن
 السروجى توجه إلى مولد سيدى أحمد البدوى فصدف ذلك العبد هناك ، فقبض
 عليه وأحضره إلى القاهرة ، فهرب ذلك العبد من بيت السروجى وأتى إلى عند
 التركان وادعى أنه لم يكن على ملك السروجى وأنه معتق ، فطلع التركانى وقصّ
 ٦ خبر العبد على ملك الأمراء ، فأحضر ذلك السروجى وخص عن أمر العبد فوجد
 السروجى قد أباعه لمملوك جرکسى وقتل فى الوقعة ومضى أمره ، فلم يثبت للسروجى
 عليه حقّ ، فأغلظ السروجى على ملك الأمراء فى القول ، فحقن منه ملك الأمراء
 ٩ فرسم بشنقه فشنع عند خان الخليلي . فقيل إن السروجى ساءل ملك الأمراء أن
 يفدى نفسه من الشنق بخمسمائة دينار ، فأبى ملك الأمراء من ذلك وشنقه
 فراح ظلما .

٩٢

وفي يوم الاثنين رابع عشره وقعت حادثة مهولة ، وهو أن جماعة من الكمولية
 والأسبانية وقفوا إلى ملك الأمراء يطلبون منه جوامكهم عن ثلاثة أشهر ويأذن لهم
 بالسفر إلى بلادهم ، فلم يلتفت إليهم فنزلوا من عنده ووقفوا بالرملة ، فلما طلع الأمير
 ١٥ جانم الحزاوى احتاطوا به وضربوه وأنزلوه من على فرسه ، وأرادوا قطع رأسه ،
 فهرب ودخل إلى الميدان وهو مكشوف الرأس ، فوقف فى وجههم شخص من الأمراء
 الجراكسة يقال له الأمير بخشبای أتى قنبك الذى كان كاشف البهنا ، فأرموا غبنهم
 ١٨ فيه فقطعوه بالسيوف حتى أشيع (١٥٩ ب) موته ، فحملوه وأدخلوه إلى باب السلسلة
 وفيه بعض نفس . ثم إن الكمولية استمرّوا بالرملة طالبين شراً مع الجراكسة ،
 وانفتح بينهما باب الشرّ بسبب جانم الحزاوى . ثم أنزلوا الأمير بخشبای إلى بيته
 ٢١ فأقام إلى يوم الأحد عشرينه ومات ، وقد جرح فى رأسه جرحاً بالناقات به ، وأشيع
 أن ملك الأمراء كتب له محضراً بأن الكمولية قتلوه ، وأرسل ذلك المحضر إلى
 (١) ثانى عشره : حادى عشره . (١١) فأبى : فأبى . (١٤) يطلبون منه : يطلبوا منهم .

الخندكار بأدرنة . ثم حضر جماعة من الأمراء الجراكسة وصلّوا على الأمير بخشباي وكانت له جنازة خافلة وصنعوا قدّامه كفارة .

٣ وفيه قدمت الأخبار من حلب ب وفاة القاضي محب الدين محمود ابن القاضي شمس الدين محمد بن أجا الحلبي ، وكان رئيساً حشماً أصيلاً عريقاً فاضلاً ولى قضاء الحنفية بحلب ، ثم ولى كتابة السرّ بالديار المصرية ، وأقام في هذه الولاية ست عشرة سنة وهو عزيز مصر ، نافذ الكلمة وافر الحرمة ، وهو آخر كتّاب السرّ بالديار المصرية ولم يحيّ بعده من يناظره في الرئاسة والتعظيم والنظام ، ومشيّ مشي الرؤساء المتقدمين في كتابة السرّ ، وكان مولده سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ومات وهو في ست وسبعين سنة ، وكان كثير الأمراض في جسده ، وأكثّر إقامته في داره والناس تسمى إليه في أشغالها . ولما توفى رثاه الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق ، لطف الله به ، بهذه القصيدة وأجاد بقوله حيث قال :

١٢	ألا في سبيل الله نجل أجا الذي	يكلّ إذا عُدّت فضائله الفكر
	فضائله كالزهر والزهر ذكرها	ومنظرها إذ فيهما النشر والبشر
	كنجم بأفق الملك كان كم اهتدى	به منّ بليّ الهمة ضلّ به الحجر
١٥	كتابة سرّ الملك ماتت لكونها	به خُتمت والسرّ من بعده جهر (١٦٠آ)
	لذا كان محموداً وبالقلب ذكره	رعى الله محموداً له الحمد والشكر
	فن مثل محمود ومن مثل قلبه	وذا القلب ممدوح يلذّ به الذكر
١٨	لقد كان كالنعمان في العلم والسخا	وفي الفخر نعم العلم والجود والفخر
	له فكرة كانت تمدّ يراعه	بدائع لفظ نظم إبداعها الدرّ
	لعمرك ما في الفضل والوصل مثلها	بيان معانيها ربّ الحجا سحر
٢١	أرى الله منه الروح روحاً تفضّلا	عليه وريحاناً وزيد له الأجر
	وصيرّ قبراً ضمّه خير روضة	يطيب بها فيه له الفّ والنشر

تمت المروية في القاضي كاتب السرّ محمود بن أجا رحمه الله . - وفيه في يوم الخميس

رابع عشرينه ثارت الأصهبانية على ملك الأمراء وطلعوا إلى الرملة ووقفوا بها ،
 فأغلقوا في وجههم باب السلسلة وباب الميدان ، فصاروا يستبون ملك الأمراء سباً
 فاحشاً . وكان سبب ذلك أن كان لهم ثلاثة أشهر جامكية منكسرة ، فنفق عليهم ٣
 شهرين وتأخر لهم شهر واحد ، فقالوا : ما نساfer حتى ينفق علينا الشهر المنكسر ،
 وإلا نزلنا نهبنا المدينة وشوشنا على الناس . فوقع الاضطراب بالقاهرة وغلقت
 الأسواق والدكاكين في ذلك اليوم . ثم إن الأصهبانية توجهوا إلى بيت الأمير قايتباي ٦
 الدواidar ، وأركبوه من بيته غصبا وطلعوا به إلى عند (١٦٠ ب) ملك الأمراء ،
 وطلعوا أيضا بالأمير كمشينا والى ، فاجتمعا بملك الأمراء وحدثاه في أمر الأصهبانية
 بأن ينفق عليهم ذلك الشهر الذى تأخر لهم ، فتوقف في ذلك ثم رسم لهم بأن ينفق ٩
 عليهم ذلك الشهر المنكسر لهم ، فزلوا من الرملة وخذت تلك الفتنة قليلا . ثم نفق
 لهم ملك الأمراء ذلك الشهر فيما بعد ، وأخذوا في أسباب عمل يرقهم والتوجه إلى
 إسطنبول . ١٢

وفيه أشيع بأن حضر من إسطنبول جماعة ممن كان بها من السيوفية والحدادين
 ومن البنائين ومن التجارين والمرحمين وغير ذلك من الصناعات ، وأشيع أن الخندكار
 أنشأ له هناك جامعا وحناما ، فلما انتهى العمل منهما وقفوا له وقالوا له : إن خلفنا ١٥
 أولاد وعيال ، وقد أنهينا العمل الذى رسم به الخندكار ومابقى لنا شغل . فرسم لهم
 بالمود إلى بلادهم ، وكتب لكل واحد منهم ورقة بعدم المعارضة لهم معه . وحضر
 صحتهم أيضا الجمالى يوسف بن تقيب الجيش بن أبى الفرج ، وشخص من أقارب ابن ١٨
 الطيلونى ، وقد أقاموا لهم ضمانا بإسطنبول بأن يتوجهوا إلى مصر ويقضوا أشغالهم
 ثم يمدودوا إلى إسطنبول . وأخبر الجمالى يوسف بوفاة جماعة كثيرة من الأعيان الذين
 توجهوا من مصر إلى إسطنبول ما يحضرني الآن أسماؤهم ٢١

(١) رابع عشرينه : عشرينه . (٤) علينا : عليها . (١٤) التجارين : التجارين .
 (١٨) الجيش : جيش . (١٩) ويقضوا : يقضوا . (٢٠) الذين : الذى .
 (٢١) أسماؤهم : أسمايهم .

- وفي شهر شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الخميس ، فطلع القضاة الأربعة وهتوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الثلاثاء سادس الشهر حضر القاصد الذي أرسله الخندكار بطلب الأصهبانية ، وقد أرسل عسكريا محبة ذلك القاصد عوضا عن الأصهبانية ، فلما وصلوا إلى الريدانية رسم لهم ملك الأمراء بأن يطلعوا من بين التراب ولا يشقوا من القاهرة ، وقيل إن عدتهم دون آلاف إنسان ، والباش (١٦١ آ) الذي عليهم يقال له قرا موسى . فلما وصل إلى تحت القلعة أنزله ملك الأمراء بالميدان الذي تحت القلعة ، فنصب خيامه به وصارت التركان الذين حضروا صحبته يجمعون على الناس في بيوتهم ويسكنون بها . - فلما كان يوم الاثنين ثاني عشره خرج إسكندر بك وخرج صحبته الأصهبانية الذين كانوا بمصر قاطبة ، فكان هو الباش عليهم ، فشقّ عليه خروجه من مصر ، وكان هو المشار إليه في أمور الديار المصرية ، وصار يعارض قضاة القضاة في الأحكام الشرعية ، فتعلّق منه الناس إلى الغاية حتى بمث الله تعالى بالفرج وأخرجه من مصر عاجلا . فلما خرج إسكندر نزل إليه ملك الأمراء ووادعه وأنعم عليه بأشياء كثيرة من مال وخيول وزوادة وغير ذلك ، ولما دخل هذه الطائفة من التركان إلى مصر صارت الناس تضيق أبوابها وتجمع لها خوّخ ، حتى لا يدخل منها راجب ، لأجل التركان .
- وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره رسم ملك الأمراء بشنق سبعة أنفار من طائفة الكمولية ، وقيل هم الذين قتلوا الأمير بخشباي كما تقدّم ، فشنق منهم ستة أنفار على شجرة النبق التي عند مدرسة السلطان حسن ، والآخر شنق على باب النصر ، فشقّ ذلك على الكمولية ولم يطلع من يدهم شيء . - وفي يوم الجمعة سادس عشر شهر شعبان كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك تاسع عشر مسرى ، وفتح السدّ يوم السبت سابع عشر شعبان الموافق لعشرين مسرى ، فأوفى الله الستة عشر ذراعا ، وزاد من الذراع السابع عشر أصبعين . وقد فتح السدّ في العام الماضي ليلة النصف من شعبان ، فكان التفاوت بينهما يومين ، وقد قال الناصري محمد بن قانصوه من صادق :

شاهدت عند النيل يوم الوفا حرزا عظيما جانب الشط
للعين والنظرة فيه غدت كتابة بالكسر والبسط

- (١٦١ ب) فلما طلع ابن أبي الرداد وأخبر ملك الأمراء بوفاء النيل المبارك ، ٣
نزل من القلعة وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ، ومدّ هناك مدّة حفلة ، ثم قدّموا
له المركب الغراب الذي كان عمره السلطان النورى ، فنزل فيه وتوجه إلى نحو السدّ
الذى عند رأس النشّية ، ففتحه وأظهر التماظم فى ذلك اليوم ، وفرّق الجامع الحلوى ٦
والشّنات الفاكهة ، وكان ذلك اليوم مشهودا من كثرة المراكب والنفوط والطبول
والزّمور ، ثم ركب ملك الأمراء من هناك وتوجه إلى القلعة . ثم توجه الأمير كمشيفا
الوالى ففتح السدّ الذى عند قنطرة السدّ ، وفتح سدّ قنطرة قديدار ورجع إلى داره ، ٩
وكان يوما مشهودا ، وقد عمّت هذه الفرحة لكل مسلم وكافر ، وكانت فرحة عامة
لسائر الناس .

- وفيه تلقى ملك الأمراء الجامكية على المالك الجراكسة فنفق لهم شهرين ، وكان ١٧
لهم جامكية أربعة أشهر مكسورة . ثم إن القاضى شرف الدين الصغير عوّق جوامك
جماعة من أولاد الناس نحو أربعين إنسانا ممن له أشرفين أو أشرفى ، وادّعى أن
الجامكية مشحونة ، فكثّر عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب ذلك . - وفيه تغيّر ١٥
خاطر ملك الأمراء على جاني بك كاشف الشرقية ، فأرسل بالقبض عليه وإحضاره فى
الحديد ، وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس واستنأوا من ظله . فلما حضر بين
يدى ملك الأمراء وتجنّج بالكلام ثم وضعه فى زنجير فى عنقه وقيد فى رجله وأرسله ١٨
محبّة جماعة من الأنكشارية إلى الشرقية ، ورسم بإشهار الندادة فى الشرقية بأن من
ظله جاني بك كاشف الشرقية فعليه بملك الأمراء بخلص حقه ، ثم عزل جاني بك
من كشف جهات الشرقية واستقرّ بشخص من الأتراك يقال له إلياس ، وكان دودادار ٢١
خاير بك الممار قديما ، وكان تميّن باش المسكر (١٦٣ آ) الذى كان تميّن إلى جدّة ولم

(١٨) زنجير = جزيّر . (٢٢) ١٦٣ آ : كتب المؤلف ما يأتى على الورقة رقم ١٦٢

يتم له ذلك . ثم [إن] ملك الأمراء في عقيب ذلك أرسل بالقبض على أينال السيفي طراباي كاشف الغريبة وأحضره في الترسيم ، واستمر على ذلك إلى الآن لم يخلص من الترسيم . ٣

وفي أواخر هذا الشهر قدمت الأخبار من مكة ب وفاة ابنة الملأى على بن خاص بك ، وهى أخت خوند زوجة الأشرف قايتباى ، وكانت رئيسة حشمة فى سعة من المال ، وقد تزوجت بمدة أمراء مقدمين ألوف ، وهى حاة الأشرف طومان باى ، ٦

= (١٦٢ آ) الحمد لله ؟ ولما توفيت ابنة الملأى على بن خاص بك ، رثاها الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق بهذه الأيات البديعة ، وهو قوله :

٩	أيا قلب مت حزنا فقد عظم الخطب	فلا خير فى قلب إلى الموت لا يصبر
	أبعد خوند لى حياة أريدها	وموت خوند فى الفؤاد له كرب
	يؤجج نارا بالفراق عظيمة	يكاد عليها يلتقى الشرق والغرب
١٢	ألا فى سبيل الله ما الموت طالب	أما قد كفاه الحرق والتهب والصلب
	أيا مهجن ذوبى ويا حرقى اذرى	غيوث عيوت من بكاهها لها سحب
	ويا شرفاء الأصل يا رؤساءنا	ومن فى حجور الملك مذ ولدوا ربوا
١٥	توفت خوند الحصبكية فاندبوا	يحق لها منكم ومثلكم التندب
	لقد هدمت ركنا من الحمد شامخا	ذراه إلى أعلا النجوم له قرب
	ومثل الذى هدمت بنت وثوت به	ملية والترب من فوقها تربوا
١٨	ملية ربا دعاها لقربه	تعال التى ما للورى غيره رب
	(١٦٢ ب) دعاها ليجوها لهما مؤيدا	عقب التى كانا به من كذا يحبو
	أرى الله منها الروح للروح مسريا	روى مشربا ريحانه أرج رطب
٢١	وصير قبرا ضمها خير روضة	إلى جنة الفردوس منها لها سرب
	وأبى خوندا أختها وأبامها	وأبهما مع أهلهم وكذا الصعب
	وأبى خوندا ربة الملك بنتها	بقاء عزيزا ليس يقبه نكب
٢٤	وألبسها ثوبا من الصبر مسبلا	فأبقاها للخلق إن جدبوا خصب
	بجاء التى للعرش من فرشه ارتقى	وأذهب ليل الكفر من يده الغضب
	أيا مصطفى من قانصوه له أب	سميك لاحظله إذا كرب القلب
٢٧	عليك صلاة الله ما خشع الحصى	وما ذرفت عين ورف لها هذب
	وما قال محروق على فقد ألفه	أيا قلب مت حزنا فقد عظم الخطب

تمت المربة بون الله تعالى وتوفيقه .

(٦) مقدمين ألوف : كذا فى الأصل .

- وكانت توجهت إلى مكة وجاورت بها ، فتوفيت هناك . - ويوم الخميس سلخ الشهر
كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فتوجه قضاة القضاة إلى المدرسة النصورية التي بين
القصرين ، وحضر القاضي عبد العظيم المحتسب ، فلما رُؤي الهلال وانفض المجلس قام
القاضي عبد العظيم وركب من المدرسة النصورية ، فلاقته الفوانيس والمشاعل من هناك ،
وعُلقت له القناديل على الدكاكين ، وأُشعلت له الشموع ومشت قدّامه السقاين
بالتقريب كما كان يصنع القاضي بركات بن موسى المحتسب ، فاستمرّ في هذا الموكب
الحفل من بين القصرين إلى بيته الذي في باب النصر والرسل قدّامه بالشموع الموقدة ،
وكانت تلك الليلة من الليالي المشهودة في الفرجة والقصف ، وفيه يقول الأديب
ناصر الدين محمد بن قانصوه :

- كعب عبد العظيم كعب رخاء ريح تسميره الرخي رخاء
بأشر الحسبة الشريفة في المخد لـ فراح الفلا وجاء الرخاء
من كذا كعبه لنى الخلل خصب وهو طبّ للداء فيه دواء
دام فيها مدبر الحكم بالحكم مة ما قابل الصباح المساء
فهما ذى وذا سماء وغيث نعم غيث به تجود السماء
وفي شهر رمضان كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع القضاة الأربعة وهنّوا
ملك الأمراء بالشهر . - ومما وقع في ذلك اليوم أن قاضي القضاة الشافعي كمال الدين
الطويل تسكّم مع ملك (١٦٣ ب) الأمراء في ذلك المجلس بسبب تقييه نور الدين
على الميموني ، وقد تقدّم القول أن ملك الأمراء نفاه إلى دمنهور كما تقدّم ، فلما كلمه
القاضي الشافعي بسببه رسم في ذلك المجلس بإعادته إلى مصر ، بشرط أن يكون بطّالا
ولا يتكلم في انتقابة بباب القاضي أبداً ، ومنع بقية القضاة أن لا يجملوا لهم تقبّاء على
أبوابهم ، ثم انقض المجلس على ذلك وقامت القضاة . - وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان
كان يوم النوروز ، وهو أول السنة القبطية ، سنة خمس وعشرين وتسعمائة الهجرية .
وفيه قدمت الأخبار من مكة بأن في البحر الملح حول جدة نحو من أربعين مركبا

من مراكب الفرنج ، يعثون على التجار ويقطعون عليهم الطرقات ، فلما بلغ ملك
 الأمراء ذلك عرض جماعة من المالك الجراكسة وغيرها وعين منهم نحو ثلاثمائة
 مملوك وكولى ، يتوجهون بحبة الحجاج وقيمون بجدة خوفا من أن يطردها بعض
 الفرنج على حين غفلة . - وفيه أشيع بين الناس أن قاسم الشيروانى الذى كان
 قد استقر فى نيابة جدة ، جمع المال الذى تحصل من جدة فوضع يده عليه ، وأخذ
 المكاحل التى كانت هناك والسلاح ونزل فى مراكب وتوجه نحو بلاد هرمز ، فتأكد
 ملك الأمراء لهذه الأخبار الرديّة . - وفيه حضر شخص يقال له الكاخية أرسله
 ابن عثمان يقيم بمصر عوضا عن أغات الأنكشارية الذى كان بمصر ، فإنه أراد الحج
 فى هذه السنة إلى بيت الله الحرام .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان قبض على شخص من تجار الوراقين يقال له
 المحلاوى ، وكان قبيح السيرة مشهورا بأكل الربا ، وقد أنهوا فى حقّه بأنه يبيع الخمر
 والمجون للتركان فى شهر رمضان ، وقد شهد عليه جماعة من الوراقين بذلك ، فلما
 عُرض على ملك الأمراء بالميدان رسم بتسليمه إلى الوالى حتى يحرّر ما يكون من أمره ،
 فتسلّمه الوالى ونزل به إلى داره ليماقبه حتى يقرّ بما قيل عنه من بيع الخمر والمجون ،
 وقد وعده ملك الأمراء بالشفق (١٦٤ آ) بعد العيد . فلما نزل به الوالى إلى بيته
 قصد أن يكتب بسيرة محضرا فجاء إليه جماعة من الأنكشارية من أصحاب المحلاوى
 الذى كان يبيعهم المجون ، فنعوا الوالى من ذلك وأغلظوا عليه فى القول ، ثم توجهوا
 إلى سوق الوراقين وضربوا التجار الذين تمصّبوا على المحلاوى وقصدوا نهب السوق
 فأغلقوا التجار دكاكينهم قاطبة . - فلما كان يوم الأربعاء عشرين رمضان طلع التجار
 إلى ملك الأمراء وأخبروه بما جرى من الأنكشارية ، فحنق منهم ورسم للوالى بأن
 يوسط المحلاوى على باب الميدان ، فوسطه هناك مسرعا ، ولم تنتطح فى ذاك شاتان .
 ثم قبضوا على عبد المحلاوى فادّعى أنه قد اعتقه أستاذه قبل أن يتوسط ، فقطع الوالى
 أذنه وأطلقه إلى حال سبيله ، فعّد ذلك من الحوادث الموهلة ، وما كان يجب على

المحلّوى توسيط وراح ظلما .

- وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه فيه وقع من الحوادث أن ملك الأمراء كان صنع
 فى الرملة عند القماحين تجاه سبيل المؤمنى فلقين خشب نخل كهيئة المشنقة ، ووضع فيها ٣
 حبلا وفيها كلاليب حديد كبار ، فأشيع بين الناس أن ملك الأمراء يقصد بعد العيد
 أن يشنق جماعة من مشايخ العربان ، ويشنق جاني بك كاشف الشرقية وأينال كاشف
 الغربية ، ويشنق جماعة من الكمولية ممن كان قتل الأمير بنخشبای الذى تقدم ذكر واقعته ٦
 وكانوا فى البرج بالقلمة . فلما وسط ملك الأمراء المحلّوى تمصّب له جماعة من
 الكمولية والأنكشارية ، وجاءوا إلى تلك المشنقة وأرموا الأخشاب التى هناك
 وقطعوا الحبال وأخذوا تلك الكلاليب الحديد التى بها ، ثم توجهوا إلى بيت كشمبنا ٩
 الوالى وقصدوا أن يهجموا عليه ، ثم ضربوا النقباء الذين على بابه ، ثم توجهوا إلى
 سوق الورّاقين وقصدوا يقتلون الجماعة الذين كانوا تمصّبوا على المحلّوى حتى وسطوه ،
 وكادت أن تكون فتنة عظيمة ، وباتوا على ما كانوا عليه من طلب الشرّ مع ١٢
 ملك الأمراء .

- وفى يوم السبت ثالث عشرينه ثارت الكمولية والأنكشارية والأصبهانية
 وطلعوا إلى الرملة وقصدوا نحو الممالك الجراكسة ، وكان الأمير قايتباى الدوادار واقفا ١٥
 قدام باب السلسلة ، فلما رأى التركان تزايد الأمر منهم سلّ سيفه هو ومن معه من
 (١٦٤ ب) الأمراء الجراكسة وقصدوا يتقمّوا مع التركان ، فأغلظ التركان على
 الممالك الجراكسة ، وقالوا لهم : إيش أنتم واقنين تنفرتّ جوا علينا ، نحن فى بعضنا نتقتل ١٨
 إيش دخلكم بيننا ؟ ثم انقضّ ذلك الجمع على غير رضى ونزل كل أحد إلى داره .
 ثم إن التجّار نقلوا أمتعتهم من الدكاكين خوفا من النهب ، واختفى غالب تجّار سوق
 الورّاقين من التعمّين الذين كانوا تمصّبوا على المحلّوى .. وفى يوم السبت المذكور ٢١
 توجه جماعة من الأصبهانية والأنكشارية إلى بيت شخص من تجّار الورّاقين يقال له
 كرم الدين البلدى ، فهبوا كلّا فيه وقبضوا على أولاده ونسائه وعبيده وجواره

ولم يظفروا به . ثم أشيع أنهم قبضوا على جماعة من تجار الرّاقين ووضوهم في الحديد ، وقيل إنهم ممن تمصّب وشهد على المحلّوى بما قيل عنه ، فتشكّد جميع التجار لهذه الواقعة وصار على رؤوسهم الطيرة من التركان وحولوا أمتعتهم من الدكاكين ، وصار بقية الناس على وجل خوفا مما يأتي منهم ، واستمروا التركان على ما هم عليه من إقامة فتنة عظيمة ، والأمر لله تعالى .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه نادى ملك الأمراء في القاهرة بأن القلى شيخ سوق الرّاقين يظهر وعليه أمان الله تعالى ، وإن لم يظهر بعد ثلاثة أيام ونُغمز عليه بحرق المكان الذى يكون فيه والحارة أيضا . واستمر الأمير كشبنا الوالى مختفيا لم يظهر . وقد عيّنوا لهم التركان خمسة من تجار الرّاقين وشخصا يقال له ابن ظلام شيخ سوق الجمولون ، وهم الذين شهدوا على المحلّوى بما تقدّم ذكره وتمصّبوا عليه ، واستمرّ ذلك الاضطراب عمّالا بسبب ذلك . - وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب ، وكان مسافرا نحو جهات الصيد بسبب ضمّ الفلال وغير ذلك ، وكان له نحو خمسة أشهر وهو مسافر . فلما طلع وقابل ملك الأمراء فأخلع عليه قفطان مخمل ونزل إلى داره ، فزيّنت له سويقة اللّبن ودكاكين الخشّابين . وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه خلع على الأمير كشبنا الوالى وأعيد إلى الولاية وكان له عدة أيام وهو مخفّ (١٦٥ آ) لم يظهر بسبب واقعة المحلّوى ، وقد وقع بينه وبين الكمولية وعيّنوا له القتل ، فاختنق وأغلق أبوابه أياما ، فلما تلافى ملك الأمراء خواطر التركان وأرضاهم وزاد جوامعهم وخمدت تلك الفتنة ، ظهر كشبنا وأخلع عليه واستقرّ على عادته ، فمزّ ذلك على التركان . ولما حضر القاضى بركات ابن موسى المحتسب ضمن ابن ظلام شيخ سوق الجمولون وخلّصه من الحديد ، وألبسه قفطان مخمل وأقرّه في مشيخة سوق الجمولون كما كان ، وضمنه في مال له صورة يرده إلى ملك الأمراء ، وكان ابن ظلام صهر القاضى بركات بن موسى ، فبذل معه المجهود حتى خلّصه .

- وفي يوم الخميس ثامن عشرين رمضان خرج المسكر المعين إلى بندر جدة ،
فخرجت تلك التجريدة في ذلك اليوم وهم ما بين مهالك جرا كسة وتركان ، فكان
عدتهم نحو ثلاثمائة إنسان من الفريقين ، وكان الباش عليهم شخصا من العثمانية
يسمى حسين أغات الكمولية ، فقيل إنهم يتوجهون إلى السويس وينزلون من هناك
في المراكب إلى البحر الملح حتى يصلوا إلى جدة ، وقد كثرت الإشاعات بفساد الفرنج
وتعبثهم في البحر على التجار ، وقد حاموا حول بندر جدة .
- وفي شهر شوال كان مستهل الشهر يوم الأحد ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة
وصلوا مع ملك الأمراء صلاة العيد ، ثم نزلوا إلى دورهم . وبطل ما كان يخلع في ذلك
اليوم من الخلع على قضاة القضاة والأمراء والباشيرين وأرباب الوظائف قاطبة ، وزال
ذاك النظام العظيم من مصر كأنه لم يكن أبدا . - وفي يوم الخميس خامس شوال ،
ووافق ذلك أول يوم من بابه ، فيه ثبت النيل المبارك على ثمانية أصابع من عشرين
ذراعا ، وكان أرجح من نيل العام الماضي بذراع وأصبعين ، فإنه ثبت في العام الماضي
على ستة أصابع من تسعة عشر (١٦٥ ب) ذراعا ، وانهبط سريعا فشرق غالب
البلاد . - وفي يوم الاثنين تاسع شوال جلس ملك الأمراء بالميدان وعُرض عليه
كسوة الكعبة الشريفة والمحمل ، وكان يوما مشهودا .
- وفي يوم الجمعة ثالث عشر شوال انتهى العمل من مدرسة الشيخ عبد القادر
الدشوطي رحمه الله عليه ، التي بالقرب من حدة الفول ، التي تجاه زاوية الشيخ
يحيى البلخي ، وخطب في ذلك اليوم بها ، فاجتمع هناك الأمراء العثمانية والأميرجانم
الجزاوي وقضاة القضاة الأربعة وأعيان الباشيرين ومشاهير الناس . فلما كان وقت
الصلاة صعد المنبر قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وخطب خطبة بليغة في
المعنى ، فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الأمير جانم الجزاوي زبدي صيني ضمنها سكر
وشيء أقما فطاف بها على الحاضرين ، وكان يوما مشهودا . وجاءت هذه المدرسة في
غاية الظرف وذلك ببركة الشيخ عبد القادر الدشوطي رحمه الله عليه .

وفي يوم الخميس تاسع عشره خرج الحمل الشريف من القاهرة في تجمّل عظيم ، وكان ذلك اليوم مشهودا . وكان أمير ركب الحمل في هذه السنة الأمير برسباي دودار ملك الأمراء ، فطلب طلبا حفلا يشتمل على محاسن كثيرة كما هي عادة الأطلاب القديمة ، وشقّ من القاهرة في موكب حفل ، وقدامه جماعة من الأمراء الجراكسة والعمانية وأعيان المباشرين ، والجملّ الفقير من الأنكشارية يرمون بالنفوط وجماعة من القواسم ، وخرج صحبته سنيح عظيم من الزاد والماء ، وكانت الحجاج قليلا لأجل غلوّ الملق ، والكرى مشتتة في هذه السنة إلى الغاية .

- وفي شهر ذي القعدة كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع القضاء الأربعة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم رجعوا إلى دورهم . - وفيه في يوم الأربعاء ثاني الشهر حضر القاصد (١٦٦ آ) من عند الخندكار ابن عثمان ، فأشيع بين الناس أن سبب حضور هذا القاصد أن الخليفة محمد المتوكل على الله لما توجه إلى مدينة إسطنبول فوجه صحبته أولاد ابن عمه خليل ، وهما أبو بكر وأحمد ، فوقع بينهم وبين الخليفة هناك ، فرافعه عند الخندكار بأنه لما كان بمصر قعد على ودائع كثيرة ، ما بين مال وقاش الذي أودعوه عنده الأمراء الذين قتلوا ، وأخذ من خوند زوجة السلطان طومان باي وأما مالا له سورة ، وكذلك أخذ من نساء الأمراء المقدمين الذين قتلوا من الأموال ما لا ينحصر ، ولم يطالع الخندكار على شيء ، وتكلموا في حقه بالباع والتراخ وما أبقوا في ذلك ممكنا ، فاعتدل الخندكار على الخليفة المتوكل على الله وانحطّ قدره عنده ، وساعدت الوزراء أولاد خليل عند الخندكار . وكان الخليفة لما أقام بإسطنبول أظهر فشكا زائدا ، وأنهم الميش واشترى له جوارى يضربن بالجفك ، ثم إنه قطع معلوم أولاد ابن عمه فشكوه إلى الخندكار ، فحنق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تُقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية ، فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك . فلما حضر القاصد رسم على مباشري الخليفة وعلى دوداره بُرد بك ، وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات (١٤ و ١٥) الذين : الذي . (١٩) جوارى : جوار . (٢٢) مباشرى : مباشرين .

أبوم وإلى الآن . واستمرّ هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك ، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غاية الإنصاف .

- ٣ وفي يوم السبت خامسه جلس ملك الأمراء بالمقعد الذى بالحوش السلطاني ، وحضر قدّامه مصارعان ، وهو شخص يسمى الشاطر أبو الفيث الزريكشى ، وخصمه شخص عجمي شنيع المنظر في خلقته ، فتصارع مع الزريكشى فغلب الزريكشى وأرماه إلى الأرض وركب فوقه وعصره في الأرض حتى كاد يموت فانتصر عليه وغلب أبو الفيث ، ٦ فألبس ملك الأمراء المعجمي قفطان حرير ونزل من القلعة ، وقدّامه طبلان وزمران وجماعة من (١٦٦ب) الممانية ، فشقّ من القاهرة وكان له يوم مشهود .
- ٩ وفي يوم الأحد ليلة الاثنين رابع عشره خسف جرم القمر خسوفا فاحشا حتى أعظم منه الجوّ ، وأقام في هذا الخسوف فوق أربعين درجة ، وقيل أقام في الخسوف نحو خمسين درجة ، وقد خسف أول ما أشرق عند طلوعه واستمرّ يتزايد في الخسوف حتى مضى من الليل جانب كبير . ووقع مثل هذا الخسوف بعينه في السنة التي مات ١٢ فيها السلطان النورى ، فكان بين موته وبين ذلك الخسوف نحو شهرين ، وجرى ما جرى من الأحوال عقيب ذلك ، ونسأل الله اللطف في أمر هذا الخسوف الثانى .
- ١٥ وفي يوم الأربعاء سادس عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجّه إلى نحو خليج الزعفران ، وسبب ذلك أن الأمير كشيما الوالى صنع له هناك مدّة حفلة وأضافه ، فنزل إليه وأقام هناك إلى أواخر النهار ثم عاد إلى القلعة . وكان قبل ذلك بيوم توجّه إلى قصر ابن العيني الذى بالمنشية ، وقيل إنه أقام هناك إلى بعد العصر وعاد إلى القلعة ١٨ من يومه .

- وفي يوم الاثنين خامس عشرينه وقع بين خير الدين نائب القلعة وبين قرا موسى أغات الأصبهانية بمحضرة ملك الأمراء بالقلعة ، وسبب ذلك أن وقعت فتنة كبيرة بين ٢١ الأنكشارية وبين الأصبهانية ، وصار في كل ليلة يوجد في الطرقات والأزقة منهم

(٦) فانتصر : فانتصر .

(١٠-١١) وقيل ... حرجة : كتبها المؤلف في الأصل على هامش .

جماعة مقتولة بالسيوف ، فمز ذلك على قرا موسى وقال لنائب القلعة خير الدين : هذا
 كله في ذمتك أنت الذى أطمعت الأنكشارية في حق الناس ، حتى صاروا يخطفوا
 النساء والمردان ، ويخطفوا عمائم الناس ويمروّنهم ، ويقتلون الناس بأيديهم ويخطفوا
 بضائع السوق ، والخندقار ما يرى بشيء من ذلك ، وإن بلغه ذلك فما يحصل عليك
 خير . ثم في عقيب ذلك صار الكاخية أغات الأنكشارية يركب كل يوم ويشق من
 القاهرة ، فإن وجد في طريقه أنكشاريا يأخذ من يده عصاه يكسرها ويقول له :
 اطلع إلى القلعة واقعد في الطبقة ولا تنزل إلى المدينة أبدا . وقيل إنه منع الناس أن
 لا يشتكوا أحدا من الناس بأنكشارى مطلقا ، واستمرت الفتنة نائرة بين الأصهبانية
 وبين الأنكشارية إلى الآن ، وكل منهما على حذر من رفيقه .

(١٦٧ آ) ومما وقع في هذا الشهر من الحوادث أن جماعة من الممالك الجراكسة
 نحو عشرة ممالك ، وقيل فيهم شخص قرابة الأمير قانصوه بن سلطان جركس ،
 وشخص آخر كان والى قليوب ، فخرجوا على حين غفلة وقصدوا أن يتوجهوا إلى عند
 الأمير جان بردى الغزالي نائب الشام ، فلما وصلوا إلى قطيا قبض عليهم نائب قطيا
 ووضهم في الحديد وأرسل كاتب ملك الأمراء بذلك ، فأرسل إليه ملك الأمراء جماعة
 من التركمان ليحضرهم ، فلما وصلوا إلى قطيا أظهروا مرسومًا من عند ملك الأمراء
 إلى نائب قطيا بأن يضرب رقابهم أجمعين ، فامتل ذلك وضرب رقاب العشرة ممالك ،
 وكان فيهم شخص من العربان يرشدهم إلى الطريق فضرب عنقه أيضا ، وكان قتلهم
 في مكان بين الصالحية وقطيا يسمى حبة والمأقولة . فلما أشيع هذا الخبر عز ذلك
 على جماعة من الممالك الجراكسة ، وشق ذلك على نائب الشام أيضا ، ووقعت
 الوحشة بينه وبين ملك الأمراء خير بك من يومئذ ، ودبت بينهما عقارب الفتن
 واستمرت . - وفي يوم الاثنين ثامن عشر منه كانت وفاة الكاتب الجيد أبو الفضل
 محمد السنباطى المعروف بالأعرج ، قيل إنه مات فجأة على حين غفلة ، وكان له خط جيد .
 ومن الحوادث المجيبة والغريبة التي لم يُسمع بمثلها مما وقع في أواخر هذا الشهر
 (٢) يخطفوا : كذا في الأصل ، وتلاحظ عامة الأسلوب في العبارات التالية .

أن أشيع بين الناس واستفاض أن قانصوه خمسمائة الذى تسلطن قد ظهر بمد مضى هذه المدة الطويلة ، وأنه باق فى قيد الحياة ، وقد تغيّرت هيئته عما كان وصار له ذؤابة شعر فى رأسه وقد ابيضّت لحيته . فكان من ملخص هذه الواقعة أن شخصا من ٣ أبناء المعجم كان يرسل إلى ابنة قانصوه خمسمائة التى كانت زوجة أنصبأى حاجب الحجاب ، ويقول لها : أنا أبوكى . فترسل إليه ما يتفق به ، فأقام على ذلك مدة طويلة ، ثم إنه حضر إليها تحت الليل محبة طواشى ، فطلع إلى باب السلسلة وكانت تزوجت ٦ بأمير آخور كبير (١٦٧ ب) مملوك ملك الأمراء . فلما فشا أمره ولم يعرفه أحد من حاشية ابنة قانصوه خمسمائة ، فبلغ ذلك زوج ابنة خمسمائة فقبض عليه ووضعته فى الحديد وسجنه فى البرج الذى بباب السلسلة حتى يعرضه على ملك الأمراء ويتبين ما ٩ يكون من أمره . وقد أنكر ذلك الناس قاطبة فإن قانصوه خمسمائة له نحو ثلاث وعشرين سنة من حين قتل عند خان يونس الذى بالقرب من غزة ، وكان من أمره ما كان مع الأمير أقبردى الدوادر وقطع رأسه هناك وأرسلها إلى الملك الناصر محمد بن ١٢ الأشرف قايتباى ، وعلقت على باب زويلة أياما ، فكان أمر وجوده من الأمور المستحيلة التى لا تقبلها العقول السليمة بمد هذه المدة الطويلة .

وفى شهر ذى الحجة فيه كان مستهلّ الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الأربعة ١٥ وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - فلما كان يوم السبت ثالث نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس به ، وأحضر ممالك الأشرف قايتباى ، ثم أحضر ذلك الشخص الذى زعم أنه قانصوه خمسمائة ، فإذا هو شخص أعجمى مربع القامة ١٨ أبيض اللحية وله ذؤابة شعر فى رأسه ، فقال ملك الأمراء للحاضرين من ممالك الأشرف قايتباى : أهذا قانصوه خمسمائة الذى كنتم تمهدونه ؟ فقال المسكر قاطبة : ليس هذا قانصوه خمسمائة وهذا قصير القامة أخضر اللون . ثم إن ملك الأمراء ضيق ٢١ على ذلك الشخص الذى زعم أنه قانصوه خمسمائة وعين له القتل ، فاعترف أنه ليس هو قانصوه خمسمائة ، فقال له ملك الأمراء : فما حملك على ذلك ؟ قال : الفقر والفاقة

وقلة ما في اليد . فلما اعترف بذنيه رسم ملك الأمراء بتوسيطه ، ثم بدا له أن يضرب عنقه فضرب عنقه بين يديه في الميدان ومضى أمره ، ثم أحضروا له بتابوت فخلوه فيه ليفسأوه ويكفّنوه ويدفنوه ، فعمدت هذه الإشاعة التي أشيعت بسبب قانصوه (١٦٨ آ) خمسمائة . وكان غالب الناس الذين ليس لهم عقول قد صدق بذلك ، وقد تبين أن ذلك الرجل نصاب شيطان أخذ من ابنة قانصوه خمسمائة مالا له صورة ويقول لها : أنا أبوكي . وكان ينصب على الناس ويقول لهم أنا قانصوه خمسمائة ويبلصهم غير ما مرة ، فأراح الله الناس منه .

وفي يوم الخميس ثامنه أخرجت تجريدة إلى الأزمن تلاقى الحجاج وكان بها نحو مائة مملوك ، وكان الباش عليهم إياس كاشف الشرقية ، وصحبته جماعة من الأنكشارية يرمون بالبندق الرصاص ، وكان الباش عليهم شخصا من العثمانية . - وفي يوم السبت عاشره كان عيد النحر ، وكانت الأضحية في غاية الفلوة ولا توجد فلم يضح من الناس إلا القليل . وكان اللحم البقرى يباع في تلك الأيام بنصف فضة كل رطل ، فلم يفرق ملك الأمراء لأحد من الناس أضحية في هذه السنة ، وقطع أضحية الزوايا قاطبة ومن كان له عادة من الفقهاء والأثراك قاطبة كما فعل في السنة الماضية . ١٥

وفي يوم الأحد ثامن عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وعدى لبرّ الجزيرة وتوجّه إلى نحو شبرامنت على سبيل التزّه ، فأقام هناك من الأحد إلى يوم الثلاثاء ، وأخذ معه خايما كثيرا وسنيحا ، وصنع له هناك القاضي شرف الدين البهّغير مدّة حفلة ، وكان صحبته جماعة من الأمراء العثمانية وغير ذلك من المالك الجراكسة ، فلما رجع من شبرامنت أقام بالقلعة ثلاثة أيام ، ثم عزّم عليه الأمير كشيغا الوالي في خليج الزعفران ومدّ له هناك مدّة حفلة وأقام عنده إلى بمد العصر ، ثم عاد إلى

(٤) الذين : الذئ . (١٢) فلم يضح : فلم يضحى . (١٦) ثامن عشره : سابع عشره .

(١٧ و ٢٠) شبرامنت : شبرمت .

القلمة من يومه ، وكان نهار شمت وغبار وهواء مريسي ، فلم يهتأ بالفرجة في ذلك اليوم .

- ٣ وفيه حضر قاسم الشرواني الذي كان نائب جدّة وجرى منه ما تقدّم ذكره ، فأرسل ملك الأمراء بإحضاره وهو في الحديد ، فأحضره (١٦٨ ب) الشريف بركات أمير مكة من البحر الملح ، فلما حضر سجنه ملك الأمراء بالمرقانة التي هي داخل الحوش السلطاني إلى أن يكون من أمره ما يكون . - وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بالآمن والسلامة ، وأن الوقفة كانت عندهم يوم الجمعة ، وأن الأسرار انحطت عما كانت قليلا . وأخبر المبشر أيضا أن لما دخل الحاج إلى مكة ثارت فتنة عظيمة بين عبيد الشريف بركات أمير مكة وبين جماعة من العثمانية ، وقتل من الفريقين نحو عشرة أنفار ، ثم خمدت تلك الفتنة وزال الشرّ قليلا بعد ما كاد أن يتسع .

- وفيه توفي صاحبنا الشرفي يحيى بن الناصري محمد الأزبكي الذي كان لفاف السلطان الغوري ، فأشيع بعد موته بأن وجد له من الذهب العين نحو عشرة آلاف دينار ، فمدّ ذلك من النوادر ، فإن أباه محمد الأزبكي لم يكن في سعة من المال ولا أجداده ولا أقاربه . - وفي يوم الخميس سلخ هذا الشهر فيه توفي الشيخ جلال الدين عبدالرحمن ابن الشيخ زين الدين قاسم بن قاسم المالكي ، وكان عالما فاضلا علامة في مذهبه ولى قضاء المالكية في أيام السلطان الغوري لما عزل القضاة الأربعة في يوم واحد ، فأقام بهامدة ثم عزل عنها وأعيد إليها قاضي القضاة محي الدين يحيى بن الدميري ، وولى أيضا بعد ذلك مشيخة مدرسة السلطان الغوري أخذها عن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ابن أبي شريف .

- وفي ذلك اليوم وقع بالقلمة بعض خطاط هين ، وهو أن ملك الأمراء وقف له طائفة من المالك الجراكسة بسبب أن لهم جامكية شهرين مكسورة ، فلما وقفوا إليه وتجنّهم بالكلام وطفش فيهم ، وقال لهم : لا زلتوا حتى أوقعتوا بيني وبين نائب الشام ، وأنتموا تفرّوا وتروحووا إليه وتشكوا فيّ عنده . فقام الأمير قايتباي النوادر

وجعل يرفع للممالك الجراكسة خلل ، ويقول : هؤلاء ممالكك (١٦٩ آ) وعبيدك وإنما يفعلوا ذلك من الجوع والقلّة . فقال ملك الأمراء : والله والله لولا أنا ما خلّى الخندكار منكم مملوك يلوح على وجه الأرض حتى أناشفتم فيكم من القتل . فقال له الأمير قايتباي : الكل صاروا رعيتك ، ولهم أولاد وعيال ، وقد مستهم الفقر والفاقة ، والآف يطلبوا صدقة الخندكار وصدقتك . فرسم لهم بشهر واحد يصرف لهم من جامكتهم ، وكان لهم شهران مكسورة في الديوان ، انتهى ذلك .

وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مريب من النلاء وقلة الأمن وجور التركان عليهم ، وتناهى سعر الأردب القمح إلى ثلاثة أشرفية واثنا عشر نصفا كل أردب ، والبطّة الدقيق بأشرفي وخمسة أنصاف ، وقد شطحت الأسعار في سائر البضائع من المأكّل والمشرب حتى الماء . وصارت التركان يخطفون عائم الناس من على رؤوسها جهارا ولا يجدون من ينمهم من ذلك ، ويقطعون الطريق على التسبيين والضيافات التي تطلع من البلاد ، وصاروا يخطفون النساء والمرد من الطرقات كل يوم من بين الناس ولا يجدون من يخلصهم من أيديهم . وحصل للناس وقوف حال بسبب المعاملة من الفضة فإنها كلها نحاس وغشّ وزغل وصار الأشرفي القايتبية يصرف بخمسة وستين نصف فضة ، والسوق لا تقبل من الفضة إلا القليل ، وكذلك الفلوس الجدد . وقاست أهل مصر في هذه السنة شدة عظيمة ما قاستها قط ، والأمر لله من قبل ومن بعد . انتهى ما أوردناه من حوادث سنة خمس وعشرين وتسعمائة .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وتسعمائة

فيها في المحرم كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالعام الجديد ، ثم رجعوا إلى دورهم . - ففي يوم الثلاثاء رابعه كان ختان ولد قاضي القضاة المالكي محيي الدين يحيى بن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم الدميري رحمة الله عليه ، فكان له في ذلك (١٦٩ ب) اليوم زفة حفلة رجّت لها القاهرة ، فمشت من الجامع المؤيدى إلى المدرسة الصالحية ، ومشى فيها أعيان الرؤساء من المباشرين والتجار ومشاهير الناس وغير ذلك من الأعيان ، فوقدت لها

- الشموع على الدكاكين ، وكان يوما مشهودا . وفي أوائل ذلك اليوم مدّة حفلة حضرها الأمير جانم الحزأوى وجماعة من الأمراء العثمانية ومن الأمراء الجراكسة وغير ذلك . - وفي يوم الاثنين رابع عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف ، وأمير الحاج الأمير برهباي ، وقد أثنوا عليه الحجاج خيرا فيما فعله في طريق الحجاز ، وأخبر الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق .
- ٦ وفي شهر صفر أهلّ يوم الأحد ، فطلع القضاة الثلاثة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ولم يطلع قاضي القضاة الشافعي وكان مريضا منقطعا بداره مدّة طويلة لم يركب . - وفيه وقع من الحوادث أن ملك الأمراء عزل الشرفي يحيى بن التاج عن مشيخة حضور الجامع المؤيدي ، واستقرّ بشخص من أبناء العجم ،
- ٩ وقيل من العثمانية ، عوضا عن يحيى بن التاج ، وكان ذلك الشخص عاريا عن العلم والفضيلة ليس له شهرة بين الناس ، فقامت الأشلة على ملك الأمراء من العلماء والفقهاء ، وأنكروا عليه ذلك كونه عزّل يحيى بن التاج عن مشيخة الجامع
- ١٢ المؤيدي من غير جنحة ولا سبب ، وقرّرها من هو غير أهلها ومن لم يكن يستحقّ ذلك ، وهذا من البدع المنكرة .
- ١٥ وفي يوم الخميس خامسه نزل ملك الأمراء من القلعة ، وصحبته الأمير قايتباي الدوادار وجماعة من الأمراء الجراكسة ، ومن الأمراء العثمانية جماعة كثيرة ، ومن المالك الجراكسة نحو خمسمائة مملوك ، وقيل أكثر من ذلك ، ومن الأصهبانية والسكمولية والأنكشارية الجمل الغفير ، وعدّة رماة بالبندق الرصاص ، فأشيع عنه
- ١٨ أنه (١٧٠ آ) يقصد التوجّه نحو البلاد الشرقية ، فصلّى صلاة الصبح ونزل وشقّ من بين التراب واستمرّ سائرا والأمراء حوله والعسكر حتى نزل بالمكرشا ، ثم توجّه إلى شيبين ، ثم توجّه منها إلى مرّصفه . وقد اختلفت الأقوال في ذلك ، فمن الناس من يقول إنه خرج يسرح في الشرقية على سبيل التنزه والفرجة ، ومن الناس من يقول إنه خرج بسبب محاربة عربان السوالم ، والأول أصحّ ، فخرج صحبته سائر
- ٢٤ المباشرين قاطبة .

فلما كان يوم الثلاثاء عاشره حضر القاضي بركات بن موسى من عند ملك الأمراء
وعليه عمامة هوارية ، وقد أخلع عليه قفطان نخل مذهبا ، وحضر صحبته ستة أنفار
٣ بَوَّ وقد سُلخوا وحشوا تبنا ، فقبل إنهم من مشايخ عربان السوالم ، فأركبهم على
خيول وعليها بركتوانات نخل وألبسهم جوخ وشاشيات على زموط على رؤوسهم ،
وقدأمهم اثنا عشر رأسا مقطوعة وهى على رماح ، قيل إنهم من أعيان عربان
٦ السوالم ، فشَقَّوا بهم من القاهرة ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فمَلَّقوا جماعة من البَوَّ
والرؤوس على باب زويلة ، وعلَّقوا الباقي على باب النصر . فكان من ملخَّص هذه
الواقعة ما أشيع واستفاض بين الناس أن إياس كاشف الشرقية تحيَّل على مشايخ
٩ عربان السوالم ، فأرسل لهم بالأمان ، فأركنوا له وحضروا إليه ، فصنع لهم ضيافة ،
فلما استقرَّوا عنده أرسل أعلم ملك الأمراء بذلك ، فأرسل إليه القاضي بركات بن
موسى ومعه جماعة من المالك الجراكسة ، فتوجهوا إلى نجع العرب السوالم ، وخرج
١٢ صحبهم عربان البلاد المجاورة من منية حمل والجوسق والحروقة ، وغير ذلك من البلاد
المجاورة فاتَّبعوا مع السوالم وكان بينهم وقعة مهولة ، فانكسرت السوالم وقبضوا على
بقية مشايخهم . ثم إن المسكر والعربان نهبوا نجع السوالم عن آخره ، فغنموا منه
١٥ ما لا يحصى من جمال وخيول وسلاح (١٧٠ ب) وقماش ونحاس ومصاغ ، وغير ذلك
من عبيد وجوار ، حتى أخذوا نساءهم وأولادهم . فلما وقعت هذه الكسرة على
السوالم هرب من بقى منهم إلى الأودية والجبال . فلما جرى ذلك سلخ الكاشف
١٨ مشايخهم وأرسلهم إلى القاهرة كما تقدَّم ذكر ذلك . وقيل كان فيهم من هو من أولاد
قراجا بن طراباى شيخ جبل نابلس على ما قيل عنه .

وأشيع أن ملك الأمراء رحل من على مرصفة وتوجَّه إلى بناها العسل ، وأرسل
٢١ سنيحه ومطبخه إلى القلعة ، وأشيع عوده إلى القاهرة . - وفي يوم الأربعاء حادى عشره
رجع ملك الأمراء إلى القاهرة ، فأتى من على قنطرة الحاجب ودخل من باب
الشعرية وخرج من باب القنطرة ، وطلع من على سوق مرجوش وشق القاهرة

- في موكب حفل وقدّامه جماعة من الأمراء الجراكسة ومن الأمراء العثمانية ، وقدّامه
 جماعة من الأنكشارية الرماة ، وقدّامه بعض جنائب ، ولاقاه الشعراء والشبابة
 السلطانية من باب الشعرية ، وكان عليه قفطان جوخ أحمر ، وكان قدّامه ما اصطاده ٣
 من الكراكي والأوز العراق ، فاستمرّ في ذلك الموكب حتى طلع إلى القلعة ، وكان
 يوما مشهودا ، فكانت مدة غيبته في هذه السرحة سبعة أيام بلياليها . ثم دخل بعده
 شيخ العرب نجم شيخ العايد وهو في الحديد ، وقد نسبوا إليه أنه كان متواطئا مع ٦
 عربان السوالم وهو من أغراضهم ، فقبض عليه ملك الأمراء ووضعه في الحديد حتى
 يكون من أمراء ما يكون . ولم يحصل بنزول ملك الأمراء إلى الشرقية خير قط للناس ،
 فرعى العسكر زرع البلاد ، وقدّمت له مشايخ العربان نحو ألفي رأس غنم فوزّعوا ٩
 ذلك على بلاد الشرقية ، وأحضروا له من شيبين ستمائة أردب شعير ، وذلك غير
 التقادم من خيول وجمال ، وغير ذلك من ذهب عين فوق العشرة آلاف دينار . وقيل
 إن ملك الأمراء كان في هذه السرحة لا يصحو من السكر ليلا ولا نهارا ، حتى أشيع ١٢
 عنه أنه أخذ معه أربعين بطلا وهي محمّلة نبيذا إقريطشى . فكان في نزوله هناك غاية
 الضرر في حقّ الناس ، ولولا أخذوا عرب السوالم بحيلة لما قدروا عليهم أبدا ،
 (١٧١ آ) انتهى ذلك . ١٥

- وفي يوم تاريخه عاين مؤلفه هذه الواقعة بالمشاهدة ، من حضور القاضي بركات
 ابن موسى المحتسب ، ومن طلوع ملك الأمراء في ذلك الموكب المقدّم ذكره . - فلما
 طلع ملك الأمراء إلى القلعة قدمت الأخبار من الشرقية بأن عربان السوالم لما حصلت ١٨
 لهم تلك الكسرة توجّهوا إلى الصالحية ونهبوا ما فيها وأحرقوها ، وأحرقوا ما حولها
 من الضياع ، وحصل منهم غاية الضرر الشامل . وكل هذا بسوء تدبير إياس كاشف
 الشرقية فإنه استعجل بقتل مشايخ عربان السوالم ، وكانوا من نوابغ أعيان السوالم ٢١
 وقيل كان فيهم من هو من أولاد ابن طراباي شيخ جبل نابلس ، فسلبخ الجميع ، ومنها
 أنه نهب نجعهم وأخذ أموالهم ومواشيهم وأسر حريمهم ، حتى قيل أسر ستين امرأة

من أعيان نسائهم ، وأسر أولادهم . فلما طفشوا في البلاد أرسل ملك الأمراء يقول للكاشف : اطلق نساء السوالم وأولادهم الذين عندك من كل بُدّ وسبب . وقد استدرك ملك الأمراء فارطه مما وقع منه في حقّ مشايخ عربان السوالم ، وقد اتّسعت ٣ أمور هذه الفتنة من كل جانب ، واستمرّت أرباب هذه الدولة في آراء معكوسة ليس لأحد منهم رأى سديد ولا لهم مستشار يرجع إليه ، وصار كل أحد منهم يشير برأى غير صواب ، ويتكلم بكلام غير مفيد ، وقد ضاعت الكلمة بينهم ، وآلت أحوال مملكة ٦ مصر إلى الخراب . وكل هذا من سوء قبح تدييرهم ، وقلة عرفانهم ، وعدم تجاربهم للأمر ، وقلة نظرهم في المواقب بما يؤول أمره من خير أو شرّ ، فنسأل الله تعالى إصلاح الحال ، وحسن الخاتمة ، وإخاد هذه الفتن عن قريب . ٩

وفي يوم الجمعة ثالث عشره أخلع ملك الأمراء على أخى نجم واستقرّ به شيخ العايد عوضا عن أخيه نجم ، وقد بلغه أن أحوال الشرقية قد اضطربت إلى الناية ، وثار بها العربان بكثرة الفساد ، فلما أخلع عليه خرج من يومه إلى الشرقية بسبب ١٢ هذا الفساد . - وفي يوم السبت رابع عشره كتب ملك الأمراء تجريدة إلى الشرقية وعين بها نحو مائة مملوك من الجراكسة (١٧١ ب) وغيرها ، وعين جماعة من الأصهبانية والكمولية وجماعة من الرماة الأنكشارية ، وجهّز عجلات تخرج صحبتهم إذا خرجوا . وقيل إن إياس كاشف الشرقية محاصر مع العرب في بلييس وقد أرسل يطلب نجدة بسرعة ، وأشيع أن عربان نجم شيخ العايد لما مُسك صاروا يمرّون الناس ١٥ في رأس المطرية وعند تربة العادل . ١٨

وفيه أشيع أن جماعة من الأنكشارية هجموا على سوق [النحاسين] وأخذوا ما ما فيه من النحاس حتى يسبكوه مكاحل للبندق الرصاص ، فحصل للتجار الضرر ٢١ الشامل من ذلك . - وكانت حركة هذه الجماعة الذين قتلوا من عرب السوالم من أكبر أسباب الفساد في أحوال المملكة . وإنهم لو أبقوا في قيد الحياة وسجنوهم لكان

(٢١ و ٢٢) الذين : الذى . (٣) منه : منهم . (٩) وحسن : حسن .

(١٩) الأنكشارية : الأنكشار .

ذلك عين الصواب وأرجى لخمود هذه الفتن ، ولكن عجّلوا بقتلهم حيث ظفروا بهم ، فكان كما يقال في المعنى :

- ٣ أمور تضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب
- وفي يوم الثلاثاء سابع عشره خرجت التجريدة التي عيّنها ملك الأمراء إلى عرب السوالم ، وكان الباش عليها شخصا من الأمراء العشرات يقال له جان بردى الذى كان كاشف البحيرة ، أخو ثم الذى كان خازن دار الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، وكان بها من الممالك الجراكسة وغيرها مائة مملوك ، وتوجه قبل ذلك إلى عند كاشف الشرقية ستون مملوكا يقيمون عنده ، فخرجت التجريدة في ذلك اليوم وتوجه من بها من الممالك إلى خانقاة سرياقوس . - وفي يوم السبت حادى عشرينه حضر إياس كاشف الشرقية وصحبته جماعة ممن بقى من أعيان عربان السوالم ، وقد أتوا إلى إياس طائمين بعد أن رأوا عين الغلب ، فأحضرهم إلى ملك الأمراء ، فلما قابله أخلع عليهم وأقرهم في مشيخة السوالم عوضا عن من قتل منهم ، وخذت فتنة عربان السوالم ، وكان ذلك على غير القياس من أمر هذه الفتنة .

- وفي شهر ربيع الأول كان مستهله (١٧٢ آ) يوم الاثنين ، فصعد القضاة الأربعة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ورجعوا إلى دورهم . - وفي ذلك اليوم قدم قاصد من عند الخندكار سليم خان بن عثمان متملك الديار المصرية ، وقد حضر من البحر الملح إلى ثغر الإسكندرية ، فلما طلع إلى القلعة قرأ مراسيم الخندكار على ملك الأمراء ، وأشيع بين الناس أن الخندكار أرسل يقول لملك الأمراء بأن يتوصى بالممالك الجراكسة ويصرف لهم جوامكهم ولحومهم وعليقهم والأضيحة والكسوة على العادة . وأشيع أنه أرسل يقول لملك الأمراء كل من شوّش من التركان على أحد من الرعية يشنقه من غير معاودة ، وأرسل يقول لملك الأمراء بأن ينادى للناس بأن يقطعوا الطرقات والشوارع والأسواق قاطبة ، فأخذ الناس في أسباب ذلك وشرعوا في قطع الطرقات ، ثم أشهروا المناداة في القاهرة عن لسان الخندكار حسب ما رسم ،
- (١) وأرجى : وأرجا . (٤) التى : الذى . (٢١) معاودة : معاويه .

بأن لا أحد من الأنكشارية ولا من الأصهبانية يشوش على الرعية ، وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو موسى قرا . فأشهروا المناداة بذلك أربعة مشاعلية ، اثنان ينادوا بالتركي ، واثنان ينادوا بالعربي ، وهما قدام الأمير كمشبغا والى القاهرة ، وأظهر العدل في ذلك اليوم وليته لو دام .

- ٦ ثم أشيع بين الناس أن الخندكار أرسل إلى ملك الأمراء يطلب سنان باشاه وفايق بك بأن يحضروها والأصهبانية إلى إسطنبول ، فلما وصلوا إلى هناك أحضر سنان باشاه بين يديه فأمر بشنقه ، فأقام مصلوبا ثلاثة أيام لم يُدفن . وأشيع أن طائفة الأصهبانية الذين كانوا بمصر وأرسل طلبهم ، فلما دخلوا إلى مدينة إسطنبول ضرب رقاب أربعمائة أصهباني منهم ممن أشيع عنه الفساد بمصر من جماعة سنان باشاه . وأشيع أن الخندكار أرسل يحط على ملك الأمراء خاير بك بسبب رخوه في حق طائفة (١٧٢ب) الأنكشارية والأصهبانية حتى جاروا على الناس وصاروا يشوشون على الرعية ، وقد بلغ الخندكار ما يصنعون بمصر من خطف النساء والمرد وبضائع التسبيين وخطف ضيافات الناس ، فلما حضر القاصد في ذلك اليوم وقرئ مرسوم الخندكار بحضرة القضاة شهدوا بأن ملك الأمراء ناظر في مصالح أحوال الرعية والناس عنه راضية ، فكانت هذه الشهادة عين الرياء ، واتباع الجاه لأجل المناصب . ثم إن ملك الأمراء قصد أن يكتب محضرا ويأخذ عليه خطوط القضاة الأربعة بأن مصر في غاية العدل والرخاء والأمن فلم يوافقهم القضاة على ذلك ، وقالوا : نكتب خطوط أيدينا بشيء باطل ويبلغ الخندكار بخلاف ذلك ، فنخشى على أنفسنا منه بأن نذكر مصرف غاية العدل والأمن والرخاء وأن التركان لم يشوشوا على أحد من الرعية ، وهذا باطل لا يجوز ، فرجع عن ذلك .

وفي يوم الخميس حادى عشره عمل ملك الأمراء المولد النبوى بالقلعة ، وجلس في المقعد الذى بالحوش السلطاني ، وحضر القضاة الأربعة على حكم السنة الماضية . وفيه (٤٣و) ينادوا : كذا في الأصل . (١٢) يشوشون : يشوشوا . (١٦) الشهادة : الشاهدة .

قدمت الأخبار من مكة المشرفة بأن وقع بها فتنة كبيرة بين الشريف بركات أمير مكة وبين نائب جدة الذي ولى عليها من قبل ابن عثمان ، وأشيع أن قتل في المعركة جماعة من عبيد الشريف بركات ، وجرح نائب جدة أغات الكمولية الذي يسمى حسين السكاخية ، واضطربت أحوال مكة إلى الغاية . - وفي يوم الأحد رابع عشره أخلع ملك الأمراء على الأمير جانم كاشف البهنسا والفيوم وقرره أمير الحاج بركب المحمل، فنزل من القلعة في موكب حفل .

وفيه كانت كايئة الأمير جان بردى الأشقر أحد الأمراء العشرات ، وهو أخوتهم الذي كان نائب الإسكندرية ، قيل إنه عزم عليه شخص يسمى (١٧٣ آ) تمر الظاهري ، فلما دخل عليهما الليل وقع بينهما تشاجر ، فثارت في ذلك المجلس فتنة كبيرة ، فقتل فيها جان بردى الأشقر ولا يُعلم من قتله من الحاضرين ، فقبضوا على من كان حاضرا ، واختفى تمر صاحب البيت ، وكانت واقعة مهولة . فلما بلغ ذلك ملك الأمراء شقّ عليه قتل جان بردى الأشقر فإنه كان صاحبه ، فأخذ في الفحص على من كان سببا لقتله ، وألزم الوالى بإحضار تمر الذى جرى ذلك في بيته . - وفيه أخرج ملك الأمراء تجريدة إلى ثغر الإسكندرية بسبب تعبث الفرنج هناك على المسافرين ، فكان بها من العسكر نحو مائة إنسان ، ما بين ممالك جراكسة وأولاد ناس وعثمانية وغير ذلك .

وفي شهر ربيع الآخر كان مستهلّه يوم الثلاثاء ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - ويوم الخميس ثالث الشهر فيه خرج الأمير جانم الحزاوى وتوجّه إلى السفر وقصد التوجّه إلى إسطنبول ، فخرج في موكب حفل وصحبته الأمراء الجراكسة والمباشرون وأرباب الدولة من الأمراء العثمانية . وقد أرسل ملك الأمراء صحبته مقدمة حافلة إلى السلطان الملك المظفر سليم خان ، فكان ما اشتمل عليه تلك المقدمة عما قيل من الخيول الخاص خمسين

(٢٢) عما قيل : كتب المؤلف هنا في متن الأصل الجملة الآتية ، ثم شطبت : « من الذهب

العين مائة ألف دينار ضمن صناديق خشب » . .

فرسا ، وفيهم بقة قيل مشتراها خمسمائة دينار ، ومن القماش الحرير والتفاصيل
السكندري أشياء كثيرة ، ومن الشاشات المائي أشياء كثيرة فيهم من طوله مائة
وعشرون ذراعا ، وأرسل إليه ملك الأمراء من جملة هذه المقدمة خمسمائة قنطار
سكر معمولة بمسك ، ومن الأثربة والمرييات أشياء كثيرة ، وأرسل إليه من
الفصوص والمعادن واللؤلؤ أشياء كثيرة ، ومن الصيني اللازورد والشفاف أشياء
كثيرة ، وغير ذلك من التحف الغريبة أشياء كثيرة ما يهدى للملوك مثلها .

وفيه قدمت الأخبار من تونس ببلاد الغرب بأن قد وقع بها فتنة عظيمة بين
صاحب تونس وبين (١٧٣ ب) الشيخ محمد بن تليس صاحب قُرت ، فكان بينهما
وقعة مهولة في أوائل صفر ، وقتل في هذه المركة نحو أربعين ألف إنسان ، وآخر
الأمر انتصر السلطان حسن بن محمد صاحب تونس على ابن تليس وغنم منه غنائم
جزيلة ما بين مال وقماش وسلاح وخيول وجمال وغير ذلك . - وفيه نزل ملك الأمراء
إلى بولاق وأقام بها إلى قريب الظهر ، فأحضر إليه القاضي بركات بن موسى المحتسب
هناك مدّة حافلة ، بين خرفان شوى وقدور هريسة ومأمونية وفاكهة وحلوى
وغير ذلك . ثم إن ملك الأمراء عرض المراكب الأغربة التي أنشأها ولعبوا قدامه
في البحر ، وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية ، ونصب له سحابة في الجزيرة التي تجاه
إنابة ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم الاثنين حادى عشرينه كان عيد النصرى ، وهو أول يوم في الخامسين
وكانت خامسينا مباركة لم يظهر فيها الطاعون بمصر ولا في غيرها من الثغور . - وفيه
توفي شرف الدين الجوينى الذى كان مباشر ديوان الأمير أزدمر الدوادار ، وباشر
أيضا ديوان الأمير كسبای المحتسب ، وكان لا بأس به . - وفيه وقع من الحوادث
الشيئية أن امرأة مسلمة كُبت مع شخص يهودى ، فلما شاع أمرهما قبض على
اليهودى وعلى المرأة وعلى المكارى الذى أركب المرأة ، وقبض على شخص
إسكافى الذى كان واسطة بين اليهودى وبين المرأة ، فلما رُفع أمرهم إلى ملك

الأمراء ضرب الإسكافي بالمقارع والمكارى ، وسجن المرأة بالحجرة وسجن اليهودى فى سجن الديلم ، حتى يكون من أمرهم ما يكون .

وفيه قدمت الأخبار من حلب بأن عبد الرزاق أختا على دولات وثب على ابن أخيه سوار ، وقد التفّ عليه جماعة من التركان البياضية والأكراد ، فحصل بينهما وقعة مهولة ، فقتل بها (١٧٤ آ) جماعة كثيرة من التركان ، وأشيع قتل ابن سوار فى المعركة ، وقد ملك عبد الرزاق من ابن سوار الأبلستين والمرعش وغير ذلك من البلاد ، واستمرّ الحرب ناثرا بين الفريقين ثمانية أيام وانتصر عبد الرزاق على ابن سوار ، ثم خمدت هذه الإشاعات من بعد ذلك كأنها لم تكن .

وفى شهر جمادى الأولى أهلّ الشهر يوم الخميس ، فطلع القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى هذا الشهر تزايد أمر الغلاء بالديار المصرية وبلغ سعر الأردب القمح إلى ثلاثة أشرفية كل أردب ، وبلغ سعر الأردب الشعير إلى أربعمئة درهم ، والفول بستمئة درهم كل أردب ، وشطح السعر فى سائر الحبوب . وبلغ كل رطل سمن بأربعة أنصاف ، والسيرج بثلاثة أنصاف كل رطل ، والأجبان قاطبة فى غاية الغلو ، واللحم الضأن كل رطل بثمانية عشر نقرة ، واللحم البقرى كل رطل بستة عشر نقرة ، وبلغ سعر السكر كل رطل بثمانية أنصاف ، وبلغ سعر العسل الأسود كل رطل مكرر بثلاثة أنصاف ، وبلغ سعر الصابون كل رطل بخمسة أنصاف . وعلى هذا قيس فى سائر البضائع والغلال ، حتى بلغ سعر الراوية الماء إلى أربعة أنصاف ، وعمّ هذا الغلاء حتى فى القماش قاطبة البيضاء وفى اللون والحرير والصوف والجوخ وغير ذلك من القماش قاطبة . وسبب ذلك النشّ فى المعاملة من الذهب والفضة ، وصار الأشراف البرسبهي يُصرف بثلاثة أشرفية فضة ، والأشراف القايتيهي يُصرف بأشرفين وثمانية أنصاف ، والأشراف الغورى يُصرف بأشرفين وأربعة أنصاف ، وكذلك الأشراف العثماني ضرب الخندكار . وأما الفضة فجميعها فى غاية النشّ والفساد ، وصارت الناس فى أمر مريب بسبب ذلك ، وقد تغيّرت أحوال الديار المصرية تغيّرا فاحشا إلى الغاية ، وفوق ذلك جور التركان فى حق أهل (١٧٤ ب)

مصر من الخطف والنهب وأخذ أموال الناس بغير حق ، وخطف المرد والنساء والضيافات من الطرقات .

- ٣ ومن الوقائع كايته شمس الدين محمد الرشيدى ، الذى كان ناظر الكسوة وناظر الجوالى وغير ذلك من الأنظار ، وكان الخندكار ابن عثمان قرّره فى ذلك ، وقد سعى له حلیم جلبي الذى من جماعة الخندكار ، فاستمرّ على ذلك ، ثم سمعوا على الرشيدى من عند ملك الأمراء فأخرج عنه ما كان بيده من الأنظار ، فحصل له غايه القهر ، فاخفى وخرج فى الدسّ حجة بمض الهجانه على أنه يتوجّه إلى الخندكار ويشكو له ملك الأمراء الذى أخرج عنه الأنظار التى كان الخندكار قرّره فيها . فلما وصل إلى قطيا قبض عليه نائب قطيا وعلى الهجّان الذى كان محبته ، وقال له : أمّك مرسوم ملك الأمراء ؟ فقال : إنما رسم لى مشافاه ، فضيق عليه نائب قطيا فاعترف الرشيدى أنه خرج هاربا من ملك الأمراء ، فقبض نائب قطيا على الرشيدى ووضع فى الحديد ، وأشيع أنه شنىق الهجّان هناك ، وأرسل الرشيدى فى الحديد إلى ملك الأمراء . فلما وقف بين يديه وتجنّه بالكلام ، وقال له : أنت قصدت أن تتوجّه إلى الخندكار وتشكو لى ؟ ثم إن ملك الأمراء رسم بسجن الرشيدى فى العرقانة التى هى داخل الحوش السلطانى . - وفيه أرسل ملك الأمراء بالقبض على شخص يسمى محرات ، مقدّم كاشف الغريبة ، وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس ، وأشيع عنه أنه ضرب شخصا من الفلاحين حتى مات تحت الضرب ، فلما مثل بين يدى ملك الأمراء رسم بتوسيطه ، فوسّطوه عند باب زويلة . - وفى ذلك اليوم رسم بشنىق اثنين من الكمولية لأمر أوجب ، ذلك .

- ٢١ ومن الحوادث أن فى يوم الثلاثاء سادسه وقع للأمير قايتباى الدوادار كايته مهولة ، وهو أنه سیر إلى نحو المطرية وعاد ، فلما دخل من باب النصر وجد (١٧٥ آ) عند وكالة الصابون جماعة من الأنكشارية قد أخذوا من شخص يبيع الصابون خمسة أرطال صابون ودفعوا إليه ثمانية أنصاف ، وكان الصابون قيمته أشرفيا . فلما رأى

صاحب الصابون الأمير قايتباى الدوادار تعلق بلجام فرسه وقصّ عليه خبره ، وكان
الأنكشارى ضرب صاحب الصابون حتى أدى وجهه ، فأرسل الأمير قايتباى مع
مع صاحب الصابون بعض مماليكه إلى الأنكشارى لعله يعطى صاحب الصابون شيئا ٣
فوق ذلك القدر ، فلما قابل ذلك المملوك الأنكشارى أغلظ عليه المملوك فى القول ،
فحنق منه ذلك الأنكشارى فضرب المملوك على وجهه أدماء ، ثم إن المملوك ضرب
الأنكشارى بدبوس على وجهه فأدماء ، فانسدت الفتنة بينهما فضى الأنكشارى ٦
إلى أصحابه وأعلمهم بما جرى له مع مملوك الدوادار ، فاجتمع الجمّ الففير من
الأنكشارية وتوجهوا إلى بيت الأمير قايتباى الدوادار وهجموا عليه وبأيديهم سيوف
مسلولة ، وقصدوا أن يحرقوا بيته وينهبوه فاخفى منهم ، فلما بلغ ذلك الكاخية أغات ٩
الأنكشارية ركب وردّ الأنكشارية وخمد تلك الفتنة .

فلما بلغ ذلك إلى ملك الأمراء شقّ عليه ولام الأمير قايتباى الدوادار على
ما فعله ، ثم إن ملك الأمراء أرسل طلب مملوك الدوادار الذى ضرب الأنكشارى ١٢
وأثار هذه الفتنة ، فلما مثل بين يديه أمر بضربه فضرب ضربا مبرحا وسجن
بالمرقانة ، فسكن ذلك الاضطراب قليلا . وصار الأمير قايتباى على رأسه طيرة من
الأنكشارية وهو مهتد بالقتل منهم فى كل يوم ، وزعم الأنكشارى الذى ضرب ١٥
أن سقط منه خنجر مفصّض وسيف وادعى أن كان معه ثلاثون دينارا فسقطت منه ،
فدفع إليه الأمير قايتباى عما أشيع عشرين دينارا هكذا قيل ، وصار الأمير قايتباى
لا يأمن على نفسه أن يطلع القلعة وحده ، وصار يركب فى كل يوم ومعه جماعة ١٨
كثيرة من المماليك الجراكسة ، ويتوجه إلى قبة يشبك التى بالطرية ويقم بها إلى
آخر النهار ، ثم يعود إلى داره ومعه المماليك الجراكسة فاستمرّ على ذلك أياما ،
ثم خمدت تلك الفتنة والله الحمد . ٢١

وفى يوم الجمعة تاسعه قدمت الأخبار من حلب بأن خارجيا من التركمان
يقال له جلال (١٧٥ ب) التهدى قد تصدّى لمحاربة الأمير على بن شاه سوار ،

والتفّ عليه جماعة كثيرة من التركان ، وكان هذا جلال التهدى من قرية بالروم يقال لها أق شرى بوز ، فكان بينه وبين الأمير على بن سوار وقعة مهولة قُتل بها ٣ من التركان نحو ثلاثة آلاف إنسان ، وأشيع أن الأمير على بن سوار قد جرح في وجهه بطبر وهرب واختفى ، وانتصر ابن سوار على ذلك الخارجى الذى يقال له جلال التهدى وفرّ منه إلى بلاده . فأخلع ملك الأمراء على المهجّان الذى أتى بهذا الخبر ، ثم خمدت هذه الإشاعة كأنما لم تكن . ٦

وفى ليلة الخميس خامس عشره خُسف جرم القمر وأظلمت الدنيا ، فأقام فى ذلك الخسوف نحو ساعة ، ثم انجلى عنه ذلك الخسوف . - وفى يوم الخميس خامس عشره ٩ قبض القاضى بركات بن موسى المحتسب على أخى محمد بن خُبِيز وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ، ثم أشهره فى بولاق ، وكان سبب ذلك أنه حجّر على بيع الفول وصار يشتريه على ذمته ويخزّنه ، فشطح سعر الفول فى تلك الأيام . وكان أخوه محمد ١٢ ابن خُبِيز متحدثا فى أمر الغلال التى ترد من البلاد قاطبة ، وكان محتما بالأمير جانم الحزاوى فجار على الناس بسبب بيع الغلال ، فحق منه القاضى بركات المحتسب وضربه كما تقدّم .

ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمراء كان سعر الذهب المئانى بأن يُصرف ١٥ بأشرفين من غير زيادة على ذلك ، وكان يُصرف قبل ذلك بأشرفين وخمسة أنصاف ، وصار البيع يمين ، بيع بالذهب ، وبيع بالفضة ، فوقفت أحوال الناس بسبب ذلك . ثم [إن] ملك الأمراء نادى فى القاهرة بأن لا أحد من الناس لا يردّ معاملة الفضة ، ١٨ وكل من ردّها شنق من غير معاودة ، وكانت الفضة يومئذ فى غاية الفشّ كلها نحاس إذا باتت ليلة تنكشف كلها ، فكانت الأنكشارية تدخل الأسواق وترمى تلك الفضة النحاس على التجّار ، فكل من ردّ منها شيئا تهب دكانه ويضرب ذلك التجار ٢١ حتى يأخذها غصبا على رغم (١٧٦ آ) أنفه فيأخذون منه أشرفيا ذهبيا ويمطونه أشرفين من تلك الفضة النحاس ، فحصل للناس من ذلك غاية الضرر الشامل .

- وفى يوم الجمعة سادس عشره خُطب فى مدرسة الست خديجة ابنة الدرهم ونصف
التى بالقرب من جامع التركانى عند طاحون السدر ، فاجتمع هناك قضاة القضاة الأربعة
وأعيان المباشرين وأعيان الناس ، وخطب بها فى ذلك اليوم قاضى القضاة الشافعى كمال ٣
الدين الطويل ، وكان ذلك اليوم مشهودا . وكان أصل هذه المدرسة قاعة إنشاء
ابن الدرهم ونصف ، ثم بدا لابنته خديجة أن تجعلها مدرسة فأنشأت بها المحراب
وجعلت بها مئذنة ، وجعلت بها خلاوى للصوفة ، وجعلت بها منبرا ، ثم إنها أوقفت ٦
عليها جميع جهاتها المخلفة عن والدها ، فجاءت من محاسن الزمان ، وكان ذلك عين
الصواب ، وقصدت بذلك ابتغاء الأجر والثواب .
- وفى هذا الشهر قدم جماعة كثيرة من إسطنبول ممن كان قد نفي إليها من أعيان ٩
الديار المصرية ، منهم : كمال الدين بن معين الموقع ، وابن نصر الله ، ومرعى الذى كان
من جماعة الأنابكى سودون المعجمى ، وأحمد الضيروتى ، وحضر محمد بن فرو شيخ
جهات الأميرية ، وحضر محمد بن قطارة الذى كان من جماعة المحتسب ، ١٢
وحضر محمد بن إبراهيم الذى كان متحدثا على الزمامية ، وحضر محمد بن
القاضى نحر الدين ابن العفيف الذى كان كاتب المالك ، وحضر محمد بن على
كاتب الخزانة ، وحضر ابن العمريطى ، وحسام الدين بواب الدهيشة وآخرون منهم ١٥
لم يحضرنى أسماؤهم الآن ، والكل فروا من إسطنبول من غير إذن من الخندكار
ابن عثمان ، وحضر جماعة من السيوفية والحدادين والنجارين والبنائين والرحمين
وغير ذلك ممن كان توجه إلى إسطنبول ، فحضروا السكك هاربيين من غير علم الخندكار . ١٨
فلما حضروا أشيع بموت ابن شقيرة التاجر الذى من سوق مرجوش ، وأشيع بموت
جماعة كثيرة هناك من أعيان أهل مصر . وقبل ذلك قدمت الأخبار ب وفاة جاني بك
هاوادر الأمير طراباى ، وكان من وسائط السوء ، وتوفى عهد بن يوسف (١٧٦ ب) ٢١
الذى كان ناظر الأوقاف ، وكان من وسائط السوء أيضا ، وتوفى عهد المسكى الذى كان

(٦) مئذنة : ماذنه . (١٢) الأميرية : كذا فى الأصل ، ولعله يعنى « المطرية » .

من سوق الوراقين ، وتوفى هناك جماعة كثيرة ما يحضرني أسماؤهم الآن .
 وفيه قبض ملك الأمراء على شخص من اليهود الصيارف من جماعة المعلم يعقوب
 اليهودى ، فضربه بالمقارع ، ثم قطع يده وعلقها في أنفه وأشهره في القاهرة . وكان
 سبب ذلك أشيع عنه أنه يشتري الفضة النحاس المنشوشة ويضعها في الجامكية ، وقد
 تقلق المسكر من ذلك . - وفي يوم الخميس ثانى عشرينه كان دخول الشرفى يحيى بن
 الأمير طراباى رأس نوبة النوب على ابنة بيبرس ابن بنت شرين ، وليس أعلم اسم
 أبيه ولا جدّه ، وهو يزعم أنه ينتسب إلى الملك الظاهر برقوق بذكره ، فكان كما يقال
 فى المعنى :

وما هو إلا كاللقاب فأتمه معلومة وله أب مجهول

فكان له مهمّ حافل من المهمّات المشهورة ، فصرف على الخبوز والسماط بألف
 دينار سكر وفستق ، وذبح فيه اثنتى عشرة بقرة ، ومن الخيل ثلاثة أرؤس ، ومن
 النعم مائة رأس ، ومن الدجاج ألف طير ، ومن الأوز مائتى زوج ، وصرف على الشمع
 الزهر مائة دينار ، وصرف على الخيام والتعاليق أربعين ديناراً ، والسقاين عشرة
 أشرفية ، وكانت له زفة حافلة مشى فيها جماعة من الأمراء الجراكسة ومن الأمراء
 العثمانية ، فشوا بها من بيت الأمير قايتباى الدوادار إلى بيت القاضى عبد الباسط الذى
 عمل فيه العرس ، وكانت ليلة حافلة . - وفيه رسم ملك الأمراء بشنق شخص من
 عمال البلاد ، فشنع على قنطرة الحاجب بعد العصر ، وكان سبب ذلك أشيع عنه أنه
 زور مراسيم عن لسان بعض المباشرين باستخراج الرزق التى فى الزريبة ، فلما بلغ ذلك
 ملك الأمراء أرسل أحضره ، فلما حضر أمر بشنقه من يومه بعد العصر ، وأراح الله
 الناس (١٧٧ آ) منه .

وفى شهر جمادى الآخرة أهل يوم الجمعة ، فصعد القضاء الأربعة إلى القلعة وهنوا
 ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى يوم الاثنين رابعه قدم قاصد من

(٩) كاللقاب : كاللقاب .

- البحر الملح وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليم خان بن عثمان ، فكان من مضمونها أنه أرسل يطلب الأمير كمشبغا والى القاهرة ، وقد بلغه ما فتحه من أبواب المظالم بمصر ، وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس عند الخندكار ، فطلبه من ملك الأمراء عدة مرار وهو يناسى به ، فلما رأى الطلب حثيثا فى أمره فإ وسعه إلا أنه أرسله ، فخرج على وجهه فى أثناء هذا الشهر وسافر إلى إسطنبول من البر دون البحر .
- ٦ وكان من وسائل سوء ظالم غاشما عسوقا سفاكا للدماء استباح أموال المسلمين ودمائهم ، فلم يتأسف لخروجه أحد من الناس ، وفرح غالب الناس لخروجه من مصر . وكان أصل كمشبغا هذا من ممالك ملك الأمراء ، روى الجنس ستي الخلق شديد البأس ، فلهج الناس بعدم عوده إلى مصر .
- ٩ وفى يوم الثلاثاء خامسه توفيت الست فضل العزيز ابنة القاضي أبو البقا بن الجيعان ، وكانت فضل العزيز يومئذ متزوجة بالشيخ عبد المجيد بن الطريبي ، فكان لها جنازة مشهودة . - ومن الحوادث الشنيعة ما وقع للشيخ عبد المجيد بن الطريبي بسبب القتل الذى قتل واتهموا به جماعة الشيخ عبد المجيد ، واتسعت هذه الكاينة حتى كاد أن تحرب ديار الشيخ عبد المجيد فى هذه الحركة ، وأمرها مشهور بين الناس بما وقع له بسبب ذلك فى الحلة واتصل خبرها بملك الأمراء ، وكان من أمرها ما يطول شرحه ، وتعصب لأبى الصبي الذى قتل الشيخ عبد الله بن النمرى ، وآل أمر هذه الكاينة إلى مال له صورة غرمه الشيخ عبد المجيد بن الطريبي .
- ١٨ وفى فيه قدمت الأخبار من دمشق بأن نائبها الأمير جان بردى الغزالى تغير خاطره على قاضى القضاة الشافعى بها ولوى الدين محمد بن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى ، فهم بقتل القاضى (١٧٧ ب) ولوى الدين غير ما مرة ، ففر منه واختفى مدة طويلة ، ثم ظهر من بعد ذلك بمدينة حلب . قيل إنه كاتب السلطان ابن عثمان بما وقع له مع الغزالى ، فأرسل إليه مرسومه بأن يلى قضاء الشافعية بحلب ، فاستقر بها وأرسل أحضر عياله وأولاده من دمشق ، وتزوج بالست حلب زوجة القاضى كاتب السر محمود بن أجا ، وصار صاحب الحل والعقد بمدينة حلب . فشق
- ٢٤

ذلك على جان بردى الغزالى نائب الشام ، ولولا تدارب القاضى ولّى الدين وفعل ذلك
 كان قتله الغزالى لا محالة . وكان وقع بينه وبين الغزالى وحشة عظيمة وهم بقتله عدة
 ٣ مرار ، وسبب ذلك قيل إن الغزالى قبض على شخص من المسافرين فوجد معه ثلاث
 مطالعات متوجّها بها إلى عند الخندكار : أحدها بخط القاضى ولّى الدين القاضى
 الشافى ، وأخرى من عند شخص يقال له المظفرى شيخ المدرسة التى أنشأها
 ٦ الخندكار بدمشق ، والأخرى من عند نائب قلعة دمشق . فكان من مضمون تلك
 المطالعات عدة شكاوى إلى الخندكار فى الغزالى نائب الشام ، فإنه قد أظهر العصيان
 وهو عمال فى يرق عظيم ، وقد التفّ عليه جماعة كثيرة من المالك الجراكسة ، فلما
 ٩ بلغ ذلك للقاضى ولّى الدين فرّ من الشام واختفى حتى ولّى قضاء حلب وأمره مشهور ،
 وصار الغزالى فى قهر من القاضى ولّى الدين ، وقيل إنه شنق المظفرى وشنق المهجّان
 الذى وجد معه تلك المطالعات ، ولو ظفر بالقاضى ولّى الدين لسنقه أيضا .

١٢ وفى يوم الجمعة خامس عشره توفى محبّ الدين بن البلييسى أحد نواب الشافعية ،
 وكان لا بأس به . - وفى يوم الاثنين ثامن عشره توفيت زوجة المقر الشهابى أحمد
 ابن الجيعان ، وكانت جر كسية الجنس تدعى شهددار ، وكانت مبدعة فى الحسن
 ١٥ والجمال من أجل النساء حسنا ، فاقتن بها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان حتى أشغلته
 عن أمور أحوال المملكة . قيل إنها كانت تحسن الضرب بالسمع آلات المطربة
 (١٧٨ آ) وهى : الجنك والمود والسنطير والقانون والدريج والكمنجج والصينى .
 ١٨ وكان أصل شهددار هذه من جوارى ابنة الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير ،
 فادّعت أنها معتوقة ، فزوّجها الشهابى أحمد بن الجيعان ، وأمرها بما تئى دينار ودخل
 عليها ، فأحبّها حبّا شديدا دون نساته ، وافتتن بها إلى الغاية ، وأقامت عنده مدة
 ٢١ طويلة ، ثم تبين من بعد ذلك أنها فى رق ابنة الأمير يشبك الدوادار ولم تُعتق ، وصار
 الحقّ فيها إلى ابن بنت الأمير يشبك الدوادار الذى من قاتى باى قرا أمير آخور كبير ،

(١) تدارب : كذا فى الأصل ، ولعله « تدارك » .

(١٧) والقانون : والقايون . II والكمنجج : والكمجا . (١٨) جوارى : جوار .

- فاشتراها المقر الشهابى أحمد بن الجيمان من الورثة بخمسمائة دينار ، وقاسى بسببها مشقة زائدة ، فأقامت عنده مدة ، ثم إنها مرضت وتزايد بها المرض حتى ماتت ، فحصل له عليها حزن شديد وتأسف عليها حتى كاد أن يموت من الحزن ، واستمر^٣ مقبلا بالتربة أياما وبادرت إليه الناس بالتعزية والسلام عليه ، وصنع لها عدة مآتم بالتربة ، واجتمع هناك القراء والوعاظ ، وعملت فيها الشعراء عدة مرات بديعة . قيل توفيت للشيخ زين الدين عمر بن الوردى زوجة فأنشأ يقول فيها :
- ٦ إذا ما زوجة الإنسان ماتت فما بقيت لمسكنه سكينه
وكيف يطعمه نظم وثر ولا بيت لديه ولا قرينه
- ٩ ويقرب من واقعة الشهابى أحمد بن الجيمان ما وقع ليزيد بن عبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأموية ، أنه قد اشترى جارية مؤلمة من مولدات البصرة ، وكانت تسمى حبابة ، فاشتراها بألف دينار ، وكانت تشتمل على جملة من المحاسن ، منها أنها كانت تضرب بالعود والجناك والقانون وسائر الآلات المطربة ، وتحسن الفناء الجيد وتنظم الشعر وتحسن العربية ، ولها خط جيد وتلمب بالنرد والشطرنج ، وكانت بديعة الجمال فاقتن بها يزيد بن عبد الملك وأحبها حبا شديدا ، حتى إنها أشغلته عن أمور الخلافة قاطبة (١٧٨ ب) والنظر فى أحوال الرعية ، فاتفق له أنه فى بعض الأيام توجه إلى
- ١٢ بستان بدمشق وصحبته تلك الجارية ، وقال لوزرائه وحجابه : إذا كان الغد فلا يخبرنى أحد منكم بشيء من أمور الملكة ولا بكتاب يرد من سائر الجهات قاطبة . فلما استقر بالستان وأحضر سفرة الشراب ودارت بينهما الكاسات ، ولم يكن فى المجلس غير يزيد وحظيته حبابة ، فبينما هما فى أرغد عيش إذ تناولت حبابة
- ١٥ فص رمان لتأكله ، فشرقت به بحبة من الرمان فوقفت فى حلقها ، فأنخفت واضطربت اضطرابا شديدا فخرجت روحها فى الوقت والساعة . فلما عين يزيد ذلك كادت روحه أن تزهى من جسده وتأسف على حبابة غاية الأسف ، قيل لما ماتت أقامت سبعة أيام لم تدفن وهى بين يديه يشاهدها ويقبلها ويبكى ، ويقول : ما نظرتها

٣ فى عيني أحسن من اليوم . فلما جافت وتغيرت هيئتها ركب إليه أقاربه وأبناء عمه وعنفوه على فعله ، وأخذوا تلك الجارية لقوها فى نطع ودفنوها ، واستمر يزيد فى تأسف عليها وحزن حتى مات بعدها بمدة يسيرة ، انتهى ذلك .

٦ وفى هذا الشهر اضطربت أحوال القاهرة وغلقت الأسواق بسبب المعاملة فى الذهب والفضة ، وجعل ملك الأمراء على الأسواق أنكشارية بسبب صرف الدينار الذهب بأكثر من أشرفين فضة ، وأشيع أن شخصا حجازيا من الصيارف أصرف أشرفيا ذهباً بأشرفين فضة وخمسة أنصاف ، فرسم ملك الأمراء بإشهاره فى القاهرة وخزم أنفه وعلق فيها اليزان ، ثم شنقه فراح ظلما . - وفيه توفى الرئيس (١٧٩) محمد فئات العنبر رئيس المحبطين ، وكان أستاذاً فى صنعة الخيال ، وكان فاق على برهوه فى هذا الفن .

١٢ وفى يوم الاثنين خامس عشر منه قدم ابن الشريف بركات أمير مكة ، وهو الذى يسمى ثقبه ، وصحبته صهره عرار ، فلما حضر خرج الأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية إلى ملتقاه ، فدخل القاهرة فى موكب حافل وقدامه الأنكشارية يرمون بالنفوط . فلما صعد إلى القلعة تلقاه ملك الأمراء من وسط الحوش السلطانى ، وبالغ فى إكرامه إلى الناية ، وأخلع عليه قفطانا ، وأخلع على عرار وعلى من معهم من العربان ، وأنزلوا فى مكان عُذْلهم . - وفيه توفى الأمير قططباى أستاذ دار الصحبة أحد الأمراء العشرات ، فلما مات دفنه ملك الأمراء فى مدرسته التى بباب الوزير .

١٨ وفى شهر رجب أهل يوم السبت ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى ذلك اليوم قرئ كتاب الشريف بركات أمير مكة بحضرة القضاة ، فكان من مضمونه أنه أرسل يسأل فضل ملك الأمراء فى استقرار قاضى القضاة الشافعية بمكة صلاح الدين بن ظهيرة على عاداته ، فأجيب إلى ذلك . ثم عُيِّن فى ذلك اليوم قاضى مالكي وقاضى حنبلي إلى المدينة الشريفة ، وانقض المجلس على ذلك . - وفى يوم الأربعاء خامس رجب طلع ابن أبى الرداد بيشارة النيل المبارك ، وجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع ، وكانت فى العام الماضى أرجح

من ذلك بعشرة أصابع .

- وفي يوم الخميس سادسه رسم ملك الأمراء بشنق شخص من أعيان الأصبهانية ، وكان من كبار المفسدين ، يخطف النساء والمرد والمهائم [في] الظهر الأحمر ولا يجد من يرده عن ذلك ، فلما كثرت فيه الشكاوى تعصب على شنقه قرا موسى أحد أمراء ابن عثمان ، وقام في ذلك غاية القيام وأغلظ على ملك الأمراء في القول ، وقال له : الخندكار ما يرى بشيء من ذلك . (١٧٩ب) فلما شنق عز ذلك على الأصبهانية وتأسفوا عليه وأنزلوه من المشنقة وغسلوه وكفنوه ودفنوه . وقيل شنق معه في ذلك اليوم اثنان من الأصبهانية كانا من كبار المفسدين ، وهما الذين توجهوا إلى بيت شاد البرلس ونهبوا مافيه وسبوا حريمه ، ولم يكن له ذنب يوجب ذلك ، وقدم القول على هذه الواقعة . - وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره خرج قاسم الشرواني الذي كان نائب جدة وعزل عنها ، وجرى عليه شذائد ومحن وسجنه ملك الأمراء بالعرقانة وقيده ، ثم إن الخندكار ابن عثمان أرسل طلبه ، فتوجه إلى إسطنبول وسافر إليها في ذلك اليوم . ١٢ ومن الحوادث في هذا الشهر أن ملك الأمراء تكلم مع القضاة الأربعة بأن يخفوا من نوابهم ، وأغلظ عليهم في القول ، فاقتصر قاضي القضاة الشافعي على خمسة عشر نائبا . وأما القاضي الحنفي فإنه عزل نوابه كلها واقتصر على اثنين ، وهما شهاب الدين أحمد بن شرين ، وابن بنت البدرى محمد بن الدهانة الذي كان شيخ الجامع المؤيدي . ١٥ وأما القاضي المالكي فاقتصر على سبعة من النواب . وأما القاضي الحنبلي فإنه اقتصر على ثلاثة من النواب . ولم يتم ذلك فيما بعد وحصل للنواب غاية الضرر في هذه الحركة ، وكان سبب ذلك أن نائبا من نواب القاضي الحنفي طلب امرأة إلى الشرع فامتنت من الحضور ، فقبض عليها القاضي وضربها نحو ثمانين عصاة ، فوقع له مثل ذلك لها مرتين ، ثم إن المرأة طلعت وشكته إلى ملك الأمراء ، ففتت القضاة بسبب نوابهم وما يفعلون ، وقال لهم : اعزلوا جماعة من نوابكم المناحيس .

وفيه توفي الأمير ماماي الساقى أحد الأمراء الطيلخانات وكان أصله من ممالك

السلطان (١٨٠ آ) الفورى ، وكان ريسا حشما لا بأس به ، فنزل ملك الأمراء وصلى عليه ، وكانت جنازته حفلة . - وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره كان ختان ولد القاضى شهاب الدين أحمد بن شرين أحد نواب الحنفية ، فكان له زفة حافلة مشى فيها أعيان الناس من المباشرين وغير ذلك . ٣

وفى شهر شعبان أهل يوم الاثنين ، فصعد القضاة الأربعة إلى القلعة فهتوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفيه كان كايمة محب الدين بن أصيل الكفيف ، وكان من ملخص واقعته أن كان بيده مشيخة المدرسة الجمالية التى عند سجن الرحبة ، أخذها بنزول عن شخص من الفقهاء ، فأقامت بيده مدة ثم انتدب له من رافعه ، وقال : شرط الواقف أن تكون مشيخة الجمالية لأعلم علماء الشافعية ، وأنت شخص عارى عن العلم . فأخرج ملك الأمراء المشيخة عن محب الدين بن أصيل وقررها شيخ الإسلام زين الدين زكريا الشافى ، فشق ذلك على محب الدين بن أصيل وحصل له غاية البهدة من ملك الأمراء ، وقصته مشهورة بما جرى له . ١٢

وفيه وقعت كايمة عظيمة للأمير ألماس أخى أمير كبير قرقاس من ولى الدين ، وكان من ملخص هذه الواقعة أن كان عند الأمير ألماس مملوك عايق ، يترايا بزى العمانية ويخرج بالليل يقطع الطريق ، فقبض عليه بعض الأنكشارية وأحضره إلى بين يدى ملك الأمراء ، وقالوا له : أنتوا تقولون أننا نقطع الطريق ونخطف الماييم ، وقد وجدنا هذا المملوك يقطع الطريق فى بولاق وغيرها من الأماكن . فقال ملك الأمراء : ١٥

وهذا مملوك من ؟ فقيل له : مملوك الأمير ألماس . وكان الأمير ألماس حاضرا ، فقال له ملك الأمراء : ليش ما كنت ترجع مملوكك عن الفساد ؟ فقال له ألماس : ما كان يسمع لى كلام . فقال له ملك الأمراء : ليش ما شكوت لى أنا كنت أنصفك منه ؟ فطال بينهما ١٨

الكلام ، ثم إن (١٨٠ ب) الأمير ألماس أغلظ على ملك الأمراء فى القول ، فحقق منه فبطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا حتى عاين الموت ، قيل ضربه عشر نوب ، ثم رسم بنفيه إلى منفلوط وقيل إلى قوص ، ثم رسم بتسليم ذلك المملوك الذى يترايا بزى العمانية إلى الوالى ليعاقبه ، وخرج الأمير ألماس منغيا إلى قوص من يومه . ٢٤

وفيه قبض ملك الأمراء على شخص من الصيارف الحجازيين ، وكان يجلس على قفص عند سوق الباسطية ، فلما قبض عليه رسم بشنقه ، فشفع فيه خير الدين نائب القلمة وغرم مبلغا له صورة حتى سلم من الشنق ، ولا له ذنب أوجب ذلك سوى أنه ٣ أصرف أشرفيا بزيادة خمسة أنصاف ، وقد خالف المنادة وأصرف أشرفيا ذهبيا بخمسة وخمسين نصفًا بزيادة خمسة أنصاف ، فكاد أن يُشنق ظلما ، وقيل بل شنقه على باب زويلة ، وأمره مشهور بما وقع له في ذلك اليوم ، ولم يقبل فيه شفاعة وشنقه على ٦ خمسة أنصاف وراح ظلما . - وفيه رسم ملك الأمراء بشنق خمسة أنفار قبض عليهم شيخ العرب ابن أبي الشوارب ، وزعموا أنهم من أكابر المنسر وأعيان المفسدين ، فلما قبض عليهم ابن أبي الشوارب أرسل كاتب ملك الأمراء بذلك ، فأرسل إليه القاضي ٩ بركات بن موسى المحتسب فأحضرهم إلى القاهرة ، فرسم ملك الأمراء بشنقهم فشنقوا . وشنق في ذلك اليوم شخص زعموا أنه سرق إزارا ونقابا وشعرية فراح ظلما . وكان ملك الأمراء عجولا في أمر القتل . ١٢

وفيه نزل ملك الأمراء وسير إلى نحو بولاق ، ثم رجع من هناك ودخل من باب النصر وشنق القاهرة ، فلما شق منها لم يدع له أحد من الناس بالنصر ولا زغررت له النساء من الطيقان بل أغلظ عليه بعض العوام ، وقال له : انظر بالشفقة في أحوال ١٥ المسلمين بسبب الخبز والدقيق وسائر الأسعار في البضائع مشتتة . - وفي يوم الثلاثاء تاسعه توفي القاضي شمس الدين محمد بن عبد الكافي أحد نواب الشافعية ، وكان من أعيان (١٨١ آ) النواب ، وكان ضخيم الجسد مثقلا بالشحم جدا . - وفي يوم ١٨ الأربعاء عاشره كان أول مسرى من الشهور القبطية ، ففقه زاد الله في النيل المبارك عشرة أصابع فسرّ الناس بذلك ، وكان في أول الزيادة صار يسلسل ولم يزد سوى أصبح أصبح نحو عشرة أيام متوالية ، ثم في اليوم الثاني من مسرى زاد الله في النيل ٢١ المبارك خمسة عشر أصبعا دفعة واحدة ، فسرّ الناس بذلك إلى الغاية .

وفي يوم الأحد ليلة الاثنين كان ليلة النصف من شعبان ، قرأ ملك الأمراء

- في تلك الليلة ختمة بالقلعة . واستدعى القضاة الأربعة ، فلما تكامل المجلس شرع قاضي القضاة يحيى الدين يحيى ابن قاضي القضاة برهان الدين الديري المالكي يتكلم مع ملك الأمراء بأن يشفع في القاضي نور الدين على الفيومي ، وقد تقدم القول بأن ملك الأمراء تغير خاطره عليه فنفاه إلى دمنهور وأقام بها مدة طويلة ، فلما شفع فيه القاضي المالكي رسم بإحضاره من دمنهور ، وكان أحد نواب الحنفية فكثرت فيه الشكاوى ، وكان غير محمود السيرة ، فنفاه ملك الأمراء وتغير خاطره عليه واستمر هناك حتى شفع فيه . ثم في ذلك المجلس شفع قاضي القضاة المالكي أيضا في شمس الدين محمد السرم ساحي ، فتوقف ملك الأمراء في أمره قليلا وعد له جملة مساوي ، فلما زال قاضي القضاة يتلطف به حتى رضى عليه ، وكان منعه أن لا يعمل قاضيا ولا شاهدا ويلزم داره دائما وكتب عليه قامة بذلك ، فرضى عنه في ذلك المجلس . ثم إن قاضي القضاة شفع في نور الدين على الحسنى المعروف برصاص المؤذن بأن تعاد له وظائفه التي كانت في المدرسة النورية ، وكانت خرجت عنه لما توجه إلى إسطنبول وأقام بها ، فرسم له بإعادة وظائفه التي كانت بالنورية . وكان قاضي القضاة المالكي عند ملك الأمراء من المقرئين ، وكان يحضر مجلس محاكماته في كل يوم سبت ويفصل المحاكمات (١٨١ ب) بحضرة ملك الأمراء ورأى في أيامه غاية العز والمظمة فوق ما رآه قاضي القضاة الحنفى عبدالبر بن الشحنة في أيام السلطان قانصوه النورى ، فمَدَّ ذلك من النواذر في إطاعة ملك الأمراء لقاضي القضاة المالكي في جميع ما سأل فيه في ذلك المجلس بالإجابة له ، ولم يرد له شفاعته في جميع ما سأل فيه . وفيه قدمت الأخبار من إسطنبول بأن الأمير جزم الحزاوى لما وصل إلى إسطنبول قابل الخندكار ابن عثمان ، وقبل منه التقدمة التي أرسلها صحبته ملك الأمراء وأكرمه إلى الناية وأذن له بالسود إلى مصر وهو واصل عن قريب . وأشيع في الأخبار الواردة من إسطنبول أن جماعة من الأعيان تسحبوا من إسطنبول ، منهم : القاضي ناظر الخاص علاي الدين على بن الإمام وأخوه محمد ، والقاضي أبو البقا ناظر الاسطبل وأخوه يحيى أولاد إبراهيم المستوفى ، وبهاسي الدين بن البارزى ،

وجلال الدين بن الشبراوى ، وآخرون من المباشرين الذين هناك . فلما بلغ الخندكار تسحبهم من إسطنبول شقّ عليه ذلك وأرسل خلفهم ستين شاووشيا فقبضوا عليهم من أثناء الطريق ووضعهم في الحديد ، وقاسوا من البهدة والإخراق بهم ما لا يمكن شرحه ، ودخلوا بهم إلى إسطنبول وهم مشاة في الحديد ثم سجنوهم ، ولا يعلم ماجرى لهم من بعد ذلك .

وفيه قدمت الأخبار من بلاد المغرب بأن توجهوا إلى مدينة جربة ، وهى من أجل مدائن المغرب ، جماعة من ملوك الفرنج وحاربوا من بها من ملوك المغرب ، فكان بين الفريقين وقعة مهولة قتل بها من المسكرين نحو ثلاثين ألفا ، وكانت النصره لصاحب جربة على ملوك الفرنج (١٨٢ آ) وغنموا منهم أشياء كثيرة . - ٩ وفى يوم السبت عشرينه أخلع ملك الأمراء على ثقبه بن الشريف بركات أمير مكة ، وأخلع على صهره عرار ، وأذن لها بالعود إلى بلادها ، فكان لها موكب حفل لما شقوا من القاهرة وصحبتهما الأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية والجسم الغفير من الأنكشارية ١٢ يرمون بالنفوط . وكان يوما مشهودا . - وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه كان ختان ابن قاضى القضاة الحنبلى شهاب الدين الفتوحى المعروف بابن النجار ، فكان له زفة حافلة مشى فيها جماعة من الأعيان ، لكن تقصر أوصافها عن زفة ابن قاضى القضاة ١٥ محي الدين الدميرى المالكي ، وأين الحسام من النجلى .

ومن الحوادث الشنيعة أن شخصا يقال له يحيى بن مثرى البرددار له ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين ، وكان أبوها ساكنا فى المراغة بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان على رأس تلك البنت كوفية ذهب فوقفت تلعب مع الصغار فى الحارة ، وكان لهم جار صبي أمرد يعمل صنعة القمريات ، فلمبت عينه على الكوفية الذهب التى على رأس البنت ، فلعب بمقلها وقال لها : أمكى فى السيدة نفيسة ٢١ وأرسلت تطلبكى إلى هناك . فمضت معه ، وأخذ صحبتته عبدا أسود . فلما مضوا توجهوا بتلك البنت إلى تربة خراب خاف مزار السيدة نفيسة ، فذبجوها هناك هو والعبد الذى

- ٣ معه وحملوها وألقوها في فسقية موتى هناك ، وأخذوا الكوفية من على رأسها وتركوها تخطبط في دمه ، فأقامت هناك يوما وليلة فكثرت التفتيش عليها من أبيها وأُمها ، فنزل أبوها إلى السوق وأوصى التجار على الكوفية الذهب التي كانت على رأس ابنته ، فبينما هو في الصاغة وإذا بالصبي الأمرد ، الذي أخذ الكوفية وذبح البنت في الصاغة ومعه الكوفية ، فأشهرها في المناداة فتناهى سعرها إلى أربعين
- ٦ أشرفيا ، فقال : بعتك . فقال له الدلال : (١٨٢ ب) احضر لك ضامن ثقة . فلم يجد من يضمنه ، فقبضوا عليه وأحضروا أبو البنت ، فقبض عليه من باب الأمير كمشبغا الوالى ، فلما عرضوه على الوالى ضرب به بعض عُصَى فأقرّ بأنه أخذ الكوفية
- ٩ من على رأس البنت وذبحها وأرماها في فسقية موتى خلف مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها ، فقالوا له : امض معنا وأرينا ذلك المكان الذى أرميتها فيه . فخرج معهم وهو فى الحديد وأتى بهم إلى تلك الفسقية التى أرمها فيها . فنزل أبو البنت إليها
- ١٢ فوجدها راقدة وهى مذبوحة وفيها بعض روح ولم ينقطع وريدها من الذبح ، فحملها وطلع بها من تلك الفسقية ففرقتها ، فقال لها : من فعل بك هذا ؟ فقالت : جارنا الصبي القمريانى ومعه عبد أسود . فلما بلغ ذلك ملك الأمراء أرسل أحضر الجميع إلى بين
- ١٥ يديه ، وقصّوا عليه قصة هذه البنت وما جرى لها مع الصبي القمريانى ، فغزن عليها ملك الأمراء ، وقال لها : من فعل بك ذلك ؟ فأشارت إلى الصبي القمريانى والعبد الأسود ، ثم رسم ملك الأمراء بشنق الصبي القمريانى والعبد الأسود على باب البيت
- ١٨ الذى أخذ منه البنت ، وأحضروا للبنت من قطب لها مكان الذبح الذى برقيتها وعاشت بعد ذلك وبُيرت من الذبح ، فعدّ ذلك [من] النوادر ومن المعجائب والغرائب . قيل إن البنت لما أرمها الصبي في فسقية الموتى وهى مذبوحة أحكت لأُمها ، قالت : لما بت في الفسقية دخلت على امرأة على وجهها برقع ، وقالت لى لا تخافى أنا
- ٢١ السيدة نفيسة وغدا أخلصك من هذا المكان . ثم مسحت الدم عن رقبتى فانقطع

في الحال وسكن روعى مما كنت فيه . وهذه الواقعة (١٨٣ آ) قد اشتهرت في القاهرة .

- ٣ وفي شهر رمضان كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمراء بالصوم ، ثم رجعوا إلى دورهم . - وفي ليلة الرؤية توجه القاضي بركات ابن موسى المحتسب إلى المدرسة المنصورية التي بين القصرين ، واجتمع القضاة الأربعة هناك ، فلم يثبت رؤية الهلال إلا بعد العشاء ، فلما رجع القاضي المحتسب إلى داره ٦ لاقاه القوائيس والناجنيق وعدة مشاعل كثيرة ، وكان له ليلة خافلة . - ومن العجائب أن النيل المبارك كان على وفاء ولم يتأخر عليه غير أربعة أصابع وكانت ليالى وفاء ، فأشيع بعد العصر أن النيل قد نقص أصبعين في تلك الليلة ، فاضطربت أحوال الناس ٩ بسبب ذلك ، وكان قد مضى من مسرى ثلاثة وعشرون يوما ولم يف النيل ، وكانت أسمار الغلال والبضائع كلها في غاية الارتفاع ، وجاء توقف النيل غطى الحق . فكان كما يقال في المعنى :

١٢

رَبِّ وَفَّ النيلَ إنا منه في كرب وبلوه

ما بقى للناس صبر يحملون اليوم غلوه

- ١٥ فاستمرّ النيل في هذا التوقف على أربعة أصابع ، وقيل نقص بعد ذلك أربعة أصابع ، فاستمرّ على ذلك خمسة أيام لم يزد فيها شيئا ، فرسم ملك الأمراء لقضاة القضاة ومشايخ العلم ومشايخ الصوفية بأن يتوجهوا إلى المقياس ويتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء في وفاء النيل ، فتوجه قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفى ١٨ الطرابلسي والقاضي المالكي محي الدين الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوحى ، ومن مشايخ الصوفية الشيخ عبد المنير وغير ذلك من مشايخ الصوفية ، فلما توجهوا إلى هناك وباتوا بالمقياس نقص النيل في تلك الليلة أصبعين فصار النقص ٢١ ستة أصابع ، ثم نقص أربعة أصابع فصار النقص (١٨٣ ب) عشرة أصابع ، وكان

(١) فيه : كتب المؤلف هنا في متن الأصل الجملة الآتية ، ثم شطبت : « ثم أشيع أن البنت قالت : وأحضرت لى معها قلة فيها ماء فشربت منها وردت لى روحى » . (١٠) ولم يف : ولم يبق .

تأخر عن الوفاء على أربعة أصابع ونقص من بعد ذلك عشرة أصابع ، فصار النقص أربعة عشر أصبعا عن الوفاء .

٣ فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس ، وكان قد مضى من مسرى سبعة وعشرون يوما ، فأقام ملك الأمراء في المقياس ذلك اليوم ، وفرقوا أجزاء الربة على الحاضرين من الفقهاء فقرأوا فيها عشرين دورا ، ثم قرأوا صحيح البخارى هناك . وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء والفقراء مالا له صورة ، وأحضر الأطفال الأيتام من المكاتب وفرق عليهم مبلغا له صورة ، وأحضر الآثار الشريف من مدرسة الغورى ووضعه في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذى بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالدعاء في أمر الزيادة .

٦ فأقام ملك الأمراء في المقياس إلى قريب الظهر ، ثم طلع إلى القلعة ، فلما طلع أمر بإطلاق من في السجون من الرجال والنساء ، فأطلق منهم نحو ثمانين إنسانا ، ونزل إلى القرافة وزار من بها من الصالحين ، وفرق على الزوايا التى هناك مالا له صورة ، وفعل من وجوه البر والصدقات أشياء كثيرة ، وما أبقي في ذلك ممكنا .

١٢ فلما كان يوم الأربعاء الموافق لتاسع عشرين مسرى عول ملك الأمراء بأن يخرج إلى الاستسقاء وصحبته الناس قاطبة يوم الخميس ، وقد تزايد قلق الناس إلى الغاية ، واشتد الأمر عليهم بسبب نقص النيل عند ليالى الوفاء ، وقد قال القائل فى المني :

بمسرى النيل ما أوفى فضجوا ودب القحط فينا من أيب

١٨ ولم أضرع لخلق لأنى رأيت الله أطف من أبى بى

وفى هذه الواقعة يقول الأديب البارع الناصرى محمد بن قانصوه من صادق ، وقد أجاد حيث قال : (١٨٤ آ) .

٢١ أسبل النيل من عيوني عبرة مذ أراى من التنقص غيره

يا لها عبرة ثوت بفؤادى ودمت بالهموم فى القلب جره

شهر مسرى تسع وعشرون يوما فيه فات الوفا فأتى السرّه

٢٤ ربنا أطف بالخلق فى النيل وأطلق بزيادته من النقص أسره

واشْرَحَ الصدر بالوفاء منك واسبيل يا سميع الدعا بفضلك ستره
واجمل الأرض منه في خير خصب ورخاء واجبر بلطفك كسره

- ٣ فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشرين مسرى طلع ابن أبي الرداد إلى ملك الأمراء
بعد الظهر ، وبشّره بأن النيل قد زاد من النقص ثلاثة أصابع ، فسُرَّ ملك الأمراء
بذلك ، وقيل أنعم على ابن أبي الرداد بمائة دينار وفرس ، وألبسه قفطان مخمل مذهبا ،
وأنعم على الصبي الصيَّاح الذي ينادى على البحر بجوخة حمراء ، فلما أشيع ذلك سُرَّ به
٦ الناس قاطبة ، وانطلقت النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكانت فرحة عامة لجميع
الناس قاطبة . - فلما كان يوم الجمعة حادى عشر رمضان ، الموافق لأول أيام النسيء ،
زاد الله في النيل المبارك خمسة أصابع فسُرَّ الناس بهذه الزيادة ، وقد تأخر عن الوفاء
٩ ستة أصابع ، فكان مدة توقفه عن الزيادة ثمانية أيام متوالية حتى يأس الناس من طلوع
النيل في هذه السنة.

- ١٢ ثم في ليلة السبت وفي الله الستة عشر ذراعا ، وفتح السد في يوم السبت ثانى
عشر شهر رمضان ، الموافق للثانى من أيام النسيء ، فأوفى الله الستة عشر ذراعا
وأصبعين من الذراع السابع عشر ، وقد فات الوفاء عن ميعاده حتى مضت مسرى
ودخل أيام النسيء . ولكن تقدم أن النيل تأخر عن الوفاء إلى سادس أيام النسيء
١٥ وذلك في سنة أربع وتسعين وستائة ، وبلغت الزيادة في تلك السنة إلى ستة عشر ذراعا
وسبعة عشر أصبعا ، ثم انهبط سريما (١٨٤ ب) ولم يثبت ، فشرقت البلاد ووقع
١٨ الغلاء . واتفق مثل ذلك أن النيل وفي آخر أيام النسيء ، وذلك في سنة سبع وتسعين
وستائة . واتفق مثل ذلك أن النيل وفي آخر أيام من النسيء ، وذلك في سنة
ثلاث عشرة وسبعمائة ، وكان نيلا شحيحا لم يثبت وشرقت البلاد ووقع الغلاء ، نقل
ذلك الشيخ جلال الدين الأسيوطى رحمه الله عليه . فلما وفي النيل نزل ملك الأمراء
٢١ من القلعة وتوجه إلى القياس وخلق العمود ، ونزل في الحراقة وفتح السد ، وكان
يوما مشهودا ، كما وقع له في السنة الحالية . وكان الوفاء على غير القياس مما جرى على

النيل في هذه السنة ، وقد قال الناصري محمد بن قانصوه من صادق :

الحمد لله زاد النيل وانشرت صدورنا وأرانا بشره فرحا
والقلب أصبح بعد الكسر منجبرا والأمراء مسى عقيب الضيق منفسحا
وقال آخر :

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم : ما أحسن السر؟ قالوا: المفومأمول
ستر الإله علينا لا يزال فما أحلى تهتكنا والستر مسبول

وفي يوم الأربعاء سادس عشر رمضان ، كان أول النوروز ، وهو أول السنة
القطبية ، وهى سنة ست وعشرين وتسعمائة . - ففي ذلك اليوم زاد الله في النيل المبارك
سبعة أصابع ، فأوفى الله السبعة عشر ذراعا وأصبعا من الذراع الثامن عشر ، فسُرَّ
الناس لذلك .

وفي يوم السبت سادس عشرين رمضان قدمت الأخبار بأن الأمير جانم الحزاوى
قد وصل إلى قطيا ، وقد تقدّم القول بأنه كان توجه إلى السلطان سليم خان بن عثمان ،
وصحبته مقدمة حفلة من عند ملك الأمراء إلى الخندكار (١٨٥ آ) ابن عثمان ، فلما قابله
أكرمه وأخلع عليه وقبل منه تلك المقدمة ، فأقام هناك مدة . ثم إن ابن عثمان رسم
للأمير جانم بعوده إلى مصر ، وكان أكثر الناس جزموا بعدم عوده إلى مصر فجاء
الأمر بخلاف ذلك . فلما أشيع وصوله إلى قطيا خرج أعيان الناس إلى ملتقاه ، وخرج
الأمير ناصر الدين محمد المهندار والأمير برسباى الدوادار وسائر المباشرين قاطبة . -
فلما كان يوم الأحد سابع عشرين رمضان خُتم صحيح البخارى بالقلمة على العادة ،
وفُرقت الصرر على الفقهاء ومن له عادة ، وأخلع على قضاة القضاة . - ثم في يوم
الاثنين ثامن عشرينه فيه دخل الأمير جانم الحزاوى إلى القاهرة فبات بتربة العادل .
ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشرينه نزل ملك الأمراء من القلمة وتوجه إلى تربة
العادل ونزل على المصطبة التى هناك ، ولبس خلمة الخندكار ابن عثمان الذى أرسلها له
على يدى الأمير جانم الحزاوى باستمراره في النيابة على مصر ، وهو قفطان تماسيح
(١٢) قد وصل : وقد وصل .

على نخل أحر، فركب من هناك ودخل من باب النصر وشقّ من القاهرة في موكب حفل، وقدامه جماعة من الأمراء الجراكسة ومن الأمراء العثمانية، والعساكر الأصبهانية والأنكشارية مشاة يرمون قدامه بالنفوط، ولاقاه طائفة من النصارى ٣ وبأيديهم الشموع موقدة، ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية، ولما وصل إلى قبة الأمير يشبك التي في رأس الحسينة، لاقاه قضاة القضاة الأربعة، فكان القاضي الشافعي عن يمينه والحنفي عن يساره والمالكي والحنبلي قدامه، والأمير جانم الحزاي ٦ قدامه وعليه قفطان نخل مذهب الذي ألبسه له الخندكار، فاستمرّ في ذلك الموكب إلى أن طلع إلى القلعة، وكان يوما مشهودا. فكانت مدة غيبة الأمير جانم الحزاي في إسطنبول عند الخندكار ستة أشهر (١٨٥ ب) وقيل إنه قابل الخندكار فيها مرة واحدة. ٩

وأما ترجمة الأمير جانم الحزاي، فهو جانم بن يوسف بن أركاس السيفي قاني باي الحزاي نائب الشام كان، وقيل إن الأمير جانم وُلد بمدينة حاب، فهو من أعيان أبناء الناس، وقد رقى في دولة ملك الأمراء خير بك وصار صاحب الحلّ والمقد بمصر، وصار في مقام أمير كبير بمصر. ولما استقرّ الأمير جانم في داره أشيع بين الناس أن الأمير جانم أخبر أن الخندكار ابن عثمان تغيّر خاطره على الخليفة محمد بن يعقوب المتوكل ١٠ على الله الذي توجه إلى إسطنبول، فلما تغيّر خاطره عليه أخرجه من إسطنبول على غير صورة مرضية وهو في غاية ما يكون من البهذلة، ونفاه إلى مكان عسر يسمى السبع قلّيات، قيل إن بينه وبين إسطنبول ثمانية أيام، وهذا المكان يضع فيه الخندكار أمواله وتحفه لكون أنه في غاية التحصين. وقد اختلف في سبب تغيّر خاطره على الخليفة، فمن جملة الأقوال أن أولاد ابن عمه خليل رافموه بسبب إقطاع الخلافة أن يعطيهم منه الثلث ويأخذ هو الثلثين، فأبى من ذلك. الوجه الثاني أن الخليفة طاش ٢١ هناك وصار ينهم الميش جهارا، واشترى له جوارى، يضرّ به بالجنك وفك في

(١٧) السبع قلّيات، يظهر أن المؤلف يقصد حصن «يدى قله» الذي جدده السلطان محمد الفاتح في مكان باب الذهب في سور إسطنبول. (٢٢) جوارى: جوار.

البسط والانشراح غاية الفتك ، فبلغ ذلك الخندكار فتفّير عليه ، وكانت الوزراء مساعدين أولاد ابن عمه خليل ومحطّين على الخليفة . الوجه الثالث أن جماعة كثيرة من أهل مصر ممن كان بإسطنبول تسحبوا من هناك ، منهم بدر الدين ابن القاضي كمال الدين ناظر الجيش ، وتسحب آخرون من الأعيان ، فحشت الوزراء أن الخليفة يتسحب من هناك فضيقوا عليه ، والله أعلم .

٦ وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الخميس ، فطلع القضاة الأربعة وصلّوا (١٨٦ آ) مع ملك الأمراء صلاة العيد ، وخطب به قاضي القضاة الشافعي خطبة بليغة ، وكان موكب العيد حافلا . - وفي يوم الأحد رابع شوال جلس ملك الأمراء بالدهيشة وأرسل خلف القضاة الأربعة ، وأرسل خلف أعيان التجّار ومشايخ الأسواق بسبب أمر المعاملة في الذهب والفضة ، فلما تكامل المجلس قام ملك الأمراء ودخل إلى الأشرية التي بجوار الدهيشة ، وأدخل معه القضاة الأربعة ، وأرسل خلف الأمراء العثمانية ، وهم قرا موسى وفرحات وخير الدين نائب القلمة والقاصد الذي حضر محبة الأمير جانم الحزاي ، فلما دخلوا إلى الأشرية وضع لهم ثمانية كراسي خشب يجلسون عليها داخل القبة الأشرية ، فلم يدخلها غير هؤلاء فقط ، ولم يأذن للأمراء الجراكسة بالدخول معهم .

١٥ ثم إن القاصد أخرج مرسوم السلطان سليم خان الذي أرسله محبة الأمير جانم الحزاي ، فأجلس القضاة الأربعة على أربعة كراسي ، وأجلس الأمراء العثمانية على أربعة كراسي ، وقرئ عليهم مرسوم الخندكار وذلك على طريقة اليسق العثماني . ١٨ فكان ألفاظ ذلك المرسوم باللغة التركية ، فكان من مضمونها ما أشيع بين الناس أنه قد أرسل يأمر ملك الأمراء بأن يتوصّى بالرعية غاية التوصية ، وأن يصرف للماليك الجراكسة جوامكهم ولحومهم وعليقهم على العادة القديمة ، وأرسل يقول لملك الأمراء بأن يتوصّى بأولاد الناس قاطبة ، وكل من كان له جامكية وقطعت يردّها إليه ،

(١٨) اليسق : كذا في الأصل . (٢١) يقول : يقل .

وأرسل يقول له في إصلاح أمر المعاملة من الذهب والفضة ، فأحضروا من حلّ تلك الألفاظ التركية التي في الرسوم فكان هذا معناها .

- ٣ ثم ضربوا مشورة في أمر المعاملة ، فأشاروا الحاضرون على ملك الأمراء بأن يبقى كل شيء من المعاملة على حاله حتى يراجع الخندكار في ذلك مرة أخرى ، فإن الذهب ينقص في هذه الحركة الثلث ، فخرج ملك الأمراء ورسم بإشهار المنادة في القاهرة بأن كل شيء على حاله وأن الأشرفي العثماني والغوري (١٨٦ ب) لا ينصرف بأكثر من ٦ خمسين نصفاً فضة من غير زيادة على ذلك ، وأن النصف الفضة النحاس يُرمى وما عدا ذلك يمشى . تم انفضّ المجلس على ذلك ، ونزل القضاة إلى دورهم وسكن الاضطراب قليلاً في أمر المعاملة .

- ٩ وفي يوم الجمعة تاسع شوال قدم من البحر الملح إلى ثغر الإسكندرية جماعة كثيرة نحو عشرة أنفار ممن كان أسر من أهل مصر وتوجّه إلى إسطنبول ، فحضر في ذلك اليوم الشيخ بدر الدين محمد السمودي المعروف بابن الوقاد أحد نواب الحنفية كان ، ١٢ وحضر كمال الدين الذي كان برددار الأمير طراباي ، وحضر كمال الدين العايق مباشر أمير آخور كبير ، وحضر زين العابدين حامل الزرة ، وحضر القاضي كريم الدين المجولي أحد نواب الشافعية كان ، وحضر الخواجاء عمر بن معزوز المغربي ، وحضر المهتار ١٥ بدر العادلي ، والخواجاء زين الدين المعجمي ، ويوسف مناخير ، والمعلم حسين معلم المحكّ بدار الضرب . وكانوا هؤلاء بإسطنبول فشكوا إلى الوزراء بأن وظائفهم التي بمصر خرجت عنهم وتمطّلت جهاتهم وأخذت الناس أموالهم بموجب غيابهم في ١٨ إسطنبول ، فقالت لهم الوزراء : قيموا لكم ضمّان وتوجّهوا إلى مصر صحبة جماعة من الأنكشارية فاكشفوا على وظائفكم وجهاتكم وارجعوا إلى إسطنبول على وجه الصيف . ففعلوا ذلك وحضروا إلى مصر وصحبهم الأنكشارية ، وفيهم من ترك ٢١ أولاده وعياله بإسطنبول إلى أن يرجع إليها .

ثم في عقيب ذلك أشيع أن حضر أيضاً من إسطنبول جماعة ، منهم شمس الدين

٣ ابن الموفق المباشر وفرج بن البريدى والطواشى مسك ، وقيل إن الطواشى مسك أقام بالشام عند الفزالى نائب الشام ورتب له ما يكفيه فى كل شهر ، ومحمد بن طى كاتب الخزانة وآخرون حضروا فى الخفية وصاروا يتسحبون من إسطنبول شيئاً بمدة شيء ويحضرون إلى مصر ، وكل ذلك من غير علم الخندكار فإلله يلفظ بهم .

٦ وفى يوم الجمعة سادس عشره الموافق لأول يوم من بابه ، ثبت النيل المبارك على (١٨٧ آ) خمسة أصابع من تسعة عشر ذراعاً ، وكان فى العام الماضى ثبت على ثمانية أصابع من عشرين ذراعاً ، فكان هذا النيل أنقص من النيل الماضى بذراع وثلاثة أصابع ، وكان نيلاً شحيحاً من مبتدأ زيادته إلى حين هبوطه ، وقد شرت غالب البلاد واشتد أمر الغلاء بالديار المصرية ، وتكالت الناس على مشتري القمح وارتفع القمح من السواحل ، وصار إذا وصل فى مركب شيء من القمح فلا يباع ولا يشتري إلا بإفراج من عند المحتسب ، ولو كان ضيافة أو من الخراج . فحصل للناس غاية الضرر الشامل وارتجت القاهرة بسبب منع القمح ، ووقع الاضطراب الشديد ، وكادت أن يكون غلوة كبيرة . - وفى يوم الأحد ثامن عشره توفى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له مامى الصفيّر ودفن فى المدرسة النورية .

١٥ وفى يوم الاثنين تاسع عشره خرج الحمل من القاهرة فى تجمّل زائد ، وكان أمير ركب الحمل الأمير جانم كاشف منفلوط والبهنساوية ، فطلب طلباً حافلاً على العادة القديمة كمادة الأمراء المقدمين . وأخلع على الأمير بكباى أحد الأمراء العشرات واستقرّ به فى مشيخة الحرم النبوى ، عوضاً عن الشرفى يحيى بن البردبنى بحكم انفصاله عنها . وكان قاضى الحمل فى تلك السنة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الوفاى المالكي أحد النواب ، بل من أعيانهم ، فحصل للحاج به غاية النفع . ولم يحجّ فى هذه السنة من الأعيان إلا القليل ، وكان أكثر الحجاج فلاحين وريافة من البلاد .

٢١ وفى شهر ذى القعدة كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع القضاء إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر . ثم رجعوا إلى دورهم . - فى يوم مستهلّ وقع لقاضى

القضاة الحنفى الطرابلسى بين يدى ملك الأمراء فى ذلك اليوم بعض توبيخ ، بسبب نائبه كمال الدين بن زُرّيق ، وقد انكشف رُحّه فى مكتوب ظهر أنه زوّره ، وجرى بسبب ذلك (١٨٧ ب) أمور يطول شرحها ، فحصل للقاضى الحنفى بعض مقت من ٣ ملك الأمراء ، فإسمعه إلا أنه عزل كمال الدين بن زُرّيق بحضرة ملك الأمراء عزلا مؤبدا ما دام حيا ، وانفضّ المجلس على ذلك .

وفى ذلك اليوم رسم ملك الأمراء بإشهار النشادة فى القاهرة بسبب المعاملة فى ٦ الذهب والفضة ، فأطلق أربعة مشاعلية فى القاهرة ومصر العتيقة بأن الأشراف الذهب العثماني والغوري يُصرفان بخمسين نصفًا من غير زيادة على ذلك ، وأن الأشراف الذى هو ضرب جمال الدين يُصرف باثنين وأربعين نصفًا ، وأن الفضة على حالها لا يُرد منها ٩ إلا النصف النحاس المكشوف ، وكل من خالف فى ذلك شنى من غير معاودة ، فسكن الاضطراب قليلا بهذه النشادة بعد ما كان أشيع بإبطال هذه المعاملة كلها وتخسر الناس من أموالها الثلث ، فتمطّلت الناس من البيع والشري أيا ما وغلّقت الأسواق ، ١٢ فلما نادوا بإبقاء كل شيء على حاله سكن الرهج الذى كان فيه الناس . وقيل إن ملك الأمراء أرسل يشاور الخندكار ابن عثمان فى أمر المعاملة إذا بطلت تخسر الناس من أموالها الثلث ، والأمر فى ذلك معول على الجواب عن ذلك . - وفى يوم الأحد ثانى ١٥ الشهر أخلع ملك الأمراء على شخص من العثمانية يقال له الأمير على الكيخية أغات الأنكشارية واستقرّ به فى ولاية القاهرة ، عوضا عن كشيغا الذى كان والى القاهرة وتوجه إلى إسطنبول كما تقدّم . ١٨

وفى يوم الخميس سادسه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى الروضة ، ونصب له خاما فى خرطوم الروضة تجاه قصر ابن العيني فنزل هناك ، وكان صحبته جماعة من ٢١ الأمراء العثمانية والقاصد الذى حضر صحبة الأمير جانم الجزاوى والأمير قايتباى الدوادار وبعض أمراء من الجراكسة ، والجمّ الفير من الأصبهانية والأنكشارية . فلما استقرّ هناك أحضر إليه القاضى بركات المحتسب مدّة حفلة ، قيل صرف عليها

نحو خمسمائة دينار ، فمن جملة ذلك أربعون خروفا شوى ، وأربعمائة مجمع حلوى ، وعدة مطابق ضمنها مأمونية سكب ومأمونية حموية محشوة بسكر ، وسنبوسك بسكر وأرز حلو (١٨٨ آ) بسكر ، وسمك على أنواع مختلفة ، وأجبان مقل ، وأشياء غير ذلك مؤنقة وأحمال بطيخ صيفي وعبيدى ، وأطنان قصب وأحمال قشطة وبطط جلاب ، وأحمال موز وغير ذلك ، وما أبقى ممكنا فيما صنعه في هذه الددة من الأشياء التي تصلح للملوك ، فشكره ملك الأمراء على ذلك وأثنى عليه بحضرة الأمراء . وكان القاضي بركات المحتسب على المهمة نافذ الكلمة مسمود الحركات في سائر أفعاله ، وقد وقع له أشياء غريبة لم تقع لأحد قبله من المباشرين ولا غيرهم ، ولا سيما ما كان يصنعه للسلطان الفورى . فأقام ملك الأمراء إلى بعد المشاء ثم عدى من هناك وطلع إلى القلعة ، وتقضى ذلك اليوم بالسلطاني .

وفي يوم السبت ثمانه وقعت كايته مهولة وسبب ذلك أن ملك الأمراء جلس للمحادثات على العادة ، فعرض عليه ثلاث محادثات في ذلك اليوم : الأولى أن شخصا من اليهود يقال له شمس الدين محمد البساطى كان يجلس على رأس حارة زويلة ، وكان يخطب في جامع ابن قريميط الذى في حارة زويلة ، فجاءت إليه مبايعة لجارية حبشية كانت على ملك شخص من النصارى ، فابتاعها لشخص من الفرنج ، فهربت من عنده وأتت إلى بيت الوالى ، وقالت له : أنا جارية مسلمة كنت عند شخص نصرانى فابتاعنى لشخص إفرنجى ، فقصد أن يسافر بى إلى بلاد الفرنج فهربت منه وأتيت إليكم . فعرض الوالى هذه الواقعة على ملك الأمراء فطلب النصرائى البائع فهرب وهرب الإفرنجى المشتري ، فقبضوا على الشاهد شمس الدين البساطى - وقيل قبض على النصرائى والإفرنجى فيما بعد وعوقبا وقرّر عليهما مال له صورة - الذى كتب بينهما ورقة التبائع ، فلما حضر بين يدى ملك الأمراء قال له : ليش ما سألت الجارية إن كانت مسلمة أم لا ؟ فاختلط في الكلام وتلجلج لسانه عن الجواب ، فاشتد غضب ملك الأمراء عليه فرسم بقطع يده اليمنى فقطعت ، وأن يُشهر في القاهرة ففعل به ذلك .

- وكان حاضرا في المجلس قاضي القضاة المالكي محي الدين الدميرى والقاضى شهاب الدين ابن شرين أحد نواب الخفنية والقاضى شمس الدين العبادى والأمير أرزمك الناشف وجماعة من الأمراء العثمانية ، فلم يجسر أحد منهم أن يشفع فيه لشدة غضب ملك ٣ الأمراء عليه ، وكان يوما مهولا . (١٨٨ ب) والمحاكمة الثانية عُرض عليه شخص يقال له محمد بن عز الدين ، كان أبوه من جملة الرسل بالمدرسة الصالحية ، وكان يعرف بابن عرب ، فكان ابنه محمد هذا قبيح السيرة مشهور بتزوير المراسيم عن لسان المباشرين ، ٦ وسبقت له وقائع كثيرة بتزوير المراسيم عن لسان الأكابر ، فقبل إنه زور مرسومًا عن لسان القاضى شرف الدين بن عوض ، فقبض عليه ابن النياثى وأحضره إلى بين يدى ملك الأمراء ، فكثرت فيه من الناس الشكاوى ، فرسم بأن يشنق فشنق ، ٩ وشهر في القاهرة وهو مخزوم الأنف ومقطع الآذان ، وأراح الله تعالى المسلمين منه ، فإنه كان كثير النصب والحيل ويحكى عنه الغرائب والمعائب في أمر الحيل والنصب والسرقة . والمحاكمة الثالثة عُرض عليه شخص من الفلاحين سرق ثورا ، فرسم بأن ١٢ يخوزق ، وقطع أنفه وآذانه وأركبه على الثور وأشهره في القاهرة ثم خوزقه . وكان ملك الأمراء عجولا في أمر القتل وقد شنق وخوزق ووسط في أيام ولايته على مصر ما لا يحصى عددهم من الناس ، والغالب راح ظلما من غير ذنب ، وكان ملك الأمراء ١٥ شديد القسوة صلبا في الأمور جدا ، فكان كما يقال في المعنى :

احذر تماشى من يكن طبعهم ظلم الورى دأبا وإن أحسنوا

- ١٨ لقول ربّ العرش سبحانه في محكم الذكر ولا تركنوا

- وفى يوم الخميس ثالث عشره رسم ملك الأمراء بشنق ثلاثة أنفار من القواسة كانوا حراسا على قصب في شبرا ، فأتى إليهم بعض التركان ليسرق من القصب فضربه أحد القواسة ، فجاءت الضربة صائبة فمات ذلك التركانى ، فلما بلغ خشداشينه ذلك ٢١ توجهوا إلى شبرا ونهبوا ما فيها ، ثم قبضوا [على] ثلاثة أنفار من القواسة ، وأحضروا عقيب ذلك برأس قواس زعموا أنه هو الذى قد قتل التركانى فملقوها

معهما لما سُتقوا ، وزعموا أنهم هم الذين قتلوا التركاني ، فلما عُرضوا على ملك الأمراء رسم بشنقهم فشنقوا في ذلك اليوم ومضى أمرهم ، ويقال إنهم أخذوا ظلما ليس هم الذين قتلوا التركاني ، والذين قتلوه (١٨٩ آ) هربوا ولم يحصلوهم وقتلوا هؤلاء ظلما ٣ وراحت في كيسهم . وقد وقع لملك الأمراء أنه قتل ثمانية أنفس في هذه الجمعة ، فشنق منهم جماعة وخوزق منهم جماعة واقترحوا لهم العذاب حتى صاروا يخوزقونهم من أضلاعهم ، وراح غالبهم ظلما والأمر إلى الله تعالى . ٦

وفي يوم الجمعة رابع عشره أرسل كاشف الشرقية اثنين من المرابان الفسدين القطاع الطريق ، فرسم ملك الأمراء بشنقهما فشنقا ، وقد وقع لملك الأمراء أنه شنق وخوزق في هذا الشهر جماعة كثيرة بخلاف العادة . - وفيه أشيع أن صبيانا صفارا قعدوا يلعبون في بعض الحارات فعمل واحد منهم ملك الأمراء وآخر وإلى القاهرة . ونادوا أن أحدا لا يخرج من بعد العشاء ، فقام بعض الصغار وخطف عمامة آخر ٩ يعث عليه ، فقبضوا عليه وأحضره بين يدي الذي جعلوه ملك الأمراء ، فرسم للذي أقاموه والياً بأن يقبض عليه ويخوزقه ، فدقوا له عصا في الأرض وأقعدوه عليه غصبا فمنهم من قال إن الصبي مات من وقته ومنهم من يقول إنه لم يموت ، فلما جرى ذلك ١٢ تهابت الصغار إلى حال سبيلهم . وقد هان القتل في هذه الأيام حتى عند الصغار ، وهذه الواقعة لم تثبت إلا إشاعات . ١٥

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره قدمت الأخبار بأن الفرنج قد أتوا إلى ساحل بيروت وحاصروا من بها ، فكسروهم وملكوا مدينة بيروت وأقامت معهم ثلاثة أيام ، فلما بلغ الأمير جان بردى الغزالي نائب الشام ذلك عين دوا داره وصحبته الجَمّ الغفير من العساكر ، فتوجهوا إلى بيروت واتقوا مع الفرنج ، فكان بين الفريقين وقعة مهولة قتل فيها ما لا يحصى من الفرنج ، وأسر منهم نحو ثلاثمائة إنسان ، وغنموا منهم ٢١ أشياء كثيرة من سلاح وقماش وغير ذلك ، وقيل أسروا ثلاثة من أولاد ملوك الفرنج وملكوا ثلاثة برشات من كبار مرابكهم ، وكانت النصره عليهم للغزالي نائب الشام

بعد ما ملكوا الفرنج بيروت وأقامت معهم ثلاثة أيام وهم مستولون عليها، (١٨٩ب)
فأطردوا عنها بعون الله تعالى .

- ومن الحوادث العظيمة الغريبة ما وقع يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ذى القعدة ٣
من سنة ست وعشرين وتسعمائة ، قدم قاصد من البحر الملح وعلى يده مرسوم من
عند السلطان سليمان ابن السلطان سليم شاه بن عثمان ، فلما طلع إلى عند ملك الأمراء
فسلمه المرسوم ، فكان من مضمونه أن السلطان سليم شاه قد توفى إلى رحمة الله ٦
تعالى . وحضر صحبة القاصد مطالعة من عند الرئيس شمس الدين محمد بن القوصوني
إلى صهره قاضي القضاة المالكي محيي الدين بن الدميري ، تتضمن أخبار موت الملك
سليم شاه بن عثمان وهي الأخبار الصحيحة . ثم ورد كتاب من عند الخليفة إلى ٩
والده يعقوب بمعنى ذلك كما تقدم ووقفت عليه ، فأخبر أن السلطان سليم شاه خرج
يتصيد فرداً من الصيد وهو متوَعَك في جسده ، وقد طلعت له فرخة جرة فتألم لها
وئزم الفراش أياماً وثقل في المرض واشتد عليه الأمر جدا ، فات في يوم الخميس ١٢
تاسع شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فلما مات كُتِبَ موته عن المسكر فأقام ثلاثة
أيام لم يُدفن ، وكان ولده سليمان غائبا عن إسطنبول ، فلما حضر وقد جدَّ السير حتى
دخل إلى إسطنبول وجلس على سرير الملك ، فعند ذلك أشيع موت أبيه سليم شاه ، ١٥
فأحضروه في سحلية وهو مصبّر ، فصلّوا عليه ومشت الوزراء قاطبة والمسكر
قدّامه ، ودفن على أجداده وأقاربه . وكان دفنه يوم الأحد أو يوم الاثنين ثاني عشر
شوال كما قيل ، ودفن على جدّه السلطان محمد بن عثمان في مدرسته بإسطنبول ، ومضى ١٨
إلى رحمة الله تعالى كأنه لم يكن ، وزال عنه الملك في طرفة عين ، فسبحان من لا يزول
ملكه ولا يتغير ، وفي ذلك يقول الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق :

عظّم الله أجركم في ملك الورى سليم ٢١
عنه قد زال ملكه وغدى في الثرى رميم

وقيل توفى الملك المظفر سليم شاه وله من العمر نحو سبع وأربعين سنة

عما أشيع ذلك ، ووقع له من الأمور الغريبة ما لا وقع لأحد من آباءه ولا أجداده ،
 بل ولا لأحد من ملوك الشرق ولا ملوك الغرب ولا غيرها ، فإنه زحف على شاه إسماعيل
 ٣ الصوفي ملك المراقين وحاربه فكسره ، وقتل (١٩٠ آ) من عساكره ما لا يحصى
 عددها ، حتى قيل فوق الخمسين ألفا ، وملك بلاده وطرده عنها . ثم تحرّش بسلطان
 مصر ولا زال يخادعه ويظهر أنه تحت طاعته حتى خرج إليه ، ففدّ به وحاربه ،
 ٦ وانكسر منه وقُدد وقد طرده على حين غفلة ، وجرى عليه منه ما جرى كما تقدم
 ذكر ذلك ، فلك مدينة حلب وقلعتها في خمس درج ، واحتوى على أموال السلطان
 النورى التي كانت بقلعة حلب من غير مانع . ثم توجه إلى دمشق فللكها وملك
 ٩ قلعتها من غير مانع ، في أسرع من طرفة عين . ثم توجه إلى نحو الديار المصرية
 وحارب السلطان طومان باى فكسره ، وقتل غالب عسكر مصر من المالك
 الجراكسة ، وقتل من الأمراء ما تقدّم ذكره ، وملك الديار المصرية في نحو عشر
 ١٢ درج . ومن أراد أن ينظر لما وقع منه في الديار المصرية ، فليُنظر إلى الجزء العاشر من
 تاريخنا بدائع الزهور في وقائع الدهور .

فكانت مدة استيلائه على حلب والشام ومصر أربع سنين وخمسة أشهر ، وهو
 ١٥ يُخطب باسمه على منابر حلب وأعمالها ودمشق وأعمالها ، ثم يُخطب باسمه على منابر
 الديار المصرية وأعمالها وثغورها ، وضربت السكة باسمه في هذه المدة . فكان استيلاؤه
 على مدينة حلب في أواخر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، واستولى على دمشق
 ١٨ في سلخ شهر رمضان . واستولى على الديار المصرية في المحرم سنة ثلاث وعشرين
 وتسعمائة ، فكانت مدة إقامته بالقاهرة نحو ثمانية شهور ، من مستهل المحرم إلى
 أواخر شعبان ، واستقرّ بخيار بك نائباً عنه بمصر . وأما مدة استيلائه على مملكة
 ٢١ الروم ، من حين توفى والده السلطان أبو يزيد إلى الآن ، نحو تسع سنين إلا أشهر ،
 فإن والده أبا يزيد توفى في ثانی جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان استيلاؤه

(١) عما : عما . (٨) التی : الذى . (١٥) باسمه : اسمه .

(٢٢ و ١٦) استيلاؤه : استيلاؤه .

على مملكة الروم في حياة والده بأشهر ، فإن والده أقام مريضاً ملازماً للفراش مدة طويلة ، فيقال إنه عجّل على أبيه وقتله لأجل الملك ، ثم إنه خنق أخاه قُرْقُد ، وقتل أخاه أحمد ، وظن أن الوقت قد صفا له فتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بغيره من الملوك ، ودهاه الموت الذي لا يُدفع بقوة ولا حيلة ، وقد صار في رمسه (١٩٠ ب) رهين الذنوب لا يُعلم هو في نعيم أو عذاب . وقد رثيته بهذه الأبيات وهو قولى :

٦	وابعجبوا من صنّع ربّ تعالى	لابن عثمان قصّة فاسموها
	فاتكا في الأنام روحاً ومالا	ملك الشام للفراة وأضحى
	قلت هيهات رُمت هذا محالا	وأراد الخلود في ملك مصر
٩	بدعاء فيها يفوق النبأ	طردته عنا سهام الدياجى
	من جيوش تدكّ منه الجبالا	بعد ما جار في الأنام بقتل
	فسألنا الإله يكشف حالا	منذ جاروا وبالغوا في أذاهم
١٢	بانفراج المصوم جلّ تعالى	فاستجاب الدعاء ومنّ علينا
	صيرت رشده حقيقاً ضلالا	وأنتنا أخباره بزوال
	وسطا فيهم وأفنى الرجالا	كم ملوك أذلّما بعد عزّ
١٥	من سطى سيفه وطال استطلا	كُفّ قلبي على ملوك تفانوا
	موت أستاذهم وشاعوا المقالا	ذلت الروم عند ما قد دهاهم
	وكفى الله المؤمنين القتالا	زال عنا بموته بجمرة دون حرب

وفى ذلك اليوم أشيع بموت ابن ملك الأمراء الذى كان مقيماً بإسطنبول ، وكان رهيناً عند ابن عثمان من حين استولى أبوه على نيابة السلطنة بمصر . فلما تحقّق ملك الأمراء موت السلطان سليم شاه أظهر الحزن والأسف ، وشقّ أثوابه ولبس السواد ، وكذلك الأمير قرا موسى وخير الدين نائب القلعة وفرحات وسائر الأمراء العثمانية لبسوا السواد ، حتى الأمير قايتباى الدوا دار لبس السواد ووضع على رأسه شداً أزرق وأظهر الحزن .

ثم في يوم الخميس عشرينه رسم ملك الأمراء بأن أربعة مشاعلية تنادى في القاهرة ،

- اثنتان ينادوا بالتركي واثنتان ينادوا بالعربي : ترجموا على الملك المظفر سليم شاه ،
 وادعوا بالنصر للملك المظفر سليمان . فارتجت القاهرة في ذلك اليوم ، وتحققوا موت
 ٣ سليم شاه من غير شك ، وقالوا : سبحان مُهدّ الجبارة . وأما المالك الجراكسة
 تزايد عندهم الفرح والسرور واستبشروا بالفرج ، كما يقال : مصائب قوم عند قوم
 فوائد . فاستمرت الأمراء وهم لابسون السواد ثلاثة أيام متوالية ، وهم يظهرون
 ٦ الحزن على سليم شاه (١٩١٩) ابن عثمان . وكان موته على حين غفلة من الغرائب
 التي لم يُسمع بمثلها ، ولو عاش وصفا له الوقت ما حصل لأحد منه خير ، فكفى
 الله الناس شره . انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك المظفر سليم شاه بن عثمان ،
 ٩ وذلك على سبيل الاختصار منها ، وقد وقع فيها من الأمور الغريبة ما لا وقع
 في سائر الدول .

ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان بن الملك المظفر سليم شاه بن عثمان

- ١٢ وهو التاسع من ملوك الروم من بني عثمان ، استولى على مملكة الروم
 بالقسطنطينية العظمى في يوم الأحد ثاني عشر شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة ،
 وجلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه سليم شاه ، وصار متمكنا على المملكة
 ١٥ الرومية والديار المصرية وما مع ذلك من الممالك . قيل استولى على الملك وله من العمر
 نحو ثمانية وعشرين سنة ، وله أولاد ذكور وإناث ، وقيل عنه إنه من ذوى العقول ،
 وفيه أقول :

- ١٨ سرتنا لما ولى سلطاننا ابن عثمان وصرنا في أمان
 وارثا للملك عن أجداده فهو في الملك سليمان الزمان

- وأما ترجمته : فهو سليمان بن سليم شاه الذى أخذ مصر عنوة بالسيف . ثم والده أبو
 ٢١ يزيد وُلد سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، وولى على ملك الروم وجلس على سرير مُلكه

(١) ينادوا : كذا في الأصل . (١٣) العظمى : العلماء . (١٩) في الملك : كتب
 المؤلف إلى جانبها في الهامش « في العصر » . (٢٠) وأما ترجمته : فارق الأسماء والبيانات
 الواردة فيما يلي بما يذكره المؤرخون الآخرون ، وانظر الحاشية هنا فيما سبق ص ١٥١ .

يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة، وتوفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة، فكان مدة سلطنته ببلاد الروم نحو ثلاث وثلاثين سنة. ثم والده السلطان محمد، وهو أول من تلقب بالسلطان من ملوك الروم، وُلد سنة خمس وستين وسبعمائة،^٣ فكان مدة حياته نحو ستين سنة. ثم والده مراد خان، ويدعى غازي أيضا، وُلد سنة ست عشرة وسبعمائة، وكانت مدة سلطنته على مملكة الروم إحدى وثلاثين سنة، وعاش من العمر نحو ثمانية وستين سنة. ثم والده أبو يزيد المعروف بيلدرم، وبلدرم باللغة التركية اسم البرق، وهو الذي (١٩١ ب) أسره تيمورلنك ووضع في قفص من حديد وطاف به في البلاد، وصار يمجّب عليه، وكانت وفاته وهو في القفص الحديد في ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة، وكانت مدة مملكته على بلاد الروم تسع سنين أو نحو ذلك. ثم أبوه أورخان عاش نحو ثمان وستين سنة ثم أبوه على أردن، ثم أبوه عثمان الثاني، ثم أبوه سليمان وُلد في بلاد الروم، وكان مدة استيلاء عثمان الثاني على مملكة الروم من سنة سبع وثمانين وتسعمائة، واستمرّ على ذلك حتى قُتل في الغزاة^{١٢} ببلاد الفرنج وخلف ابنه سليمان، فهؤلاء كلهم من نسل عثمان الثاني، فأطلق عليهم ملوك الروم من بني عثمان وهم تسعة في العدد.

وأما جدّهم الكبير عثمان، قال بعض المؤرخين إنه وُلد سنة ثمان وخمسين وتسعمائة،^{١٥} وعاش نحو تسع وستين سنة، وأن أصله من عرب الحجاز من وادي الصفراء بالقرب من المدينة النبوية. فلما وقع الغلاء بالمدينة خرج منها عثمان فآرا إلى بلاد بني قرمان، فنزل بقونية، وكان شجاعا بطلا فترايا يزى أهل قونية، وكان مُلك الروم يومئذ بيدى طائفة يقال لهم السلجوقية، فصار عثمان في خدمة الأمير على بن قرمان، فعظم أمر عثمان عنده ومشي على طريقهم وتكلّم باللغة التركية، وصار له أتباع كثيرة وأعوان وعدة عساكر نحو عشرين ألفا، فعند ذلك خرج عن طاعة السلجوقية والقرمانية^{٢١} وصار له عدة بلاد من فتوحاته، وصار يغزو بلاد الفرنج في كل سنة وينغم أموالهم،

(١٠) أورخان: أورجان. (١١ و ١٠) أبوه: ابنه. (١٠) على أردن: كذا في الأصل.

(١١ و ١٣) سليمان: سلان. (١٨) بقونية: بقونيا. || فترايا: قترا.

ففتح عدة حصون تلى خليج القسطنطينية . ولا زال ملك بنى عثمان يعظم وجنودهم
تكثر ، وأظهروا العدل فى الرعية ، وعمروا التكايا والزوايا والخوانق ، وكان عثمان
يحب العلماء ويقرب الصلحاء ، وكان صفته طويل القامة أسمر اللون أقى الأنف ،
وقيل عاش عثمان هذا نحو سبعين سنة ، ومات شهيدا فى بعض غزاة الفريج ، وهو
جد بنى عثمان قاطبة .

قال الشيخ تقى الدين أحمد الميرزى : (١٩٢ آ) لم يكن فى أبناء عثمان من يلقب
بملك ولا بسطان ، بل كان إذا كاتبهم ملوك مصر وعظموهم يقولون لهم الخونديكار
أو الأمير فلان . وقال الميرزى : إن بعض المؤرخين [قال فى] نسب بنى عثمان أنهم
ينسبون إلى أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوة خلفاء بنى العباس الذى تعصب لهم ونزع
الخلافة من يد الأموية وردّها إلى العباسية . انتهى ما أوردناه من نسب بنى عثمان ،
وهذا هو النسب الصحيح عنهم ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ومن هنا نرجع إلى أخبار الملك سليمان بن سليم شاه بن عثمان ، فالذى أخبر به
ابن القوصونى فى كتابه أن السلطان سليمان لما جلس على سرير الملك أظهر العدل فى
الرعية ، فأرسل أحضر الخليفة من المكان الذى كان والده سجنه به ، فأحضره إلى
إسطنبول كما كان ، ورتب له فى كل يوم ستين درهما . وأفرج عن علای الدين ناظر
الخاص وعن جماعة كثيرة من المباشرين الذين كان سجنهم والده فأفرج عنهم ، وأفرج
عن جماعة من التجار الأعجم الذين كان والده سجنهم وزعم أنهم من جماعة الصوفى ،
وأخذ منهم حريرا بنحو اثنى عشر ألف دينار ، فلما آل إليه الملك أفرج عنهم وأعاد
لهم الحرير الذى كان أخذ منهم ، ورسم لهم بالعود إلى بلادهم . وذكر عنه أشياء
كثيرة من العدل فى هذا النمط .

وفى يوم الجمعة عشرينه رسم ملك الأمراء بأن يُصلى على السلطان سليم شاه بن
عثمان صلاة النبية بجامع القلعة وسائر جوامع القاهرة ، وأن يُدعى للسلطان سليمان على
النار فى ذلك اليوم فقطلوا ذلك ، وخطب باسمه على النار ومضى أمر السلطان سليم

شاه كأنه لم يكن . - وفي يوم السبت حادى عشرينه نودى فى القاهرة بالزينة ثلاثة أيام متوالية بسبب سلطنة الملك سليمان ، فزُينت مصر والقاهرة زينة حافلة ، حتى داخل الأسواق وغالب الحارات ، ولا سيما خان الخليلي فإن تجاره زيتوا زينة عظيمة ، وصار ٣ الأمير على الكيخية والى القاهرة يطوف فى كل يوم عدة مرار وقدامه جماعة من الأنكشارية ، وهو ينادى بالأمان والاطمان والبيع (١٩٢ ب) والشرى وأن لا أحد يُشوش على أحد من الرعية ولا يمشى بسلاح ، وصار يخرج على تقوية الزينة ٦ ويضرب أصحاب الدكاكين بسبب الزينة . وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق ، وهو قوله :

زُينت مصر وأُضحت بعد حزن فى تهان
مذغدت بعد سليم لسليمان الزمان

ومن الحوادث أن طائفة من الأنكشارية قصدوا أن ينهبوا حارة زويلة ، وقيل جرت العادة عندهم أن السلطان إذا مات ينهب العسكر حارات اليهود ، فقصدت ١٢ طائفة الأنكشارية أن يفعلوا ذلك ، فنعمهم خير الدين نائب القلعة وقرا موسى وفرحات من ذلك ، فغضبوا منهم وتوجهوا إلى بركة الحبش على أنهم يدخلون على حمية وينهبون القاهرة عن آخرها ، فترددت الرسل بينهم وبين ملك الأمراء على أنه ١٥ ينفق على طائفة الأنكشارية لكل واحد منهم ثمانين ديناراً ، وينفق [على] الصوباشية أغات الأنكشارية لكل واحد منهم مائة دينار ، فتراضوا على ذلك وعلى أنه لم ينفق على طائفة الأصهبانية ولا الكمولية شيئاً ، فتقرر الحال على ذلك . ١٨ ثم فى يوم السبت المقدم ذكره أرسل ملك الأمراء إلى الأمير قايتباى الدوادار قفطان حرير برصاوى وشاش خمسينى وفككه السواد ، والأمير أرمزك الناشف ، وكذلك قرا موسى ، وخير نائب القلعة ، وفرحات ، فأرسل لهم قفطانات حرير ملون ٢١ وشاشات خمسينى وفككه السواد . ثم إن ملك الأمراء صار يترضى المالك الجراكسة ويأخذ بخواطرم ، فنفق عليهم جامكية شهرين دفعة واحدة ، وصار

(١٤) يدخلون : يدخلوا . (١٥) وينهبون : وينهبوا .

القاضي شرف الدين الصغير يأخذ بخواطير المالك الجراكسة أيضا ويخاطبهم :
يا أغاوات . بمد ما كان يقول : يا كلاب يا زرايل . وقد أقامت المالك الجراكسة
صدورها من حين سمعوا بموت سليم شاه بن عثمان .

٣

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه أشيع أن طائفة (١٩٣ آ) الأصهبانية وقفوا إلى
ملك الأمراء ، وقالوا له : مثلما نفقت على الأنكشارية ثمانين ديناراً أنفق علينا نحن
أيضاً مثلهم . فقال لهم : الأنكشارية ممالك الخندكار وأتم خدامه بجوامك ،
وما عندي مال أنفقه عليكم . فزلوا من عنده على غير رضا ، وأشيع أنهم يقصدون
نهب الزينة ، فبادروا الناس بفك الزينة ، ووقع الاضطراب في ذلك اليوم . - وفي
يوم الثلاثاء خامس عشرينه نفق ملك الأمراء على الأنكشارية فقط ، فأعطى لكل
واحد منهم أربعين أشرافاً ذهب تصرف بثمانين أشرافاً فضة ، وأعطى الصوباشية
أعوات الأنكشارية لكل واحد منهم مائة دينار ، فشق ذلك على الأصهبانية
والكمولية وأشيع إقامة فتنة .

١٢

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه حضر قاصد من عند نائب الشام الأمير جان
بردى الفزالي يقال له خشقدم اليحياوى ، وهو أحد الأمراء العشرات بدمشق وكان
أمير شكار عند قانصوه اليحياوى ، فلما حضر إلى بين يدى ملك الأمراء دفع إليه
مطالمة نائب الشام جان بردى الفزالي ومطالبات إلى الأمراء ، فلما قرئت عليه اضطربت
أحواله ولا علم ما في تلك المطالبات ، فأنزلوا ذلك القاصد في بيت الأمير جانم الحزاوى ،
فأقام عنده في الترسيم وهو محتفظ به . ثم أشيع أن ملك الأمراء من حين حضر قاصد
الفزالي وهو متأكد ، وشرع في تحصين قلعة الجبل وركب على أبراجها المساكل ، ووزعت
أعيان الناس أمتعتها في الحواصل ، وتزايد القيل والقال بين الناس في أمر جان بردى
الفزالي نائب الشام ، وأشيع عصيانه بالشام وجمع من المساكر ما لا يحصى عددها .

٢١

ثم في يوم الخميس سابع عشرينه رسم ملك الأمراء أن طائفة الأنكشارية
يقيمون بالقلعة في الطباق ولا يزلون إلى المدينة ، وأن طائفة الأصهبانية يسكنون حول
(٧) يقصدون : يقصدوا . (١٣) سادس عشرينه : سابع عشرينه . (١٩) تحصين : تحصن .

القلعة والقرب من بيت قرا موسى ، ففعلوا ذلك . - وفي يوم الجمعة خرج قاصد من عند ملك الأمراء ، يقال له أمير شيخ ، وأرسل على يده المطالعات إلى السلطان سليمان بن عثمان ، يُعزّيه في والده السلطان سليم شاه ، ويُهنّيه باستقراره في الملك عوضا عن أبيه . ثم أشيع أن ملك الأمراء أرسل قاصد (١٩٣ ب) نائب الشام ، وهو خشقدم اليحياوى الذى حضر على يده المطالعات ، فأرسله إلى السلطان سليمان وصحبته تلك المطالعات الواردة من عند نائب الشام ، فقبل أرسله في الحديد ، وتوجّه به أمير شيخ من البحر إلى نهر الإسكندرية ومن هناك يتوجّه من البحر الملح إلى إسطنبول . ثم أشيع من بعد ذلك أن القاصد قد غرقوه تحت الليل وكان آخر العهد به ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

٩
ومما استفاض بين الناس من أمر واقعة نائب الشام جان بردى النزالي أنه تسلطن بالشام وقبّل له العسكر الأرض ، وخُطب باسمه على منابر دمشق ، وضربت السكّة باسمه على الذهب والفضة ، فلما تحقّق ملك الأمراء ذلك أرسل يُعلم السلطان سليمان بن عثمان بما وقع من نائب الشام من أمر سلطنته بالشام ، وأرسل إليه المطالعات التى وردت عنه بما جرى منه ، وصار الأمر موقوفا على الجواب عن ذلك وقد تحقّق عصيان نائب الشام وخروجه عن الطاعة .

١٥
وفي شهر ذى الحجة كان مستهلّه يوم الاثنين ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة للتهنئة بالشهر ، فلما تكامل المجلس أحضر ملك الأمراء مصحفا شريفا ووضع على كرسى ، وحضرت الأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية ، فتقدّم الأمير أرزمك الناشف وحلف أنه يكون تحت طاعة السلطان سليمان كما كان تحت طاعة والده سليم شاه وأنه لا يخون ولا يفسد ولا يخامر عليه ، فحلف على ذلك بحضرة القضاة الأربعة ، ثم تقدّم الأمير قايتباى الدوادار وحلف على المصحف بمعنى ما حلف به الأمير أرزمك . ثم صارت الأمراء الجراكسة يحضرون اثنان اثنان ويحلفون على المصحف بمعنى ذلك . ثم قام شخص يقال له قراجا الطويل وقال : يا ملك الأمراء (١٥) وخروجه : وخرجه . (٢٢) يحضرون : يحضروا . // ويحلفون : ويحلفوا .

مثلما حلفنا للأمراء العثمانة يحلفون لنا هم أيضا . فقال ملك الأمراء : واجب علينا ذلك . فتقدم ملك الأمراء وحلف على المصحف وأوسع في ألفاظ الحلف وأكد في ذلك ، ثم تقدم قرا موسى وحلف على المصحف ، وكذلك (١٩٤ آ) فرحات ٣ وخير الدين نائب القلعة والكيخية الكبير أغات الأنكشارية ، فلما تكامل الحلف رسم ملك الأمراء بأن مشاعليا ينادى في القاهرة بالعربي وآخر ينادى بالتركي بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن التجار تفتح دكاكينها ، وأن لا أحدا يكثر الكلام ولا يدخل فيما لا يعنيه ولا ينقل له قاشا من داره ، والدعاء بالنصر للسلطان سليمان بن عثمان . فلما نودى بذلك سكن الاضطراب الذي كان بين الناس قليلا . ٩

وفي ذلك اليوم عُرض على ملك الأمراء شخص من النصارى قيل عنه إنه وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش ، وشُهد عليه بذلك ، فحكم القاضي الحنفى بكفره ، فضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية ، ثم إن العوام أحرقوه بالنار حتى زالت جثته وصارت رمادا . - ومن الحوادث الغريبة والنوادر العجيبة أشيع أن بحر النيل زاد في هذه الأيام بعد ما قد مضى من هاتور نصفه ، فزاد نحو ثلاثة أذرع ، حتى قيل بقى عن علام الوفاء ستة عشر أصبعا ، فقد ذلك من الوقائع الغريبة التي لم يقع بمثلها فيما مضى من الزمان ، ولم يحصل بهذه الزيادة نفع للناس بل أغرقت الزروع التي زُرعت على الشطوط والأبقتة ، وكان هذا من جملة عجائب صنع الله تعالى . فكان كما يقال في المعنى : ١٨

النيل أفرط فيضا بفيضه المتتابع

فصار مما دهانا حديثنا بالأصابع

وفي هذه الواقعة يقول محمد بن قانصوه من صادق : ٢١

(٦) وأن : أن . (١٦) التي : التي .

(٢١- من ٣٧٠س ٣) وفي هذه ... فادا : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

(تاريخ ابن أبياس ج ٥ - ٢٤)

نيل مصر مذ وفاقى توت ما عمّ البلاد

واستمرّ النقص فيه ثم في هاتور زادا

لم نرَ للماء نفعا لا ولا للزراع فادا ٣

- ثم أشيع من بعد ذلك أن الماء قد دخل إلى خليج الزربية من عند قصر ابن العيني، فتطير الناس من ذلك، ثم أشيع أن الماء دخل إلى الخليج الناصرى وفاض حتى دخل إلى بركة الرطلى وغرق الزرع الذى كان بها، فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة، فأشيع ٦ أن فى جهات المنوفية غرق ما كان زُرِع بها وهى عدّة أفدنة كثيرة، وكذلك غرق غالب البرسيم الذى زُرِع بالجيزة، وما حصل بهذه الزيادة للناس خير. - وفيه أفرج ملك الأمراء عن شيخ العرب نجم شيخ العايد، وأخلع عليه وأعادته إلى مشيخة العايد كما كان أولا، وأخلع على أربعة أنفار من مشايخ عربان السوالم، وقرّر معهم أن يجتمعوا من العربان ما يقدرون عليه بسبب ملاقة نائب الشام (١٩٤ ب) جان بردى الفزالي، فإنه تزايدت الأخبار بسلطنته فى الشام وقد تلقب بالملك الأشرف ١٢ أبى الفتوحات، وزيّنت له دمشق ثلاثة أيام، ووقدت له الشموع على الدكاكين، وقبل له الأمراء الأرض، وقد جمع الجُمّ الغفير من المساكر، وهو قاصد نحو الديار المصرية. ١٥

- وفى يوم الأربعاء ثالث شهر ذى الحجة فيه توفى الإمام العالم العامل العلامة شيخ الإسلام والمسلمين، مفتى الأنام فى العالمين، بقيّة السلف وعمدة الخلف، عالم الوجود على الإطلاق، وذكره قد شاع فى الآفاق، فهو آخر علماء الشافعية بالديار المصرية انتهت إليه رئاسة الشافعية، فهو شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد بن محمد الأنصارى السليكي الشافى رحمة الله عليه، وكان مولده فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ومات وله من العمر مائة سنة وستان بعدها، وكان رئيسا حشما فى سمة من المال، وولى قضاء الشافعية فى دولة الأشرف قايتباى وأقام بها فوق العشرين سنة، ومات وهو معزول عن القضاء، وقد كُفّ بصره قبل وفاته بمدة طويلة. وحضر ٢١
- (٣) لم نر : لم نرى . (١١) يقدرّون : يقدرّوا .

- مبايعة خمسة من السلاطين وهم : الناصر محمد بن قايטباى ، وخاله الظاهر قانصوه ،
والأشرف جان بلاط ، والعاذل طومان باى ، والأشرف الغورى ، وولى تدريس قبة
الإمام الشافعى رحمة الله عليه ، وولى فى أواخر عمره مشيخة المدرسة الجالية ، وكان ٣
بيده عدة تداريس ، وألف الكتب الجالية فى العلوم المفيدة ، وأفتى ودرّس بالقاهرة
نحو ثمانين [سنة] ، وانتفع منه غالب الناس . وخلف ولدا ذكرا من جارية سوداء .
٦ فلما بلغ ملك الأمراء وفاته أرسل إليه ثوبا بملبكي وخمسين دينارا على يد الأمير جانم
الجزاوى ، وحضر غسله وفوتّض عليه . وأخرجت جنازته من عند المدرسة السابقة ،
ومشى فى جنازته قضاة القضاة وأعيان الناس ، وصلى عليه فى سبيل المؤمنين ، ونزل
٩ ملك الأمراء وصلى عليه وحمل نعشه فى سبيل المؤمنين أول ما طلعوا به ، وكانت جنازته
حافلة . فلما صلّوا عليه توجهوا به إلى مقام الإمام الشافعى رحمة الله عليه ، ودُفن عند
الشيخ محمد الحبشاني تجاه قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فكان أحقّ بقول
١٢ القائل فيمن رثاه حيث قال : (١٩٥ آ)

- لقد عظمت رزينا فنبه لها عمرا ونمّ جُنج الليالى
فلا زالت ذوو الأقدار تلقى من الأيام أنواع النكال
١٥ وكم جنت المنون على رجال وجندلت الكميّ بلا قتال
فوا عجا لجوهرة عليها بكيت من المدامع باللالى
ودائى ليس يشفيه دواء وجرحى لا يؤول إلى اندمال
١٨ به الأيام قد كانت قصارا فويل من لياليها الطوال
وكان ذخيرتي فيها وكترى وكان هدايتي عند الضلال
لقد درّست دروس العلم حزنا وقد ضلّ الجواب عن السؤال
٢١ ودقّ الناس أبواب الفتاوى وقد وصلوا إلى باب الصيال
بكاك العلم حتى النحواضى مع التصريف بمدك فى جدال
بكت أوراقه يبيض المواضى دما وبراعه سمر العوالى

- وعين دواته عشت وآلت عينا لا تداوى باكتحال
تنكرت المعارف في عياني وتميزى غدا في سوء حال
وما عوّضت من بدل وعطف سوى توكيد سقمى واعتلال ٣
فيا قبرا نوى فيه تهنى فقد حُزت الجليل مع الجمال
سقاه الله عينا سلسيلا وأسبغ ما عليه من الظلال
وبوّأه من الفردوس مثوى ورقاه إلى الغرف العوال ٦

وفي يوم الأربعاء المقدم ذكره توفي شمس الدين محمد البساطى الشاهد الذى قطع ملك الأمراء يده ، فراح ظلما بلا ذنب أوجب ذلك ، وأشيع أن ملك الأمراء أرسل إليه مائة دينار على أنه يحاله مما وقع منه ، فأبى من أخذ المائة دينار ، وقال : حتى أقف أنا وإياه بين يدى الله تعالى . وقيل إن يده التى قُطعت استمرت عنده إلى أن مات فدُفنت معه ، فات شهيدا . - وفي يوم الثلاثاء تاسع ذى الحجة قدمت على ملك الأمراء أخبار رديّة بأن العربان نزلوا على قطيا ونهبوا ما فيها ، واستمرّ النهب عمّالا ١٢ من قطيا إلى الحطارة ، وطفحت العربان فى الشرقية واضطربت أحوالها . وأشيع أن شيخ العرب أحمد بن بقر أرسل حريمه وأدخلهم إلى القاهرة ، ووزع أمواله وقاشه ومواسيه خوفا من النهب فى البلاد ، وقد (١٩٥ ب) وردت عليه أخبار غير صالحة ، وصار القيل والقال كل يوم عمّالا بين الناس والأخبار الكذب أكثر من الصدق .

وفي يوم الأربعاء عاشره فيه كان عيد النحر ، فوقع فى هذا العيد أمور غريبة بسبب الأضحية ، فبلغ سعر كل بقرة فوق الثلاثين دينارا ، وشئ منهم أبيع بأربعين دينار ، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الزمان ، وأبيع كل خروف كبير بعشرة أشرفية ، وبأثنى عشر دينار الكبش الكبير ، فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة . وسبب ذلك أن الأشراف الذهب العثماني صار يُصرف بخمسين نصفًا من الفضة ، وأما الماملة من الفضة فإن غالبها نحاس وأكثرها مغشوش ، فوقف حال الناس بسبب ذلك وصار الشئ يباع بالثل مثلين ، وصار كل من البضائع وغيرها يباع بأعلى الأثمان . وموجب ذلك أيضا

قلّة البقر والغنم في هذه الأيام ، وصارت الأبقار تجلب إلى دمشق وتباع هناك بأغلى الأثمان ، فإن الأبقار التي بدمشق دخل فيها الفناء وقلّت نسلها من هناك جدا .

٢ وفي يوم الاثنين ثامن خراج الأمير ناصر الدين محمد الحلبي المهندار وتوجه إلى نحو ثغر الإسكندرية بسبب تفقد الأبراج التي هناك ، خوفا من الفرنج أن لا يطرقوا الثغر على حين غفلة ، وقد تزايد تعبث الفرنج في البحر الملح ، وقد طعموا في أخذ البلاد من حين مات سليم شاه بن عثمان . - وفيه أشيع أن حضر ساع من البلاد الشامية وعلى يده مطالمة إلى ملك الأمراء ، فقال له : إن كان معك مطالعات للأمراء أظهرنا عليهم . فأنكر الساعي ذلك ، فحنق منه ملك الأمراء وضربه ضربا مبرحا وسجنه ، وهو لم يقر بشيء من المطالعات . - وفي يوم الجمعة ثاني عشره أشيع أن أمير شيخ ، الذي أرسله ملك الأمراء إلى السلطان سليمان بن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه في أيه السلطان سليم شاه ، أنه رجع إلى ثغر الإسكندرية ، وأنه وجد البحر الملح قد امتلأ بمراكب الفرنج فلم يستطع التوجه منه (١٩٦ آ) إلى إسطنبول ورجع إلى ثغر الإسكندرية ، وأرسل يعلم ملك الأمراء بما وقع له .

وفي يوم الأحد رابع عشره نزل ملك الأمراء إلى الميدان الذي تحت القلعة وعرض سنيحه وعرض العربات ، وهي المجلات التي صنعها ، وفرّق في ذلك اليوم على ممالكه عدة قرامح وسلاح وغير ذلك ، ورسم لهم بأن يعملوا يرقهم بسبب السفر إلى ملاقات نائب الشام الأمير جان بردى الغزالي ، ورسم للمسكر المثنائي بأن يعملوا يرقهم أيضا . - وفي يوم الاثنين خامس عشره رسم ملك الأمراء للمماليك الجراكسة بأن يعملوا يرقهم أيضا ويجهزوا أمورهم بسبب السفر ، فتوجهوا إلى سوق القيو وجامع قوصوف واشتروا ما يحتاجون إليه بسبب السفر . وأشيع أن ملك الأمراء قال لطائفة الأصهبانية والكمولية بأن يخرجوا إلى الصالحية وقيموا بها إلى أن يخرج المسكر ، فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : نحن ما علينا إلا حفظ المدينة . ثم قالوا : نحن ما نخرج

(١) بأغلى : بأغلا . (٤) التي : التي .

(١٢) فلم يستطع : فلم يستطع . (٢١) وقيموا : وقيمون .

إلا في ركاب ملك الأمراء إذا خرج وإن لم يخرج ما يخرج . فوقع الخلف بينهما في هذا الأمر ، وكثر القال والقليل بين الناس . وكان ملك الأمراء لما أن تلقى على الأنكشارية وأغواتهم لم ينفق على الأصهبانية ولا على الكمالية شيئا ، فحنقوا منه .^٣ وفيه أشيع أن اليهود حوّلوا جميع قماشهم من حارة زويلة وبنوا على أزقتها خُوخَ قصار ، وقد أخذوا حذرهم من النهب ، وكذلك أعيان المباشرين . - وفيه أشيع أن شخصا من الأمراء العشرات يقال له جان قلعج ، وهو الذي كان نائب قطيا ، حضر في مجلس لهُوَ ، فلما سكر نقل عن ملك الأمراء كلاما لم يقله ، فلما بلغ ملك الأمراء ما قاله جان قلعج رسم للأمر قاييتباي الدوادار بأن يدع جان قلعج عنده في الترسيم حتى يعرضه عليه ويحقق ما قاله عنه ، فاستمرّ في الترسيم عند الأمير قاييتباي .^٦

وفيه أشيع أن ملك الأمراء ملأ الصهاريج الكبار التي يباب السلسلة وملأ عدة صهاريج بقلعة الجبل ، وأخذ في تحصين القلعة بكما يمكن ، وطلع إلى القلعة بأحمال بقساط وأرز وقح وشمير ودقيق وغير ذلك . وأرسل طلب من ابن قريميط ، المتحدّث على شبرا ، خمسين ثورا من الثيران الكبار ، بسبب سحب المكاحل التي على العجل وسحب (١٩٦ ب) العربات . وأنشأ بالقلعة أربع طواحين . وأشيع أن ملك الأمراء طلب شيخ الفاربة وقال له : احضر لي بألفين مغربي من شجمان الفاربة . وهذه الواقعة تقرب من واقعة الأشرف جان بلاط لما تسلطن العادل طومان باي بالشام ودخل هو وقصروه نائب الشام إلى القاهرة ، وقد تقدّم ذكر ذلك في الجزء الثامن ، وكان الأشرف جان بلاط حصّن قلعة الجبل أعظم من هذا التحصين ولم يفدّه من هذا التحصين شيئا ، وانكسر وأخذت منه قلعة الجبل في خمسة أيام ، ثم قبض عليه ونُفي إلى نهر الإسكندرية .^{١٠}

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره نودى في القاهرة بأن أولاد الناس ومن بمصر

(١١) التي : التي . (١٥) وسحب : وسبب .

(١٥) وأنشأ ... طواحين : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

- من الأروام يطلعون إلى القلعة للعرض بين يدي ملك الأمراء ، فصار جماعة من خان الخليلي ، من الطبّاخين ومن يعمل السراميج ومن يعمل السنبوسك ، يطلعون إلى القلعة ويكتبون أسماءهم في الديوان ويسمون أنفسهم الكمولية ويتزيّون بزيّهم ، وصار العسكر مُلفّقاً من سائر الطوائف والأجناس ، ففي سبيل الله خيار السبيل . ثم إن طائفة الأصهبانية والكمولية تغلبوا على ملك الأمراء ، وقالوا : نحن ما نخرج إلى قتال نائب الشام إلا بمرسوم من عند السلطان سليمان بن عثمان ، ونحن ما علينا إلا حفظ القلعة والمدينة ، فإن دخل إلينا نائب الشام حاربناه . فوقع الخلاف بين العسكر العثماني وبين ملك الأمراء بسبب ذلك ، وكان من حين تولى السلطان سليمان مملكة الروم لم يرسل إلى ملك الأمراء خلعة الاستمرار ، فطمع فيه كل أحد بسبب ذلك . وصارت الأخبار في كل يوم ترد على ملك الأمراء بأن جان بردى الغزالي نائب الشام قد زحف وخرج من الشام في عسكر كثيف يقصد نحو الديار المصرية ، ومعه طائفة كبيرة من الأكراد ومن عربان جبل نابلس ومن عربان (١٩٧ آ) بنى عطا وبني عطية وغير ذلك ، من طوائف العربان ، وغيرها من عساكر دمشق . وفيه قدمت الأخبار بأن عربان بنى عطا وبني عطية اتفقوا مع عربان طائفة السوالم وكسروا طراباي بن قراجا شيخ عربان جبل نابلس ، وكان ملك الأمراء أخلع عليه وعلى جماعة من مشايخ عربان جبل نابلس ، وأنعم عليهم بمال له صورة ، على أنهم يلاقون جان بردى الغزالي ويحاربونه قبل أن يدخل إلى القاهرة . وفيه قدمت الأخبار بأن جماعة من عربان الغريبة ثاروا على كاشف الغريبة فهرب منهم ، فأرسل يُعلم ملك الأمراء بذلك على أنه يعين لهم تجريدة . وفيه حضر شيخ العرب بيبرس بن بقر وقابل ملك الأمراء ، فأخلع عليه وكان أشيع عصيانه . وفيه عرض ملك الأمراء من بالسجون ، فأطلق منهم نحو عشرين إنساناً ، وقيل صالح عن بعض جماعة منهم مما عليهم من الديون ، وأقام بذلك من ماله .

(٣) ويتزيّون : ويتزايوا . (٦) قتال : قتال . (١٧) يلاقون : يلاقوا .

(١٧) ويحاربونه : ويحاربوه .

وفيه قبض ملك الأمراء على شخص من الغلمان كان عند قان بردى نائب قطيا
الذى تسحب منها ، فلما قبض عليه ومثل بين يديه ، قال له : أخبرني عن أحوال
الغزالي كيف تسلمن ؟ فقال : ما عندي منه علم . وكان أشيع عن ذلك الغلام أنه أتى
٣ من عند الغزالي بمطالعات إلى الأمراء الذين بالقاهرة ، فلما أنكر الغلام ذلك حنق منه
ملك الأمراء ورسم بتوسيطه ، فوُسط عند باب السلسلة قريب المغرب ومضى
أمره . - وفي يوم الخميس خامس عشرينه حضر مبشر الحاج وأخبر أن حصل للحاج
٦ مشقة عظيمة بسبب الغلاء في سائر الأصناف والبضائع ، ومات من الحجاج جماعة
كثيرة ، وأشيع الثناء الجليل لأmir الحاج جازم الكاشف . وفيه قدم الخبر بأن
نائب الشام جان بردى الغزالي توجه إلى (١٩٧ ب) حلب بمن معه من العساكر
٩ وحاصر المدينة أشد الحاصرة ، وقد حاربوه أهل حلب وتمصبوا عليه ولم يمكنوه
من أخذ المدينة .

وقد انفصلت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مرير من استمرار الغلاء
في سائر الغلال والبضائع ، مع قلة الأمن والفتن القائمة بالبلاد الشامية والحلبية ، وكثر
القتال والقتل بين الناس بسبب جان بردى الغزالي ، فإنه أشيع عنه أنه تسلطن بالشام
وتلقب بالملك الأشرف . ومن معظم حوادث هذه السنة موت الخندكار سليم شاه
١٠ ابن عثمان ، فإن موته كان من المجائب والفرائب ، ولا سيما ما جرى منه في حق أهل
مصر من الفعائل الشنيعة مما تقدم ذكره . ومن لطيف صنع الله تعالى لم يقع في هذه
السنة الطاعون بالديار المصرية ، ولا غيرها من البلاد الشامية ، ولا أعمال الديار المصرية .
١٨ انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ست وعشرين وتسعمائة .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وتسعمائة

فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، فطلع قضاة القضاة إلى القلعة
٢١ وهنوا ملك الأمراء بالعام الجديد ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي ذلك اليوم حضر
قاصد من عند السلطان سليمان نصره الله تعالى وعلى يده مراسيم شريفة ، فكان من

مضمونها أن ملك الأمراء خاير بك على عادته في النيابة على الديار المصرية . ثم أشيع
أن السلطان سليمان أرسل يقول إلى ملك الأمراء أنه عيّن تجريدة عظيمة إلى نائب
الشام جان بردى الغزالي ، وأرسل يقول له لا تخرج تجريدة من مصر نحن نكفيكم
أمره . وفيه قدمت الأخبار بأن جاليش عسكر نائب الشام لما توجه إلى حلب وحاصر
المدينة ، انكسر ذلك الجاليش وولى . ثم أشيع أن عربان الكرك قد استولوا على
مدينة الكرك ورفعوا يد جماعة نائب الشام ، وقد انتدب إلى محاربة جان بردى الغزالي
شخص من العربان يقال له جُفَيان شيخ عربان الكرك .

وفي رابع الشهر وقع فيه كائنة عظيمة لشخص من الأتراك يقال له إياس ، قيل
إنه من ممالك الأمير (١٩٨ آ) يشبك الدوادار ، رسم ملك الأمراء بتوسيطه فوسّط
في الرملة . وكان سبب ذلك أنه كان في مجلس لهم ، وحضر في ذلك المجلس جماعة
من الأصبهانية ، فخلط إياس في الكلام مع الأصبهانية في ذلك المجلس ، فقال : بلغني
عن ملك الأمراء أنه يقصد أن يتسلطن بمصر كما تسلطن نائب الشام الغزالي بدمشق .
فلما حضر جماعة من الأمراء الممانيّة عند ملك الأمراء قالوا له : بلغنا أنك تقصد أن
تتسلطن كما تسلطن الغزالي بالشام . فقال : من نقل عني ذلك ؟ قالوا له : شخص من
الأتراك يقال له إياس . فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال له : من قال لك عني أني أقصد
أن أتسلطن ؟ فقال له إياس : أنا سمعت ذلك عن جماعة الأعوام . فقال له ملك
الأمراء : احضر لي بمن نقل عني ذلك . فأنقذ لسان إياس وأنوّه من ذلك ،
واضطربت أحواله وصار لا يدرى ما يقول ، فأخذ الأمير قايتباي الدوادار يرقع له
خلل ، فطفش فيه ملك الأمراء وكاد أن يفتك به . ثم إن ملك الأمراء رسم للوالى
بأن يقبض على إياس المذكور ، فقبض عليه ونزل به من القلعة إلى الرملة فوسّطه
بسوق الخيل ، وراح ظلما من غير ذنب يوجب ذلك ، فإن أكثر الناس كانوا يخلطون
في ذلك من حين أشيع سلطنة جان بردى الغزالي بالشام . واستمر إياس مرميا
في الرملة والكلاب ينهشون جنته في الليل ، ورسم أن لا أحدا يدفنه . وكان إياس
(٣٠٢) يقول : يقل . (١٧) وانوم : كذا في الأصل . (٢١) يوجب : يجب .

شيخا مسنًا وله أولاد وعيال ، ولكن اشتد غضب ملك الأمراء عليه في ذلك اليوم ، فعدّ ذلك من مساوى ملك الأمراء .

- ٣ ثم في يوم الثلاثاء سابعه وقع من ملك الأمراء ما هو أشنع من ذلك ، وهو أنه رسم بتوسيط محمد بن شمس الدين محمد الفرنوى ، وسبب ذلك أن ابن الفرنوى قبض على فلاح وسجنه ، فإنه كان مباشر وقف مدرسة السلطان حسن ، فلما سجن ذلك الفلاح حمل (١٩٨ ب) بمض أرقاب الفلاح على ابن الفرنوى شخصا من ٦ العثمانية ، فكلم ابن الفرنوى في خلاص ذلك الفلاح ، فلم يوافق ابن الفرنوى على إطلاق الفلاح من السجن ، فأغلظ عليه العثماني في القول وسبّه ، فقال ابن الفرنوى للعثماني : عن قريب يحضر نائب الشام الغزالي وتخرجوا من مصر على أيّشمة . فطلع ٩ ذلك العثماني وشكى ابن الفرنوى إلى ملك الأمراء بما قاله ، فأحضر ابن الفرنوى وقال : كيف تقول عن قريب يحضر الغزالي ويتسلطن بمصر ؟ فأنكر ابن الفرنوى ذلك ، فأحضر العثماني جماعة ممن كان حاضرا فشهدوا على ابن الفرنوى بأنه قال ذلك ، ١٢ فحنق منه ملك الأمراء ورسم بتوسيطه ، فوسّط في الرملة وراح ظلمًا كما وقع لإيّاس المقدم ذكره . وكان الفرنوى والد هذا من أعيان الناس ، إمام الأمير أقبردى الدوادار ١٥ والأمير يشبك الدوادار .

- وفيه صار ملك الأمراء يتصدّق على الأطفال الذين بالمكاتب قاطبة لكل طفل أربعة أنصاف ، ففرّق مالا له صورة ، وصارت الأطفال يقرأون له سورة الفاتحة ويهدونها في صحيفته ، وصار يتصدّق على الزوايا والمزارات التي بالقرافة ، ويتصدّق ١٨ على المجاورين الذين بالجامع الأزهر ، فقيل أصرف من ماله في هذه الحركة نحوًا من خمسمائة دينار . - وفيه عُزل كاشف الشرقية إيّاس ، واستقرّ عوضه شخص من الأتراك يقال له جاني بك ، وقد تقدّم أنه ولي كشف الشرقية قبل ذلك . - وفي ٢١ يوم الخميس ثالث عشرينه طرق ملك الأمراء أخبار رديّة بأن العربان قد زحفوا

(٩) أيّشمة : كذا في الأصل . (١٤-١٥) وكان الفرنوى ... الدوادار : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش . (١٦ و ١٩) الذين : الذى . (١٧) سورة : صورة .

على قطيا وقد وصلوا إلى الصالحية ، فتشكّد ملك الأمراء لهذا الخبر وعيّن لهم تجريدة
نخرج إليهم طائفة من الأصهبانية ومن الكمولية ، فتوجّهوا إليهم على الفور (١٩٩آ)
من يومهم ، وكثر القال والقليل بسبب العربان وغيرها .

وفي يوم الأحد سادس عشرين المحرم دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة
صحبة الأمير جانم أمير ركب المحمل ، ودخل قاضي المحمل الشيخ أبو الفتح فتح الدين
الوفاء ، ودخل صحبته الشيخ شرف الدين يحيى بن البردبني شيخ الحرم النبوى ،
وكان السلطان سليم شاه بن عثمان قرّره في مشيخة الحرم النبوى ، فسموا عليه نُعزل
واستقرّ بها الأمير بكباى كاتقدّم ذكر ذلك ، فلما عُزل الشرفى يحيى بن البردبني عن
مشيخة الحرم حضر صحبة الحاج ، وأشيع أن الحاج قاسى في الرجعة غاية المشقة من الغلاء
وموت الجبال ، وتعرّضت لهم جماعة من العربان في الطريق فأتقنوا مع الأمير جانم
أمير الحاج فالتصّر عليهم وقتل منهم جماعة ، فرجع الحجاج وهم راضيون عن أمير
الحاج جانم وأثنوا عنه كل جميل ، وشالوا له الرايات البيض في بركة الحجاج .

وفي شهر صفر أهلّ يوم الجمعة ، فصعد القضاة إلى القلعة وهتوا ملك الأمراء بالشهر ،
ثم عادوا إلى دورهم . - وفيه جاءت الأخبار بأن الأصهبانية والكمولية الذين توجّهوا
إلى الصالحية بسبب محاربة العربان ظهر منهم هناك غاية الفساد ، وصاروا ينهبون
الضياع التي حول بليس والصالحية ، يأخذون ما فيها من الدجاج والأوز والسمير
والتبن . فضجّوا أهل الضياع من ذلك فأتوا الفلاحون وشكّوا إلى ملك الأمراء من
ذلك ، بأن التركان نهبوا مغلّهم وفسقوا في نسائهم وبناتهم . فلما بلغ ملك الأمراء ذلك
أرسل خلف الأصهبانية والكمولية ، فحضروا إلى القاهرة ولم يحصل (١٩٩ ب)
بهم نفع . - وفيه رسم ملك الأمراء بشنق شخص يقال له الحاج ياقوت ، وكان من
جملة تجار الوراقين وله شهرة وهو في سعة من المال ، فقتل ظلما من غير ذنب
يوجب ذلك .

(١٤) الذين : الذى .

(١٦) يأخذون : يأخذوا .

وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى بولاق وكشف على المراكب التي عمرها هناك ، فأنزلوها إلى البحر قدّامه . ثم رجع وشقّ من القاهرة فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وكان يوما مشهودا . - وفيه خرج الأمير جاني بك أخو الأمير قايتباي الدوادر ، فتوجه من البحر وسافر إلى البلاد الشامية لكشف أخبار نائب الشام جان بردى الغزالي ، وغير ذلك من الأشغال السلطانية . - وفيه انقطعت الأخبار من البلاد الشامية ، وامتنعت الأتفال والمسافرون من الدرب السلطاني ، وانكثمت أخبار نائب الشام جان بردى الغزالي ، واستمرّ الأمر على ذلك نحو ثلاثة أشهر ، وحصل للناس الضرر الشامل بسبب منع الأتفال وجلب البضائع من البلاد الشامية . وفي شهر ربيع الأول أهلك يوم السبت ، فطلع القضاء إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الثلاثاء رابعه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى بركة الحبش والبريم ، فأقام هناك إلى بعد الظهر ، فأرسل القاضي بركات بن موسى المحتسب مائة جمال ما بين خرفان شوى وحلوى وفاكهة وبطيخ صيفي ، وغير ذلك مطابق ضمنها مأمونية وسنبوسك بسكر ، وغير ذلك أشياء فاخرة . ثم إن ملك الأمراء نزل من هناك في الحرّاقة وتوجه إلى الروضة وكشف على المراكب (٢٠٠ آ) التي عمرها هناك ، ثم شقّ من البحر وطلع من عند قصر ابن العيني وتوجه من هناك إلى القلعة ، فانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت ، وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية .

ومن الوقائع اللطيفة ما وقع يوم الأحد تاسع هذا الشهر ، وذلك أن وقع بين شخص من أرباب الفن يقال له محمد بن سُرّية ، وبين شخص يقال له محمد الأوجاق ، ويُعرف أيضا بالشرابي ، فوقع بينهما رهان في فن الموسيقى ، فقال محمد بن سُرّية : أنا أعرف قطعة من الفنّ - ما سمعها قط أحد من أهل هذا المصر . فقال له محمد الأوجاق : إن كان ما تدّعيه حقّا فنجتمع مشايخ أرباب الفنّ ، ونجمع مغاني البلد قاطبة ، ويكون ذلك يوم الأحد في وسط بركة الرطلى . وكان ذلك في زمن الربيع ،

فلما كان يوم الميعاد حضر جماعة من أرباب الفن وحضر مغاني البلد قاطبة ، وأتوا إلى بركة الرطلى فجلسوا في وسطها ، واجتمع هناك الجم الغفير من المتفرجين ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فغنى كل أحد من المغاني في ذلك اليوم أحسن ما عنده من الفناء نوبة ، وابتهج في [ذلك] اليوم الناس غاية البهجة ، وأما محمد بن سُرّية فإنه احتج بأنه ضعيف في ذلك اليوم ولم يحضر ، وقال : الرهان باقى إلى يوم الأحداث الثانى .

فظهر عليه العجز ولم يف بما ادّعاء مما تقدم . فكان كما قيل في المعنى :

كل من يدعى بما ليس فيه كذّبه شواهد الامتحان

فانقضّ ذلك الجمع ، وعُدّ ذلك اليوم من النوادر في الفرجة والقصف . - وفي

يوم الاثنين عاشره أشيع أن قاصدا حضر من عند السلطان سليمان وعلى يده خلعة الاستمرار إلى ملك الأمراء ، فحضر القاصد وصحبته الأمير شيخ والأمير على المحضر ، (٢٠٠ ب) وبرُسبای أستاذار الصحبة مملوك ملك الأمراء ، الذى كان أرسله إلى

السلطان سليمان بن عثمان يهنّيه بالملك ويعزّيه في أيّه السلطان سليم شاه . فلما حضروا

طلعوا إلى القلعة ومعهم مرسوم مختوم من عند السلطان سليمان بن عثمان ، فاجتمع بالقلعة الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة وقُرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان ،

وهو مكتوب باللغة التركية ، فكان من مضمونه أن السلطان سليمان أرسل يقول

للك الأمراء ، أنه فوّض إليه نيابة مصر وماحوّت من الثغور والأعمال ، ويعزل من

يعزل ويوتى [من] يوتى ، ولم يرسل إليه خلعة الاستمرار ، فعزّ ذلك على ملك

الأمراء ، وكثر بسبب ذلك القال والقال والقليل بين الناس . - وفي يوم الثلاثاء حادى عشره

كان المولد النبوى بالقلعة على حكم ما ذكرناه في السنة الماضية .

وفي يوم الخميس ثالث عشره نودى في القاهرة عن لسان ملك الأمراء خاير بك ،

بأن من كان له حاجة في الشام أو في غزّة فيتوجّه إلى هناك ، فإن الدرب السلطانى

قد انفتح . وكان الدرب السلطانى له نحو أربعة أشهر لم يُسلك ، ولم يجى منه الأقفال

حتى عزّت البضائع التى كانت تجلب من هناك ، وذلك بسبب عصيان نائب الشام

جان بردى الغزالي ، وأشيع أن جماعة من العربان اتفقوا مع الغزالي وانكسر منهم
 وهرب، فقصده ملك الأمراء بأن يُعلم الناس بأن الدرب قد انفتح وسلك.. وفيه أخلع
 ملك الأمراء على قرا موسى أحد أمراء ابن عثمان وقرره في نيابة غزّة ، فخرج إليها ٣
 في يوم الخميس وسافر .

- وفيه قدمت الأخبار من الشام بأن السلطان سليمان بن عثمان أرسل إلى نائب
 الشام جان بردى (٢٠١ آ) الغزالي عساكر عظيمة وصحبته ابن سوار ، فاتفقوا مع ٦
 الغزالي في ثاني عشرين صفر ، فكان بين الفريقين وقعة مهولة على حلب ، فانكسر
 وهرب منهم إلى حماة ، فتبعوه واتفقوا معه ، ففرّ منهم وقصد التوجه إلى الشام وقطع
 قناطر الرستن ، فتبعوه فكان بين الفريقين وقعة عظيمة خارج مدينة دمشق ، فقتل ٩
 في هذه المعركة نحو عشرة آلاف إنسان وقيل أكثر من ذلك ، ما بين عربان ومماليك
 وجماعة من أهوام الشام وفيهم أطفال وصغار من أهل ضياع الشام ، وغير ذلك ممن
 حضر هذه الوقعة . فكانت هذه الحركة تقرب من واقعة تيمورلنك لما ملك الشام ١٢
 وجرى منه ما جرى من قتل ونهب ، ففعل ابن سوار وعسكر ابن عثمان بأهل ضياع
 الشام أضعاف ذلك ، من قتل ونهب وسبي وحرقت الضياع ، وما أبقوا في ذلك ممكنا ،
 وليس العيان كالخبر ، والذي قتل تحت أرجل الخيل ما لا ينحصر ، وآخر الأمر ١٥
 انكسر نائب الشام الغزالي كسرة مهولة ، وقبض عليه وقتل وحُزّت رأسه
 وأرسلت إلى إسطنبول مع ردوس جماعة من أصحاب الغزالي ممن كان من عصبته ،
 ونهب وطاق الغزالي وبركة عن آخره ، وكان ذلك من الوقائع الغريبة التي لم يسمع ١٨
 بأغرب منها ، فكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أياما
 وزال كأنه لم يكن . وكان الغزالي عنده رهج وخفة زائدة ، أهوج الطبع ليس له رأى
 سديد ، رهاج في الأمور ليس له تأمل في المواقب ، وكان لما ولي نيابة الشام في غاية ٢١
 العظمة من الحرمة الوافرة والكلمة النافذة ، وقد أصلح الجهات الشامية في أيامه
 حتى مشى فيها الذئب والغنم سواء كما يقال :
 يا أيها الملك الذي سطواته في البيداء يخشى ذئبا من شاتها ٢٤

ولما كان بالشام التفّ عليه الجُمّ الفقير من العساكر ، ما بين بان جبل نابلس والكرك وغير ذلك ، والتفّ عليه جماعة كثيرة من المالك الجراكسة وصاروا يخرجون من مصر في الخفية (٢٠١ ب) ويتوجهون إليه ، والتفّ عليه طائفة من التركان والأكراد ، حتى اجتمع معه نحو اثني عشر ألف مقاتل ، وفيهم رماة بالبندق الرصاص نحو خمسمائة رام ، وقيل أكثر من ذلك . فمئذ ذلك حدثته نفسه بالسلطنة ، وثوّرتة الجهلة وحسنوا له ذلك ، فتسلطن وتلقّب بالملك الأشرف وقبّلوا له الأرض هناك ، وخطب باسمه على منابر دمشق جمتين ، وكل ذلك عين الغلط ، وكم من عجلة أعقبت ندامة ، فكان كما قيل :

والنفس لا تنتهي عن نيل مرتبة حتى تروم التي من دونها المطب
فلما تحقّق ملك الأمراء خاير بك بأن الغزالي قد تسلطن بالشام وقبّلوا له الأرض هناك وتلقّب بالملك الأشرف ، اضطربت أحواله وسُرّت المالك الجراكسة بذلك واستبشروا بالفرج ، وبافرحة لا تمت ، أقول : وكان أصل الأمير جان بردى الغزالي من ممالك الأشرف قايتباي ، اشتراه وأعتقه وأخرج [له] خيلا وقهشا وصار من جملة المالك السلطانية ، ثم إن الأمير نغرى بردى الأستاذار قرّره شادا في ضيعة بالشرقية يقال لها منية غزال ، فنُسب إليها وقيل له الغزالي مضافا لاسم تلك الضيعة ، ثم إن الأشرف قايتباي جعله جدارا وقرّره في كشف الشرقية ، ثم بقى أمير عشرة في أواخر دولة الناصر محمد بن قايتباي ، ثم بقى محتسب القاهرة في دولة السلطان النورى عوضا عن الأمير قرقاس المقرى ، ثم إن النورى قرّره في حجوية الحجاب بحلب فخرج إليها من يومه وذلك بعد وقعة مصر باي لما انكسر . ثم إن النورى نقله من حجوية الحجاب بحلب إلى نيابة صفد وذلك في سنة سبع عشرة وتسعمائة ، ثم نقله من نيابة صفد إلى نيابة حماة وذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة (٢٠٢ آ) فاستمرّ في نيابة حماة إلى أن توجه السلطان النورى إلى حلب وانكسر وجرى له ما [جرى] ، فرجع الغزالي صحبة المسكر إلى مصر فوجد الأشرف طومان باي

قد تسلطن عوضا عن الغورى، فاستقر بالغزالي نائب الشام وقد تقدم القول على ذلك .
فلما ملك السلطان سليم خان بن عثمان مصر أقره على عادته في نيابة الشام ، وجعل له
التحدث على الشام وحماة وحمص وصيدا ويبروت وبيت المقدس ورملة لُد والكرك ،
وغير ذلك من الأعمال الشامية والترابلية ، فلو قنع بذلك لكان خيرا له ، فكان
كما يقال في الأمثال : من شرب بكأس الطمع شرب به .

- ٦ وفي يوم الأحد ثالث عشرينه قدمت الأخبار بأن وصل قاصد من عند السلطان
سليمان بن عثمان ، فلما تحقق ملك الأمراء ذلك نزل من القلعة وتوجه إلى تربة العادل
وبات بها لأجل ملاقة القاصد الذي حضر . وكان ملك الأمراء أرسل القاضي بركات
ابن موسى إلى الخانكاه حتى مد له مَسَدَة هناك . - فلما كان يوم الاثنين رابع
عشرينه نادى ملك الأمراء في القاهرة بالزينة بسبب دخول القاصد فزينت زينة
حافلة ، فلما دخل القاصد لاقاه ملك الأمراء من هناك ، ودخل هو وإياه من
باب النصر ، وشق من القاهرة في موكب حفل ، وقدامه المسكر قاطبة من
الجراكسة والعثمانية ، وقدامه جماعة كثيرة من الأنكشارية مشاة وهم يرمون
بالنفوط . ودخل قدامه عشرة رءوس على رماح زعموا أنهم رءوس مشايخ عربان
ممن كان من عضبة نائب الشام جان بردى الغزالي ، فشق من القاهرة هو والقاصد ،
وكان يوما مشهودا .

- ثم في يوم السبت سلخ الشهر قدم قاصد ثانى من عند السلطان سليمان بن عثمان ،
وأشيع أنه أتى إلى ملك الأمراء بخلمة الاستمرار ، فلما وصل إلى تربة (٢٠٢ ب)
العادل نزل إليه ملك الأمراء ولاقاه من هناك ، فجلس على تلك المصطبة التي هناك ،
فألبسه القاصد الخلمة وهي قفطان نخل أحمر تماسيح مذهب . ثم قام من هناك هو
والقاصد ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل ، أعظم من ذلك
للموكب المقدم ذكره . وركب قدامه قضاة القضاة الأربعة وهم : كمال الدين الطويل
الشافعي وعلاى الدين على الطرابلسي الحنفى وعبي الدين يحيى الديمري المالكي
والشهاب أحمد الفتوحى الحنبلى . وركب قدامه الأمراء الجراكسة قاطبة والأمراء

العثمانية ، ومشت قدّامه الأنكشارية والكمولية وهم يرمون بالنفوط ، ومشت قدّامه طائفة النصارى بالشموع موقدة ، واصطفت الناس له على الدكاكين بسبب الفرجة ، وكانت القاهرة مزينة في قوة الزينة ، وعلقوا له أحمالا وثريات معمّرة بالقناديل الموقدة بطول المدينة ، ووقدوا له الشموع على الدكاكين ، ولا سيما ما فعله تجار الوراقين من الشموع الموكيات الكبار ، وأطلقوا له المجامر بالمود القهارى ، ومرشّات الماورد المسك . ثم إن جماعة من التجار ثروا على رأسه الفضة في عدّة أماكن من المدينة ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من كل جانب من البيوت والدكاكين ، وفُرشت له الشقق الحرير تحت حافر فرسه من عند خان مسرور ، واستمرّ في هذا الموكب الحافل حتى طلع إلى القلعة وعليه خلة الاستمرار من عند السلطان سليمان بن عثمان ، وهى تماشيح مذهب على مغل أحمر ، وكان ذلك اليوم مشهودا في (٢٠٣ آ) الفرجة والقصف حتى خرجوا في ذلك عن الحدّ . ١٢

فلما طلع إلى القلعة أخلع على الأمير قايتباي الدوادار قفطان مغل ونزل إلى داره ، ثم نادى الوالى للناس بفكّ الزينة وقد أقامت القاهرة مزينة نحو عشرة أيام ، وتكلّف الناس بسبب هذه الزينة كلفة عظيمة من وقيد قناديل ومشتري زيت وغير ذلك ، وحصل في هذه الزينة من التركان غاية الفساد من خطف النساء والصبيان الرمد والتجاهر بالمنكرات ليلا ونهارا حتى خرجوا في ذلك عن الحدّ ، ولا سيما ما كان يُفعل في خان الخليلي من الفسق والفساد . وقد اجتمع الناس بهذه الزينة غاية البهجة . ١٥ ١٨
وفي هذه الواقعة يقول صاحبنا الناصرى محمد بن قانصوه من صادق ، يمدح فيها السلطان سليمان بن السلطان سليم شاء بن عثمان عزّ نصره :

٢١ الحمد لله أضفى الملك مبتسما
من بعدما كان أبدى وجهه كظما
وكيف لا يكُ أبدى وجهه كظما
على سليم وقد أضفى يرى ربما
وصار بعد سليم لابنه وغدا
من السرور به بالبشر ملتما

- واقترع عن شنب الفتح المبين فم ١١
قد قطعت أرؤس الأعداء غزوية
وكيف لا وسليمان مدبره
وسار من كعبه فينا الغلاء رخاً
والنيل قد زاد في هاتور من فرح
وكان أبدا لتوت بالوفا حزنا
ومصر من فرح في زينة رققت
وأصبحت جنة من سعد خير بك
وكيف لا وهو خير قد أحل بها
يا أيها الملك المدوح دُم فرجا
فأنت بالطب أدري من سواك به
لا زلت ممن أبوه قانصوه ترى
والجود كالجود يهيم منك من خلع
وموكب الملك تبديه وأنت بها
وأنت في فرح تبدو وفي فرج
وكوكب السعد يسرى في سما شرف
وقائلا حامدا مذ صار مبتسما
- ٣ نصر العزيز له بالسعد فيه لما
وسيفه يُملئ منها البطاح دما
٣ بخاتم الملك منه مذ به اختما
والخوف أمنا بنا والنور بعد عما
به وروى أراضى مصر بعد ظما
٦ على سليم وما روى البلاد بما
لما رأت لرغاها كعبه علما (٢٠٣ ب)
بعد الجحيم ونادى العدل من ظما
٩ لو لم يكن هو خير قط ما حكما
وانظر لقصد عبد يشتكي ألما
ومن سواك يرى في حكمه حكما
١٢ مشنفا بمدح مبدع حكما
نيابة عن سليمان له كرمنا
كما رأينا بمصر والسرور نما
١٥ والملك مبتسم منه ترى نعمنا
عليك في سائر الأوقات محكما
الحمد لله أنجى الملك مبتسما
- ١٨ انتهى ذلك . - وقد مضى هذا الشهر عن الناس على خير ، وكان كثير الحوادث
ووقع فيه أمور غريبة وأحوال عجبية ، ولا سيما ما وقع بالبلاد الشامية من الفتن
العظيمة من القتل والنهب وحرق الضياع وذهاب الغلال ، وسبب ذلك عصيان نائب
الشام جان بردى الغزالي وإظهاره للسلطنة ، ووقع مثل ذلك بحماة وحمص وغير ذلك
٢١ من البلاد الشامية .

وفي شهر ربيع الآخر كان مستهله يوم الأحد . - ففي ذلك اليوم بلغ ملك الأمراء

- ٣ قدوم قاصد ثانى من عند السلطان سليمان (٢٠٤ آ) ابن عثمان ، قد وصل وعلى يده خلمة ثانية إلى ملك الأمراء ، وهذا القاصد يقال له الأمير على ، فلما تحقق ملك الأمراء وصوله ، نزل إليه من القلعة ولاقاه من عند تربة العادل ولبس الخلمة هناك ، ودخل من باب النصر وشقّ من القاهرة في موكب حفل وصحبته الأمير على الذى حضر ، ولم يكن صحبته من القضاة سوى قاضى القضاة المالكي محي الدين يحيى بن الدميرى .
- ٦ وكان هذا الموكب على حكم ذلك الموكب الذى تقدّم ذكره . ومن المجائب أن ملك الأمراء أوكب ثلاثة مواكب حافلة ، وشقّ من القاهرة ثلاث مرات في مدة سبعة أيام فعُدّ ذلك من النوارد الغريبة .
- ٩ وفي يوم الاثنين ثانى هذا الشهر خرج الأمير قرا موسى العثماني الذى قرّر في نيابة غزّة ، فخرج من بين الترب ولم يشقّ من القاهرة ، وخرج صحبته الجمّ الغفير من الأصهبانية ومن التجار ، فإن الدرب السلطاني كان له مدّة طويلة وهو منقطع من السالك ، من حين جرى من الغزالي ما جرى إلى أن أشيع قتله . - وفي يوم الاثنين تاسعه كانت وفاة صاحبنا القاضى محب بن أصيل ، وكان رئيسا حثيا من ذوى البيوت ، وكان كُفّ بصره قبل وفاقه بمدة طويلة وحصل له شذائد وعجن ، ومات وهو في غاية
- ١٥ القهر بسبب خروج مشيخة المدرسة الجمالية عنه إلى ابن الشيخ زكريا ، وقد تقدّم القول على ذلك . - وفي يوم الأربعاء حادى عشره توجه ملك الأمراء إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية على سبيل التنزّه ، فصنع له المقر الشهابى أحمد بن الجيمان هناك
- ١٨ مدّة حافلة ، وكذلك الخواجا هاشم ناظر المارستان ، فما أبقي (٢٠٤ ب) في ذلك ممكنا .

- ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمراء في يوم السبت رابع عشره رسم بقطع ثلاث ردوس من أعيان المالك الجراكسة ، فقطع ردوسهم في ذلك اليوم تحت شباك الدهيشة ، وأشهر تلك الردوس على الرماح ثم علّقها على باب زويلة ، ففهم شخص يسمى ماماي الساقى وشخص يسمى ماماي الخازندار وشخص يسمى قنبك الأشقر ، وهم من ممالك السلطان النورى . وكان سبب ذلك أن هؤلاء المالك كانوا بالقاهرة ، وكان ملك الأمراء

- يُحسن إليهم غاية الإحسان ، فلما أشيع عن جان بردى الفزالي نائب الشام أنه قد تسلطن هناك وتلقب بالملك الأشرف ، قسحبوا هؤلاء المماليك من مصر وتوجهوا إلى الشام ودخلوا تحت طاعة الفزالي ، فلما انكسر الفزالي وقتل وجري له ماجرى حضروا ٣ هؤلاء المماليك واختفوا في القاهرة فتمز عليهم ، فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أرسل الوالى قبض عليهم وأحضرهم إلى بين يديه ، فلما مثلوا بين يديه وبخهم بالكلام فأغلظ عليه في القول مامأى الساقى ، فخنق منه فرسم بقطع رقابهم بين يديه . ورسم ٦ للوالى بأن كل من كان عند الفزالي من المماليك وحضر إلى مصر يوسطه من غير إذن ولو كان من الأمراء . واشتد غضب ملك الأمراء في ذلك اليوم جدا بحيث إنه حُمّ جسده في ذلك اليوم ، ولزم الفراش وانقطع عن الخروج إلى المحاكمات ثلاثة ٩ أيام ، وأشيع أنه قد طلع له تاسليك في مشعره واشتد الألم عليه ، وصار يتصدق بمبلغ له صورة على الزوايا والمزارات ، وصار (٢٠٥ آ) يذبح الذبائح من الأبقار على أبواب الجوامع الكبار ، ويتصدق بلحومها على المجاورين بالجوامع والزوايا . ١٢
- وفي يوم الثلاثاء سابع عشره نودى في القاهرة عن لسان ملك الأمراء : معاشر الناس كافة إن كل من كان عنده مملوك من المماليك الجراكسة ممن كان عند الفزالي نائب الشام وأخفاه ولا يقرّ به ، شنى على باب داره من غير معاودة . وصارت هذه ١٥ المنادة تتكرر في كل يوم نحو ثلاثة أيام ، على لسان أربعة مشاعلية ، اثنان بالتركي واثنان بالعربي ، وقد اضطربت الأحوال في هذه الأيام إلى الغاية بسبب جان بردى الفزالي نائب الشام ، فمن الناس من يقول إنه باق في قيد الحياة وإن الرأس التى ١٨ قُطعت غير رأسه ، ومن الناس من يقول إنه قتل في الوقعة التى كانت على القابون وحُزّت رأسه وأرسلت إلى إسطنبول ، والأصحّ أنه قتل على القابون من ضياع الشام وحُزّت رأسه ، وهذه الواقعة تقرب من واقعة قانصوه خمسمائة لما شكوا ٢١ الناس في قتله

وفي يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر فيه كانت وفاة أمير المؤمنين المستمسك

بأنه أبي الصبر يعقوب بن أمير المؤمنين عبد العزيز المتوكل على الله ، وكان مولده سنة
 إحدى وخمسين وثمانمائة ، وأمه تسمى آمنة ، وهي ابنة أمير المؤمنين أبي الربيع
 سليمان بن محمد المتوكل على الله ، فهو هاشميّ الأبوين . وكان رئيساً حشماً ديناً خيراً ٣
 صالحاً لئن الجانب متواضعا ، ولي الخلافة في دولة الملك الناصر محمد بن الأشرف
 قايتباي ، وأقام فيها إحدى عشرة سنة ونصف ، وبأيع أربعة من السلاطين ، ثم
 صرف عن الخلافة (٢٠٥ ب) في دولة الفوري وعهد إلى ولده محمد المتوكل على الله
 وقامى شدائد وعنا ، وقد تقدّم ذكر ذلك . وكان حصل له ضعف في بصره وكفّ
 في أواخر عمره ، وكان أتما لا يقرأ ولا يكتب ، وكان رجلاً مباركا لم يمهله صبوة
 قط ، ومات وله من العمر نحو ثمانين سنة أو دون ذلك ، وكان ولده غائبا في إسطنبول
 من حين نفاه السلطان سليم شاه بن عثمان . ولما مات رثاه الأديب البارع ناصر الدين
 محمد بن قانصوه من صادق بهذه المراثية وأجاد :

١٢	رشق الموت في مرأى القلوب	من قسى الجوى سهام الكروب
	يالها من سهام كرب عظيم	في مرأى الحشا برى مصيب
	صيرت دورنا خرابا وصرنا	بعد عزّ مذلة للخطوب
١٥	يالها من مذلة بعد عزّ	صيرتنا من عظمتها في لنوب
	أين خير الأنام والآل والصحب	وأين الملوك أهل الحروب
	قد قضى الله بالمات عليهم	مثما قد قضى على يعقوب
١٨	الذى كفّ من فراق مناه	وتلقى البلاء عن أيوب
	غاب عنه ابنه فمات بحزن	كدما من يطيق فقد الحبيب
	أين عبد العزيز أحنى أمير الـ	مؤمنين النجيب ابن النجيب
٢١	صاحب المهدي بالخلافة والمقد	د مع الحل واللوا والقضيب
	قلب صبرا على الذى جلّ لما	حلّ فداشأن ذا الزمان المعجب
	هاشميّ أبأ وأما وهذا	فاية المجد للحسيب النسيب

- الذى كان للأرامل والأيتام م كفووا وكان مأوى الغريب
(٢٠٦آ) يايتامى وياأرامل خجوا واهطلوا عينكم بدمع سكوب
واسألوا الله أن يسكنه الفر دوس فضلا فالله خير مجيب ٣
وإلى مصر أن يمجى قريبا ابنه فى هنا وعيش خصيب
صير الله روح والده فى خير روح بنشر بشر وطيب
وكذا روح من رثاه بهذا إن يمت مثله بأوفى نصيب ٦
وكذا قانصوه أبوه امتنانا منه ما صاح ذو بكاء ونحيب
قائلا والميون تجرى عيونا رشق الموت فى مراعى القلوب
فلما توفى الخليفة يعقوب لم يستطع ملك الأمراء أن ينزل من القلعة ويصلّى عليه ، ٩
فإنه كان فى غاية الضرر من ذلك التاسليك الذى طلع له فى مشعره ، فحضر مشهد الخليفة
يعقوب قضاة القضاة وبعض أمراء ، فصلوا عليه ودفن عند أقاربه بالشهد النفسى رحمة
الله عليه ، فدفن يوم الجمعة عشرينه . وتوفى بردداره الحاج على فى ذلك اليوم ، ودفن ١٢
عقيب موت أستاذه يعقوب . - وفى يوم السبت حادى عشرينه خرج الأمير قاسم
المماني ويعرف بكركل الذى حضر محبة الأصهبانية ، فرجع إلى إسطنبول وصحبته
جماعة كثيرة من المسكر المماني الذى كان بمصر ، فاختراروا عودهم إلى بلادهم ١٥
إسطنبول ، وهم هؤلاء الذين حضروا محبة الخلة التى حضرت إلى ملك الأمراء من
عند السلطان سليمان بن عثمان .
وفيه حضر إلى الديار المصرية القاضى بدر الدين محمد السمودى بن الوقاد ، وكان ١٨
توجه إلى إسطنبول مع جملة من توجه من الأسرى ، فأقام فى إسطنبول مدة طويلة إلى
أن مات السلطان سليم شاه وولى ابنه سليمان ، فاستأذن الوزراء فى الحضور إلى مصر
لتفقد أحواله ثم (٢٠٦ب) يعود إلى إسطنبول ، فأذنوا له فى ذلك ، فحضر إلى ٢١
مصر وهو فى الترسيم بشاويش مرسم عليه . وحضر صحبته كمال الدين برددار الأمير
طراباى وكمال الدين المايق وكريم الدين المجولى ويوسف مناخير وبدر العادلى ، وهو

معتوق الناصري محمد بن فارس ، فلما حضروا إلى مصر أقاموا بها مدة ، فلما انقضى
 الميعاد الذي قرره معهم الشاويش استحثهم على الخروج والسفر إلى إسطنبول ، فلما
 ٣ كان ليلة الرحيل اختفى القاضي بدر الدين بن الوقاد ولم يظهر ، فشق ذلك على الشاويش
 الذي كان مرسما عليهم ، وكان اختفاء ابن الوقاد يأذن ملك الأمراء حتى قيل إن
 ابن الوقاد خدم ملك الأمراء في هذه الحركة بألف دينار في الخفية ، وصار ملك الأمراء
 ٦ يظهر النفيظ على ابن الوقاد ويشد في طلبه ، ورسم على أصحاب ابن الوقاد وجيرانه ،
 وأظهر للشاويش الذي حضر صحبته أنه عثا في طلب ابن الوقاد والأمر بخلاف ذلك .
 ثم إن ذلك الشاويش قبض على كمال الدين برددار طراباي وعلى كمال الدين المايق
 ٩ ويوسف مناخير وكرم الدين المجولي ، ووضعهم في الحديد وأخرجهم من مصر على أقبح
 وجه ، وسافروا من البحر إلى إسطنبول ، وقاسوا شدائد وعنا .

وفيه توفي المعلم عبد الرحمن بن طَبَيْلَة المصالح في الدجاج والأوز ، وكان علامة
 ١٢ عصره في هذا الفن ، وكان في سعة من المال لا بأس به ، وكان له برّ ومعروف . -
 وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه كان عيد الفصح للناصرى ، وهو أول يوم من الخمسين ،
 فكان ذلك اليوم رطب وفي السماء غيم ، وهذا قال للنيل بأن يكون في تلك السنة عاليا
 ١٥ جيدا (٢٠٧ آ) في الزيادة .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه حضر ألق من عند السلطان سليمان وعلى يده
 مراسم . تتضمن بأن كُرِّل بك قاسم الذي حضر وعلى يده الخلة إلى ملك الأمراء
 ١٨ بأن يستقر في نيابة حلب عوضا عن من مكان بها ، وقيل إن كُرِّل بك قاسم هذا رضع
 مع السلطان سليمان ، فهو أخوه من الرضاعة ، وقيل إن كُرِّل بك هذا تقدم له أنه
 عمل نائب حماة في أيام السلطان سليم شاه . وقد صارت النيابات كلها بيد جماعة
 ٢١ ابن عثمان ، فكُرِّل هذا قرّر في نيابة حلب ، وشخص يقال له إياس في نيابة الشام
 عوضا عن الغزالي ، وقرّر فرحات بك في نيابة طرابلس ، وقرّر قراموسى في نيابة

(٤) اختفاء : اختفى . (١٠) شدائد وعنا : شدايدا وععن .

(١٣) الفصح : الفسخ .

غزوة وقد اقتسموا العثمانية النيابات الكبار التي كانت أعيان الملكة المصرية . - وفيه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن نابتة الحنفى ، وكان لا بأس به .

- ٣ وفيه لم يظهر القاضى بدر الدين بن الوقاد ولا كريم الدين المجولى ، فلما طال الأمر على الشاويش الذى كان توكل بهما ، فتقلق وخرج وسافر من البحر وصحبته كمال الدين برددار الأمير طراباى وكمال الدين العايق مباشر أمير آخور والخواجا عمر بن معزوز المغربى وزين العابدين حامل المزة وبدر العادلى وحسين ويوسف مناخير ، ٦ فخرجوا من القاهرة على أقبح وجه من الشاويش الذى مرسم عليهم ، فوضعهم فى الحديد وكتف بعضهم بالجبال ، وساقهم مشاة قدامه حتى وصلوا إلى بولاق ، فأنزلهم فى المراكب وسافروا (٢٠٧ ب) [إلى] إسطنبول ، وحصل لهم الضرر الشامل ٩ من الشاويش ، وقد حنق من ابن الوقاد والمجولى فخط غيبته فى هؤلاء ، ولم يتأخر بمصر ممن حضر صحبة الشاويش سوى بدر الدين بن الوقاد والمجولى ، وزين الدين المعجمى شفع فيه ملك الأمراء من التوجه إلى إسطنبول . ١٢

- وفيه أرسل الأمير على بن عمر شيخ جهات الصعيد مقدمة حافلة إلى السلطان سليمان بن عثمان ، قيل إنها قومت بستين ألف دينار . وكان السلطان سليمان أرسل إلى الأمير على بن عمر خلة الاستمرار على حاله بمشيخة جهات الصعيد ، وقد رأى ١٥ الأمير على بن عمر فى دولة بنى عثمان ما لا رآه أحد من أجداده ولا أقاربه من العز والمظنة والمال العظيم ، انتهى ذلك .

- ١٨ وفى شهر جمادى الأولى كان مستهل يوم الثلاثاء ، فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم رجعوا إلى دورهم . ولما طلعوا إلى ملك الأمراء وجدوه بالأشرفية التى بجوار الدهيشة ، فقام لهم وكان له مدة وهو متوكل بسبب ذلك الطلوع الذى طلع له فى مشعره ، وقد أشرف على الشفاء وبرئ من ذلك المارض ، وفى ذلك ٢١ يقول ابن قانصوه :

الحمد لله ثنور هنا سرورنا منها أرتنا شفاء

لما إلى نائبنا شاهدت فابتسمت من فرح عن شفاء

وفي يوم الثلاثاء ثامن ركب ملك الأمراء ونزل من القلعة وقد شفي من ذلك
المرض الذي (٢٠٨ آ) كان قد اعتراه ، فلما نزل من القلعة توجه إلى بيت الأمير
فرحات بك الذي قرّر في نيابة طرابلس، فنزل إليه ووادعه وأقام عنده إلى قريب الظهر،
ثم عاد إلى القلعة وشق من الصليبة وقدامه جماعة من الأنكشارية مشاة يرمون
بالنفوط . وقد هنأه بالشفاء الأديب البار محمد بن قانصوه من صادق ، وهو قوله :

الحمد لله زال الهم والألم عنا لبرئك والأعداء لها السقم

وقلعة الملك أضحت وجهها طلقا من بعد ما كان فيه قد بدا الكظم

وأصبحت مصر بعد الحزن في فرح بكم وأمست بشعر البشر تبتسم

وقد غدت بلسان الحال قائلة الحمد لله زال الهم والألم

وفي يوم الخميس عاشره خرج الأمير فرحات العثماني إلى محل نيابته بطرابلس ،

فخرج في ذلك اليوم وسافر إلى طرابلس ، وطلب طلبا فثروا على طريقة بلادهم ،

وخرجت قدامه الأمراء ، فتوجه من بين التراب ، وخرج ملك الأمراء محبته إلى تربة

المادل . - وفي يوم الجمعة حادي عشره قدم الأمير جاني بك، وهو أخو الأمير قايتباي

(٢٠٨ ب) الدوادار ، وقد تقدم القول على أنه توجه لكشف أخبار البلاد الشامية،

وأرسل ملك الأمراء على يده مقدمة حافلة إلى الأمير إياس العثماني الذي استقر في نيابة

الشام عوضا عن جان بردي النزالى ، فلما قابل ملك الأمراء أخلع عليه ونزل إلى داره

في غاية التعظيم .

وفي يوم الجمعة المقدم ذكره خرج ملك الأمراء وصلى صلاة الجمعة ، وكان له مدة

وهو منقطع لم يصل الجمعة في جامع القلعة ، فلما خرج من الصلاة خلع على المزيّنين

وعلى الحكماء ، وقيل دخل على المزيّنين والحكماء ألف وخمسة دینار ، من نساء

ملك الأمراء ومن سرايه ، ومن الأمير جانم الحزاوى ومن الأمير برسباي الخازندار

والمهندار ، ومن المباشرين وأرباب الدولة قاطبة ، ومن الأمراء العثمانية ، وغير ذلك

- من أعيان الناس . - وفي يوم السبت ثانى عشره أخلع ملك الأمراء على الأمير جهم
كاشف الفيوم وقرّره في أمرة الحاج بركب المحمل على عادته . وأخلع على الأمير واصل
٣ ابن الأحذب شيخ جهات الصيد وقرّره على عادته في مشيخته على العادة .
وفيه قدمت الأخبار بأن الأمير فرحات الذى قرّر في نيابة طرابلس لما وصل إلى
الصالحية وجد العربان هناك مُفْتَتَةً ، فأرسل يطلب من ملك الأمراء نجدة فإن العربان
٦ قد ثاروا عليه (٢٠٩ آ) في الطريق ، فأرسل إليه جماعة من الكولية والأصبهانية
سرعة على الفور حتى أدركوه ، واستمروا معه إلى طرابلس . وكانت العربان في هذه
الأيام في غاية الفساد بالبلاد الشامية ، من عربان بنى عطا وبنى عطية . - وفي يوم
٩ الأحد عشرينه توفى القاضي بدر الدين محمد المعروف بابن العبسى ناظر ديوان
الأحباس ، وكان رئيسا حثما حسن السيرة ، وكان لا بأس به . - وفي يوم الخميس
خامس عشرينه فيه وقع أن ملك الأمراء تغير خاطره على شخص من الخدّام يقال له
١٢ مِثقال ، فقطع أنفه وأذنيه ورسم بنفيه إلى مكة ، فنزل من القلعة وهو مائى والدم
بقطر من أنفه وأذنيه ، ولم يكن له ذنب كبير يوجب لذلك .
وفيه حضر جماعة كثيرة من إسطنبول ممن كان السلطان سليم شاه أمرهم
وأخرجهم من مصر ، فلما مات سليم شاه بن عثمان واستقر ولده سليمان بعده رسم يعود
١٥ الأمراء قاطبة إلى بلادهم ، ورأف عليهم وأظهر المدل فيهم ، فحضر منهم جماعة في
هذا الشهر منهم : شهاب الدين أحمد بن قُرَيْمِيط ، ومحى الدين ، وزين الدين
ابن بهاسى الدين أحد كتّاب المالك ، والخوaja أبو الطيّب ابن الرئيس
١٨ محى المزيّن ، وعبد الحفيظ بن الفار التاجر بالهرامزية ، وأبو الفضل بن بركات
السمسار فى البلبكى ، وتاج الدين بن إبراهيم ابن القاضي سالم ، وبدر الدين محمد
مباشر الأمير أنصبای حاجب الحجاب ، وآخرون لم يحضرنى أسماؤهم الآن . - وفي
٢١ يوم الاثنين ثامن عشرينه ظهر كريم الدين الجولى وبدر الدين السعوى بن الوقاد ،
وقد تقدّم القول فى سبب اختفائهم من الشاويش الذى كان مترسما (٢٠٩ ب) عليهما

وحثهما في الخروج إلى إسطنبول .

- ٣ وفي شهر جمادى الآخرة كان مستهله يوم الأربعاء ، فطلع القضاة إلى القلعة وهنوا بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الخميس ثانى الشهر خرج الأمير جانم الحزاوى وقصد التوجه إلى إسطنبول ، وكان ملك الأمراء عيَّنه إلى السفر إلى السلطان سليمان بن عثمان ، وأرسل محبته مقدمة حافلة إلى السلطان سليمان كما كان يرسل إلى والده سليم شاه . وقيل إن هذه المقدمة التى أرسلت على يدى الأمير جانم الحزاوى قومت بمائتى ألف دينار ، أو فوق ذلك . فخرج الأمير جانم فى موكب حافل ، ولم يشق من القاهرة بل خرج من بين الترب ، وكان الأمير جانم الحزاوى يومئذ من أرباب الحلّ والمقد بالديار المصرية ، واجتمعت فيه الكلمة ورأى من المزّ والمظمة فى دولة ملك الأمراء خاير بك ما لا رآه غيره من الأمراء . وأشيع أن ملك الأمراء رسم لكريم الدين المجولى بأن يسافر إلى إسطنبول محبة الأمير جانم الحزاوى ، وأما القاضى بدر الدين السمودى بن الوقاد أشيع أنه خدم ملك الأمراء بألف دينار حتى أقام بمصر ، وكاتب عنه ملك الأمراء بأنه ضعيف لا يستطيع السفر إلى إسطنبول .
- ١٠ وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد السمديسى الحنفى الذى كان ولى قضاء الحنفية فى دولة النورى ، وكان السلطان سليم شاه بن عثمان ، لما انكسر النورى ومات بحلب وملك سليم شاه حلب ، قبض على السمديسى وأرسله (٢١٠ هـ) من هناك إلى إسطنبول ، فأقام بها حتى رسم السلطان سليمان بعود الأسراء إلى بلادهم ، فحضر السمديسى مع جملة من حضر إلى مصر . وحضر محبته محب الدين الحنبلى الذى كان يقيم بالخانقاه الشيخونية ، وحضر أبو الفوز بن الحصانى ، وأفضل الدين الذى كان موقع الأمير طومان باى الدوادار الذى تسلطن ، وحضر شمس الدين محمد المقسمى أحد نواب الشافعية ، فحضرُوا هؤلاء كلهم من البحر من دمياط .
- ٢١ وفيه رحل الأمير جانم الحزاوى من الخانكاه وسافر . - وفيه حضر من إسطنبول المهتار محمد النجولى مهتار السلطان النورى ، وحضر من التجار

ابن أبي عوانة البرلسي وآخرون . - وفيه استقرّ في نيابة جدّة شخص من تجار الأروام يقال له عيسى قرا ، قرّر في نيابة جدّة عوضا عن حسين الذي كان بها . وفى هذا الشهر ظهر شمس الدين محمد بن إبراهيم الشرايشي الذي كان متحدثا في أوقاف الزمامية ، وكان له مدّة من حين حضر من إسطنبول وكان محتفيا فظهر ، وظهر ابن العمريطي أيضا وظهر محمد بن علي كاتب الخزانة ، وكانوا كلهم حضروا من إسطنبول في الخفية ، فظهروا لما أفرج السلطان سليمان بن عثمان عن الأسراء الذين كانوا بإسطنبول .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره توفى القاضي محي الدين عبد القادر النبراوى أحد نواب الحنابلة ، وكان عالما فاضلا علامة في مذهبه ، مات وله من العمر نحو مائة سنة . وسنتان ، وهو آخر نواب الحنابلة ممن ولى عن قاضى القضاة عزّ الدين الحنبلى المستقلنى ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد التنوفى صاحب ملك الأمراء ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم بالصلاح . - (٢١٠ ب) وفيه توفى الشيخ عبد الصمد خطيب المدرسة الجيمانية ، وكان لا بأس به .

ومن الحوادث أن فى يوم الجمعة سابع عشره ثارت فتنة عظيمة بين الأصهبانية وبين الأنكشارية ، وأغلّقوا باب القلعة ومنعوا القاضى الشافى أن يطلع إلى القلعة ويصلّى بملك الأمراء صلاة الجمعة ، واستمرّت هذه الفتنة عمّالة بين الفريقين يومين ، وصارت الأنكشارية ينزلون من القلعة مشاة ويتقمون مع الأصهبانية فى الرملة ويشحّونهم إلى الصليبية ، فقتل من الأصهبانية شخص من أعيانهم ، فلما تزايد الأمر دخل بينهما أغواتهم والكاخية الكبير فأصلحوا بينهما فاصطلحا صلحا على فساد ، وخمدت هذه الفتنة والله الحمد .

وفيه قدمت الأخبار بأن عربان الشرقية قد خرجوا عن الطاعة وأظهروا العصيان ونهبوا مغل الضياع ، فعند ذلك عين ملك الأمراء الأمير قايتباى الدوادار ، وصحبته جماعة من المالك الجراكسة ، بأن يخرجوا إلى العرب ويحاربوهم ، فخرج الأمير قايتباى من

- يومه على جرايد الخيل وتوجه إلى بلبيس وأقام بها . ثم أشيع أن الأمير قايتباي قد وقع بينه وبين شيخ العرب بيبرس بن بقر وكبس عليه تحت الليل ، فهرب منه وأظهر العصيان ، وتوجه إلى نحو الطور وأقام به . وأشيع أن قُتل في تلك المركة شخص من المالك الجراكسة يقال له أزيك الجازاني ، وهو الذي كان قتل الجازاني بمكة . فلما أظهر العصيان بيبرس بن بقر اضطربت أحوال الشرقية إلى الناية ، حتى أشيع أن ملك الأمراء يخرج إلى الربان بنفسه ، فإن سبيع طوائف من الربان تحالفوا كلهم على (٢١١ آ) العصيان والخروج عن الطاعة ، وهم : بنى عطية وبنى عطا وبنى حرام وغير ذلك من طوائف الربان المفسدين ، ثم إن ملك الأمراء أخلع على الأمير أحمد بن بقر واستقرّ به في مشيخة الشرقية عوضاً عن ابنه بيبرس .
- وفي شهر رجب كان مستهلّ يوم الخميس ، واتفق أن ذلك اليوم كان عيد ميكائيل ونزلت النقطة في ليلة مستهلّ الشهر ، فتفاعل الناس بأن النيل سيكون في تلك السنة عالياً مباركاً . - فلما أهلّ الشهر طلع القضاة إلى القلعة وهتوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي يوم الأحد رابعه قبض ملك الأمراء على شخص من الأصبهانية قتل شخصاً من المالك السلطانية في محل سكر ، فتمصّب على قتله خير الدين نائب القلعة ، فربطوه في ذنب إكديش وهو على ظهره ، ثم سحبوه وطلعوا به القاهرة ، ثم شقوه ومضى أمره . - وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة فتوجه إلى قصر ابن العيني الذي بالنشية ، وأقام هناك إلى قريب الظهر ، ثم عاد إلى القلعة ، وكان له مدة لم يتنزه في الروضة ولا غيرها من المفترجات ، وسبب ذلك من العارض الذي طلع له في شكاله ، ولم يختم إلى الآن .

- وفيه قدم جماعة من إسطنبول بمن كان هناك من أهل مصر ، وأشيع أن السلطان سليمان نادى في إسطنبول بأن جميع الأمراء من أهل مصر يرجعون إلى بلادهم ، وكل من تأخر منهم شق ، ولم يتأخر بإسطنبول سوى سيدى علي بن الملك المؤيد أحمد ابن الأشرف أبنال ، وابن السلطان الغورى ، والناصرى محمد بن خاص بك ، ومن

- المباشر بن محمد بن صلاح الدين بن الجيمان ، وعبد القادر بن الملكى ، وعبد الكريم
أخى الشهابى أحمد بن الجيمان ، وآخرين من أعيان الديار المصرية . فحضر من جملة
٣ من حضر من إسطنبول القاضى شمس الدين محمد (٢١١ ب) الحلبى أحد نواب
الشافعية ، وحضر القاضى شمس الدين محمد الدمياطى أحد نواب الشافعية بالديار المصرية ،
وولى أمانة الحكم أيضا ، ومن المجائب أنه لما حضر إلى القاهرة حصل له توقع
٦ فى جسده فى مدة إقامته فى البحر الملح ، فلما وصل إلى بولاق ثقل فى الرض ،
فأحضروا له قفص حمال فحمل عليه ، فلما وصل إلى داره أقام بها ليلة واحدة ومات ،
رحمة الله عليه ، فكان ترابه بمصر . وحضر زين الدين المنوفى الموقع وابن عمه
٩ أفضل الدين ، وحضر نور الدين على بن عبدالغنى مباشر الدشيشة ، وحضر عبدالعظيم
السمسار فى البهار ، وحضر عبد العظيم بن أبى غالب المباشر ، وحضر القاضى
شهاب الدين أحمد بن الهيمى أحد نواب الحنابلة ، وحضر شمس الدين محمد بن عبدالعظيم
أحد كتاب الماليك ، وحضر يحيى بن يحيى مقدم الخاص ، وحضر الخوارج أبو بكر
١٢ الهاشمى ، وحضر عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخانة وولده زين ، وحضر يحيى
ابن الطنساوى مباشر الديوان المفرد ، وحضر ابن السيرجى ، وغير ذلك آخرون .
١٥ وفيه قدم شخص من الأمراء العثمانية يقال له نصوح بك ، فلما بلغ ملك الأمراء
قدومه نزل إليه ولاقاه من عند تربة المادل ، ودخل صحبته وشق من القاهرة وهو
راكب عن يمينه ، فأنزله فى بيت الأمير أزدمر الدوادار ، ورتب له فى كل يوم
ما يكفيه من دجاج وأوز وغنم وسكر ودقيق وغير ذلك . وأشيع أنه يقيم بمصر عوضا
١٨ عن فرحات الذى قرّر فى نيابة حماة . - ثم فى يوم الثلاثاء الثانى عشره نزل إليه ملك
الأمراء ، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار برسم النفقة على (٢١٢ آ) جماعته ، وبرسم
٢١ الجوامك .

- وفى يوم الخميس خامس عشر شهر رجب طلع ابن أبى الرداد بيشارة النيل
البارك ، فجاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية أصابع . - وفى يوم الجمعة سادس عشره
٢٤ حضر الأمير قايتباى الدوادار من الشرقية ، وقد تقدم القول على أنه توجه إلى

الشرقية بسبب فساد العربان وعصيان بيبرس بن بقر ، فلما رحلوا العربان وتوجه بيبرس بن بقر إلى الطور رجع الأمير قابتبای إلى القاهرة . وحضر القاضي بركات بن موسى المحتسب محبته ، فإنه كان توجه إلى الشرقية أيضا . ٣

وفيه توجه ملك الأمراء إلى نحو الجزيرة الوسطى ، وسبب ذلك أن الأمير تم ، الناظر على وقف الدشيشة ، صنع هناك مركبا عظيمة بسبب حمل مغلّ الدشيشة ، فكان طولها مائة ذراع وعشرين ذراعا ، وبها قرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعد وميت واسطبل للخيول ، فعرضها على ملك الأمراء ، ثم فكك أخشابها وأرسلها على ظهور الجمال إلى الطور ، ومن هناك يرسلها في البحر الملح . فلما نزل إليه ملك الأمراء مدّ له مدّة حافلة ، وأقام عنده ملك الأمراء إلى قريب الظهر ، ثم عاد إلى القلعة . ٦ ٩

وفيه قدمت الأخبار من دمشق بأن جماعة من عربان دمشق ثاروا على نائب الشام الأمير إياس بك ، فلما خرج إليهم واتّفق معهم انكسر منهم وجرح وردّ إلى الشام وهو مكسور من العرب ، وقتل من عساكر الشام ما لا يحصى ، ومن عربان جبل نابلس ، وكانت فتنة مهولة بدمشق . - وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى تربة العادل ، ثم دخل من باب النصر وشقّ من القاهرة في موكب حافل ، والأمير نصوح بك محبته ، فلما شقّ من القاهرة (٢١٢ ب) ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الأعوام . ١٢ ١٥

وفي شهر شعبان كان مستهلّه يوم الجمعة ، فطلع القضاء إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفيه قدمت الأخبار من إسطنبول بأن طائفة من طوائف الفرنج يقال لها الأنكرش ، قد تحالفوا مع سبعة من ملوك الفرنج على قتال السلطان سليمان بن عثمان . فلما تحقّق ذلك جمع المساكر من كبير وصغير وخرج من إسطنبول وتوجه إلى قتالهم في الجملّ الفير من المساكر والفرسان . - وفيه تغيّر خاطر ملك الأمراء على شخص من الأتراك يقال له جان قلع ، فسجنه بالمرقانة ووعد بالتوسيط ، وكان سبب ذلك أنه كان ساكنا في بيت شخص من ٢١ ٢٤

أبناء الناس، وهو ابن الأمير شاهين الجمالي الذي كان ناظر الحرم النبوي، فانكسر عليه
أجرة المكان، فطالبه ابن شاهين بالأجرة فلم يعطه شيئا وسبه سباً فاحشاً، فطلع
ابن شاهين وشكاه إلى ملك الأمراء فأرسل خلف جان قليج، فلم يطلع في ذلك اليوم ٣
وأساء على قاصد نقيب الجيش، فبلغ ملك الأمراء ذلك، ثم إن جان قليج طلع بعد
ذلك إلى ملك الأمراء وقابله فقبض عليه وسجنه بالمرقانة. وكان تقدم له مع ملك
الأمراء واقعة مهولة قبل ذلك، فاستمر في نفس ملك الأمراء منه أشياء كينة، وكان ٦
جان قليج عنده بادرة، وكلامه يابس كثير الفجور.

ومن الحوادث المهولة أيضاً واقعة سيدي عمر بن (٢١٣ آ) الملك المنصور عثمان
ابن الملك الظاهر جقمق، وذلك أن سيدي عمر كان متزوجاً بزوجة الأتابكي تمتاز ٩
الشمسي، وهي ابنة الأمير جانم الأشرقي الذي كان نائب الشام، فكان لها رزقة
وقف عليها وبها فلاحون، فلما تزوج بها سيدي عمر تكلم على جهاتها فقبل إنه جار
على فلاحى تلك الرزقة ولم يمش لهم أمر الشراق في الحصنة، فتضرروا الفلاحون من ١٢
ذلك، فوقفوا إلى ملك الأمراء وشكوا له من سيدي عمر بأنه قد جار عليهم وأخذ
منهم أزيد من الخراج عن المقطعين بالناحية، فأرسل إليه ملك الأمراء يقول له :
انظر في حالهم ولا تجور عليهم. فقال سيدي عمر : وإيش كان ملك الأمراء يدخل ١٥
بيني وبين فلاحيني في شيء لا له فيه شغل ؟ فبلغ ملك الأمراء ذلك فتغير خاطره على
سيدي عمر، فأرسل خلفه قاصداً فأغلظ عليه في القول ولم يطلع، فحنق منه ملك الأمراء
وأرسل إليه جماعة من الأنكشارية فقبضوا عليه غصبا وبهدلوه وطلعوا به إلى القلعة، ١٨
فلما دخل إلى الحوش قبضوا عليه وأدخلوه إلى المرقانة، فسجن بها وبات تلك الليلة
وأقام بها إلى اليوم الثاني إلى الظهر حتى شفع فيه بعض الأمراء، فضى إلى داره
وقاسى غاية البهدة من الأنكشارية، فما شكر أحد من الناس ملك الأمراء على هذه ٢١
الفعلة الفاحشة على شيء لا يستحق لذلك كله.

وفي هذا الشهر كانت وفاة الشيخ زين الدين قاسم المغربي، وكان صالحاً معتقداً

- دينا خيرا وله اشتغال بالعلم ، وكان مقبلا بمقام الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكان
 لا بأس به . - وفي يوم الخميس ثامن عشرين هذا الشهر قدم شخص من عند السلطان
 سليمان بن عثمان يقال له محمد بن إدريس ، ويُعرف بِقَلْبَسِزْ الدفتردار ، وصحبته شخص
 يقال له الأمير كمال ، (٢١٣ب) فلما وصل إلى تربة العادل نزل إليه ملك الأمراء ولاقاه
 من هناك ، ثم دخل هو وإياه من باب النصر وشقّ القاهرة في موكب حفل ،
 وقدّامه الأنكشارية والكمولية مشاة يرمون بالنفوط ، فاستمرّ في ذلك الموكب
 حتى طلع القلعة ، وأنزل الدفتردار في بيت الأمير يشبك الدوادار الذي [في] حדרه
 البقر ، ومدّ له هناك مدّة حافلة ، وأنزل الأمير كمال في مكان آخر . وأشيع أن الأمير
 كمال الذي حضر أنه يروم الحج إلى بيت الله الحرام ، والدفتردار حضر بسبب ضبط
 مال الثغور من الجهات المصرية .
- وفي شهر رمضان كان مستهلّة يوم السبت ، وكان الهلال عسر الرؤية على خمس
 درج ، وقيل أربع درج في تلك الليلة ، بحيث أن الميقاتية حكموا بأن الهلال لا يرى
 في تلك الليلة، فرآه بعض الناس وثبت ذلك على القاضي زكريا أحد نواب الشافعية، فشكّوا
 الناس في ذلك ، وحصل لـ زكريا غاية المقت من الناس ومن ملك الأمراء ، وما قاسى
 زكريا خيرا بسبب ذلك . - وفي تلك الليلة ركب القاضي بركات بن موسى من المدرسة
 المنصورية بعد المغرب ، وقدّامه المشاعل والفوانيس ، وشقّ من القاهرة في موكب
 حافل على العادة . - وفي يوم السبت مستهلّ الشهر، وكان وفاء النيل المبارك ، أوفى الله
 الستة عشر ذراعا وستة أصابع من الذراع السابع عشر ، ثم فُتح السدّ في يوم الأحد
 ثاني شهر رمضان ، الموافق لحادي عشر مسرى . ووقع مثل ذلك في دولة الأشراف
 قايتباي أن السدّ فُتح في أول يوم من رمضان . فلما أوفى النيل نزل ملك الأمراء إلى
 المقياس وخلق العمود ، ونزل في الحراقة وتوجّه إلى السدّ ففتحه على جارى العادة ،
 وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة والقصف ، كما يقال في المعنى (٢١٤آ) :

(١١) الرؤية : الرؤيا .

لله يوم الوفاء والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعهم غلّقى تملأ الدنيا بشائره

- ٣ وفى يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان صعد الدفتردار محمد بن إدريس إلى القلعة ، واجتمع الأمراء العثمانية بالقلعة وقُرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان ، فكان من مضمونه التوصية بالرعية قاطبة ، وأن ملك الأمراء ينظر فى إصلاح المعاملة من الذهب والفضة ، فوق فى ذلك المجلس بعض تشاجر بين ملك الأمراء والدفتردار بسبب ذلك ، فقال ملك الأمراء : أنا ما أغير ماملة السلطان سليم شاه ولا أخرج عن ما وقع فى أيامه بأن الأشرفى الذهب يصرف فى المعاملة بخمسين نصفاً على العادة . ثم إن ملك الأمراء رسم بإحضار التجار ، فلما طلّموا إلى القلعة تسكّموا معهم فى أمر صرف الأشرفى الذهب الواسع بخمسين نصفاً ، فتضرّروا من ذلك وقالوا : ما يوافقنا أحد من الناس على ذلك . وانفضّ المجلس مانماً من ذلك ، ثم إن القاضى بركات بن موسى المحتسب تسكّم مع ملك الأمراء بأن يُصرف الأشرفى الذهب العثمانى بخمسة وأربعين نصفاً ، وفى البيع والشرى بستة وأربعين نصفاً ، فوق الاتفاق على ذلك ، ونودى فى القاهرة بذلك فسكن الاضطراب قليلاً بمد ما غلقت الأسواق يومين . ثم إن ملك الأمراء جمل القاضى حمزة العثمانى متسكّمًا على دار الضرب ، ثم فيما بمد لم يتمّ أمر صرف الذهب اواسع بخمسة وأربعين نصفاً ، وصار يُصرف بأربعين نصفاً ، وعزّ وجود الفضة جداً ، وصار الأشرفى الذهب يُصرف بمشقة زائدة من السوقو ويعطون فيه النصف فضة والنصف فلوس جدد ، وحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل .
- ١٨ وفيه قدمت الأخبار من إسطنبول بأن وقع بها طاعون عظيم ، وصار يموت بها فى كل يوم ما لا يحصى . - وفيه توجه الدفتردار الذى حضر إلى ثغر دمياط (٢١٤ ب) والبرلس وثر الإسكندرية أيضاً ، بسبب جى أموال الثغور التى أضيفت إلى خزائن الخندكار بالروم ، فخرج الدفتردار وصحبته القاضى حمزة .
- ٢١ وفى أثناء هذا الشهر حضر من إسطنبول ، مع جملة من حضر منها ، القاضى

علاى الدين على بن الإمام ناظر الخصاص وأخوه ، وحضر القاضي أبو البقا ناظر الاسطبل وأخوه يحيى ، وحضر القاضي نغر الدين بن عوض ، وحضر من نواب القضاة القاضي شمس الدين محمد بن وحيش أحد نواب الشافعية ، والقاضي شمس الدين محمد المبادى أحد نواب الشافعية أيضا ، وحضر القاضي شمس الدين محمد الأبادى أحد نواب المالكية ، وحضر بدر الدين بن الرومى ، وحضر القاضي ابن عرفات أحد نواب الشافعية ، وحضر تقي الدين العزيزى الشافى ، وحضر الشهابى أحمد بن نصر الله ناظر دار الضرب ، وحضر بدر الدين محمد بن خازوقة مباشر الأمير علان الدوادار ، وحضر أحمد السكندرى الشطرنجى رفيق ابن الأوزة ، وحضر أبو البقا بن السيرجى ، وحضر بدر الدين بن الهيصم وآخرون من المباشرين والقضاة لم يحضرنى أسماؤهم الآن .

وأشيع أن السلطان سليمان ، نصره الله تعالى ، أعتق جميع الأسراء الذين كانوا بإسطنبول من أهل مصر ، ولم يبق بها سوى أولاد السلاطين وجماعة من المباشرين ومن أولاد الجيعة ممن تقدم ذكره ، وجماعة من أعيان الديار المصرية استمروا بإسطنبول إلى الآن . وأما الأمراء الجراكسة والمالليك الجراكسة الذين كان السلطان سليم شاه نفاهم إلى إسطنبول ، فلما ولى ابنه سليمان لم يأذن لهم بالعود إلى مصر ولم يقبل فيهم شفاعا ، واستمروا (٢١٥ آ) فى بلاد الروم إلى الآن ؛ وأشيع أن السلطان سليم شاه بن عثمان كان أرسلهم إلى مكان يحاصرون فيه الفرنج وقد خمدت أخبارهم .

فلما حضروا هؤلاء الجماعة من إسطنبول أشاعوا أن السلطان سليمان قد خرج إلى قتال الفرنج الأنكرش ، ولم يرد من عنده خبر من حين توجه إليهم . وأخبروا الجماعة الذين قدموا من إسطنبول أن القاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش ابن ناظر الخصاص يوسف حصل له فى عقله ذهول ، وحصل له ضيق معيشة بإسطنبول وصار

(٩) أسماؤهم : أسمايهم . (١١ و ١٤ و ٢١) الذين : الذى .
(١٢) ولم يبق : ولم يبق . (١٧) يحاصرون : يحاصروا .

يشترى عشاء وغداء من الطباخ في زبدية ، ويحملها بنفسه على يده من السوق وهو
 لابس كبنك لبّاد أبيض وقاسى شدائد ومحنًا . وأخبروا عن زين العابدين بن قاضى
 القضاة الشافى كمال الدين الطويل أنه تسحب من إسطنبول ولم يُعلم له خبر من حين
 ٣ خرج منها ، وكانت جماعة من الشاوشية ينصبون على من هناك من الأسراء من
 أهل مصر ويقولون لهم : نحن نساfer بكم من إسطنبول في الخفية ونتوجه بكم إلى
 مصر . فلما يخرجون بهم من إسطنبول يقتلونهم في الطريق ويأخذون ما معهم من
 ٦ مال وقماش ، وقد فعلوا مثل ذلك بكثير من أهل مصر ممن كان بإسطنبول ، ولم يعلم
 لهم خبر إلى الآن .

٩ وفي يوم السبت خامس عشر شهر رمضان قدمت الملكة خاتون ، عمة السلطان
 سليمان بن عثمان ، وولدها مصطفى صحبتها ، وأشيع أنها قدمت إلى مصر تروم الحجَّ
 إلى بيت الله الحرام ، فأكرمها ملك الأمراء غاية الإكرام وأزّلها في مكان مطلَّ
 على بركة الفيل ، ورتّب (٢١٥ ب) لها في كل يوم أحمطة حافلة لها ولجماعتها الذين
 ١٢ قدموا معها من بلاد الروم .

وفي يوم الخميس عشرينه وقع فيه كابتة يحيى بن ظلام ، وكان يتجر في السكر وله
 ١٥ مطبخ يعمل فيه السكر ، فاستمرّ على ذلك مدّة طويلة ، ثمّ إنه بعد ذلك انكسر
 وتجمّد عليه جملة ديون عظيمة ، بحيث أشيع عنه أن تجمد عليه نحو أربعين ألف
 دينار ، فلما انكسر طالبوه أصحاب الديون ، وكان المال لأفوام من تجار خان الخليلي
 وغيرها ، فلما طال الأمر عليهم شكوه إلى ملك الأمراء ، فرسم عليه ملك الأمراء
 ١٨ جماعة من الأنكشارية حتى يرضى أصحاب الديون في حقوقها ، فاستمر في الترسيم
 مدّة طويلة . وكان ملك الأمراء قرّر عليه وألزمه بأن يرد لأصحاب الديون في كل
 شهر خمسة آلاف دينار ، فما قدر على ذلك وعجز عن إيراد ذلك القدر ، وكان ملك
 ٢١ الأمراء حلف يمينا برأس السلطان سليمان بن عثمان إن لم يرض أصحاب الديون
 في حقوقها وإلا يوسّطه ، فلما ضاق الأمر عليه خفق نفسه تحت الليل وأصبح ميتا ،
 (٢) شدائد ومحنًا : شدايدا وعن . (١٢) الذين : الذى : (٢٢) لم يرض : لم يرضى .

ثم أشيع أن الأنكشارى الذى كان مرسماً عليه خنقه تحت الليل وأخذ ما معه من المال الذى كان يردّه لأصحاب الديون على أول الشهر ، وأشيع عنه أنه خنق نفسه فأصبح ميتاً ، ومضى أمره إلى (٢١٦ آ) حال سبيله . ٣

وفى يوم الخميس سابع عشرين شهر رمضان كان يوم النوروز ، وهو أول يوم من السنة القبطية وهى سنة سبع وعشرين وتسعمائة القبطية ، فكان أولها يوم النوروز . وفى ذلك اليوم بلغ النيل فى الزيادة سبعة عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا ، واستمر فى الزيادة عمّالا . ٦

وفى يوم السبت تاسع عشرين شهر رمضان وقع فيه من الحوادث كايته سيدى عمر بن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق ، وذلك أن القول تقدّم بما وقع ٩

لسيدى عمر مع ملك الأمراء بسبب أمر الفلاحين ، فاستمرّ سيدى عمر تابع غلظه مع الفلاحين كما تقدّم ، فوقفوا وشكوه إلى ملك الأمراء ثانيا ، فتغيّر خاطره على سيدى عمر واحتدّ منه فأرسل إليه نقيب الجيش ، فقال له : رسم ملك الأمراء بأن تقوم ١٢

فى هذه الساعة وأن تنزل فى المركب وتتوجّه إلى دمياط . فاستمرّ عنده حتى كتب وصيّة وقام وركب من وقته وتوجّه إلى بولاق ، ونزل فى مركب وسارت به إلى نحو دمياط . فهذا كله بسبب الفلاحين من صلابة سيدى عمر وقوة رأسه وقلة دربته ، ١٥

حتى اتسعت هذه الحادثة بينه وبين ملك الأمراء على هذا الأمر الفشروى الذى لم يستحق هذا كله فوقع له هذه الكاينتين فى شهر واحد ، فشقّ ذلك على الناس قاطبة ، فوقع له البهدة من ملك الأمراء مرتين : الأولى بسجنه فى العرقانة ، (٢١٦ ب) ١٨

والثانية بنفيه إلى دمياط وركوبه على بغلة وهو متوجّه إلى بولاق . فلما جرى ذلك توجهوا عيال سيدى عمر إلى بيت الملكة خاتون عمه السلطان سليمان بن عثمان ، وتراموا ٢١

عليها فى أن تشفع عند ملك الأمراء فى عود سيدى عمر من النفي ، فأرسلت إلى ملك الأمراء ولدها مصطفى بك فشفع عنده فى سيدى عمر بأن يعود إلى داره ، فقبل شفاعة الملكة خاتون ورسم بعود سيدى عمر إلى داره ، فعاد بمد ما سار فى البحر يوما وليلة ،

فلما عاد تخلّقت عياله بالزعفران ودُقت على بابه الطبول والزمر ، وهنّوه بالسلامة .

وفي سلخ شهر رمضان حضر الدفتردار محمد بن إدريس ، الذي كان توجّه إلى دمياط والبرلس وبقية الثغور بسبب جبي الأموال التي أضيفت إلى خزائن مولانا^٣ السلطان سليمان ، فلما وصل إلى بولاق نزل إليه ملك الأمراء ولاقاه من هناك ، واستمرّ معه حتى أوصله إلى داره .

وفي شهر شوال كان عيد الفطر مستهلّه يوم الاثنين ، وقد ثبت رؤية هلال شوال^٦ بمصر ، فإن هلال رمضان ثبت على القاضي زكريا أحد نواب الشافعية وشكّوا الناس في ذلك ، وقالوا إن ذلك اليوم الذي صاموه كان آخر يوم من شعبان ، فوقع الشكّ بسبب ذلك ، وما قاسى زكريا خيرا من (٢١٧ آ) الناس لأجل أن هلال شهر رمضان^٩ قد ثبت عليه ، وكانت الميقاتية حكموا بأنه لا يُرى في تلك الليلة أبداً ، فلما كان هلال شوال أرسل ملك الأمراء يقول للقاضي الشافعي : انتوا أثبتوا هلال شهر رمضان على أربعة درج ، وقد شكّوا الناس في ذلك ، فافعلوا في هلال شوال ؟ فأرسل^{١٢} يقول له قاضي القضاة الشافعي : هلال رمضان رؤى حقاً وقامت به البيئة وزكّيت وغدا من شوال محقق . ثم إن قاضي القضاة الشافعي نادى في القاهرة غدا من شوال ، وهذا قطّ ما اتفق بأن ينادى قبل رؤية الهلال : غدا من شوال ، فعدّ ذلك من النوادر ،^{١٥} وكان موكب العيد حافلا بالقلمة .

وفيه كان دخول المقر الشهابي أحمد بن الجيعان على ابنة الأمير خاير بك كاشف الغريبة أحد الأمراء المقدمين الألو ف ، وهي التي كانت زوجة الأمير تاني بك الخازندار^{١٨} أحد الأمراء المقدمين ، وكانت غير محمودة السيرة في أفعالها . وقبل ذلك بمدة يسيرة تزوّج القاضي أبو بكر بن الملّكي بابنة الأمير قانصوه المعروف بأبي سنّة أحد الأمراء المقدمين . وقد صارت المباشرون تزوّج بأولاد الأمراء المقدمين ولا ينكر ذلك عليهم^{٢١} في هذا الزمان . - وفيه قدمت الأخبار بأن السلطان سليمان بن عثمان لما توجّه إلى قتال الفرنج اتّفق معهم وقعة مهولة ، وقتل من عسكره ما لا يحصى عددها ، وقتل في المعركة

(١٣) يقول : يقل . (١٣ و ١٤ و ١٥) غدا : أغدا . (١٨) المقدمين الألو ف : كذا في الأصل .

- الأمير قانصوه العادلى الذى كان توجه إلى إسطنبول ، وقد انتصر السلطان سليمان على الفرنج نصره عظيمة ، ثم خمدت هذه الإشاعة من بعد ذلك ، وكثر القتال والقتل بين الناس بسبب ذلك . - وفى يوم الخميس ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم كاشف الفيوم (٢١٧ ب) على العادة ، وخرجت صحبته الملكة خاتون عمه السلطان سليمان وولدها مصطفى ، فطلب الأمير جانم طلبا حافلا ، وكان به ست عجلات تسحبها الأكاديش وعليها عدة مكاحل نحاس ومدافع حجر بسبب قتال العربان الذين فى طريق الحجاز ، فإن طريق الحجاز كان فى هذه السنة فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان .
- ٩ وفى يوم الأربعاء رابع عشرينه نودى فى القاهرة عن لسان ملك الأمراء بأن لا مملوك ولا عثمانى ولا ابن ناس يلبس زمطا أحمر على الإطلاق ، ومن لبس زمطا بعد المنادة شنى من غير معاودة ، ثم أشيع أن ملك الأمراء رأى صبيا وعبيدا بمقدارية وهم زموط فقال : امضوا بهم إلى بيت الوالى يشنقهم . حتى شفع فيهم بعض الأمراء ، ثم أشيع بأن ملك الأمراء رسم للأمراء الجراكسة بأن لا يلبسوا سُرْموجة تركى ولا يطلعوا بها إلى القلعة ، وهذا كله عين المقت للجراكسة وبغضا لهم قاطبة .
- ١٥ وفى يوم السبت سابع عشرينه ، وذلك الموافق لأول يوم من بابه من الشهور القبطية ، ثبت النيل المبارك على ثلاثة وعشرين أصبعا من عشرين ذراعا ، فكان منتهى الزيادة عشرين ذراعا إلا أصبعا . وكان نيلا عظيما إلى الناية ، وللناس مدة طويلة ما رأوا نيلا مثل هذا ، ففتكت الناس فى الفرجة والقصف ، وسكن غالب بيوت الجسر بعد ما كان قد آل إلى الخراب وتهدمت بيوته وأشرف على الخراب ، وكاد أن يبق مثل الجزيرة الوسطى فى الخراب (٢١٨ آ) .
- ٢١ وفى شهر ذى القعدة كان مستهل يوم الأربعاء ، فطلع إلى القلعة قضاة القضاة وهنوا بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى يوم الجمعة ثالثة نودى فى القاهرة عن لسان ملك الأمراء بأن لا أمير من الجراكسة ولا خاصكى يركب وخلفه بئل وعليه

غلام راكب ، بل يمشى على طريقة العثمانية في أفعالهم يأخذ الغلام الناشية على كتفه ويمشى قدأمه .

- ٣ وفي يوم الأربعاء ثامن الشهر نفق ملك الأمراء الجامكية على المالك الجراكسة ، بعد ما عوّق جوامكهم وعليقهم ستة أشهر حتى عاينوا الموت من ضيق الحال بهم ، فأصرف لهم ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة أشهر ، ولم يصرف لهم العليق . فقبض في ذلك اليوم كل مملوك من الجراكسة أحد عشر أشرفيا ذهباً وثمانية أنصاف من الذهب العثماني ، فأقاموا عليهم كل أشرفي ذهب بأشرفين فضة ، فحسروا في صرف كل أشرفي ذهب عشرة أنصاف فضة ، فكانت خسارتهم في العشرين أشرفيا خمسة أشرفية ونصفين فضة ، فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك بعد صبرهم ستة أشهر بلا جامكية ولا عليق ، فأصرف لهم ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة أشهر وراح العليق عليهم . وأشيع أن الديوان مشحوت غاية الانشحات ، وأن ملك الأمراء عليه نحو ستين ألف دينار ديناً ، والمباشرون استخرجوا من البلاد من القسط الأول أربعة أشهر ١٢ ممجلاً من مثل سنة سبع وعشرين وتسعمائة القبطية ، قبل أن يني النيل ويزرعوا الفلاحون وتروى الأراضي ، فحصل للفلاحين غاية الضرر من ذلك ، ورحل بعض فلاحين من البلاد السلطانية من الظلم والجور . وقد انحط سمر الغلال عما كان أولاً ١٥ من الارتفاع .

- وكان سبب انشحات الديوان من أشياء توجب لذلك ، فإن المال الذي يجي من (٢١٨ب) البلاد صار يُقسم على سبع طوائف من العسكر وهم : المالك الجراكسة ١٨ وأصراؤهم الذين تأخروا بمصر ، ثم الأصهبانية وأصراؤهم القاطنون بمصر ، ثم الصوباشية والأنكشارية والكمولية ، ثم ممالك ملك الأمراء ، وذلك خارجاً عن كلفة من يرد من المملكة الرومية من القصاد والتردد من إسطنبول وغيرها ، فكان ملك ٢١ الأمراء ينعم عليهم بالعطاء الجزيل الخارق للموايد . - وقد بلغني ممن أثق به أن

(٦) أحد عشر : كذا في الأصل ، وانظر فيما يلي ص ٤١٠ س ٢-٣ حيث يقول إنه رتب لكل مملوك مئبة دنانير في الشهر . (١٩) الدين : الذي .

مُتَحَصِّل خراج مصر كان في دولة بني عثمان لما ملكوا مصر ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، ومن المغلّ سبائة ألف أردب ، منها قح ثلاثمائة ألف أردب ، وثلاثمائة ألف أردب من شمير وفول وغير ذلك .

٣

وأين هذا القدر مما كان يعمل خراج مصر في الزمن القديم ، نقل الشيخ تقي الدين المقرئ في الخطط : قد بلغ خراج مصر في زمن القبط عند تلاشي أحوال مصر مائة ألف ألف وثمانين ألف ألف دينار ، وكان جملة خراجها في زمن الفراعنة ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا الآن ، وكان مساحة أراضي مصر في زمن الفراعنة مائة ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان تزرع غير البور . وجُي خراج مصر في زمن عمرو بن العاص ، على يد عبدالله بن أبي سرح في صدر الإسلام ، اثني عشر ألف ألف دينار غير الدنانير المعمول بها الآن . وجُي خراج مصر في أيام الأمير أحمد ابن طولون مع وجود الرضاء ، فكان أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، غير ما يتحصّل من الكوس والغلال . وجُي خراج مصر في أيام الإخشيدية ، فكان اثني ألف ألف دينار غير الدنانير الآن . وجُي خراج مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، فكان اثني (٢١٩ آ) عشر ألف ألف ، مع ثلاثي أمر مصر وأحطاط خراجها إلى ذلك .

١٥

وكان موجب انشحات الديوان في أيام ملك الأمراء خابر بك ، أن الأصهبانية والأنكشارية والكمولية لما استقرّوا بمصر ، رتب لهم ملك الأمراء جوامك في كل شهر ، فكان يعطى جماعة من الأصهبانية في كل شهر ستين ديناراً ، وجماعة منهم خمسين ديناراً ، وجماعة منهم أربعين ديناراً ، وجماعة ثلاثين ديناراً ، وباقيهم عشرين ديناراً في كل شهر . وأما الأنكشارية فكان الغالب فيهم من جامكيتة في كل شهر خمسة عشر ديناراً ، وباقيهم اثني عشر ديناراً في كل شهر . وأما الصوباشية فلم في كل شهر لكل واحد منهم ثلاثين ديناراً . وأما الكمولية فكان الغالب فيهم من جامكيتة في كل شهر اثني عشر ديناراً ، وباقيهم عشرة دنانير ، وجماعة منهم من له

١٨

٢١

ثمانية دنانير في كل شهر ، وهذا كله خارجا عن جوامك ممالك ملك الأمراء .
وأما الممالك الجرا كسة فإن ملك الأمراء رتب لكل واحد منهم في كل شهر سبعة
دنانير في نظير الجامكية واللحم ، وذلك خارجا عما رتب للأمرء الجرا كسة القاطنين ٣
بمصر ، وذلك خارجا عن إتمام ملك الأمراء للمتددين من المملكة الرومية وغيرها ،
حتى قيل كان يُصرف من ملك الأمراء على ما ذكرناه في كل سنة نحو ألف ألف دينار
وسمائة ألف دينار ، فبواسطة ذلك ضاق الحال عن صرف الجوامك في كل شهر . ٦
وأما المال الذي كان يرد من ثغر الإسكندرية ودمياط والبرلس وجدة وغير ذلك
من الثغور ، فإنه كان يحمل إلى خزائن السلطان سليم شاه وولده السلطان سليمان
نصره الله تعالى ، فلا يعترض ملك الأمراء إلى شيء من ذلك ، وما كان يستخرج ٩
غير خراج (٢١٩ ب) الشرقية والغربية والبحيرة وجهات الصيد فقط لا غير .
فإن قال قائل إن السلطان النوري كان يسد أمر الجوامك في كل شهر ، وكان المسكر
أكثر من ذلك ، والأمراء أربعة وعشرون مقدم ألف ، غير الأمراء الطبلخانات ١٢
والعشرات والخاصكية فوق الألف خاصكي ، أقول إن السلطان النوري [كان] يستعين
على ذلك بكثرة المصادرات للمباشرين وأعيان التجار ، وغير ذلك من مساير الناس ،
وكان يرد عليه أموال الثغور وأموال البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وغير ذلك من ١٥
الجهات ، والآن البلاد الشامية والحلبية في غاية الاضطراب ، ولم يرد منها شيء من
الأموال ، فبموجب ذلك ضاق الأمر من المال على ملك الأمراء ، وزجوا من الله تعالى
إصلاح الحال . ١٨

وفي يوم الاثنين ثالث عشره خرج الدفتردار محمد بن إدريس وتوجه إلى السفر ،
وأخذ على يده الأموال التي استخرجها من الثغور ، فلما خرج نزل إليه ملك الأمراء
وتوجه صحبتته إلى تربة العادل ، وكذلك الأمراء قاطبة . وخرج صحبتته جماعة كثيرة ٢١
من الأصهبانية والأنكشارية ، فتوجه طائفة منهم من البر وطائفة منهم من البحر .
وأشيع أنهم توجهوا إلى إسطنبول بطلب من السلطان سليمان نصره الله تعالى ،

وقد بلغه أنهم ييشوشوا على أهل مصر غاية التشويش، فأرسل أخذ منهم نحو خمسمائة إنسان من أصهبانية ومن أنكشارية ، وأراح المسلمين منهم فإنهم كانوا من كبار المفسدين . فخرج الدفتردار في ذلك اليوم في موكب حافل كما تقدم . - وفيه كانت وفاة الناصري محمد بن الأمير جاني بك كوهية ، وكان رئيسا حشما دينيا خيرا من أعيان أولاد الناس ، حسن السيرة لا بأس به .

٦ وفيه قدم من إسطنبول سيدي محمد بن الكويز ، وكان توجه إلى (٢٢٠ آ) نحو إسطنبول مع جملة من أسر من أهل مصر ، فلما أفرج السلطان سليمان عنهم حضر إلى مصر ، وكان حسن السيرة في التحدث في أمر المواريث . - وفي يوم الثلاثاء رابع عشره حضر أولاق من عند السلطان سليمان ، وعلى يده مراسيم تتضمن أنه قد انتصر على الفرنج نصرة عظيمة ، وفتح عدة مدائن من مدائن الفرنج ، وملك عدة قلاع من قلاعهم ، وصار كل ما ملك مدينة من مدائنهم يحمل كنانتهم جوامع بمحاريب ومنابر ، وخطب باسمه فيها ، وكانت هذه النصرة على غير القياس . فلما تحقق ملك الأمراء ذلك رسم بدق البشائر بالقلعة ، ونادى في القاهرة بالزينة فزُيّنت سبعة أيام متوالية ، وفتك الناس في هذه الزينة فتسكا ذريما حتى خرجوا في ذلك عن الحد ، وتجاهروا بالعاصي ليلا ونهارا . وفي هذه النصرة يقول الأديب البارع محمد بن قانصوه من صادق ، وأجاد بقوله :

١٨ أفدى سليمان من مليك ليس له في الورى مُقاييس
أنكرُسا داسها وهُدَّت من دوسه وهو خير دايس
ومنه صارت لخير دين مدارساً أحت الكنايس
مُنْ سُلْطت جَنّه عليها وصَفَّت جَنّها النكاييس
٢١ من أجل ذا زُيّنت سرورا مصر وأُضحت رجاء آيس
وأومأت وهى فى رخاء بشفر بشر لكل بايس
والناس فى فرجة عليها كفرجة العرس بالعرايس

- لكونها نصره شراها سلطان ذا العصر بالنفائس
وبمد في رودس ستبدو وتمحقا أهلها النجائس
٣ وهو بسيف الإله نصر في عنق الشركين مايس
- ومن الحوادث الشنيعة ما وقع يوم الجمعة سابع عشره ، وهو أن القاضي بشر
أحد نواب الحنفية أخذ تدريسا في (٢٢٠ ب) المدرسة القجاسية وسكن هناك ،
٦ فلما زينت القاهرة أتى إلى بيت هناك ثلاثة مبشرين من النصارى ليتفرجوا على الزينة ،
فسكروا هناك سكرا فاحشا وتجاهروا بالمعاصي حتى خرجوا في ذلك عن الحد ، فأرسل
القاضي بشر ينهام عن ذلك ، فما سمعوا له شيئا وتزايد الحال منهم ، فجاء إليهم بنفسه
وأغلظ عليهم في القول وسبهم ، فسبوه وأخشوا في السب له ، وسبوا دين الإسلام
٩ عن ما قيل ، فأرسل القاضي بشر من قبض عليهم وتوجه بهم إلى المدرسة الصالحية ،
وحضر قضاة القضاة الأربعة ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة قبل الصلاة . فلما حضر
قاضي القضاة المالكي محي الدين بن الدميري قامت عنده البينة بما وقع من النصارى
١٢ في حق القاضي بشر الحنفي ، فتوقف القاضي المالكي في قتل النصارى ، ثم قال :
يجب عليهم الحد والعزير ، فإنهم كانوا سكارى لا عقول لهم . وكذلك قال بقية القضاة ،
١٥ فلما سمع القاضي بشر ذلك ، ورضى الدين بن الدهانة الحنفي ، كبروا على القضاة وأغلظوا
في القول على قاضي القضاة المالكي . واجتمع بالمدرسة الصالحية الجم الغفير من الأعيان ،
فهموا بأن يرجوا القضاة في ذلك اليوم ، وما حصل على قاضي القضاة المالكي في ذلك
اليوم خير من أسنة الأعيان . ثم إن بعض الأنكشارية قبض على النصارى وأخرجهم
١٨ من المدرسة الصالحية ، فلما خرجوا بهم من باب الصالحية قطعهم الأنكشارية
بالأطبار قطعا قطعا ، ثم إن النصراني الثالث أسلم وحماه بمض الأنكشارية من
القتل . فلما قطعت النصارى اجتمع السواد الأعظم من الأعيان بباب المدرسة الصالحية
٢١ وأخذوا رم النصارى وأحرقوهم تحت شباك المدرسة الصالحية ، وأطلقوا فيهم النار ،
وأخذوا (٢٢١ آ) السقايف التي على الدكاكين ووضعوهم عليهم وأشعلوهم بالنار
(٨) الحال : حال . (٢٢) وأحرقوهم : كذا في الأصل ، وتلاحظ عامة الأسلوب .

فاحترقوا وصاروا كالرماد ، فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم أشد الاضطراب حتى كادت أن تحرب ، وقصدوا العوام أن يرجعوا القضاة . وقتلوا هؤلاء النصارى وأحرقوا بالنار بغير حكم حاكم ، ولم يثبت عليهم في الشرع قتل ، وفعل ذلك الأعوام يسدهم جهلا وعدوانا .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه توجه ملك الأمراء إلى نحو الجزيرة التي تجاه الجيزة بالقرب من المقياس ، وأقام بها في ذلك اليوم على سبيل التفرّج ، فأرسل إليه القاضي بركات المحتسب هناك مدّة حافلة ، فتعدّى ملك الأمراء هناك ورسم بأن الذي فضل من المدّة يُحمل إلى القلعة ، وقد فضل من المدّة أشياء كثيرة ، ثم إن ملك الأمراء أخلع على القاضي بركات المحتسب قفطان مخمل مذهبا وشكره ما صنعه من أمر تلك المدّة .

وفي يوم الأحد سادس عشرينه فيه وقعت كايّة عظيمة للشيخ عبد المجيد ابن الطريبي ، وذلك أن ملك الأمراء تغيّر خاطره عليه بسبب أنه كان قسّط عليه الدين الذي تقدّم ذكره ، فلم يعط أصحاب الديون شيئا مما قسّطه عليه ، فشكوه إلى ملك الأمراء ثانيا ، فأرسل خلفه ، فلما حضر بين يديه قال له : ألم أقسّط عليك ذلك الدين في كل شهر وقررت ممي أنك تُرضى أصحاب الديون فلم تفعل من ذلك شيئا ؟ فلم ينطق في ذلك بحجّة ، فخنق منه ملك الأمراء فرسم بضربه ، فبُطّح على الأرض وضرب ضربا مبرحا ، حتى قيل ضرب ست نوب تبدّلت عليه حتى كاد أن يموت ، ثم وضعه في الحديد وأرسله إلى بيت الوالى ليعصره في أكمابه بحضرة أصحاب الديون ، فرق له الوالى وأرسله لسجن الديلم ، فسجن به وهو في الحديد في عنقه ، فاستمرّ في السجن بالحديد إلى أن يكون من أمره ما يكون ، وقد عجز عن وفاء ما عليه من الديون ، حتى قيل تجمّد عليه من الديون نحو سبعين ألف دينار للتجار الأروام وغيرها . وفي ذلك اليوم (٢٢١ ب) ترايد غضب ملك الأمراء على الشيخ عبد المجيد بن الطريبي حتى كاد أن يوسّطه من شدة غضبه عليه ، وكان الشيخ عبد المجيد من أعيان الناس وله برّ ومعروف ، حتى قيل كان يصنع في كل يوم

سنة أراد ب دقيق برسم الوراد عليه في المحلة ، و يعلق في كل ليلة اثني عشر أردبا من
الشعير والدسوت عمالة بالطعام ليلا ونهارا للوراد عليه من سائر البلاد ، فتجمد
عليه هذه الديون العظيمة ، وسبق كما سبق غيره من الأكابر ، ولكن يلف الله به ٣
والكريم ما يضام ، فكان أحق بقول القائل في المعنى :

لنا غم تعرف وجوه ضيوفنا تجي من مراعيها تروم الذبايح

لنا خدم ما ينبت الشعر روسها لجل القرى من أجل آت وراج ٦

وفيه رسم ملك الأمراء بشنق شخص من المماليك ، قيل هو من ممالك أمير
أخو كبير ، وقيل هو خازن داره ، وكان شابا حسنا فشق ذلك على الأراك قاطبة ،

وشنق معه في ذلك اليوم أربعة من الحرامية ، وقد تزايد شره في هذه الأيام . - ٩

وفيه أشيع بين الناس أن الأنكشارية الذين كانوا بالقاهرة وتوجهوا إلى
إسطنبول ، فلما دخلوا إلى ثغر الإسكندرية وقع بينهم هناك فتنة عظيمة وقتل منهم جماعة ،

فلما بلغ ملك الأمراء ذلك تنكّد لهذا الخبر وعين لهم الكاخية الكبير أغاثهم ، ١٢

فسافر إلى الإسكندرية في ساعته حتى يصلح بينهم ويكشف عن سبب هذه الفتنة ومن
أثارها من الأنكشارية أو من الكمولية الذين سافروا من القاهرة ، فتوجه الكاخية

إلى الإسكندرية بسبب ذلك . ١٥

وفي شهر ذي الحجة أهل يوم الجمعة ، فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك

الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - (٢٢٢ آ) وفي يوم السبت ثالثه حضر قاصد

من مكة وصحبته رأسان في علبة ، زعموا أن أحدهما رأس شخص يقال له إسكندر ، ١٨

وكان أصله من ممالك السلطان النوري ، وكان أرسله حجة التجريدة التي أرسلها إلى

بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر متملك زبيد وعدن وكرمآن ، فلما توجهوا إليه

المسكر الذين أرسلهم السلطان النوري تحاربوا معه فانكسر منهم وقتل في المعركة ٢١

فلكوا منه بلاده وأمواله ، ثم إن إسكندر المذكور ملك بلاد الشيخ عامر وتسلطن

بها ، وعصى على السلطان النوري ، وجعل له هناك أمراء وعسكرا ، وخطب باسمه

على منابر بلاد الشيخ عامر ، واستمرّ على ذلك ، ولم يدخل تحت طاعة الخوندكار
 سليم شاه بن عثمان لما ملك الديار المصرية ، ولم يخطب باسمه ولا ضرب السكة باسمه
 هناك ، فلم يزل نائب جدّة يتحيّل عليه حتى قتله وحزّ رأسه وأرسلها إلى القاهرة ،
 ٣ فرُضت على ملك الأمراء وهو بالميدان . ثم إن ملك الأمراء أشهر تلك الرأس في
 القاهرة ومعهما رأس أخرى قيل إنها رأس دواداره أو وزيره ، ثم علقت تلك الرؤوس
 على باب النصر . وكان إسكندر هذا شجاعا بطلا مقداما في الحرب قوى القلب ،
 ٦ ملك بلاد الشيخ عامر واحتوى على أمواله وفرّقها على عسكره ، وجعل له أمراء
 وحجّابا ودوادارية ، ولولا احتالوا عليه حتى قتلوه لما كانوا يقدرّون عليه من
 ٩ شجاعته وحيله .

وفيه وقع نادرة غريبة ، وهو أن حضر قاصد من إسطنبول إلى الشام ثم حضر
 إلى القاهرة ، فلما استقرّ بها أظهر مراسيم من عند السلطان سليمان وأحضر معه ذراعا
 ١٢ من الحديد يزيد على الذراع الهاشمي الذي تتعامل به أهل مصر بخمسة قراريط ،
 وأحضر معه سنج نحاس وأرطال (٢٢٢ ب) على طريقة إسطنبول ، وأشيع أن
 السلطان سليمان بن عثمان رسم بإبطال الذراع والسنج التي تتعامل بها أهل مصر ،
 ١٥ وأن التجّار وأرباب البضائع لا يتعاملون إلا بهذا الذراع وهذه السنج . فامثل ملك
 الأمراء ذلك بالسمع والطاعة ، ورسم للقاضي بركات المحتسب بأن ينادى في القاهرة
 حسبما رسم الخوندكار بإبطال الذراع الهاشمي من مصر واستعمال الذراع الإسطنبولي ،
 ١٨ فنزل المحتسب مع الوالي ونادى في القاهرة بذلك . ثم إن القاضي المحتسب كتب
 قسائم على التجّار قاطبة بأنهم لا يبيعون ولا يشترون إلا بهذا الذراع الإسطنبولي ،
 فشقّ ذلك على التجّار وأرباب البضائع ، فلما أشهر المحتسب المناداة بذلك وأن كل
 ٢١ من خالف مرسوم الخوندكار في ذلك شقّ على دكانه من غير معاودة ، ثم صارت
 رسل المحتسب تطلع إلى دكاكين التجّار التي في الأسواق وتأخذ الأذعة الحديد التي
 عندهم في الدكاكين وتكسرها وترميها على الطريق ، فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم

أشد الاضطراب ، ثم صاروا يكررون الناداة بذلك في أمر المعاملة بذلك الذراع الإسطنبولي ، واستمر ذلك في البيع والشري إلى الآن .

- وفيه وقع كاتبة عظيمة للوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية ، وكان سبب ذلك أن ٣
شخصا من الوكلاء يقال له علي الأزهرى توكل على شخص يهودى فى شغل ، فأخذ
منه فى ذلك الشغل أربعين دينارا ، وقيل خمسين دينارا ، فلما بلغ المحضر الذى فى
المدرسة الصالحية ذلك طلب على الأزهرى وسأله (٢٢٣ آ) عن ذلك ، فأنكر وقال : ٦
ما أخذت منه هذا القدر أبدا . وحلف وأقسم ، فحقق منه المحضر وأمر بضربه بين
يديه ، ثم إن المحضر طلع إلى ملك الأمراء وأخبره بأمر الوكلاء وما يصنعون ، فرسم
ياحضار سائر الوكلاء ، فاخفى منهم جماعة وقبضوا على أربعة منهم وهم : علي الأزهرى ٩
وسالم وسعود والحكرى ، فطلعوا بهم إلى القلعة وعرضوا على ملك الأمراء فاستوعدهم
بكل سوء ، ثم أرسلهم إلى بيت الوالى ، فأرسلهم الوالى إلى سجن الديلم ، فسجنوا به
إلى أن يظهروا البقية منهم . وكان الذى رافع الوكلاء وأشلا عليهم بدر الدين بن الرومى ، ١٢
وتعصب معه خير الدين نائب القلعة ، وقال لملك الأمراء : هذه الأفعال التى تفعلها
الوكلاء فى المدرسة الصالحية لا يحل ولا يجوز ذلك . فاضطربت أحوال القضاة والشهود
والوكلاء فى تلك الأيام إلى الناية . ثم إن الوكلاء الذين سجنوا فى سجن الديلم ١٥
شفع فيهم القاضى حمزة ، وقيل الأمير على أحد أمراء الخوندكار ، ثم أقامت الوكلاء
فى السجن أياما وأخرجوا منه .

- وفيه نودى فى القاهرة عن لسان ملك الأمراء بمنع الصيارف الحجازيين قاطبة ١٨
أن لا يصرفوا دينارا ذهباً ، فإنه قد أشيع عنهم أن جماعة منهم يصنعون الزغل
فى الذهب والفضة ويطيرونها على الناس فى الصرف ، فمنعوا من ذلك . - وفيه قدم
قاصد من عند السلطان سليمان يقال له قاسم بك ، وعلى يده مرسوم شريف ، فكان ٢١
من مضمونه أنه قد انتصر على الفرنج نصرة ثانية وملك منهم عدة قلاع وقد ظفر
بجماعة منهم وقتلهم ، فلما تحقق ملك الأمراء ذلك نادى فى القاهرة بالزينة فزينت ،

(١) يكررون : يكرروا . (١٥٣) الذين : الذى . (١٩) فإنه : فأن .

ووافق ذلك يوم عيد النحر ، فحصل للناس مشقة زائدة بهذه الزينة ، واشتغلوا بذلك عن الأضحية والعيد ، ووقع في ذلك اليوم مطر غزير فأقدم قاش الناس الذي زيتوا به ، وصار الوالى يبطح الناس على الأرض ويضرب الذى ما زين دكانه ، فاحصل على أحد ٣ من الناس خير . واستمرت الزينة معلقة (٢٢٣ب) إلى أن نزل ملك الأمراء وتوجه إلى بولاق بسبب ملاقة القاصد الذى حضر من البحر ، ثم توجه من بولاق وأتى من باب البحر وطلع من سوق مرجوش وشق من القاهرة وهى مزينة والقاصد صحبته ، ٦ ومشى القاضى بركت المحتسب قدّامه بعصاه إلى أن طلع إلى القاعة ، فأوقدوا له الشموع بالنهار على الدكاكين ، فاستمرّ في ذلك الموكب حتى طلع إلى القاعة ، ثم فُكّت الزينة في ذلك اليوم ومضى أمرها . ٩

وفي يوم السبت سادس عشره جلس ملك الأمراء في المقعد الذى بالحوش وطلب قضاة القضاة الأربعة ، فلما حضروا حضر القاضى حمزة قاضى ابن عثمان ، فلما تكامل المجلس تكلم ملك الأمراء مع القضاة في أمر نوابهم وما يفعلون وفي أمر الوكلاء ، ١٢ فوقع في ذلك المجلس غاية ما يكون من اللفظ . وكان القاضى حمزة في ذلك المجلس أشدّ ما يكون على القضاة ، وصار يقول لهم : نوابكم يفعلون ما هو كيت وكيت . فجاء ملك الأمراء على القضاة بكل ما فيه بسبب نوابهم ، وقد كثروا ، فتكلّم معهم ١٥ ملك الأمراء في ذلك ، فوقع الاتفاق في المجلس بأن كل قاض من القضاة الأربعة يقتصر على سبعة من النواب لا غير ، على عدد أيام الجمعة ، والقاضى من النواب يجلس في بيت قاضى القضاة في نوبته ويسمع الدعوى هناك بمفرده ، وأن القاضى ١٨ إذا عقد عقد نكاح يأخذ على تزوّج البكر ستين نصفاً وعلى تزوّج المرأة الثيب ثلاثين نصفاً فيأخذ العاقد شيئا والشهود شيئا والبقية تُحمل إلى والى القاهرة ، ولا يتزوّج أحد من الناس ولا يطلّق إلا في بيت قاض من القضاة الأربعة ، وأن الوكلاء ٢١ تبطل قاطبة من باب المدرسة الصالحية . فانقضّ المجلس على ذلك وقامت القضاة ،

(٢٠) فيأخذ : فأخذ . || تحمل : يحمل :

ف قيل لهم : امشوا على اليسق العثماني . فاضطربت أحوال القضاة والشهود قاطبة ، وبطلت أسبابهم ومشوا على هذا الحكم ، وصار مقدّم الوالى والجبليّة يأتون فى كل يوم من أيام الجمعة ، ويجلس فى بيت كل قاضٍ (٢٢٤ آ) من القضاة الأربعة إلى بـ ٣
المصر ، ويأخذ ما يتحصّل من عقود الأنكحة ويمضى بذلك إلى عند الوالى كما تقرر الحال على ذلك اليسق العثماني ، فصار الذى يتزوج أو يطلق تقع غرامته نحو أربعة أشرفية ، فامتنع الزواج والطلاق فى تلك الأيام ، وبطلت سنة النكاح والأمر لله ٦
فى ذلك .

وفيه نزل من القلعة القاضى بركت بن موسى المحتسب وأشهر الناداة فى القاهرة ، وصحبته الوالى ، بأن لا قاضى ولا شاهد يحكم فى المدرسة الصالحية ، وأن لكل قاضٍ ٩
من القضاة سبعة نواب لا غير ، يحكم كل نائب يوما فى بيت قضاة القضاة الأربعة ، ويسمع الدعوى فى باب مستنبيه ، وأن لكل نائب من نواب القضاة شاهدين لا غير ، وأن القاضى يأخذ على عقد نكاح البنت البكر ستين نصفاً ، ويأخذ على المرأة ١٢
الثيب ثلاثين نصفاً ، وأن سائر النواب والشهود بطالة عن الأحكام الشرعية ، وهذا حسب رسم به ملك الأمراء ، والشئ على اليسق العثماني . فلما سمع الناس ذلك اضطربت أحوالهم غاية الاضطراب ، ولا سيما نواب القضاة والشهود ، وحصل لهم الضرر ١٥
الشامل ، وصارت المدرسة الصالحية ليس يلوح بها قاض ولا شاهد ولا متمم ، بعد ما كانت قلعة العلماء . وفى هذه الواقعة يقول البدرى بدر الدين محمد بن محمد بن الزيتوني ، أحد نواب الشافعية وخليفة الحكم العزيز بالديار المصرية ، هذه القطعة وهى من فن ١٨
الزجل فى معنى هذه الواقعة ، وهو قوله :

اسمعوا ما جرى فى مصر وابكوا بدموع غزار

كان شعار الدين ظاهر كمثل الشمس والمجالس من الشهود فى الجالوس ٢١
شبه أقمار ترتاح إليها النفوس هم جمال الإسلام وقع القسوس
(٢٢٤ ب) اختفت ذى الشمس بظلم النهار

(٢) والجبليّة : الجبليّة . (١٩) وهو قوله : يلاحظ فيما يلى عدم انتظام الوزن فى بعض الأبيات .

وقضاة الإسلام مَحْي رَسْمهم والشهود اختفوا وضاع اسمهم
صار على المقد جالية وَسْمهم وقضاة القضاة بتر سيمهم
٣ طول الأيام مع الأمين في حصار

قَرَّروا جالية على المسلمين في العقود صارت حقيقا يقين
كل من راد الزَّواج في الدين يبق في الوالى ويفرم مَئين
٦ اعتبر يا أولى الأبصار

قلعة الدين صالحة مصر غلقوها وقد رأينا العبر
وفي هذى الأمور تحيّر الفكر كل هذا عبرة لأهل النظر
٩ يا إلهى عَجَل بأخذ النار

علماء المسلمين بالأزهر خرجوا يسألوا لن جبر
بمصحف وأعلام وجمع أكبر يرفع المظلمة فاتقمهم
١٢ عادوا يدعوا عليه صغار مع كبار

في الأحاديث قد سَطَّروا بالقلم حاش يُفْلِح مَنْ عاب وَمَنْ قد ظلم
عن قريب تسمع على أيش يقدم مَنْ يُسادى أهل العلوم يندم
١٥ من بَفَضهم قد أبفض الجبار

(٢٢٥آ) يا حلیم حکامنا بالجحود قد طفوا وأفسدوا وعدّوا الحدود
صارت الناس مَنّا عدم في الوجود بهدلوا الدّين سال الدُّمْعُ بالحدود
١٨ يا إلهى لا تكشف الأستار

الحوانيت فيها المحرّم جهار وبنات الخطا تقف بالنهار
ويقرّوم على ذى القرار والمجالس تُمنع من أهل الوقار
٢١ هذا يرضى مَنْ مِنَ الكفار

مَنْ يبيع منكر هو إلىّ طاب جالوا ماشى سبب من الأسباب

والحشيش والنبيذ والطباطاب ما ينجيه الفقر من طاق ولا من باب
قوموا نسبب نبيع لنا أمرار

٣ ضجت الناس لما رأوا ذى الحرق والغارم وما حدث في الفسق
واستباحوا النكاح بهذا اليسق وفسد حالهم وزاد الحقن
قالوا : ما نقدر نطيق هذا العار

٦ سادس العشر شهر ذى الحجة عام سبعة عشرين جرت ضجة
ثاني عشرينه حصل وهجه للشهود والقضاة بلا حجة
ينصر الله الدين على الكفار

٩ وهذه القطعة الزجل مطولة وهذا ما وقع عليه اختياري منها . - (٢٢٥ب) ومن
الحوادث ما وقع في أواخر هذا الشهر ، وهو في يوم الأحد سابع عشره ، أخلع ملك
الأمراء على شخص يسمى جمال الدين يوسف بن أبي الفرج ، ويعرف بابن الجاكية ،
وهو ابن محمد الذي كان نقيب الجيش من أولاد ابن أبي الفرج ، واستقر به في وظيفة
١٢ تسمى مفتش الرزق ، فلما قرّر في هذه الوظيفة أخذ حذره منه سائر أعيان الناس ،
ودخلت رأسهم منه الجراب . فلما استقر نادى له ملك الأمراء عن لسانه حسبما رسم
ملك الأمراء بأن لا أحد من الناس يحتمى على الأمير جمال الدين يوسف بن أبي الفرج
١٥ ولا يعارضه ، وأنه مسموع الكلمة وافر الحرمة . فلما جرى ذلك طغى يوسف
ابن أبي الفرج وتجبر ، وصار على بابه الجمّ الفقير من الرسل والبرددارية ، وصار
يطلب أعيان الناس من رجال ونساء بالرسل الفلاظ الشداد ، فإذا حضروا إلى بابه
١٨ ومعهم مكاتيبهم ومرتعاتهم ، فإذا قرأها يبغش لهم فيها بمجنش ويقول لهم : اوروني
أصول ذلك وأصول أصول لهم ، فإذا عجزوا عن ذلك يرسلهم إلى بيت القاضي الحنفى
ويشهد عليهم أن لا حقّ لهم في هذه المكاتب ولا استحقاق ، يأخذ منهم ما معهم
٢١ من المكاتب والمرتعات ويمضوا خائبين ، فيطلع بالمكاتب والمرتعات إلى ملك

(١٩) مكاتيبهم : مكاتيبهم . اا يبغش ... مجنّش : كذا في الأصل .

(٢٠) مجزوا : عززوا .

الأمراء . ففعل من هذا النمط بجماعة كثيرة من أعيان الناس ، فأخذ من الجمالي يوسف نقيب الجيش بن الشرفي يونس نقيب الجيش سبع عشرة رزقة بمكاتيب شرعية ، وحذف عليه ملك الأمراء فطلب ما عنده من المكاتيب جميعها فطلع له بها ، وفعل بجماعة كثيرة من أعيان السقات ومشاهير أولاد الناس (٢٢٦ آ) مثل ذلك ، والأمم إلى الله تعالى .

وفيه حضر مركب من الأعربة التي كان عمرها ملك الأمراء وأرسلها صحة جماعة من الأروام ومن المناربة البحارة ، فلما دخلوا إلى البحر الملح وجدوا جماعة من الفرنج يتعبتون في سواحل البحر الملح ، فأتقمو معهم وقاتلوه ، فانكسروا الفرنج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتووا على مراكبهم ، فوجدوا فيها بضائع وجوخ وأصناف فاخرة ، فأخذوا جميع ما كان فيها ، وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوه في الحديد وأرسلوه إلى ملك الأمراء . فلما عرضوا عليه رسم بتوسيطهم فوسطوا منهم تسعة عشر رجلا وسجنوا الباقين ، وأخذ ملك الأمراء جميع أموالهم . ثم تبين من بعد ذلك أن هؤلاء كانوا تجارا أتوا من بلاد الفرنج ، فلما رأوهم قاتلوه فانكسروا وأسروا ، وأخذت جميع أموالهم وأشيع أنهم كانوا يتعبتون في سواحل البحر الملح .

وفيه قدم جماعة من إسطنبول ممن كان أسر من أهل مصر في أيام سليم شاه ابن عثمان ، فحضر علم الدين جلبي السلطان الغوري ، وحضر عقيب ذلك المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش كان ، وهو ابن المقر الجمالي يوسف ناظر الخاص ، وحضر كمال الدين برددار الأمير طراباي ، وحضر الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحل ، وحضر الناصري محمد بن العلوي على بن خاص بك ، وحضر القاضي شمس الدين محمد الحجازي أحد نواب الشافعية ، وحضر آخرون من الأسراء ما يحضرني أسماؤم الآن . - وفي يوم الخميس ثامن عشرينه قدم مبشر الحاج من مكة وأخبر بالأمن والسلامة عن الحجاج ، وأخبر أن الفلاء معهم موجود في سائر الفلال والمأكولات قاطبة ، وأخبر بموت الجمال مع الحجاج ، فأخلع عليه ملك الأمراء ونزل إلى داره .

(٣) وحذف : كذا في الأصل ، ويلاحظ الإملاء العامي . (٢٠) أسماؤم : أسمايم .

- وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير وسلامة ، وكانت سنة مباركة وقع (٢٢٦ ب) فيها الرخاء في سائر الغلال قاطبة ، بعد ما كان تناهى سعر القمح إلى نحو أربعة أشرفية . وكان فيها النيل عالياً عمّ سائر أراضي مصر من سهل لجبل ، وثبت ثباتاً جيداً إلى أواخر بابه . ومن محاسن هذه السنة خرجت عن الناس ولم يقع فيها الطاعون بالديار المصرية ، ولا في شيء من أعمالها قاطبة . ولكن وقع في أواخر هذه السنة حوادث مهولة ، منها عصيان الأمير جان بردى الغزالي نائب الشام وقتله ، وما وقع بالشام من الاضطراب ، فكان من ملخص واقعة الأمير جان بردى الغزالي أنه لما استقرّ به السلطان سليم شاه في نيابة الشام ، أقام بها مدة وهو تحت طاعة السلطان سليم شاه في الظاهر وفي الباطن بخلاف ذلك ، فلما توفي السلطان سليم شاه وولى بعده ابنه السلطان سليمان على مملكة الروم ، أظهر النزالي العصيان جملة واحدة ولم يدخل تحت طاعة السلطان سليمان بن عثمان ، فقاموا عليه أهل الشام من الأمراء والعسكر والعربان والعشير ، وقالوا له : قم وتسلطن فما بقي قدّامك أحد تخشى منه ، ونحن نقاتل معك إلى أن نُقتل . فاستمال لقولهم وطاش وخفّ ، وكم عجلة أعقبت ندامة ، فتسلطن بالشام وتلقّب بالملك الأشرف أبي الفتوحات ، وقبّلوا له الأرض ، وخطب باسمه في جامع بنى أمية وعلى بقية منابر دمشق .

- ١٥ فلما تسلطن قالوا له : امضى إلى مصر وحارب خير بك واملك منه مصر . فقال لهم : إن مصر في قبضة يدي ولكن أتوجه إلى حلب وأخلصها من أيدي العثمانية ، فما يبقى خلفي التفاتة ، ثم أتوجه إلى مصر . ولو أتى إلى مصر قبل حلب لكان خيراً له ، وكان العسكر من المماليك الجراكسة وأهل مصر والعربان قاطبة يقلبون على ملك الأمراء خاير بك ويمضون إليه فإنه كان محبباً للرعية . فلما توجه الغزالي إلى حلب ليمسكها فحاصر أهلها وأحرق غالب الغنياع (٢٢٧ آ) التي حولها ، وحصل منه الضرر الشامل ٢١ لأهل حلب ، فلما حاصر مدينة حلب لم يقدر عليها وعجز عن ذلك . وكان الأمير جان بردى الغزالي أول ما توفي السلطان سليم شاه وولى بعده ابنه سليمان ، أرسل يقول

للك الأمرأ خاير بك في السرّ بينه وبينه : اتسلطن أنت بمصر ، وأستمرّ أنا بالشام ،
وأحكم من الفراءة إلى غزة ، ونطرد هذه العثمانية عن مملكة مصر . فلما وقف خاير بك
على مطالعة الغزالي أفشى سرّه ، وكان الغزالي أرسل يقول لخاير بك : إن لم تتسلطن
أنت فعندى من يتسلطن . فأراد خاير بك أن يتنصّح للسلطان سليمان فأرسل له
مطالعة الغزالي التي أرسلها إليه في السرّ ، فلما وقف السلطان سليمان على مطالعة الغزالي
أرسل يقول لخاير بك : لا تخرج أنت من مصر إلى الغزالي فنجن نكفيك مؤنته .
ثم إن السلطان سليمان أرسل تجريدة إلى الغزالي نائب الشام ، فجهّز له من العساكر
العثمانية نحو أربعة عشر ألف مقاتل ، فخرجوا من إسطنبول على حمية وتوجّهوا إلى
دمشق ، فالتقوا مع الغزالي على حلب ، فانكسر منهم وتوجّه إلى حماة وحمص ،
فالتقوا معه هناك فانكسر منهم فتوجّه إلى دمشق ، فكان بين الفريقين وقعة مهولة
على القابون خارج مدينة دمشق ، فقتل من عسكر الغزالي هناك ما لا يحصى من عربان
وأكراد وتركمان ومماليك جراكسة ومن أهل دمشق ، حتى قيل قُتل في المعركة من
أهل دمشق شيوخ وشبان وأطفال ، ومن سوقة دمشق ، وكانت هذه الحادثة تقرب
من واقعة تيمورلنك لما دخل إلى دمشق ، وقد خرب في واقعة الغزالي ثلث دمشق
من ضياع وحارات وأسواق وبيوت ، وتمت الكسرة على الغزالي فهرب واختفى ،
وقيل بل قبض عليه في المعركة وقتل وحُزّت رأسه وبُعِثت إلى إسطنبول ومضى أمره .
وإلى الآن تشكّ جماعة من الناس في قتله ويقولون : (٢٢٧ ب) ما قتل وهو باق
في قيد الحياة وأنه هرب إلى عند الصوفي بعد وقوع المعركة . والأصح أنه قتل
في الوقعة التي كانت على القابون ، ووقع للناس الشك في قتله كما وقع لهم في قتلة
قانسوة خمسمائة من الشك .

ووقع في هذه السنة من الحوادث وهو حرق النصارى على باب المدرسة الصالحية ،
وقد تقدّم خبر هذه الواقعة . ومن الحوادث ما وقع للشيخ عبد المجيد بن الطرّبني
وقصته مشهورة . ومن الحوادث منع الوكلاء من باب المدرسة الصالحية ، ومنع

- الشهود من الجلوس في الحوانيت ، وعزل نواب القضاة الأربعة واقتصارهم على سبعة نواب لكل قاض من غير زيادة على ذلك . ومنها واقعة العقود وما تقرر على تزويج البكر ستين نصفاً والامراة الثيب ثلاثين نصفاً ، وقد تقدم القول على ذلك فكان ذلك ٣ من أشد الكُرب على المسلمين . ومنها جلوس مقدم الوالى والجبليّة على أبواب قضاة القضاة من باكر النهار إلى آخره ليأخذوا ما يتحصّل من عقود الأنكحة ، ويمضون بذلك إلى بيت الوالى ويسمّون ذلك اليسق العثاني، ولا يتزوّج أحد من الناس ولا يطلق إلا في باب قاض من القضاة الأربعة ، فضيقوا على المسلمين غاية الضيق .
- ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمراء أخلع على شخص يقال له جمال الدين يوسف بن أبي الفرج ، ويعرف بابن الجاكية ، وقرّره في وظيفة وسمّاه مفتش الرزق الجيشية ، فلما استقرّ في هذه الوظيفة أطلق في الناس النار ، ورافع الشهابي أحمد ابن الجيعان بأنّه أخذ من ديوان الجيش أقطاع سلطانية ورزق جيشية ، وصنع لها مكاتيب شرعية بمشترى من بيت المال وأباعها على الناس ، ورافع أيضا الزيني ١٢ (٢٢٨ آ) أبا بكر بن الملّكي بمثل ذلك ، حتى تسكّم في حقّ المقرّ الشهابي أحمد بن الجيعان بأنّه ابتاع من ديوان الجيش رزق وإقطاعات صنع لها مكاتيب شرعية وابتاعها على الناس بنحو عشرين ألف دينار ، وأظنّ أن هذا الكلام ليس بصحيح وهذا ١٥ باطل لا محالة . فتغيّر خاطر ملك الأمراء على المقرّ الشهابي أحمد بن الجيعان وصار إذا طلع إلى القلعة لا يخاطبه أصلا ، ورسم للزيني أبي الوفا الحلبي ، موقع ملك الأمراء من حين كان بحلب ، بأن يقرأ عليه القصص عوضا عن الشهابي أحمد بن الجيعان ، ١٨ فمظّم أمر الزيني أبي الوفا الموقع في هذه الأيام جدا ، حتى صار في مقام من تقدم من كُتاب السرّ ، وصار من أعيان الرؤساء بالديار المصرية .
- ثم إن الجمالي يوسف بن أبي الفرج أخذ من الناصري محمد بن خاص بك رزقتين ٢١ بمكاتيب شرعية ، فطعن في مكاتيبه وقاله : أصل هذه الرزق كانت أقطاع سلطانية . فأخذ منه المكاتيب وأشهد عليه لا حقّ له فيها وطلع بها إلى ملك الأمراء . وصار يفعل من هذا النمط بجماعة كثيرة من الناس من رجال ونساء ، ويأخذ مكاتيبهم من ٢٤

أيديهم ويشهد عليهم أن لا حق لهم فيها ويطلع بالمكاتيب إلى ملك الأمراء ، فأطلق
في الناس حمرة نار وضجّ منه الناس قاطبة ، حتى قيل أخذ من أيدي الناس فوق من
ثمانين رزقة بمكاتيب شرعية وطلع بها إلى ملك الأمراء ، وحصل للناس منه الضرر
الشامل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

وما اكتفى ملك الأمراء بيوسف بن أبي الفرج في أفعاله بالناس حيث جعله
مفتش الرزق الجيشية ، فجعل الأمير على العثماني مفتش الأوقاف أيضا من بلاد وبيوت
وغير ذلك ، (٢٢٨ ب) فاجتمع على بابہ الرسل الفلاظ الشداد والبرددارية ،
وصاروا يطلبون الناس أصحاب الأوقاف ، فإذا حضروا معهم مكاتيبهم فيخيشون عليهم
ويقولون لهم : إيش على هذا الوقف مصاريف ، وإيش متحصّله في كل سنة ؟
فيدعون أصحاب الأوقاف في الترسيم ويقرّرون عليهم مبلغا ثقيلا للأمر على هو ودواداره
والبرددار والرسل ومن عنده من المباشرين ، ويكتبون له على مكتوبه : عرض ، ثم
يطلقونه بعد أن يلتهب من الغرامة فوق ما لا يطيق ، فصار الأمير على متكما على
فرع من أبواب المظالم المهولة ، ويوسف بن أبي الفرج متكما على فرع من أبواب
المظالم المهولة ، فأطلقا في الناس النار الموقدة . وأقول : إن أولاد ابن أبي الفرج من
عمرهم بيت ظلم وعسف ، وطبهم الأذى هم وأجدادهم من أيام الملك الناصر فرج
ابن الظاهر برقوق ، وقد تقدم القول على ذلك .

ومن الحوادث في أواخر هذه السنة أن ملك الأمراء جَهّز مراكب أغربة ، وفيها
عدّة جماعة من المقاتلين ، فتوجّهوا إلى البحر الملح ، وقد بلغه أن جماعة من الفرنج
يتعبثون في السواحل على المسافرين ، فلما توجّهوا إلى البحر الملح وجدوا مراكب
فيها تجار من الفرنج ومعهم بضائع بنحو خمسين ألف دينار ، فتقاتلوا معهم فانكسروا
الفرنج وقبضوا عليهم واحتاطوا على ما معهم من البضائع . فلما حضروا إلى مصر
وعرّضوا على ملك الأمراء رسم بضرب أعناقهم ، وكانوا نحو تسعة عشر إنسانا من

(٨) فيخيشون : فيخيشوا . (١٠) فيدعون : فيدعوا . اا ويقررون : ويقرروا .

(١٢) يطلقونه : يطلقوه .

الفرنج ، فراحوا ظلما وأخذت أموالهم ، وربما يثور من هذه الحركة فتنة كبيرة بين
الفرنج وبين أهل مصر بسبب ذلك ، ويعنمون التجار من المرور في البحر الملح
ويقتلونهم كما فعلوا بالفرنج (٢٢٩ آ) المقدم ذكرهم . - وفي هذه السنة قتل ملك
الأمراء من الناس ما لا يحصى عددها بتوسيط وشنق وخوزقة ، وأكثرها راح ظلما
والأمر لله تعالى . - انتهى ما أوردناه من حوادث سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

٦ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وتسعمائة

فيها في المحرم كان مستهل يوم الأحد المبارك ، فيه طلع القضاة الأربعة وهنوا
ملك الأمراء بالعام الجديد ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفي هذا الشهر ترايد ظلم الجملی
يوسف بن أبي الفرج ، وفك في الناس فتكا ذريما ، وكثر على بابہ الرسل
والبردارية ، وصار يطلب أعيان الناس من كبير وصغير فيحضرون معهم مكاتيبهم ،
فلم يلتفت إلى ما في المكاتيب ويأخذهم من أيدي أصحابهم غصبا ، ويشهد عليهم
لا حق لهم فيها ولا استحقاق ، ويطلع بها إلى ملك الأمراء . واستمر على ذلك
١٢ يتزايد في ظلمه الشنيع كل يوم حتى ضج منه الناس ، والأمر لله تعالى . - وفيه توفى
الشهابي أحمد بن القماري ، وكان من مشاهير أولاد الناس ، وكان أمير شكار ،
وقد ترحل حاله في أواخر عمره ومات فقيرا .

١٥ وفي يوم الخميس خامسه حضر جماعة من إسطنبول ممن كان السلطان سليم شاه
أمرهم وأرسلهم إلى إسطنبول ، فحضر بهاي الدين بن البارزي ، وجلال الدين ابن
الخواجي بدر الدين حسن الشبراوي ، وحضر الخواجي يحيى بن عبد الكريم اللبدي
١٨ المغربي من تجار جامع ابن طولون ، وحضر آخرون ممن كان بإسطنبول .

وفي يوم السبت سابعه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى تربة العادل التي
بالريدانية وجلس هناك على المصطبة ، وكان صحبته القاصد الذي حضر بالأمس ،
٢١

(٢) ويعنمون : ومعنوا .

(٣) ويقتلونهم : ويقتلهم .

(١٠) فيحضرون : فيحضروا .

- فقد له (٢٢٩ ب) هناك مدة حافلة وأحضر سقورا وكلابا سلاق ، وأرى قدام القاصد رماية هناك ، وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية . فبينما هو على ذلك وإذا بجماعة من العلماء والفقهاء من مجاورين جامع الأزهر وكانوا نحو مائة إنسان من طلبة العلم ، فقال ملك الأمراء : ومن هؤلاء ؟ فقيل له : جماعة من فقهاء جامع الأزهر لهم حاجة عند ملك الأمراء . فقال يحضر عندي جماعة من أعيانهم . فحضر بين يديه : الشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي ، والشيخ شمس الدين محمد المروف بالديروطي الشافعي ، والشيخ شهاب الدين أحمد الرملی ، والدنجلي الشافعي ، والشيخ شهاب الدين أحمد ابن الجلبی ، وآخرون من العلماء . فلما اجتمعوا قالوا : يا ملك الأمراء قد أبطلتوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر النكاح ، وصرتوا تأخذوا على زواج البكر ستين نصفاً وعلى زواج المرأة ثلاثين نصفاً ، ويتبع ذلك أجرة الشهود ومقدمين الوالى وغير ذلك ، وهذا يخالف الشرع الشريف ، وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خاتم فضة وعلى ستة أنصاف فضة ، وعقد على آية من كتاب الله تعالى ، وقد ضمف الإسلام في هذه الأيام ، وتجاهرت الناس بالمعاصي والنكرات وتزايد الأمر في ذلك . ثم ذكروا له آيات من كتاب الله تعالى ، وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلتفت ملك الأمراء إلى شيء من ذلك ، وقال للشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي : اسمع يا سيدى الشيخ (٢٣٠ آ) إيش كنت أنا ؟ الخوندكار رسم بهذا . وقال : امشوا في مصر على اليسق العثماني . فقال له شخص من طلبة العلم يقال له الشيخ عيسى المغربي : هذا يسق الكفر . فحنق منه ملك الأمراء فرسم بتسليمه إلى الوالى يعاقبه ، فتوجهوا به إلى بيت الوالى ثم شفع فيه بعض الأمراء .
- وفى عقيب ذلك اليوم توجه إلى ملك الأمراء جماعة من التجارين والقلاطية ، ومعهم أعلام وعلى رؤوسهم مصاحف وهم يستغيثون الله ينصر السلطان سليمان بن عثمان ، فظن ملك الأمراء أنهم من فقهاء جامع الأزهر ، ثم تبين أنهم تجارون

(١) سقورا : سقور . (٣) مجاورين : كذا في الأصل .

(١٠) ومقدمين : كذا في الأصل .

وقلافة أتوا يشتكون في الشاذ على المراكب الذي عمرها ملك الأمراء في الروضة بأنه قد ظلمهم وجار عليهم ، فلما كثر منهم الضجيج رسم ملك الأمراء لمن حوله من الأنكشارية بضربهم ، فقتلتوا أجمعين .

٣

فلما طال المجلس بين ملك الأمراء وبين مشايخ العلم الذين حضروا ، فكان من جوابه للشيخ شمس الدين اللقاني المالكي : يا سيدي الشيخ أنا أخاف على رقبتي أكثر من أرقابكم ، امضوا باسم الله . فقاموا من عنده وهم في غاية القهر ، يتعثرون في أذيالهم ، ولم يلتفت إلى أقوالهم ، فقال له بعض الفقهاء الذين حضروا : نحن نسافر إلى السلطان سليمان نصره الله تعالى ، ونخبره بما يفعل في مصر . فتنكّد ملك الأمراء في ذلك اليوم بعد ما كان منشرحا ، ثم قام من هناك وطلع إلى القلعة ، وخرج القاصد من هناك وتوجّه إلى السفر من يومه وسافر إلى إسطنبول . فلما رجعوا الفقهاء من عند ملك الأمراء ، قامت الأشلة والدائرة على ملك الأمراء ، وكثر الدعاء عليه بسبب عقود الأنكحة ، وقصدوا يغلقون أبواب الجوامع والمساجد .

١٢

فلما جرى ذلك أرسل ملك الأمراء الزيني أبا الوفا الموقع يأخذ بخاطر الشيخ شمس الدين اللقاني ، فقال له : لا تؤاخذ ملك الأمراء فإنه لم (٢٣٠ ب) يكن يعرفك . وأرسل على يدي الزيني أبي الوفا الموقع مائتي دينار وأربعة بقرات ، ففرقت على مجاورين جامع الأزهر ، وأرسل مثل ذلك إلى مقام الإمام الشافعي والإمام الليث ابن سعد رضي الله عنهما ، وأرسل مثل ذلك [إلى] الزوايا التي بالقرافة ، وإلى مزار السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وغير ذلك من الزوايا والمزارات والمساجد ، وقصد أن يستجلب خواطر العلماء والفقهاء بما فعله من الأفعال الشنيعة ، ليححو ذلك بذلك ، وهذا من المحالات . فكان كما يقال في المعنى :

جفاء جرى جهرا لذي الناس وانبسط وعُذر أتى سرا فأكد ما فرط
ومن ظن أن يححو جلّ جفائه خفي اعتذار فهو في غاية الغلط

٢١

(١) يشتكون : يشتكوا . (٧ و ٤) الذين : الذي . (١٦) مجاورين : كذا في الأصل .

(١٩) ليححو : ليمحوا . (٢٢) يححو : يمحوا .

وفي يوم الاثنين سادس عشره تنق ملك الأمراء على الممالك الجراكسة ، وكان لهم خمسة أشهر جامكية منكسرة ، وقد ضاع عليهم عقيق أربعة أشهر ، فنفق عليهم ٣ في ذلك اليوم شهرين وآخر لهم ثلاثة أشهر ، فأضرّ ذلك بحالهم . فلما اجتمع المسكر ليقبض الجامكية في الميدان ، فنزل لهم المقر الشهابي أحمد بن الجيعان والقاضي بركات المحتسب وابن أبي أصبع ، فقالوا للممالك الجراكسة : ملك الأمراء يقول لكم إنه ٦ مسافر بعد الربيع ، فالذى له قدرة على السفر يعمل يرقه ، والذي ما له قدرة على السفر لا يأخذ جامكية ويقعد يستريح . فلما سمع المسكر ذلك اضطربت أحوالهم ، ثم إن ملك الأمراء جلس في شباك الدهيشة وأرسل خلف الممالك الجراكسة ، فلما طلّعوا ٩ ووقفوا بين يديه استدعاهم واحدا بعد واحد ، وصار يختار من كل عشرة ممالك واحدا ، الذى يجده شابا وله قدرة (٢٣١ آ) على السفر فيقيه على جامكيته ، والذي يجده من الشيوخ العواجز يوقف جامكيته ، فأبطل في ذلك اليوم نحو ألف مملوك من الممالك الجراكسة وأولاد الناس وغير ذلك ، وفيهم من هو من الأعوات من ممالك الأشراف قايتباي ، فزادت قسوته في ذلك اليوم عليهم .

ومما وقع في ذلك اليوم من النوادر الغريبة أن ملك الأمراء لما عرض الممالك الجراكسة ، فصار كل من رآه من الممالك لحيته طويلة يقصّ منها نحو نصفها ١٥ ويعطيها له في يده ، ويقول له : امشوا على القانون العثماني في قصّ اللحاء ، وتضييق الأحكام ، وكلما يفعلونه العثمانية . فنزلوا الممالك الجراكسة من القلعة في ذلك اليوم ١٨ وهم في غاية النكد مما جرى عليهم من كسر قلوبهم . وكان سبب قطع جوامك جماعة من الممالك الجراكسة أن الديوان كان يومئذ في غاية الانشجحات ، وقد كثر المسكرو صار المال يقسم على سبعة طوائف من المسكر ، ما بين أمراء عثمانية ، وطائفة من الأصهبانية ، ٢١ وطائفة من الأنكشارية ، وطائفة من الكمولية ، وطائفة من الأمراء الجراكسة ، وطائفة من الممالك الجراكسة ، وممالك ملك الأمراء طائفة سابعة ، فكان يصرف في كل شهر لطائفة الأصهبانية أحد عشر ألف دينار ، ويصرف لطائفة الأنكشارية في كل شهر

- ثلاثة عشر ألف دينار ، ويصرف لطائفة الكمولية في كل شهر أحد عشر ألف دينار ، ويصرف لطائفة المالك الجراكسة وأولاد الناس في كل شهر أحد عشر ألف دينار ، ويصرف للمالكة وعلى خدامه وحاشيته وغير ذلك مما عليه من الرواتب في كل شهر ثلاثة عشر ألف دينار ، وذلك خارجا عن جوامك الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة ، والمترددين من القصاد العثمانية وغير ذلك ، فموجب هذا وقع الانشحات في تأخير الجوامك وكسرها بالأشهر . وكان السلطان النوري لا يستعين على سدّ الجوامك في كل شهر إلا بكثرة المصادرات للتجّار وغير ذلك من مساير الناس وأعيانهم ، فكان يسدّ من مظالم العباد ويصير (٢٣١ ب) ثم ذلك عليه .
- وفيه أشيع أن ملك الأمراء قد تغيّر خاطره على خوند مصر باي الجركسية وأزّلها من القلعة ، ورسم لها بأن تسكن في مدرسته التي يباب الوزير ، ورتّب لها في كل شهر ما يكفيها من النفقة . وكان سبب ذلك بلغ ملك الأمراء قدوم زوجته أم أولاده من إسطنبول ، وقد أتت محبة الأمير جانم الحزاوي من إسطنبول ، فاختار بأن تكون صاحبة القاعة عوضا عن خوند مصر باي ، فشق ذلك على خوند مصر باي .
- وفي يوم الخميس تاسع عشره أكل ملك الأمراء تفرقة الجامكية على المسكر وأوقف جوامك جماعة كثيرة من المالك الجراكسة . ومن أولاد الناس ومن المواجز والشيوخ ، وقال للذي أصرف لهم الجوامك : كونوا على يقظة واعملوا برفعكم بأن الخوندكار يرسل يطلبكم على حين غفلة . فقالوا كلهم : السمع والطاعة . ونزلوا على ذلك . - وفيه أشيع أن الأمير فرحات العثماني نائب طرابلس استقرّ في نيابة الشام عوضا عن إياس الذي كان بها ، وتوجه إياس إلى إسطنبول ، فصار الأمير فرحات بيده نيابة الشام وطرابلس .
- وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة ، ودخل الأمير جانم أمير ركب الحمل ومحبته الحمل الشريف ، ثم أشيع أن الحاج قد قاسى في هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء ومن موت الجمال . ولما طلع من العقبة اشتدّ عليه البرد هناك

- والرياح العاصفة ، فأت من الحجاج ما لا ينحصر ، حتى قيل مات منهم من العقبة حتى دخلوا القاهرة نحو من ثمانين إنسانا ، ودخل الباقون مرضاء من شدة البرد (٢٣٢ آ) العاصف المضرّ بالأجساد . ولما دخل الحاج أشيع موت الأمير بكباى الذى كان ولى مشيخة الحرم النبوى . وأشيع موت شخص من الأمراء العثمانية كان أغات الأنكشارية ، توفى لما دخل إلى المدينة الشريفة ودفن بالبقيع ، وكان من خيار العثمانية .
- ٦ وأشيع قتل الأمير مُقرن أمير عربان بنى جَبَر ، متملك جزيرة بين النهرين إلى بلاد هرمز الأعلى ، وكان أميراً جليل القدر معظماً مبعجلاً فى سعة من المال ، وكان مالمسكى المذهب سيّد عربان الشرق على الإطلاق ، وكان أتى إلى مكة وحجّ فى العام الماضى ، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر الخام والعود القهارى والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة ، قيل إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدّق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار . فلما حجّ ورجع إلى بلاده
- ١٢ لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه ، فانكسر الأمير مُقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه ، فسألهم بأن يشتري نفسه منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج من ذلك وقتلوه بين أيديهم ، ولم يبق عنه ماله شيئاً ، وملكوا منه جزيرة بين النهرين ، وملكوا قلمتها التى هناك ، واستولوا على أموال الأمير مُقرن وبلاده ، وكان ذلك من أشدّ الحوادث فى الإسلام وأعظمها ، وقد تزايد شرّ الفرنج على سواحل البحر الهندى ، والأمر لله تعالى . ولما رجع الحاج أننى على الأمير جانم أمير الحاج بكلّ جميل فى حفظه
- ١٨ للحاج ومنع الضرر عنهم ، وغير ذلك من أنواع البرّ والمعروف .
- وفى شهر صفر كان مستهلّه يوم الاثنين ، فطلع القضاة إلى القلعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم . - وفى يوم ثالثه خرج الأمير (٢٣٢ ب) قايتباى الدوادار وجماعة من الأمراء الجراكسة إلى ملاقاته الأمير جانم الجزاوى ، الذى كان توجه إلى إسطنبول وصحبته مقدمة حافلة إلى السلطان سليمان بن عثمان ، أرسلها ملك الأمراء خاير بك إليه على يدى الأمير جانم كما تقدم ، فأكرمه وأحسن إليه
- (١٤) ولم يبق : ولم يبق .

وقبل منه تلك التقدمة ، فأقام بإسطنبول مدة ثم رسم له بالعود إلى مصر . فلما بلغ
الأمراء قدومه إلى مصر خرجوا إليه قاطبة ، وخرجت إليه أعيان الباشرين قاطبة ،
وجميع مشايخ العربان والكشاف والمدركين قاطبة .

٣

فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر صفر وصل الأمير جانم الحزاوي إلى خاتمة
سرياقوس ، فدفن هناك له القاضي بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة ، هذا بعد أن
لاقاه من الصالحية . وأشيع أن حضر صحبة الأمير جانم الحزاوي حريم ملك الأمراء
الذي كان بإسطنبول من حين ملك السلطان سليم شاه الديار المصرية ، فلما ولي السلطان
سليمان ولده على مملكة الروم رسم بعود حريم ملك الأمراء إليه وأولاده ، فلما
حضرت زوجة ملك الأمراء طلعت إلى القلعة تحت الليل على المشاعل والفوانيس
وهي في محفة ، فلما طلع النهار طلع إليها سائر المغاني يهنئونها بالسلامة . ثم إن الأمير
جانم رحل من الخانكاه وتوجه إلى تربة العادل فبات بها .

فلما كان يوم السبت ثالث عشره صلى ملك الأمراء صلاة الفجر ونزل من القلعة
وتوجه إلى تربة العادل التي بالريدانية ، فجلس على المصطبة التي هناك وسلم على الأمير
جانم الحزاوي ، ثم أحضرت إليه الخلعة التي أرسلها إليه السلطان سليمان بن عثمان
باستمراره على نيابة مصر عوضا عنه ، فقام ولبسها وقبل الأرض إلى نحو القبلة ،
وكانت الخلعة تماسيح مذهب على أحمر . ثم قصد الدخول من باب النصر وشقوق
القاهرة ، فاصطفت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، (٢٣٣ آ) وأوقدت له
الشموع على الدكاكين ، وعُلقت له القناديل في الثريات ، ولم تزين له القاهرة في ذلك
اليوم ، وكان سبب ذلك أن بلغ ملك الأمراء أن السلطان سليمان قد مات له ولد ذكر
مراهق ، فنع الزينة بسبب ذلك .

فلما وصل إلى قبة يشبك الدوادار لاقته الأمراء الجراكسة والعسكر من المالك
الجراكسة قاطبة ، ولاقته قضاة القضاة الأربعة ، وهم كمال الدين الطويل الشافعي
ونور الدين علي الطرابلسي الحنفي ومحيي الدين الدميري المالكي وشهاب الدين أحمد

- الحنبل الفتوحى ، ولافته الأمراء العثمانية وهم الأمير على والأمير خير الدين نائب القلعة
والأمير نصوح والأمير شيخ ، وغير ذلك من الأمراء العثمانية ، وخرج إليه طائفة
الأصبهانية وأمرائها ، والكواخى من أغوات الأنكشارية ، ومشت قدامه
الأنكشارية قاطبة والكمولية قاطبة وهم يرمون بالنفوط ، ولقاءه أعيان الشرقية وهم
الأمير أحمد بن بقر أمير طائفة جُذام وأمير الرايتين وولده الجذامى ، ومشايخ عربان
الغربية وهم حسام الدين بن بغداد من مشايخ عربان الغربية ، وشيخ العرب واصل بن
الأحذب أمير هواره ، وشيخ العرب إسماعيل بن أخى الجويل وشيخ العرب خُريفش ،
وآخرون من مشايخ عربان الشرقية والغربية ، ومشت قدامه النصارى بالشموع الموقدة ،
ودخل الأمير جانم الحزراوى وعليه خلمة السلطان سليمان بن عثمان وهى تحمل مذهب .
فلما دخل من باب النصر نزل القاضى بركات بن موسى عن فرسه ومشى بالمصا
قدام ملك الأمراء من باب النصر إلى أن طلع إلى القلعة ، وكذلك الجالى يوسف
تقيب الجيش ، ولافته الشعراء بالدف والشبابة السلطانية ، فلما وصل إلى المدرسة
الناصرية ثر عليه الحلوانى الذى هناك شيئا من الفضة فقال له ملك الأمراء : نعمة ،
نعمة ، كثر الله خيرك . فلما وصل إلى باب سوق الوراقين أطلقوا له بحامر البخور
بالمود القهارى ، وتركزت له الطبول والزمر والمغانى النساء فى عدة أماكن فى القاهرة ،
وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، ووُقدت له الشموع على عدة (٢٣٣ ب)
دكاكين ، ولاسيا تجار الوراقين فإنهم أوقدوا له موكبيات شمع كبار ، وصار ملك
الأمراء يسلم على الناس لما يمر عليهم يمينا وشمالا ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء من
الناس قاطبة . وكان الأمير جانم الحزراوى قدامه وعليه خلمة السلطان سليمان ، وعن
يمينه الأمير قايتباى الدوادر ، وعن يساره الأمير أرزمك الناشف ، وأعيان المباشرين
قدامه .

ودخل صحبة الأمير جانم الحزراوى جماعة من الأعيان ممن كان أسر من مصر

(٦) واصل : وواصل . (٧) الجويل : الجولى : (١٥) وتركزت : وتركز .

(تاريخ ابن لياس ج ٥ - ٢٨)

- وتوجه إلى إسطنبول من أيام السلطان سليم شاه ، فلما مات وولى ولده السلطان سليمان
أذن للأسراء بالعود إلى مصر ، فمَدَّ ذلك من جملة محاسنه وعدله وفعله الحسن .
- ٣ فحضر محبة الأمير جانم الخزاوي الشرفي يونس بن الأتابكي سودون المعجمي ،
والشمسي محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيمان ، والزيبي عبد القادر بن القاضي
بركات بن قريمط أحد كتّاب الماليك ، والقاضي كريم الدين المجلّولى ، وسعد الدين بن جلال الدين أحد كتّاب الماليك ،
٦ وأولاد المستوفى سعد الدين وأخوه بركات ، وكلال الدين العايق مباشر أمير آخور كبير ،
وشهاب الدين أحمد بن أخى الأستاذار يونس النابلسي ، والحاج بدر العادلى المهتار ،
٩ وآخرون ممن كان بإسطنبول ممن أسر من أهل مصر .
- واستمرّ ملك الأمراء فى هذا الموكب الحافل حتى دخل الميدان الذى تحت القلعة ،
وقد طلع من على التبانة من على مدرسة السلطان حسن ، وقد شاهدت هذا الموكب
بالمدينة وكان من المواكب المشهودة الجليلة ، فلما استقرّ ملك (٢٣٤ آ) الأمراء
١٢ بالقلعة أخلع على الأمير على العثماني والأمير نصوح والأمير خير الدين نائب القلعة
والأمير شيخ ، وأخلع على القاضي زين الدين بركات بن موسى المحتسب قفطان مخمل ،
كون أنه مشى قدّامه بالعصا من باب النصر إلى القلعة ، وكون أنه مدّ للأمير جانم
١٥ الخزاوي عند ملاقاته مدّات حافلة فى بلبيس وفى الخانكاه وغير ذلك من الأماكن ،
وألبسه الأمير جانم فى ذلك اليوم قفطانا أيضا . وفى هذه الواقعة يقول الأديب البارع
الفاضل ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق ، وأجاد بقوله حيث قال :
- ١٨ أهلا بمن عنه التواضع راوى شرفا ومنه الجود جودا راوى
شرفا نحرّ له الرؤوس لكونه شرفا علو الفرقدين يساوى
يا مرجبا من قادم أعنى به الـ مولى المفدّا جانم الخزاوى
من جاء مصر بخلمة عزّا حوتّ والعزّ من ذى الملك نغرا حاوى
شرف من إسطنبول معه بها أتى منه خير بك وخيرا ناوى
لله ذاك اليوم وهو بها يرى وسلامه داء القلوب يداوى
- ٢٤

- ٣ في موكب الملك العظيم وحوله
والناس في فرج وفي فرح به
وصياحهم بالنصر مع عظم الدعا
ولبعضهم بمضا أصابهم غدت
٦ ذا جانم المفدى ونائب مصر ذا
لا زال في مثلها مرقاها
٩ بقاء ذى الملك الذى أنحى له
أعنى سليمان القيم بمده
والمح من قانصوه له أب
(٢٣٤ب) ولسان حال رخاء مصر قائل
إن فاخرت بالنيل مصر غيرها
١٢ انتهى ذلك . - ثم أشيع أن السلطان سليمان ، نصره الله تعالى ، أرسل سبعة
قفطانات حريز إلى مشايخ العربان الذين بالصعيد والذين بالغربية والذين بالشرقية
والذين بالبحيرة ، وأرسل لكل واحد منهم مرسوما شريفا على انفراده مع القفطان ،
١٥ فأرسل على يد الأمير جانم الجزاوى قفطان نخل مذهباً للسيد الشريف بركات أمير
مكة المشرفة ، وأرسل قفطان نخل للأمير على بن عمر شيخ عربان الصعيد ، وأرسل
قفطاناً لشيخ العرب واصل بن الأحذب أمير هواة ، وأرسل قفطان نخل إلى الأمير
١٨ أحمد بن بكر أمير جذام وأمير الرايتين ، وأرسل قفطان نخل لشيخ العرب حسام
الدين بن بندا شيخ عربان الغربية ، وأرسل قفطاناً لشيخ العرب إسماعيل ابن أخى
الجويلي شيخ عربان البحيرة ، وأرسل قفطاناً لشيخ العرب خربيش شيخ عربان
٢١ البحيرة ، فأرسلوا إليهم مع المراسيم ، وكان منهم من كان حاضراً فى القاهرة فلبس
قفطانه بحضرة ملك الأمراء .

(٥) سماوى : كتب المؤلف هنا فى الأصل البيت الآتى ثم شطبه :
والصق فى أمثالها يبدو به
وكذاك خير بك بغير تهاوى
(١٣ و ١٤) الدين : الذى . (٢٠) الجويلي : الجولى .

ثم في يوم الأحد رابع عشره حضر بين يدي ملك الأمراء الأمير على العثماني
وخير الدين نائب القلعة والأمير نصوح والأمير شيخ والقاضي حمزة ، وغير ذلك من
الكواخي ، ثم أحضر الأمير جانم الجزاوي مرسوم السلطان سليمان بن عثمان ،
نصره الله تعالى ، فقاموا إليه الأمراء العثمانية قاطبة وملك الأمراء ، ولم يحضر ذلك
المجلس أحد من الأمراء الجراكسة ، ثم قرئ عليهم ذلك المرسوم فكانت ألفاظه
باللغة التركية ، فأحضرها من حلها بالعربية ، فكان من مضمونه أن السلطان سليمان
نعت ملك الأمراء في مرسومه نعمتا عظيما ، وفوض له التكلم على مصر وأعمالها ،
يعزل بها من يختار ويولّي بها من يختار ، من الثغور والبلاد من الشرقية إلى الغربية
إلى بلاد الصعيد . ومن مضمونه أنه إذا قدم (٢٣٥ آ) عليه قاصد من العثمانية من
بلاد الروم فلا ينعم عليه بأكثر من ألف دينار ، فإنه بلغ السلطان سليمان أنه ينعم
على القصاد الواردة عليه من بلاد الروم بمال جزيل فتمنه من ذلك . ومن مضمونه أن
ملك الأمراء ينظر في أحوال الرعية ويصرف للجند جوامكهم في كل شهر على العادة ،
وأن ينظر في أمر المعاملة من الذهب والفضة . ومن مضمونه أنه أرسل يطلب جماعة
من الأصهبانية يعضون إلى إسطنبول ويحجّون إلى مصر غيرهم . وأرسل يقول للملك
الأمراء ينظر في أمر تسعير البضائع من القمح وغير ذلك ، وأظهر غاية العدل في
مرسومه ، وأكد فيه في النظر في أحوال الرعية قاطبة . وفيه يقول الناصري محمد
ابن قانصوه :

١٨ كعب سليمان كعب خير أعني ابن عثمان دام ملكه
من كعبه مصر في رخاء ومن سطاء الملوك ملكه

وفيه أشيع [أن] السلطان سليمان رسم للأمير جانم الجزاوي أنه إذا دخل إلى
حلب يطلع القلعة ويأخذ المال الذي كان الأشرف النوري أودعه بها لما خرج إلى قتال
السلطان سليم شاه بن عثمان ، وكان نحو ستمائة ألف دينار وكسور ، فرسم السلطان
سليمان بحمل ذلك إلى عند ملك الأمراء خير بك ، وأن تُسبك وتُضرب

باسم السلطان سليمان بمصر وتمشى في المعاملة للناس ، والله أعلم بحقيقة ذلك إن كان له صحة .

- ٣ وفي يوم الاثنين ثمانى عشرينه نزل ملك الأمراء من القلعة وعدى إلى برّ الجيزة ونزل بشبرمنت على سبيل التنزه ، وكان صحبته جماعة من الأمراء العثمانية ، وكان صحبته الأمير قايتباى الدوادار ، وآخرون من الأمراء الجراكسة ، والقاضى شرف الدين الصغير والشهابى أحمد بن الجيمان والقاضى بركات المحتسب ، وآخرون من المباشرين ، فلما نزل بشبرمنت أقام بها إلى يوم الأربعاء رابع (٢٣٥ ب) عشرين صفر ، فرحل من شبرمنت وأرسل يطلب عليقا ودقيقا وغير ذلك من دجاج وأوز ، وأشيع أنه توجه من هناك إلى نحو النجيلة يتصيد ، فتوجه إليه الأمير جانم الحزاوى ونقيب الجيش الجمالى يوسف والقاضى شرف الدين بن عوض ويوسف بن أبى الفرج مقفى الرزق وابن أبى أصبع ، وغير ذلك من الأعيان أرباب الوظائف . وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن حجاج الموقع ، وكان من الأعيان ، وخدم عدة أمراء مقدمين ألوف .
- ١٢ وفي شهر ربيع الأول كان مستهلّه يوم الأربعاء ، وكان ملك الأمراء غائبا فلم تطلع القضاة إلى القلعة ، ولم يهتئوا بالشهر . - فلما كان يوم الثلاثاء سابع الشهر حضر ملك الأمراء من تلك السرحة ، فكانت مدة غيبته فى هذه السرحة خمسة عشر يوما ، فتنزه هناك وانشرح إلى الغاية ، وتصيد عدة من الكراكي والفرلان ، ودخل عليه جملة تقادم حافلة من مشايخ المرابن الذين بالفرية ، والكشاف والمدركين وغير ذلك من مشايخ عربان الشرقية ، ما بين ذهب وفضة وخيول وجمال وأغنام وأبقار وجاموس وأوز ودجاج وقدور عسل نحل وسمن ، وغير ذلك أشياء فاخرة تهدي للملوك . فلما رحل من النجيلة لم يتوجه إلى الإسكندرية ولم يدخلها فى هذه المرة وقصد المود إلى القاهرة ، فلما وصل إلى قليوب تسامعت به الناس فخرجوا إليه ، فأضافه هناك شيخ العرب ابن أبى الشوارب وبات بقلوب ، فلما أصبح رحل من هناك

(٤ و ٧ و ٨) شبرمنت : شبرمت . (١٢) مقدمين : كذا فى الأصل .

(١٣) كان : فكان . (١٧) الذين : الذى .

- وتوجه إلى تربة العادل التي بالريديانية ، فدّ له هناك ابن أبي أصبغ مدّة حافلة فتغدى
هناك ورحل ، فخرجت إليه قضاة القضاة لتلاقيه فلم يجتمعوا به ، ولم يكن معه غير
قاضى القضاة محي الدين يحيى بن الدميرى المالكي فقط . ثم اصطفّت له الناس على
الدكاكين (٢٣٦ آ) لأجل الفرجة فلم يشقّ من القاهرة في ذلك اليوم ، وطلع إلى
القلعة من بين التراب ولم يشعر به أحد .
- وفي يوم السبت حادى عشر هذا الشهر عمل ملك الأمراء المولد النبوى ، فاجتمعت
القرّاء والوعاظ بالدهيشة ، وأرسل يقول لقضاة القضاة : لا تكلفوا خواطركم
ولا تطلّموا إلى القلعة فإن ملك الأمراء حصل له توقعك في جسده فلم يحضر المولد .
- ثم أرسل خلف قاضى القضاة المالكي على انفراده ، وقال له : اطلع واحضر المولد .
- وكان قاضى القضاة المالكي من أخصّاء ملك الأمراء ، وكان عنده من المقرّيين .
ثم إن ملك الأمراء أرسل يقول للأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية : لا تكلفوا
خواطركم ولا تطلّموا إلى القلعة بسبب المولد . وقيل إن ملك الأمراء احتجب في ذلك
اليوم في الأشرفية التي بجوار الدهيشة ، ولم يجلس عند المقرّيين ، ولا حضر السباط
في ذلك اليوم ، بل قعد على رأس السباط قاضى القضاة المالكي والأمير برسباى
والخازندار ، وآخرون من الأمراء العثمانية ، وانقضى ذلك اليوم . - وفيه أخلع
ملك الأمراء على القاضى أبى السعود بن الشحنة ، واستقرّ به أمير شكار ، عوضا
عن الناصرى محمد بن أحمد بن أسنبغا الطيارى بحكم صرفه عنها .
- وفيه تغيّر خاطر ملك الأمراء على الطوائى مسك فرسم بتوسيطه ، ثم شفع فيه
بعض الأمراء العثمانية فرسم بنفيه إلى المدينة الشريفة ، فخرج من يومه وسافر من
البحر الملح ، وكان سبب ذلك أن مسك هذا لما ملك السلطان سليم شاه بن عثمان
الديار المصرية ، لم يقابله مسك هذا واختفى حتى رحل ابن عثمان عن مصر واستقرّ
- الأمير جان بردى الغزالى في نيابة الشام وسافر إليها ، فخرج مسك صحبته في الخفية
(٢٣٦ ب) وأقام عنده بالشام ، فلما جرى للغزالى ما جرى وقتل حضر مسك إلى
القاهرة وقابل ملك الأمراء وصار عنده من المقرّيين ، وكان مسك هذا لطيف الذات

يشتمل على جملة محاسن ، منها الخط الجيد والقراءة الحسنة وغير ذلك من المحاسن ، فاتفق أن الطواشي الذي حضر من إسطنبول رأى حجرة عند مسك هذا فقال له :
 ٣ بمعنى هذه الحجرة . فامتنع مسك من بيعها له ، فدخل الطواشي الذي حضر من إسطنبول على ملك الأمراء ، وقال له : أنت تقرب عدو الخوندكار ؟ قال : ومن هو ؟ قال له : مسك هذا كان يكره السلطان سليم شاه ، ولما دخل إلى مصر هرب وتوجه إلى عند جان بردى الغزالي . فغير خاطره عليه فرسم بتوسيطه ، ثم شفع فيه من التوسيط فرسم بنفيه ، وكان مسك هذا من أعيان خدام الأشرف قايتباي .

وفي يوم الجمعة سابع عشره خرجت الملكة خاتون عمة السلطان سليمان ، وقد تقدم القول على أنها أتت إلى مصر لتحتج ، فلما حجت قصدت العود إلى بلادها ، وعين معها ملك الأمراء جماعة من السكولية ومن الأصبهانية يحفظونها في الطريق إذا سافرت ، فأشيع بعد سفرها بأيام أن العربان خرجت عليها في العريش ونهبت أطراف بركها من جمال وقاش وغير ذلك . ١٢

ومن النوادر الغريبة ما وقع في يوم الخميس ثالث عشرينه ، وذلك قد أشيع في القاهرة بين الناس أن الشهابي أحمد بن الجيمان قد شق نفسه ، فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم أشد الاضطراب ، ولم يشك أحد من الناس في ذلك ، لأن المقر الشهابي أحمد بن الجيمان حصل له في تلك الأيام غاية الشدائد والحزن ، وصار ممقوتا عند ملك الأمراء وقد تقدم القول على سبب ذلك ، فلما قويت الإشاعات بذلك كان الشهابي أحمد في القلعة ، فقال له الأمير جانم (٢٣٧ آ) الجزاوي : قم وانزل وشق من القاهرة حتى تخمد هذه الإشاعة . فقام ونزل من القلعة وشق القاهرة ، فلما رآه الناس فرحوا به وهنّوه بالسلامة ، وخذت تلك الإشاعة الباطلة التي ليس لها صحة ، فعد ذلك من النوادر الغريبة . ٢١

وفي شهر ربيع الآخر كان مستهله يوم الجمعة ، فطلع القضاة الأربعة وهنّوا ملك الأمراء بالشهر ، فلما تكامل المجلس حصل في ذلك اليوم تشاجر بين قاضي القضاة

الحنفى على الطرابلسى ، وبين مستنبيه محب الدين سبط الشيخ بدر الدين محمد ابن الدهانة الحنفى ، بسبب حكم حكمه محب الدين سبط ابن الدهانة وقد نقضه قاضى القضاة الحنفى ، فحصل بينهما فى ذلك المجلس ما لا خير فيه وأغلظ محب الدين على قاضى القضاة الحنفى فى القول ، وقال له : حكمك ما يجوز لأنك قد وُلّيت بالرشوة . وأسمعه من هذه الألفاظ النكزية أشياء كثيرة بحضرة ملك الأمراء وبحضرة قضاة القضاة ومشايخ العلم ، فقال قاضى القضاة الشافى لمحب الدين : حكمك الذى حكمته باطل . فقال له محب الدين : ما هو صحيح منك . واستمرّ المجلس بينهم يتزايد فى اللفظ بين الفقهاء . بحضرة ملك الأمراء ، وكان قاضى القضاة الحنفى أهوج رهاج ، وعنده صمصمة وجنّ ، وبادرة حدّة ، مع قلة دربة ، فلما رأى ملك الأمراء أن المجلس قد انفضّ على غير طائل أصلح بين قاضى القضاة الحنفى وبين مستنبيه محب الدين سبط ابن الدهانة ، فاصطلحا صلحا على فساد ، وانفضّ ذلك المجلس ، ثم إن ملك الأمراء قال لقاضى القضاة الحنفى : لا تبقى تعارض محب الدين فى أحكامه . فنزل محب الدين من القلعة وهو منتصف على قاضى القضاة الحنفى وقد بهدله فى ذلك اليوم غاية البهدة .

وفيه قدمت الأخبار من إسطنبول بأن قد وقع بها (٢٣٧ ب) زلزلة عظيمة ، فهدمت عدة دور وسقطت على أهلها ، وأرمت الأعمدة التى تحت الأماكن والقُبب ، وكانت من الأمور الموهولة . وذكروا أن وقع مثل هذه الزلزلة فى أيام الخوندكار أبى يزيد جدّ الخوندكار سليمان ، فجرى عقيب ذلك ما جرى له مع السلطان قايتباى ، وكُسّر مرتين وقُتل من عسكره ما لا يحصى عددها . - وفى يوم الخميس سابعه أشيع أن شخصا منجما قال إن فى يوم الجمعة يثور على الناس رياح عاصفة وتقع زلزلة عظيمة حتى تسقط منها الدور ، وتقبض الناس وهم فى صلاة الجمعة ، فانتشرت هذه الإشاعة فى القاهرة ، وانطلقت ألسن الناس بذلك قاطبة ، فاضطربت القاهرة لهذه الإشاعة ، وصار الناس يودّع بعضهم بعضا ، وباتوا تلك الليلة على وجل ، فلما

أصبحوا وجاء وقت صلاة الجمعة ودخلت الناس إلى الجوامع فصلّوا وعلى رؤوسهم طيرة ، فلما قضيت الصلاة وخرجوا الناس من الجوامع صار لهم ضجيج وهم يهتفون بعضهم بعضا بالسلامة ويصافحون بعضهم ، وخذت تلك الإشاعة التي لا أصل لها . ٣

وقد اتفق مثل هذه الواقعة في أوائل سلطنة الملك الأشرف قايتباي ، وأشيع مثل ذلك أن الناس إذا صلّوا صلاة الجمعة يُقبضون وهم في الصلاة ، فلما أن دخلت الناس إلى الجوامع صار على رؤوسهم طيرة ، فاتفق أن خطيبا كان في الجامع الذي عند ميدان القمح ، وكان يعتريه خلط مصرع ، فلما صعد المنبر عرض له ذلك الخلط المصرع وهو على المنبر ، فاضطرب وسقط من على المنبر ، فلما عاينت الناس ذلك قاموا وهربوا من الجامع ولم يصلّوا وظنّوا أن الذي أشيع حقّا ، فعُدّ ذلك من النواذر . وأهل مصر ليس لهم عقول يصدّقون بالمحالات الباطلة التي ليس (٢٣٨ آ) لها صحّة . ٦

وفي يوم الاثنين ثاني عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجّه إلى بولاق ، وكشف على المراكب الأعربة التي عمّرها هناك ، فسبّروا قدّامه في البحر ذهابا وإيابا وهو ينظر إليها والنفوط عمّالة ، ثم عاد إلى القلعة . - وفي يوم السبت سادس عشره فيه سقطت القبة العظيمة التي كانت على الإيوان ، سقطت باكر النهار وهذه القبة من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون الملك المنصور ، فلما سقطت تقاعل الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب . وهذه القبة لها نحو مائتي سنة من حينُ عمّرت ، وكانت من خشب وفوقها رصاص ، وكانت مغلقة بقيشاني أخضر ، ولم يُعمّر في مصر أكبر منها قط ، وكانت من نواذر الزمان . ١٢

وفي يوم الاثنين ثامن عشره توجّه الأمير شيخ العثماني إلى إسطنبول ، وأرسل ملك الأمراء صحبته مقدمة حافلة إلى السلطان سليمان بن عثمان ، وأرسل ملك الأمراء يشاور السلطان على أمور كثيرة في أحوال المملكة وينتظر الجواب عن ذلك . ٢١ وأشيع أن السلطان أرسل يطلب من ملك الأمراء نخيل بلح ليزرعها في إسطنبول ، وشرع ملك الأمراء في تجهيز ذلك ، فقليل إنه أرسل إليه خمسمائة نخلة من الباج الحياتي ،

وهي تخيل صغار تطرح بلحا أحمر في غاية الحلاوة ، فأرسل تلك النخيل في صناديق خشب وهي في طينها ، فأرسلها في مراكب إلى البحر الملح وتتوجه من هناك إلى إسطنبول ، وأرسل صاحبها حوله تزرعها هناك . - وفيه جهاز ملك الأمراء الأتربة ٣ وبها مقاتلون من المغاربة وغيرها ، وقد بلغه أن جماعة من الفرنج تقمبت في السواحل وتشوش على المسافرين في البحر .

وفيه سافر بعض التجار من الأروام في البحر وقصد يطلع من الإسكندرية ويتوجه من هناك إلى إسطنبول ، فأوسق معه عدة مراكب فيها بضائع وأصناف كثيرة وقماش وغير ذلك ، بنحو مائة ألف دينار ، وكان في ذلك المركب رجال ونساء وصغار وتجار من الأروام وعبيد وجوار ، فلما سافروا من ساحل بولاق وأقلعوا ٩ كان في ذلك اليوم (٢٣٨ ب) أرياح عاصفة ، فلما وصلت المركب إلى شبرا دارت في البحر وغرقت هناك بكل ما فيها من الخلائق والبضائع والأصناف ، وكان فيها تجار مغاربة وبحارة ، وكانوا قبل سفرهم صاروا يشوشون على الناس ويمسكونهم ١٢ من الطرقات غصبا بسبب المراكب ، فكان كل من مسكوه من الناس يضعونه [في] الحديد وينزلونه في المركب ، فحصل لأهل مصر في هذه الحركة غاية الضرر ، فكثير عليهم الدعاء من الناس بظلمهم ، فلما سافرت المراكب غرق أكبرها في يومه لما حلت ١٥ من بولاق وذلك بدعاء الناس عليهم .

وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن المعلم إبراهيم اليهودي معلم دار الضرب كان له جارتان إحداها حبشية والأخرى سوداء ، فوطئ الجارية الحبشية فحملت منه ١٨ ووضعت بنتا ، فعاشت تلك الابنة سبعة أشهر ، ثم إن الجارية الحبشية أظهرت أنها تدخل إلى الحمام ، فلما وصلت إلى الحمام هربت وتوجهت إلى بيت قاضي القضاة محي الدين يحيى الدميرى المالكي وأخذت ابنتها معها ، فلما وقفت لقاضي القضاة ، ٢١ قالت له : يا سيدى القاضي أنا مسلمة . وابتدت الشهادتين بين يديه ، ثم قالت له :

(١٢) يشوشون : يشوشوا . || ويمسكونهم : ويمسكهم . (١٣) يضعونه : يضعوه .

(١٤) وينزلونه : وينزلوه .

أنا سيدى المعلم إبراهيم اليهودى معلم دار الضرب ، وقد وطأنى وحملت منه بهذه البنت ، وأنا صرت مسلمة ما بقيت أقعد عنده . فحكم قاضى القضاة المالكي بإسلامها ٣
 فى الحال ، وأرسل خلف إبراهيم اليهودى معلم دار الضرب بسبب ابنته فإنها صارت مسلمة تابعة لأمها ، فحكم قاضى القضاة بإسلام البنت أيضا وأمها . فقيل إن إبراهيم اليهودى دفع فى الباطن لقاضى القضاة المالكي خمسمائة دينار على أن يجعل البنت تابعة ٦
 لأمها ، فأبى من ذلك واستمر مصمما على حكمه . فطلع إبراهيم اليهودى إلى ملك الأمراء (٢٣٩ آ) وكتب قصة بشرح الحال ، ووقف إلى ملك الأمراء ، فقال له ملك الأمراء : إذا كان قاضى القضاة حكم بإسلام البنت وصارت مسلمة أعيدها إلى ٩
 دين اليهود ؟ فلم يطلع من المعلم إبراهيم اليهودى فى هذه الواقعة شىء ، ونزل من القلمة وهو غزى ، وعُتقت الجارية وابنتها على رغم أنفه .

وفيه قدمت الأخبار من الغريبة بأن عربان عزالة قد نزلوا على البساط بالقرب من تروجة ، وصاروا ينهبون الجرون ويرعون الزروع فحاربهم شيخ العرب إسماعيل بن ١٢
 أخى الجوبلى وكسرم واحتوى على جملهم وأغنامهم وخبولهم وغير ذلك ، ولم يترك لهم شيئا وهربوا ومضوا [من] حيث جاءوا ، ثم إن إسماعيل أرسل تلك الغنيمة إلى ١٥
 ملك الأمراء فشكره على ذلك .

وفى شهر جمادى الأولى كان مستهله يوم السبت ، فطلع القضاة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ، وعادوا إلى دورهم . - وفى ذلك اليوم أخلع ملك الأمراء على الأمير ١٨
 جاتم السيفى دولات باى الآتابكى كاشف الفيوم ، وقرره أمير ركب الحمل على عادته ، وهذه ثالث مرة يسافر أمير الحاج فى دولة ملك الأمراء خاير بك .

وفى ذلك اليوم نادى ملك الأمراء فى القاهرة بأن الدينار الذهب السليم شامى ٢١
 يصرف بأربعين نصفًا من الفضة العتيقة ، والدينار السليمانى يصرف من الفضة العتيقة بخمسة وستين نصفًا حسابا ، على أن كل نصف فضة من الفضة الجديدة ٢٤
 يقف بنصفين وربيع ، عبارة أن الدينار السليمانى يقف فى البيع والشرى بخمسة وعشرين نصفًا . فلما نودى فى القاهرة بذلك اضطربت أحوال الناس فى تلك

- العاملة وصارت البضائع تباع بسمعين ، سعر بالفضة الجديدة وسعر بالفضة العتيقة ، فضجّ الناس من ذلك ، وغلقت الأسواق والدكاكين ، وبطل البيع والشري ، ووقف حال التجّار والتسبّيين ، وصار النصف من الفضة العتيقة يصرف بستة دراهم ٣ فلوس جدد ، والنصف الفضة من الفضة الجديدة يصرف بنصفين وربيع ، وقد لعب إبراهيم اليهودى معلّم دار الضرب فى أموال المسلمين من ذهب وفضة وفلوس جدد ، وتحكّم فى أخذ ما يريد (٢٣٩ب) الناس من الأموال بغير حقّ والأمر إلى الله تعالى . ٦ وفى يوم الأربعاء خامس الشهر اجتمع الجُمّ الغفير من السوق والتسبّيين ، وجماعة من القزّازين من منية أبى عبد الله ، وجماعة من المكّاسة وغير ذلك ، وحلوا على رؤوسهم مصاحف وربعات وأعلاما وطلعوا إلى القلعة ، وزعموا أن محبى الدين ٩ ابن أبى أصبغ قد ظلمهم بسبب مكس الأطرون ، وأخذ منهم على حكم المعاملة الجديدة كل نصف فضة بنصفين وربيع ، وقد ظلمهم وصار يقيم لهم النصف الفضة من الفضة العتيقة بستة نقرة ، فلما طلعوا إلى القلعة لم يجتمعوا بملك الأمراء واحتجب عنهم ، ١٢ وأرسل إليهم الأمير جاتم الحزّاوى والقاضى شرف الدين الصّغير كاتب الماليك ، فقال لهم : ملك الأمراء يقلّ لكم هذا أمر سلطانى فى أمر المعاملة ، وليس بيده شئ فى أمر المعاملة ، اصبروا إلى أول شهر رجب ينظر فى أمر المعاملة . فكابروا ووقفوا وأشلوا ١٥ وتحسّبوا ، فخرج إليهم جماعة من الأنكشارية فضربوهم بالعصى على وجوههم فشتّوهم ، فزلوا فى أسوأ حال وهم فى غاية الدّلّ . - وفيه نزل ملك الأمراء وتوجّه إلى بركة الحبش على سبيل التنزّه ، فجهّز إليه القاضى المحتسب هناك مدّة حافلة وأقام إلى ١٨ أواخر النهار ، ثم عاد إلى القلعة من يومه .

- وفيه نودى فى القاهرة بأن السنج والأرطال القديمة التى كانت تتعامل بهما الناس من قديم الزمان تبطل جميعها من القاهرة ، وأخرجوا لهم سنج نحاس وأرطالا تسمى ٢١ العثمانية ، وهى عبارة عن تسعة دراهم ، فتنقص كل مائة درهم أربعة دراهم فى سائر الأوزان قاطبة فى البضائع والأصناف ، حتى فى المسك والعود والعنبر وغير ذلك ،

- ٣ فتصير كل مائة درهم ستة وتسعين درهما ، وعملوا مثل ذلك في القبان أيضا فتنقص كل مائة رطل أربعة أرتال ونصف ، وحجروا على الناس في استعمال تلك السنج (٢٤٠) والأرتال ، وأعدوا السوق كل من خالف في ذلك يشنق من غير معاودة .
- ٦ وقد تقدم القول على أنهم أبطلوا الذراع الهاشمي ، وأخرجوا للناس ذراعا عثمانيا يزيد على الذراع الهاشمي خمسة قراريط ونصف قيراط ، وكتبوا على التجار قسائم أن لا يستعملوا إلا الذراع العثماني فقط ، فشق ذلك على الناس قاطبة .
- ٩ وفي يوم السبت ثامن الشهر رسم ملك الأمراء بشنق أربعة أنفار ، منهم يهودي ونصراني ، وقد ظهر عليهما أمر شي من الزغل في الذهب والفضة ، وقد نم النصراني على اليهودي ، فكبسوا بيت اليهودي فوجدوا عنده آلة الزغل في بيته . وشخص آخر مقدم درك الأذربكية ، وقد أشيع أن قُتل في دركه بالأذربكية شخص من الأنكشارية . وشخص آخر قيل هو ابن أنس التي كانت في الأذربكية وغرقوها قبل تاريخه . فحوزقوا الأربعة في يوم واحد ، فأما اليهودي فحوزقوه عند باب الصاغة ، والنصراني خوزقوه بالقرب من المارستان ؛ وأشيع عنه أنه لما خوزقوه أسلم وتلفظ بالشهادتين فلم يفتتوا إلى إسلامه وخوزقوه ، فأقام يوما وليلة وهو في قيد الحياة يتكلم حتى مات بعد ذلك ، وأما مقدم درك الأذربكية خوزقوه في الأذربكية عند الدكة بالقرب من بركة قزموط ، عند المكان الذي قُتل فيه الأنكشاري ، وأما ابن أنس المرمصة خوزقوه في الأذربكية ، وقيل إنه كان له جرة في قتل الأنكشاري الذي قُتل في الأذربكية .

١٨ ومن الحوادث الشنيعة في ذلك اليوم أن جماعة من الأنكشارية مروا بذلك النصراني الذي خوزقوه فوجدوه يتلفظ بالشهادتين ، فطلب شربة ماء من الأنكشارية الذين حوله ، وكان أربعة ممالك من ممالك الأمير قايتباي الدوادار واقفين مع الأنكشارية ، فرقوا لذلك النصراني وأنزروه إلى الأرض وقلعوا الخازوق من بطنه وسقوه شربة ماء وأرقدوه على الأرض . فحصل بين الأنكشارية وبين ممالك الأمير

- الدوادار تشاجر بسبب ذلك النصرانى ، فاتسع الشر بينهم ، فسحب بعض ممالك الأمير الدوادار خنجرا وهاش به على الأنكشارية ، فخرج شخصا منهم (٢٤٠ ب) فسال دمه وانقطعت جوحته ، فتكاثرت الأنكشارية على ممالك الأمير الدوادار ٣ فهربوا منهم وتوجهوا إلى بيت الدوادار الذى بين القصرين ، فتبموم الأنكشارية وهجموا على بيت الدوادار ، فأغلق البواب فى وجههم الباب ، فخنقوا منه وقصدوا أن يحرقوا الباب ، وعصارت فتنة عظيمة ، كما يقال: ومظم النار من مستصغر الشرر. ٦ فلما بلغ الوالى ذلك أرسل دواداره أعاد النصرانى إلى الخازوق ثانيا وفيه الروح ، فلما طلع النهار بلغ ملك الأمراء أخبار هذه الواقعة ، فتغير خاطره على الأمير قايتباى الدوادار بسبب ممالكه ، فأرسل يطلب من الدوادار ممالكه الذين فعلوا هذه الفعل ، ٩ فطلع إليه الأمير جانى بك أخو الدوادار ، فلما رآه ملك الأمراء طفش فيه بالكلام ، وقال له : إن لم تحضر هذه الممالك الذين أثاروا هذه الفتنة ما يحصل عليك خير . فنزل من عنده وهو فى غاية النكد ، ثم إن ملك الأمراء نادى فى القاهرة : كل من ١٢ أخفى عنده مملوكا من ممالك الدوادار شتى على باب داره من غير معاودة ، والذى يحضر مملوكا منهم فله مائة دينار وقفطان مخمل . فلما كان يوم الاثنين عاشر الشهر نزل ملك الأمراء إلى الميدان وأحضروا بين يديه ١٥ مملوكين من ممالك الأمير قايتباى الدوادار ممن فعل تلك الفعل ، وقد قبض عليهما الوالى، فرسم بتوسيطهما فوسطا على باب الميدان، ووسط معهما بواب الدوادار أيضا كونه أنه أغلق فى وجه الأنكشارية الباب فراح البواب ظلما، وكان الأمير قايتباى ١٨ حاضرا ففقتة ملك الأمراء غاية المقت ، فلما رسم ملك الأمراء بتوسيط البواب قام الأمير خير الدين نائب القلعة والأمير نصوح العثمانى وشفعا فى بواب الدوادار ، فإنه له أولاد وأب شيخ كبير ، (٢٤١ آ) فلم يلتفت إلى شفاعتهما ، فقاما وقبلا ٢١ يدي ملك الأمراء ثلاث مرار وهو لا يزداد إلا قسوة ، فحصل للأمير قايتباى فى هذه

(١١ و ٩) الذين : الذى . (١٦) تلك : ذلك . (١٧) بواب : كتب إلى جانبها فى الأصل على الهامش بخط غير خط المؤلف : « بواب غلط فإثما كنت حاضرا » . (٢٢) ثلاث : ثالث .

الحركة غاية البهدة ، وانخفضت كلمته عند الناس قاطبة . وقيل إن الأمير قايتباي دفع
لأنكشارى الذى قالوا إنه قد جرح مائة دينار ، وأعطاه جوخة كانت عليه ،
وحنيني حرير بفرو سنجاب فى نظير جوخته التى شُرطت ، وأعطاه خنجرا عوضا
عن خنجره الذى زعم أنه سقط منه ، وأرضاه بكل ما يمكن ، وهذه من أبشع
الحوادث وأشنعها .

- ٦ ومن هنا ترجع إلى أخبار ذلك النصرانى الذى أسلم لما خوزقوه ، فإنه استمر
يتلَقَّظ بالشهادتين حتى مات ، فشاوروا عليه قاضى القضاة الشافى كمال الدين ، فرسم
بأن يفسلوه ويكفّنوه ويصلّوا عليه ويدفنوه فى مقابر المسلمين ، ففعلوا به ذلك ، وصار
جماعة من العوام يذكرون قدّام نمشه حتى دفنوه ، وصلّوا عليه فى جامع الحاكم .
- ٩ وفى يوم الخميس ثالث عشره سافر القاصد الذى كان حضر وبشّر بأن الأمير
لُطف قد تزوّج بابنة السلطان سليم شاه ، وهى [أخت] السلطان سليمان ، فأنعم عليه
١٢ ملك الأمراء بمال له صورة ، وكذلك سائر الأمراء العثمانية وأرباب الدولة ، فدخل
عليه فوق العشرة آلاف دينار ، ودخل عليه مثل ذلك بالشام وحلب وسائر النواب .
- وفى يوم الجمعة رابع عشره أشيع قتل شيخ العرب الأمير أحمد بن قاسم بن بقر ،
١٥ ويمزف بأبى الشوارب ، وكان توجه إلى الأمير جان بردى الغزالى نائب الشام ، فلما
قُتل الغزالى طلب من ملك الأمراء الأمان على نفسه فأرسل إليه بالأمان ، فحضر إلى
القاهرة وقابل ملك الأمراء ، فأخلع عليه وصار عنده من المقرّبين ، فأقام مدة على ذلك
ثم بدا لملك الأمراء قتله ، فأرسل إلى جاني بك كاشف الشرقية بأن يقطع رأسه ،
١٨ فتوجه إليه جاني بك وهو فى منية أبى الحارث بالدقهلية ، فهجم عليه وقطع رأسه ،
وقُتل معه شخص آخر من مشايخ عربان (٢٤١ب) العايد ، فلما قُتل الأمير أحمد
٢١ ابن قاسم نهبت داره وسُبّيت نساؤه وأولاده ، ولم يُعلم ما سبب ذلك . ثم إن جاني
بك الكاشف أرسل رأس الأمير أحمد بن قاسم ورأس شيخ العايد ، فرسم ملك
الأمراء بدفن الرؤوس ، وقد أخذ ملك الأمراء بثأره من أحمد بن قاسم ، وكان فى قلبه
٢٤ منه من حين توجه إلى عند الغزالى نائب الشام ، فكان كما يقال :

- قالت ترقب عيون الحى إن لها عينا عليك إذا ما نمت لم تنم
وفيه توفى الأمير فارس السيفى تراز الشمسى الأتابكى الذى كان كاشف
البحيرة ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الاثنين سابع عشره قبض ملك الأمراء على ٣
المقر الشهابى أحمد بن الجيمان وسجنه بالمرقانة ، وكان ملك الأمراء متحملا عليه فى
الباطن غاية التحميل ، وهذه أول كابتة وقعت له مع ملك الأمراء ، وأمره إلى الله
تعالى ، فأقام أياما وهو فى الترسيم ، ثم إن ملك الأمراء أفرج عنه بعد ما أورد مالا له ٦
صورة من التقسيط الذى كان عليه ، وقد نفذ منه جميع ما معه من المال ، ولم يبق على
ملكه لا رزقة ولا إقطاع ولا بيت ولا دكاكين ، وابتاع سائر قاعاته التى على بركة
الرطلى جميعها ، فاشترها الأمير قاسم الشروانى الذى كان نائب جدّة بأبخس الأثمان ، ٩
وجرى عليه شدائد ومحن دون أقاربه الذين مضوا وما قاسى خيرا فى هذه الدولة ،
وسياتى الكلام على ذلك فى موضعه .
- وفى يوم الاثنين كان عيد الفصح عند النصارى ، وهو أول يوم من الخمسين ، ١٢
وهو أكبر أعياد النصارى ، فحكى عن الشيخ يونس النصرانى مباشر ملك الأمراء
أنه صنع فى هذا العيد خمسين بطة من الدقيق برسم الكمك والشختنانك والقربان ،
وثنى عشر قنطار سیرج ، وعشرة قناطر سكر ، وعشرين ألف بيضة برسم صباغ ١٥
البيض (٢٤٢ آ) التى تفرق على الناس ، ودخل عليه تقادم من الأعيان أشياء كثيرة
من أغنام وأوز ودجاج وغير ذلك ، وقُدّم إليه نحو ألفين وردة .
- وفيه وقعت نادرة غريبة ، وهو أن شخصا يقال له محمد بن الشاطر حسن المصارع ١٨
خرج من بيته بدمصر وركب على حماره وأتى إلى بركة الرطلى بسبب الفرجة ،
فنزل من على حماره وجلس على مصطبة تحت بيت فى الجسر ليتفرّج ، فاضطرب
ساعة يسيرة ثم طلعت روحه فى الحال ، وصار مائى على الطريق ، فضوا الناس إلى ٢١

(٧) ولم يبق : ولم يبق . (١٠) الذين : الذى . (١٢) الفصح : الفسخ .

(١٧) وقدم ... وردة : كتبها المؤلف فى الأصل على هامش ص ٢٤١ ب . // ألفين :

كذا فى الأصل .

ولده وزوجته وأخبروها بموته ، فأحضرُوا له نمشا وحملوه فيه بمد المغرب ومضوا به إلى بيته ، وكان ذلك الرجل يبيع الورق ، وكان لا بأس به ، فتموذ بالله من موت الفجأة على حين غفلة . ٣

وفي يوم السبت ثاني عشرينه قدم أمير من أمراء السلطان سليمان ، وقد حضر من البحر وطلع من ثغر الإسكندرية ، فلما بلغ ملك الأمراء قدومه رسم للأمير جانم الحزاوى والأمير قايتباى الدوادار بأن يخرجوا إلى ملاقاته ، فخرجا إلى وردان ولاقوه من هناك ، ومدّوا له هناك مدّة حافلة ، وصارت الكُشاف ومشايخ العربان تمدّ له الدّات بطول الطريق ، فلما وصل إلى بولاق نزل إليه ملك الأمراء ولاقاه من هناك . ٦

فلما كان يوم الأربعاء سادس عشرينه دخل الأمير سنان بك الذى أرسله سليمان ابن عثمان إلى مصر ليقم بها عوضا عن الأمير نصوح ، ويسافر الأمير نصوح إلى إسطنبول ، وقيل إن هذا الأمير سنان كان عند السلطان سليم شاه بن عثمان من المقربين ، وكان عنده بوابا لما دخل إلى مصر ، وكان موكلا بحفظه ليلا ونهارا ، فلما رجع السلطان سليم شاه إلى إسطنبول جملة نائبا على بلد يقال لها أنطالية ، فلما تسلطن ولده سليمان أرسله إلى مصر ليكون أمينا على ملك الأمراء ، فلما توجه إليه ملك الأمراء ولاقاه أركبه فرسا بسرج ذهب وعرقية زركش ، وألبسه قفطانا مذهبا ، ١٥ (٢٤٢ب) فركب من بولاق وملك الأمراء صحبته ، فتوجهوا به من باب البحر وعلى رأسه صنجق حرير أحمر ، وخلفه طبلان وزمران ، وكان معه نحو مائة مملوك مشرّواته ، ١٨ فلما دخل من باب البحر استمرّ في ذلك الموكب حتى شقّ من القاهرة ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فأنزلوه في بيت الأتابكي قرقاس الذى عند حوض العظام ومدّوا له هناك مدّة حافلة .

ثم أشيع لما دخل الأمير سنان أن السلطان سليمان جهّز خمسمائة مركب وأشحنها بالسلاح والمقاتلين ، وخرج بنفسه إلى قتال أهل رودس من الفرنج ، وقد جمع من

(٢) يبيع : بيع .

- المساكر ما لا يحصى عددها وهو قاصد للتوجه إليهم . وقيل إن الأمير سنان لما مرّ على ضياع الشرقية التي على شاطئ البحر وقف إليه الجمل النفير من الفلاحين واستنابوا إليه : الله ينصر السلطان سليمان بن عثمان ، قد خربنا من الظلم ، العمال ٣ يأخذوا منا النصف من الفضة الجديدة بنصفين وربع ، وعند الحساب يقيمونه علينا بنصف فضة ، ما يحلّ من الله تعالى . فأوعدهم بالنظر في أحوالهم ، فلم يظهر لقوله نتيجة فيما بعد ، واستمرّ كل شيء على حاله . ٦
- وفي يوم الخميس سابع عشرينه فيه طلعت مقدمة الأمير سنان إلى ملك الأمراء ، فكان من جملة أربعة ممالك صغار مردجرا كسة ، وحمالين فضيات ما بين شربات وطاسات وغير ذلك ، وحمالين شقق برساوى مذهب ، وأثواب مخمل ملون ، ٩ وحمالين عليها فرو صمور ووشق وسنجاب ، وحمالين عليها أقواس وغير ذلك . - وفي يوم الأحد سلخ الشهر طلع الأمير سنان إلى القلعة وحضر الأمراء العثمانية ، ثم إن الأمير سنان أحضر مرسوم السلطان سليمان الذي حضر على يده ، فلما قرئ عليهم ١٢ كان من مضمونه الوصية بالرعية ، والنظر في أحوال الناس في أمر المعاملة ، وأرسل يقول لملك الأمراء إنه (٢٤٣ آ) لا يمكن الأنكشارية من النزول إلى المدينة ، وأن أحدا من الناس لا يشتكي بهم ، وأن ملك الأمراء لا يصرف لهم في كل يوم أكثر ١٥ من درهين فضة كما كانوا في إسطنبول ، وأرسل يقول له عن أشياء كثيرة تتعلق بأحوال المملكة .
- وفي جادی الآخرة كان مستهلّه يوم الأحد ، فطلع القضاة الأربعة وهنّوا ملك ١٨ الأمراء بالشهر ، ثم عادوا إلى دورهم ، وقيل لما طلع القضاة للتهنئة بالشهر ، نزل ملك الأمراء يزور الإمام الشافعي والإمام الليث بن سعد رضى الله عنهما ، فأبطأ عليهم حتى أضحى النهار وهم جلوس بجامع القلعة ، فلما عاد جلس بالدهيشة وأرسل خلفهم ، فهنّوا ٢١ بالشهر ونزلوا . - ففي ذلك اليوم حضر الشريف البرديني من إسطنبول وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليمان متوجهة بعلامته ، بأنه استقرّ به ناظر الخانقة (١٠ و ٩ و ٨) وحمالين : كذا في الأصل .

الشيخونية وشيخها ، وكذلك مشيخة مدرسة الأمير قانى باى الجركسى التى فى الرملة ، والنظر على جهات السادة الأشراف قاطبة ، فلم يلتفت إلى ما فى مراسيمه وعز ذلك عليه ، فإنه أخذ عدة أنظار غير ذلك ونزع أيدي المتحدثين عليها . ٣

ومما وقع فى ذلك اليوم أن شخصا وقف إلى ملك الأمراء بقصة واشتكى فيها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان شكوى بالغة ، وكان ملك الأمراء متغيظا عليه ، فلما شكاه ذلك الرجل قبض عليه ملك الأمراء وسجنه فى مخزن عند بواب الحوش ، ورسم أن لا يدخل عليه أحد من جماعته ولا يفرش تحته شئ ولا حصير ، ثم قبض على دواداره محمد وضربه بين يديه وسجنه بالمرقانة داخل الحوش ، وقرّر عليه ألف دينار يوردها على الجامعة . ٦ ٩

وفى يوم الخميس خامسه دخل العسكر الذين أرسلهم السلطان سليمان إلى مصر يقيمون بها ، والذين كانوا بها يتوجهون إلى إسطنبول ، فلما وصل العسكر إلى الريدانية نزل ملك الأمراء إلى تربة العادل ولاقى العسكر الذى حضر من إسطنبول ، وكان بائسهم شخصا يسمى الأمير خضر ، وكان ذلك العسكر كله من الأصهبانية قيل إنهم فوق الألف إنسان وزيادة ، فدخل ملك الأمراء من باب النصر وشقّ من القاهرة (٢٤٣ب) فى موكب حافل . فلما دخلت الأصهبانية إلى القاهرة طفشوا فى المدينة بسبب البيوت التى ينزلون بها فصاروا يشوشون على الناس ويخرجونهم من بيوتهم غصبا بالضرب ويسكنون بها . ١٢ ١٥

ثم أشيع أن حضر صحبة العسكر شخص من العثمانية ، يزعم أنه قاض من قضاة ابن عثمان ، وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليمان بأن يستقرّ فى وظيفة يقال له : القسّام ، وموضوع هذه الوظيفة أن يكون متحدثا على جميع التّرك قاطبة ، الأهلية وغير الأهلية ، ولا يمارضه أحد من الناس فى ذلك ، وأن يأخذ ما يتحصل من كل تركّة العشر لبيت المال ، أهلية كانت أو غير أهلية ، فحصل للناس بسبب ذلك الضرر ١٨ ٢١

(٥) شكوى : شكوه . (١٠) الذين : الذى . (١٤) الألف : آلاف .

(١٦) التى : التى . || يشوشون : يشوشوا . || ويخرجونهم : ويخرجوهم .

الشامل . وغير ذلك أن في مراسيمه أن أحدا من المالك الجراكسة وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة والأصبهانية والأنكشارية ، لا يعقدوا عقد نكاح على بكر وثيب قاطبة إلا عند ذلك القسام ، ويأخذ على عقد البكر ستين نصفا والثيب ٣ ثلاثين نصفا ، فأخذ مراسيم قضاة القضاة بذلك . فاضطربت أحوال الناس لذلك ، ولم يتمصّب أحد من القضاة للمسلمين بمنع ذلك ، وقد خافوا على مناصبهم من العزل ، وتنافلوا حتى ضعفت شوكة الإسلام في أيامهم ، واستطالت قضاة الروم عليهم ، وقد ٦ ترادفت الحوادث المنكرة والبدع الشنيعة المخالفة للشريعة في هذه الأيام ، وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه . فصار يوسف بن أبي الفرج مفتش الرزق والإقطاعات ، ونفخر الدين بن عوض مفتش الرزق الأحباسية التي بالصعيد ، والأمير على العثماني ٩ مفتش الأوقاف قاطبة ، والقاضي الذي حضر قسام الترك ، وملك الأمراء يعينهم على ذلك الظلم ، فأين المهرب ؟ كما يقال في المعنى :

١٢ رعاة الشاة تحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة هي الذئاب
(٢٤٤ آ) وفي يوم الأحد خامس عشره خرج الأمير على العثماني باش طائفة الأصبهانية وتوجه إلى خيامه بالريدانية . - ثم في يوم الخميس تاسع عشره خرج الأمير نصوح العثماني وصحبته من كان تأخر من الأصبهانية ، فلما سافروا سكن ١٥ الأمير سنان في بيت الأمير أزدمر الدوادار عوضا عن الأمير نصوح ، وسكن الأمير خضر في بيت طراباي عوضا عن الأمير علي الذي توجه إلى إسطنبول . - وفي يوم الجمعة حادي عشرينه حضر القاضي بركات بن موسى المحتسب ، وكان مسافرا نحو ١٨ المنزلة ، فأقام بها مدة ثم رجع ، فلما طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء أخلع عليه ، فنزل من القلعة في موكب حافل .

٢١ ففي ذلك اليوم أشهر المنادة في القاهرة بأن الفلوس الجدد كل فلسين بدرهم ، وكانوا قبل ذلك كل [أربعة] فلوس بدرهم ، فحصل للسوقة غاية الضرر بسبب ذلك . ثم إن القاضي المحتسب ضمن الشهابي أحمد ابن الجيعان وأفرج عنه من الترسيم ونزل إلى

داره ، وكان له مدّة وهو في الترسيم كما تقدّم . - وفيه عزم الأمير سنان على ملك
الأمراء فنزل إليه ، فدّ له مدّة حافلة ، وحضر أيضا الأمير خضر ، فأقام ملك الأمراء
عنده إلى قريب الظهر وركب من عنده وطلع القلعة . - وفيه رسم ملك الأمراء
بشنق ثلاثة أنفس ، وكان ذنبهم أنهم سرقوا شيئا يسيرا من الخيار الشنبر ، فشنعوا
بسبب ذلك وراحوا ظلما .

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نفق ملك الأمراء على المسكر جامكية ثلاثة أشهر ،
وأخر لهم ثلاثة أشهر ، وكان لهم ستة أشهر منكسرة لم تُصرف . - وفي ذلك اليوم
قطع ملك الأمراء جوامك جماعة كثيرة من المالك الجراكسة وأولاد الناس ،
وأصرف لهم بحكم النصف ، فجعل لكل واحد منهم ألف درهم ويصير طرخانا ، فشقّ
ذلك على المالك ، وكان فيهم من كان كفوا للأسفار (٢٤٤ ب) والتجاريد ، وفيهم
من هو شاب بطل ، وكذلك أولاد الناس .

وفي أواخر هذا الشهر حضر ألاق من إسطنبول من البحر الملح إلى الإسكندرية
ثم قدم إلى مصر ، وطلع إلى ملك الأمراء وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان
ابن عثمان ، فكان من مضمونه أن الواصل إلى الديار المصرية قاضي المسكر الذي
يسمى سيدى جلبي ، وهو أعظم قضاة السلطان سليمان وأكبرهم ، وأن السلطان
سليمان رسم بإبطال القضاة الأربعة الذين بمصر ، ويصير قاضي المسكر الواصل
يقصر في الأحكام الشرعية عن المذاهب الأربعة ، وأن سائر النواب الذين بمصر
والشهود تبطل قاطبة ، ويقتصر الأمر على أربعة نواب ، من كل مذهب نائب
لا غير ، وكل نائب يقتصر على اثنين من الشهود لا غير ، وأن النواب الأربعة
يكونون في المدرسة الصالحية دائما ، وأن لا يمدد عقدا ولا يوقف وقفا ولا تكتب وصية
ولا عتق ولا تكتب إجارة ولا حجة ولا غير ذلك من الأمور الشرعية حتى تعرض على
قاضي المسكر بالمدرسة الصالحية دائما . فلما وقف ملك الأمراء على مرسوم السلطان
سليمان ، أرسل يقول للقضاة الأربعة: اصرفوا الرسل من أبوابكم والنواب قاطبة والوكلاء ،

ولا تتحدثوا فى الأحكام الشرعية قاطبة ، حسبما رسم السلطان سليمان . فامتثلوا ذلك وأصرفوا من كان على أبوابهم من الرسل والنواب والوكلاء ولزموا بيوتهم إلى أن يحضر قاضى العسكر ، فاضطربت أحوال القضاة والشهود قاطبة ، وضاق الأمر على ٣ الناس أجمعين .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه وقعت حادثة مهولة ، وهو أن ملك الأمراء أرسل خلف الشهابى أحمد بن الجيعان شاويشا ، فلما حضر بين يديه بطحه على الأرض ٦ وضربه ضربا مبرحا ، حتى قيل تبدل عليه خمسة وعشرون نوبة يضربون بالعصى . (٢٤٥ آ) ثم إنه طلب القاضى شرف الدين الصغير كاتب الممالك وكان مريضا ملازم الفراش وغينيه موجوعة ، فلما أرسل خلفه اعتذر بأنه قد شرب دواء وهو مريض ، ٩ فحنق منه ملك الأمراء وأرسل إليه أربعة شاويشية فحملوه من فراشه وأركبوه غصبا ، فلما طلع إلى القلعة ووقف بين يدى ملك الأمراء بطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا ، حتى قيل تبدل عليه خمسة وعشرون نوبة يضربون بالعصى ، فصار ملك ١٢ الأمراء يقول للممالك الجراكسة الذين يضربونه : ويلكم اضربوه قوى ، هذا عدوكم الأكبر . فضربوه حتى كاد أن يموت ويهلك . ثم طلب القاضى شرف الدين ابن عوض ، فلما حضر بطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا دون ضرب الشهابى ١٥ أحمد بن الجيعان . ثم طلب محي الدين بن أبى أصبع وهم بضربه ، فشهد له الأمير برسباى الخازن دار أنه مغلق ما عليه من التقسيط ، فأقامه ولم يضربه فى ذلك اليوم . ثم رسم ملك الأمراء بسجن الجميع فى العرقانة فسجنوا فيها ، وقد خرب بيت أولاد ١٨ الجيعان عن آخره ، وقد اشتدت غضب ملك الأمراء على المباشرين فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشوما عليهم قاطبة ، وقيل لم يسجن بالعرقانة سوى القاضى شرف الدين الصغير ، وسجن الشهابى أحمد بن الجيعان وابن عوض عند بواب الحوش إلى أن ٢١ يكون من أمرهما ما يكون .

أقول : إن أولاد الجيعان قد خدموا سبعة عشر سلطانا ، وباشروا ديوان الجيش

وكتابة الخزانة من أوائل دولة الأشرف برسباي ، وكان أول اشتهاهم وظهورهم في أول دولة الملك المؤيد شيخ ، وذلك نحو مائة وعشرين سنة ، فأنهناوا فيها قط ، ولا ضربوا ولا صودروا ، ولا جرى عليهم قط تشویش ، وهم في كل دولة معظّمون مكرمون ما تبهدلوا قط وما جرى عليهم ما جرى على الشهابي أحمد هذا ، وكانت السلطين تعظّمهم غاية التعظيم إلى آخر دولة الأشرف النورى .

- ٦ وقية وقعت حادثة غريبة ، وهو أن شخصا من تجار الروم الذين بخان الخليل يقال له الخواج محمد المعجمي التبريزي ، وهو في سعة من المال ، وكان يقرض أعيان (٢٤٥ب) المباشرين المال بالفوائد الجزيلة ، ويأخذ الربا من الناس على القرض ، ولا سيما المحتاج لذلك ، فاتفق أنه سكر يوما وأتى إلى داره ، فوجد جواربه قد تشاجروا في بعضهم وتقاتلوا قتالا مهولا فحنق منهم ، فضرب جارية حبشية منهم على ضلعها فجاءت الضربة صائبة فانت الجارية من وقتها وكان له منها أولاد ، فقامت عليه الأشلة من أهل الحارة لأجل ذلك ، فطلع إلى ملك الأمراء وقصّ عليه القصة بأمر تلك الجارية واعترف بقتلها ، فغضب عليه ملك الأمراء ورسم عليه ثم أرسله إلى عند الوالى ، فركب الوالى وتوجّه إلى دار الخواج محمد ليكشف عن أمر تلك الجارية كيف قتلت ، فوجد الخواج محمد ظلما عليها وقد قتلها بغير ذنب ، وشهدت أهل الحارة بأنه يسكر كل ليلة ويمرّد في الجوار ، فطلع الوالى إلى ملك الأمراء وأخبره بسيرته القبيحة وأنه ماش على غير الطريق وأثخن جراحاته عند ملك الأمراء ، فرسم بسجن الخواج محمد في المرقانة ، فقيل إنه سأل ملك الأمراء بأن يدفع إليه ألف دينار فأبى من ذلك ، ولو أن الخواج محمد أرضى الوالى بمائة دينار وسرّ هذه الكاينة ما وصل الأمر إلى ذلك ، ولكن اتسعت هذه الواقعة إلى الناية ، وأشيع أن ملك الأمراء طلب منه عشرة آلاف دينار ، وهذا كله آفة الربا الذى كان يأخذه من الناس فإنه كان يقرض الألف دينار بألف وخمسمائة دينار ، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا ، فحتم ملك الأمراء على حواصله ، ثم شفع فيه بعض الأمراء العثمانية فأخذ

منه ثلاثة آلاف دينار . ثم إن ملك الأمراء تتبع أصحابه الذين كان يسكر معهم ،
فأخذ من كل واحد منهم ألف دينار ، وكانت هذه السكر سكرة الشوم على الخواجا
محمود (٢٤٦ آ) وأصحابه .

٣

- وفى يوم الأحد تاسع عشرينه عرض ملك الأمراء القاضى شرف الصغير والشهابى
أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وقصد ضربهم ثانيا ، ثم وضعهم فى الحديد
ورسم للوالى بأن ينزل يشنق الثلاثة على أبواب دورهم ، فاحتاط بهم مقدمين الوالى
وقبضوا عليهم ، فضمنهم القاضى بركات بن موسى المحتسب إلى باكر النهار حتى يسموا
فى أسباب ذلك مما كان تأخر عليهم من التقاسيط المتأخرة فى البلاد . فأخذ الشهابى
أحمد بن الجيعان فى أسباب بيع بيوته ورزقه وأملأه التى كانت على بركة الرطلى ،
فاشترها الأمير قاسم الشروانى بأبخس الأثمان ، فلم يبق بيد الشهابى أحمد لا ملك
ولا رزقة ولا بيت ولا ربع ولا دكاكين ، ولا شئ قل ولا جل ، ثم إن أخته باعت
جميع ما تملكه من مصاغ وحلى حتى باعت البسط من تحتها واللحف والطراريج
والخدات وأثاث البيت ، وفعلوا مثل ذلك سراريه وجواريه المعتقات ، وغير ذلك من
حاشيته وعبيده وغلما نه . ثم [إن] القاضى عبد الجواد أخا القاضى شرف الدين الصغير
أخذ فى أسباب ما تأخر على أخيه من التقسيط ، فاقترض وتداين وقد أشرف على
التفليق . وكذلك القاضى شرف الدين بن عوض .

- وفى يوم الاثنين سلخ هذا الشهر أشيع أن ملك الأمراء يقصد أن يعرض
المسكر ، فطلع المسكر إلى القلعة قاطبة ، فلم يخرج ملك الأمراء فى ذلك اليوم وأرسل
يقول للمسكر : العرض يوم السبت . فانفضوا ونزلوا من القلعة ، ولم يعرض فى ذلك
اليوم شيئا . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة الشريف على بن هار أمير الينبع ، توفى هو
ووزيره محمد بن زحام فى جمعة واحدة ، وكان خيار من ولى أمرة الينبع . - وفى ذلك
اليوم نودى فى القاهرة بأن الغرب [يعود] لأهله وأن لا يقيم بمصر غريبا ، وكان

(١) الذين : الذى . (٢) منهم : منه . (٦) مقدمين : كذا فى الأصل .

(١٠) فلم يبق : فلم يبق .

سبب ذلك أشيع أنهم قبضوا على شخصين من الأنعام ، زعموا أنهم دواسيس (٢٤٦ ب) من عند إسماعيل شاه الصوفي .

- ٣ وفي شهر رجب كان مستهلّه يوم الثلاثاء ، فأهلّ هذا الشهر والناس في أمر مريب بسبب ما وقع من الحوادث من عزل القضاة الأربعة وسائر نوابهم والشهود قاطبة ، وما وقع للمباشرين من هذه الكاينة العظمى ، ومنها أمر العاملة التي حصل منها غاية الضرر للناس قاطبة ، ولاسيما الفلاحين يقبضون الخراج منهم على حكم النضة الجديدة بنصفين وربيع وقيموه عند الحساب بنصف واحد ، وقد تزايد الاضطراب في هذه الأيام جدا من وجوه كثيرة . - وفي يوم الأربعاء ثانية أشيع هروب شيخ العرب بيبرس بن بقر ، وأنه توجه إلى نحو الطور ، فصار أخوه عبد الدايم في البرج بالقلمة وهو مقيد ، وله نحو ثلاث سنين في البرج لم يفرج عنه ، وصار أبوهم الأمير أحمد بن بقر هو المتكلم في الشرقية قاطبة . - وفي هذا الشهر قدم الزبني عبد القادر ابن الملكى الذى كان توجه إلى إسطنبول مع من توجه من الأمراء ، فأفرج عنه السلطان سليمان بن عثمان مع من أفرج عنه ، فحضر من إسطنبول في هذا الشهر . وفيه نزل ملك الأمراء إلى قصر ابن العيني الذى بالمنشية على سبيل التزّه ، فأقام هناك إلى بعد العصر ، فأرسل إليه القاضى يركات المحتسب هناك مدّة حافلة على حكم ما تقدّم له قبل ذلك . - وفي يوم السبت خامسه نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس به وعرض المسكر قاطبة ، وعيّن منهم جماعة كثيرة من المالك الجراكسة نحو ألف وخمسمائة مملوك وقال : كونوا على يرق إن طلبكم السلطان من البحر توجهوا إليه ، وإن طلبكم من البرّ توجهوا إليه .

- ٢١ وفي ذلك اليوم قطع ملك الأمراء جوامك جماعة كثيرة من المسكر ، وأصرف لهم بحكم النصف من الجامكية . - وفي يوم الخميس ثالثه طلب ملك (٢٤٧ آ) الأمراء الشهباني أحمد بن الجيمان وشرف الدين بن عوض ، فلما مثلا بين يديه رسم بضر بهما ثانيا ، فضرّ با ضربا مبرحا حتى أشرفا على الموت ، وكانا في غاية الألم مما نالهما من شدة (٥) العظمى : العطاء . (١٦) وفي يوم السبت خامسه : هكذا ترتيب الأيام في الأصل .

الضرب الأول ، وجاء هذا الضرب الثانى زيادة على ذلك وأمرها إلى الله تعالى .

وفى يوم الأحد سادسه نودى فى القاهرة بأن كرى بيوت الأوقاف التى تحت

- نظر القضاة وغيرها لا يقبضوها الجباة إلا على حكم المعاملة الجديدة كل نصف ٣
بنصفين وربيع ، وأن الأثر فى الذهب يصرف بسبعة عشر نصفًا من الفضة الجديدة ،
فشق ذلك على الناس قاطبة وحصل لهم فاية الضرر أن أجرة كرى البيوت من الأوقاف
والخوانيت تجمع وتوضع فى صندوق إلى أن يحضر قاضى المسكر يتسلم ذلك ، وأن ٦
التسليم عنه إلى أن يحضر القاضى حمزة العثمانى . - وفى يوم الاثنين سابه عرض
ملك الأمراء جماعة من المواجز من الأمراء الجراكسة ، ما بين أمراء طبلخانات
وعشرات نحو عشرين أميرًا ، فقطع رواتبهم التى كانت تصرف لهم ، ثم رسم لهم بأن ٩
يصرف لهم بحكم النصف من ذلك كما فعل بالماليك الجراكسة ، فحصل لهم فى ذلك
اليوم كسر خاطر عظيم ، وكان فيهم شيوخ من القرائصة الأعوات .

- وفى يوم الخميس عاشر الشهر فيه قدم قاضى المسكر الموعود به ، المسمى بسيدي ١٢
جلبي ، جاء من البحر ، فلما وصل إلى بولاق نزل إليه ملك الأمراء ولأقاه من بولاق ،
واحتمر بصحبته إلى أن أترله فى بيت الأمير جانم المصبغة الذى خاف المدرسة النورية
وأرسل إليه مدّة حافلة ، فلما استقرّ هناك أتى إليه قاضى القضاة الشافى كمال الدين ١٥
الطويل وقاضى القضاة المالكي محيى الدين الدميرى وقاضى القضاة شهاب الدين
الفتوحى الحنبلى ، وكان القاضى الحنفى مريضًا فلم يحضر إليه ، فقيل لما دخلوا عليه لم يقم لهم
ولا عظمهم . وكان صفتة أنه شيخ هرم أبيض اللحية طويل القامة ، على عينه اليمنى ١٨
فصّ فلم ينظر (٢٤٧ب) سوى بفرد عين ، وهو فصيح اللسان باللغة العربية حسن
المحاضرة ، ولكن كما يقال :

- لا تشكرن الرء حتى تجربه ولا تدمنه من غير تجرب ٢١
فشكرك الرء مالم تجربه خطأ وذمك الرء بعد الشكر تكذيب

وفى يوم السبت ثانى عشره نودى فى القاهرة بإبطال الفضة المتيقة قاطبة ، وأنها

تدخل إلى دار الضرب ، فحصل للناس غاية الضرر . - وفي ذلك اليوم نزل ملك
الأمراء إلى الميدان وجلس به وأحضر الأمراء العثمانية والأمير قايتباي الدوادار ، ثم
٣ طلع قاضي العسكر وأحضر مرسوم السلطان سليمان الواصل على يده ، فكان ألفاظه
باللغة التركية ، فأحضرها من قرأ ذلك ، فكان من مضمونه التوصية بالرعية قاطبة ،
وإنصاف المظلوم من الظالم ، وإصلاح المعاملة من الذهب والفضة بين الناس ، وقد
٦ تعاضم عليهم قاضي العسكر ، فلم يجلس بينهم ولا حضر قراءة المرسوم . ومن جملة
ألفاظ ذلك المرسوم نعت قاضي العسكر ، فكان من نعمته أوصاف جميلة تختص به ،
وأنه يكون له التسكلم على الأحكام الشرعية عن المذاهب الأربعة ، ويحكم في المدرسة
٩ الصالحية بين الناس .

ثم إن قاضي العسكر جعل شخصا من العثمانية ، يقال له القاضي صالح ، وكان
حنفيا ، فاستقرّ به نائبا عنه يحكم في المدرسة الصالحية ، وجعل شخصا ، يقال له
١٢ فتح الله ، وكان من العثمانية ، وكان شافيا المذهب . ثم إن قاضي العسكر جعل تحت
يدى كل قاض من الأروام قاضيا من نواب قضاة مصر ، فجعل القاضي شهاب الدين
ابن شرين الحنفي نائبا عن القاضي صالح العثماني ، وجعل القاضي شمس الدين محمد الحلبي
الشافعي نائبا عن القاضي فتح الله العثماني ، وجعل القاضي أبا الفتح فتح الدين الوفاي
١٥ أحد نواب المالكية (٢٤٨ آ) يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه ، وجعل القاضي
نظام الدين الحنبلي الحلبي التادفي يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه ، والرجع في
١٨ الأحكام الشرعية إلى قاضي العسكر . ثم رسم لكل نائب من النواب الأربعة يقتصر
على شاهدين لا غير ، وسائر النواب والشهود تبطل قاطبة .

ثم رسم قاضي العسكر للرسل والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية إذا وقفوا قدامه
٢٦ يشدّون أوساطهم ويأخذون في أيديهم العصي ، فاجتمع بالصالحية من الرسل فوق
الستين رسولا وصاروا على هذه الهيئة . ثم إن قاضي العسكر أقام شخصا من الأروام
وسماه قسام الترك ، فجعل على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من

الأولاد الذكور والإناث ، فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل . - وفي يوم الأحد ثالث عشره نودى فى القاهرة عن لسان قاضى المسكر بأن الشهود قاطبة لا يعقد أحد منهم عقدا ، ولا تُكتب وصية ولا أجرة ولا مبايعة ولا شئ من الأمور الشرعية إلا فى المدرسة الصالحية عند القاضى صالح نائب قاضى المسكر . فحصل للناس بسبب التزويج فى هذه الأيام غاية المشقة ، واختار كل منهم الزووية على التزويج ، فكان لسان الحال يقول عنهم ما معناه :

- إذا نكحوا الرجال بنات قوم وصار المهر فى يد الفريق
عمدت إلى يدى فنكحت بكرا وأما مهرها عندى فريق
- وفيه نزل ملك الأمراء إلى عند قاضى المسكر وسلم عليه ، وقد بلغه أنه توقع فى جسده ، فنزل إليه وعاده ثم طلع إلى القلعة . - وفى يوم الثلاثاء خامس عشره نفق ملك الأمراء على المالك الجراكسة جوامكهم ، وكان لهم سبعة أشهر منكسرة ، فنفق لهم فى ذلك اليوم أربعة أشهر ، حتى على النلمان والمباشرين والفقهاء (٢٤٨ ب) ١٢ والمقرئين ومن له عادة . - وفيه منع قاضى المسكر شمس الدين الحلبي من التكلم فى المدرسة الصالحية ، وقرر عوضه القاضى شجاع العثماني وجعله قاضى المسكر متحدثا على أوقاف الجوامع والمدارس ومعالم الأنظار ، فطلب الجباة وقال لهم : ارفعوا لى حساب الأوقاف وقدر معالم الأنظار وما قدرها فى كل شهر . فشرعوا فى أسباب ذلك فى عمل الحساب . ثم إن قاضى المسكر رسم بأخذ الخلاوى التى فى المدرسة البروقية والأشرفية والنورية وغير ذلك من المدارس ، وأنزل فيها جماعة من الأروام الأفاقية .

- ثم إن القاضى صالح نائب [قاضى] المسكر عرض الرسل الذين فى المدرسة الصالحية ، ورسم لهم أن لا يأخذ الرسول منهم فى الشغل الذى يتوجه فيه أكثر من نصف فضة من الفضة الجديدة بنصفين وربيع ، وجعل على من يتزوج بكرا ثلاثة وأربعين نصفًا ، ويتكلف للشهود والماعد فوق ذلك ، ويأخذ على تزويج الثيب اثنين

وعشرين نصفاً غير ما يتكلف للشهود والماعد، هذا ما تقرّر على العوام، وأما الرؤساء فشئ غير ذلك . وقرر على كل شهادة تقع في المدرسة الصالحية قدراً معلوماً بحسب كل شغل كان ، فالشغل الثقيل له حكم ، والشغل الخفيف له حكم .

٣

ثم أشيع عن قاضي المسكر أنه قال : قصدي أمشي نساء مصر على طريقة نساء إسطنبول مع أزواجهن ، فإن عادتنا إذا دخل الرجل على زوجته تعطيه نصف المهر الذي أعطاه لها ، وأن الرجل لا يقرّر لزوجته كسوة ولا نفقة في صداقتها ، بل يكسها هو في كل سنة جوخة وقيصين ، ويطعمها في كل يوم بما يختار من قليل (٢٤٩ آ) أو كثير ، وتغزل وتكسى زوجها في كل سنة . فلما سمع الأعوام بذلك فرحوا به ودعوا لقاضي المسكر بسبب هذه الواقعة ، واغتموا النساء لذلك وظنوا أن ذلك الشئ واقع ، وأن قاضي المسكر أبطل كساويهن ونفقتهن ، فشق ذلك عليهن ، فعدّ ذلك من النواجر .

٩

ومن الحوادث أن شخصاً يهودياً وقف إلى القاضي صالح نائب قاضي المسكر ، وكتب قصة ، واشتكى فيها الأمير ثم أحد الأمراء الطبلخانات ناظر الدشيعة ، فأرسل خلفه القاضي صالح رسولا وأنكشاريا ، فلما حضر إلى المدرسة الصالحية ، فادّعى اليهودي على الأمير ثم ، فأنصف القاضي صالح اليهودي على الأمير ثم ، واستمرّ الأمير ثم في الترسيم حتى أرضى ذلك اليهودي . ثم في عقيب ذلك أن الأمير جاني بك أخوا الأمير قايتباي الدوادار ، اشتكته زوجته من عند القاضي صالح ، فطلبه إلى المدرسة الصالحية وتركه في الترسيم حتى أرضى زوجته فيما ادّعته عليه ، ولم يلتفت إلى أخيه الأمير قايتباي الدوادار .

١٨

وفي يوم الخميس سابع عشره نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء وقاضي المسكر بأن امرأة لا تخرج إلى الأسواق مطلقاً ، ولا تركب على حمار مكاري ، وأن لا يخرج إلى الأسواق إلا المجازر فقط ، وكل من خالف من بعد ذلك من النساء تضرب وتربط بشعرها في ذنب إكديش ويطاف بها في القاهرة ، فحصل للنساء بسبب ذلك غاية الضرر . ثم بعد ذلك بأيام اتفق بأن قاضي المسكر طلع إلى القلعة

٢١

- فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الأصهبانية في وسط السوق ، فمز ذلك عليه ، فلما طلع إلى القلعة قال للملك الأمراء : إن نساء أهل مصر أفسدت عسكر الخوندكار ، ولا بقی ینفعل للقتال قط . وقص عليه قصة النسوة مع الأصهبانية ، ففتنیر خاطر ٣ ملك الأمراء على النساء قاطبة ، ورسم للوالی بأن ینادی (٢٤٩ب) بأن امرأة لا تخرج من بیتها مطلقا ، ولا تتركب على حمار مكارى مطلقا ، وكل مكارى ركب امرأة شفق من یومه من غیر معاودة فی ذلك .
- ٦ ثم فی عقیب ذلك رأوا امرأة راكبة على مكارى فی طریق صحرة فأنزلوها من على الحمار وهرب المكارى ، فضربوها وقطعوا إزارها ، فاخلصت إلا بمد جهد كبير وغرمت نحو أشرفین . فلما استمر الأمر على ذلك باعت المكارية حمیرها قاطبة ٩ واشتروا عوضها أكادیش وشدوها بنصف رحل ، وصارت النساء یركبن علیها بسجادة والمكارى قائد لجام الإكدیش ، واستمروا على ذلك وبطل أمر الحمیر المكارية من القاهرة ، وركبت الخوندات والسقات على الأكادیش على طريقة أهل ١٢ إسطنبول ، وفیهم من ركب على بغل . ویقرب من هذه الواقعة ما وقع فی أيام الأشرف برسبای أنه منع النساء من الخروج إلى الأسواق مطلقا ، وكان الطمن بمصر عمالا ، فكانت الفاسلة إذا خرجت إلى مینة لتفسلها تأخذ من المحتسب ورقة وتقرزها ١٥ فی إزارها حتى یعلم أنها فاسلة ، فاستمروا على ذلك مدة سيرة ، ثم فی عقیب ذلك مرض الأشرف برسبای ومات بعد ذلك وأعيد كل شیء إلى ما كان علیه .
- ٨١ وفیه نزل القاضی برکات بن موسى المحتسب من القلعة بعد العصر ، ونادی بأن الأشرفی الذهب السلیمانی یصرف من الفضة الجديدة بخمسة وعشرين نصفا ، والأشرفی الذهب السلیم شامی والأشرفی النوری یصرفان من الفضة الجديدة بستة عشر نصفا ، وأن الفلوس الجدد كل أربعة فلوس بدرهم ، ثم إن المحتسب سمر سائر ٢١ البضائع على ما كانت علیه فی أيام شبک الجالی المحتسب . فلما نودی بذلك ارتجت القاهرة بسبب أمر المعاملة فی الذهب والفضة ، وحصل للناس غاية (٢٥٠ آ) الضرر وخسروا أموالهم ، ولاسیما التجار ، فنقلت أسواق البلد والدكاكين قاطبة ، وتمطلت ٢٤

الناس من البيع والشري لأجل إبطال الداملة وصرف النصف الفضة بنصفين وربيع . - ثم في يوم الأحد عشرينه نودى في القاهرة بأن كل شئ على حكمه كما كان أولا في صرف الذهب والفضة والفلوس الجدد ، كل اثنين بدرهم على ما كانوا عليه أولا ، فسكن الاضطراب قليلا .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه نزل ملك الأمراء وتوجه إلى نحو قصر ابن العيني الذي في المنشية ، وكشف على المراكب التي أنشأها هناك ، واستحث الصناع في سرعة العمل . - وفي يوم الجمعة خامس عشرينه طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ، وأخذ القاع فجاءت سبعة أذرع وعشرة أصابع ، وذلك أرجح من العام الماضي .

وفي أواخر هذا الشهر قدم قاصد من البحر من عند السلطان سليمان بن عثمان ، وعلى يده مرسوم شريف ، فكان من مضمونه أنه أرسل إلى ملك الأمراء خير بك يطلب منه عسكريا من الأمراء الجراكسة ومن المالك الجراكسة ، فعين الأمير قايتباي الرضائي الدوادار الكبير بأن يكون باش المسكر ، ثم رسم له بأن يطلب الأمراء الجراكسة إلى بيته ويعين منهم من يختاره ، فعرضهم عنده وكتب منهم جماعة نحو ثلاثة وأربعين أميرا ، منهم أمراء طبخانات وأمراء عشرات ، بسبب غزاة رودس ، وأن السلطان سليمان قد جهز إلى أهل رودس من الفرنج ستمائة مركب وأشحنها بالسلاح والمقاتلين ، وخرج إلى الغزاة فيهم بنفسه وصحبته الجمل الفقير من عساكر الروم في البر والبحر ما لا يحصى عددها .

وفي يوم السبت سادس عشرينه نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس به ، وعرض جماعة من الكحولية وكتب منهم نحو أربعائة إنسان ، وعرض (٢٥٠ ب) طائفة الأنكشارية وكتب منهم مائة إنسان . - وفي يوم الأحد سابع عشرينه نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس به ، وعرض المالك الجراكسة وكتب منهم خمسمائة مملوك وقيل ثمانمائة مملوك ، وكان الأمير قايتباي الدوادار باش المسكر هو الذي يعين ويكتب منهم من يختاره . فلما تكامل عرض المالك الجراكسة والأصهبانية والأنكشارية

والسكولية فكان مجموع ذلك نحو ألف وخمسمائة إنسان .

- ثم في يوم الاثنين ثامن عشرينه نفق ملك الأمراء على العسكر المعين للسفر ،
 فنفق على كل مملوك جامكية أربعة أشهر كانت لهم منكسرة في الديوان ، ولم يعطهم^٣
 زيادة على ذلك شيئا غير الجامكية المنكسرة عليه . - ثم إن ملك الأمراء عيّن الأمير
 جانم الحزاوى مشير الملكة ، بأن يكون باشا على الأصهبانية والأنكشارية
 والسكولية ، والأمير قايتباى الدوادار باشا على الأمراء والماليك الجراكسة فقط . ثم^٦
 إن ملك الأمراء جهّز صحبة الأمير جانم الحزاوى بقسماطا وجبن حلو وبصلا وعسلا
 أسود ، فجهّز ذلك في المراكب برسم العسكر تفرّق عليهم بطول الطريق ، وقيل أرسل
 صحبته أربعين ألف دينار بسبب جوامك العسكر .^٩

- ومن الحوادث الشنيعة ما وقع بالقاهرة في أواخر هذا الشهر ، وذلك أن ملك
 الأمراء رسم للوالى بأن يقبض على جماعة من الفلمان والفلاحين والمغاربة لأجل
 المراكب حتى يقذفون فيها بالعساكر ، فنزل الوالى وأطلق في الناس النار ، وشرع^{١٢}
 يقبض على كل من رآه في الرملة وفي الطريق من الفلمان والفلاحين ، وكل من قبض
 عليه وضعه في الحديد وأرسله إلى السجن إلى أن يخرج العسكر ، (٢٥١ آ) فصار
 يقبض على جماعة من السوقه والعبيد السود ، ثم تدرّجوا جماعة الوالى حتى صاروا^{١٥}
 يقبضون على جماعة من التجّار والفقهاء وغير ذلك ، فصاروا يشترون أنفسهم من
 جماعة الوالى بمبلغ له صورة حتى يخلصوا من أيديهم ، ثم صار الوالى يركب ويكبس
 على ساحل بولاق ومصر العتيقة ويقبض على النواتية والفلاحين ، فهربوا الناس قاطبة^{١٨}
 من السواحل . ثم رسم ملك الأمراء لكاشف الجيزة وإنابة بأن يقبض على شتارة
 أولاد الفلاحين ، وفعل مثل ذلك بالشرقية ، فقبضوا على جماعة من الفلاحين من
 قلقشندة ومن قليوب ومن شبك الثلاث ومن شبرا والمنية ، وغير ذلك من الضياع ،^{٢١}
 فصارت الفلاحون يختفون في الطامير ، وكادت مصر والقاهرة أن يخرّبوا في هذه

(٣) ولم يعطهم : ولم يعطهم . (٢٦) يشترون : يشتروا . (١٧) يخلصوا : يخلص .

(٢٢) يختفون : يختفوا .

- الحركة عن آخرها . فقليل مجموع الذين قبض عليهم نحو ألفي إنسان ، وقيل أكثر من ذلك ، وحصل للناس غاية الضرر . وقيل مات في سجن الديلم جماعة كثيرة من قبض عليه إلى أن خرج السكر ، فاتوا من الجوع وشدة الحر والوخم ، ونزل على أهل مصر نازلة عظيمة بسبب ذلك لم يسمع بمثلها قط . - انتهى ما أوردناه من حوادث شهر رجب ، وكان كثير وقوع الحوادث فوقع فيه أمور عجيبة ووقائع غريبة ، والأمر لله .
- ٦ وفي شهر شعبان أهل يوم الأربعاء ، فلم يطلع أحد من القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فانهم استمروا في العزل المقدم ذكره ، وصار قاضي السكر هو المتكلم على المذاهب الأربعة . - وبما وقع في هذا الشهر من الحوادث أن الأخبار قدمت من الصعيد ، بأن القاضي نجر الدين بن عوض لما توجه ليمسح جهات الصعيد أدخل سائر الرزق الأحباسية قاطبة في المساحة التي بالمكاتب الشرعية والمربعات والمناشير ، وقال لأصحابها : من أراد الإفراج عن رزقه يقف إلى ملك الأمراء (٢٥١ب) ويحضر مرسومه بالإفراج عن رزقه . ثم إنه منع الفلاحين من إعطاء خراج الرزق حتى يحضروا بالإفراجات من عند ملك الأمراء ، فاضطربت أحوال أصحاب الرزق وتكدوا غاية التكد ، وصار كل من وقف إلى ملك الأمراء بسبب رزقه وأحضر مكتوبه أو مربته يأخذ منه المكتوب أو المربة ويقول له : امض إلى حال سبيلك ، الرزق قاطبة دخلوا الذخيرة . فيرجع وهو في غاية القهر . أقول أن الرزق الأحباسية قط ما تعرض لها أحد من سلاطين مصر ، ولا أخرج منها شيئا عن أصحابه ، ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك ، ويقال إن الإمام الليث ابن سعد رضى الله عنه هو الذي دون ديوان الأحباس في أيامه ، وأفرد للرزق الأحباسية ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش ، واستمر ذلك باقيا من بعد الإمام الليث إلى الآن ، حتى جاء نجر الدين بن عوض فنقض ذلك الأمر الذي كان على جهات البر والصدقات ، وأبطل أمر الرزق الأحباسية وأدخلها في الذخيرة ، وأبطل ما كان صنمه الإمام الليث بن سعد

(١) الذين : الذي . (١٥) حال : الحال .

رضى الله عنه ، فقيل إنه أبطل ألف وثمانمائة رزقة من الأحباسية .

- وفي يوم الاثنين سادس الشهر فيه خرج الأمير قايتباى الرمضانى الدوادار وتوجه إلى السفر بسبب غزاة رودس ، فخرج صحبته الأمراء والعسكر ، وخرج صحبته الأمير ٣
جانم الجزاوى مشير الملكة ، وخرج صحبته الرئيس حامد القبطان رئيس المراكب ،
وصحبته العسكر العثمانى الذى تعين من الأصهبانية والأنكشارية والكمولية ، وخرج
العسكر من المالك الجراكسة ، فكان معه من الأمراء الجراكسة نحو ثلاثة وأربعين ٦
أميرا ما بين أمراء (٢٥٢ آ) طبلخانات وعشرات . فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه
ملك الأمراء قفطان حرير مذهبا وأخلع على الأمير جانم الجزاوى قفطانا مثله مذهبا ،
وأخلع على الرئيس حامد القبطان قفطانا أيضا . فخرج الأمير قايتباى من الميدان وعلى ٩
رأسه صنجق حرير أحمر ، وخرج ملك الأمراء من الميدان صحبة الأمير قايتباى
ليوادعه ، وخرج صحبته قاضى العسكر والأمراء العثمانية قاطبة ، فشقّ من القاهرة فى
موكب حافل ، وليس قدّامه جنائب ، وخلفه طبلان وزمران عثمانية ، فنزل وشقّ ١٢
من البسطين إلى تحت الربع إلى قنطرة قديدار ، وتوجّه من هناك إلى بولاق ، وكان
يوما مشهودا . ثم عاد ملك الأمراء إلى القلعة ، وحصل لأهل مصر بخروج هذه
التجريدة غاية الضرر . ١٥

- وفي يوم الثلاثاء سابع الشهر أرسل ملك الأمراء يستحثّ الأمير قايتباى الدوادار
فى سرعة التوجّه إلى رودس والنزول فى المراكب ، ثم نودى فى القاهرة بأن العسكر
المعين إلى السفر يخرج فى بقيّة ذلك اليوم ، وكل من تأخّر عن الخروج فى بقيّة هذا ١٨
اليوم شقّ من غير معاودة ، فخرجوا المالك المعينين للسفر قاطبة .

- ومن الحوادث أن شخصا من نواب الحنفية يقال له شمس الدين محمد المناوى
الحنفى شهد شهادة حقا بين شخصين فى تبارى بينهما بسبب دين ، فلما بلغ قاضى ٢١
العسكر ذلك أرسل خلف القاضى شمس الدين المناوى أنكشاريين ، فلما حضر بهدله
وهم بضربه ، وقال له : أنا مامنعكم أن لا تشهدوا على أحد من الناس إلا فى المدرسة

الصالحية ؟ ثم أرسله إلى السجن وسجنه ، فشقّ ذلك على القضاة والنواب ،
فاضطربت القاهرة بسببه ، ثم شفع فيه عند قاضى العسكر القاضى شهاب الدين
ابن شيرين الحنفى ، فأطلقه من السجن فى يومه هو والمجاوى أفرج عنهما . وقد
حصل لأهل مصر من قاضى العسكر غاية الضرر للرجال والنساء ، ووقع منه أمور
شنيعة ما تقع من الجهال ولا من المجانين ، فتزايد حكمه بالجور بين الناس ، وقد ضيق
عليهم (٢٥٢ ب) غاية الضيق .

ثم تكلموا الناس مع قاضى العسكر فى أمر النساء أن لا يُمنعوا من طلوع
الترب ودخول الحمام وزيارة الأقارب ، فأذن لهم فى ذلك ، وأن المرأة لا تخرج
الطريق إلا مع زوجها ، وأن لا يدخل الأسواق غير المجاز فقط ، فسمح لهم
قاضى العسكر بذلك ، وأنهن لا يركبن إلا الخيل والبغال دائماً ، فاستمرت على ذلك .
وقد فتك قاضى العسكر بالناس فى هذه الأيام فتكا ذريعا ، وقد جمع بين قبح الشكل
والفعل ، فإنه كان أعور بفرد عين بلحية بيضاء ، وقد طعن فى السن ، وكان قليل
الرسال من العلم ، أجهل من حمار ، لا يدرى شيئا فى الأحكام الشرعية ، وقدّمت
إليه عدة فتاوى فلم يجب عنها بشئ ، وقد هجته الناس هجوا فاحشا فى مدة إقامته بمصر
فقالوا فيه عدة مقاطيع ، فمن جملة ذلك قول بعض الشهود ، وهو قوله فيه :

رأينا مسيخاً أعورا قبل موتنا أنى من بلاد الروم يمنع رزقنا
يقدم قانونا على شرع أحمد فنسأل رب العرش يكشف كربنا
وقلت أنا :

رأيتك لا ترى إلا بعين وعينك لا ترى إلا قليلا
فإن تك قد أصبت بفرد عين نخذ من عينك الأخرى كفيلا
فقد أيقنت أنك عن قريب إذن بالكف تلتمس السبيلا

وفى يوم الجمعة عاشر الشهر ، فيه قدم الأمير شيخ الذى كان توجه إلى إسطنبول
فى بعض أشغال ملك الأمراء ، فلما حضر أخبر بأن السلطان سليمان جهّز عدة

مراكب مشحونة بالسلاح والقاتلين ، وجّهز عساكر كثيرة من البرّ بسبب غزاة رودس ، وخرج بنفسه وذلك في خامس عشر رجب عما أشيع ذلك بين الناس ، وأرسل على يده مراسيم شريفة تتضمن أن السلطان سليمان قد فوّض أمر مملكة مصر إلى ملك الأمراء خاير بك ، يمزّل من يختار ويوتّى من (٢٥٣ آ) يختار ، والرجع إليه في ذلك بما يراه من المصلحة . - وفي يوم السبت حادى عشره نودى في القاهرة بأن الأمير والى جلبي العثماني ، الذي حضر من إسطنبول ، قد استقرّ ناظرا على سائر الأوقاف قاطبة ، فلا يحتمى عليه أحد من الناس ، فتجددت على الناس مظلمة أخرى .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره كانت ليلة النصف من شعبان ، فنزل ملك الأمراء من القلعة وتوجّه إلى القياس ، وقرأ هناك ختمة ، ومدّ مدّة حافلة ، ورسم بقراءة عدّة ختمات في تلك الليلة في جامع الأزهر ومقام الإمام الشافعي والليث رضى الله عنهما ، وغير ذلك في أماكن متفرقة . - وفي يوم الخميس سادس عشره أخلع ملك الأمراء على القاضي بركات المحتسب قفطان مخمل مذهبا ، وقرّره في التحدث على جهات الشرقية قاطبة من المطرية إلى دمياط ، وقد التزم في كل سنة بأربعمائة ألف دينار ، يقوم بذلك على ثلاثة أقساط ، فنزل من القلعة في موكب حافل ، ومشاعليسة قدّامه تنادى أن القاضي بركات بن موسى ناظر الذخيرة الشريفة صار متحدثا على الشرقية قاطبة ، فلا يحتمى عليه أحد من الناس ، ولا يشتكى أحد من أهل الشرقية إلا من بابه ، فتزايدت عظمة القاضي بركات إلى الغاية .

وفي يوم الأحد سادس عشرينه خرج قاضي المسكر يقصد التوجّه إلى مكة المشرفة من البحر الملح ، فلما خرج نزل ملك الأمراء وركب صحبته ، وكذلك خير الدين نائب القلعة وجماعة من الأمراء العثمانية ، فوادعوه من عند تربة المادل ورجعوا ، فلما خرج قاضي المسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه ، فاحصل منه لأهل مصر خير ففُزلت القضية الأربعة بسببه ، وأخرج عنهم الأنظار ، ومنع الشهود من الجلوس

- في المجالس قاطبة ، وأسمر دكا كينم ، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية ، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه ، وضيق على الناس (٢٥٣ ب) بسبب عقود الأنسكة وقرّر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ ، وصار لا يعقد عقدا إلا في المدرسة الصالحية ، وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمار ، فلما خرج من مصر صنف النساء رقصة ، فقالوا : قوموا بنا نقجب ونسكر قد خرج عنا قاضي المسكر .
- ٣ وضيق على أهل مصر في أمور كثيرة يطول شرحها . فلما خرج قاضي المسكر توجه إلى نحو الطور ، فقيل إن ملك الأمراء أنعم عليه بمشرة آلاف دينار ، غير الغل الذي أرسله إليه لما قدم من إسطنبول . فلما توجه قاضي المسكر إلى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانية بسبب عمارة المين التي بمكة لما تعطلت ، وعمارة قبة الزيت التي بالحرم ، وعمارة النار التي بالحرم النبوي . فلما خرج قاضي المسكر خرج صحبته جماعة كثيرة من الأصبهانية ، ومن أهل مصر ، وخرجت صحبته زوجة الأمير سنان في محفة .
- ٩ فلما سافر قاضي المسكر جمل القاضي صالح العثماني الحنفى نائبا عنه يحكم في المدرسة الصالحية إلى أن يحضر من الحجاز ، وكان قاضي المسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائبا من نواب القضاة الأربعة ، وجعل منهم من هو في بولاق وفي مصر العتيقة وفي جامع ابن طولون وفي الحسينة ، وغير ذلك من الأماكن ، وجعل في كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق . وجعل على كل مجلس من المجالس شايشا من العثمانية يضبط ما يتحصل في كل يوم من أجرة أشغال الناس ، فيقسم للقاضي من ذلك المتحصل شيئا وللشهود شيئا وله شيء ، ثم يأخذ الباقي ويضعه في صندوق يرسم السلطان سليمان يودع بيت المال .
- ١٢ ١٥ ١٨ ٢١

(١) وأسمر ، يعني أغلقها بالسامير . (١٨) يقضون : يقضوا .

(٢١) بيت المال : كتبها ما يأتي في الأصل على الهامش ويخط غير خط المؤلف : وقال في ذلك خلاف الواقع ، فإن ما يحصل من الحاكم للقاضي والنواب ، وليس للسلطان شيء من عصول القضاء .

- ومن الحوادث الشنيعة ما وقع لقاضى القضاة الحنفى على بن ياسين الطرابلسى بسبب وقف الخوaja شهاب الدين بن أحمد بن صالح السكندرى ، فطلع قاضى القضاة الحنفى إلى ملك الأمراء ، فلما رآه مقبلا من بعيد ، قال لمن حوله : إيش طلع (٢٥٤ آ) ٣ هذا الثقيل يعمل ؟ فلما جلس بحضرة ملك الأمراء وأخرج مكتوب الوقف الذى زوروه وثبت عليه ، فانتبذ له جماعة من القضاة وحضر أبو الفتح الوفاى المالكي الذى حكم لابن الخوaja شهاب الدين السكندرى ، وحضر ذلك المجلس القاضى صالح العثمانى نائب قاضى العسكر ، فلما أخرج قاضى القضاة الحنفى المكتوب الذى صنعه ، دفعه ملك الأمراء إلى القاضى صالح ، وقال له : انظر فى هذا المكتوب . فلما قرأه ، قال : هذا الحكم الذى حكمه القاضى الحنفى باطلا لا تجوز قراءته . فحصل لقاضى القضاة الحنفى فى ذلك المجلس غاية البهدة ، واسمته الفقهاء الكلام المنكى ، وانتصف عليه القاضى أبو الفتح الوفاى فى ذلك الحكم الذى حكمه ، فقام قاضى القضاة من ذلك المجلس وهو يتعثر فى أذياله مما قاسى من البهدة من ملك الأمراء ، ومن القاضى صالح وغيره . وكان قاضى القضاة الحنفى غير محبب للناس ، وكان عنده صمصة وجنّ وسوء تدبير ، ويس طباع مع رهج ، وخفة زائدة مع عبوسة وجه وشناعة زائدة ، وقد قلت فيه :

١٥

رُبَّ قاضٍ قد اعتراه جنون شأنه الرهج ما لديه سكون

لم يفده علمه إذا جنّ شيئا فهو فينا معلم مجنون

١٨

وقولى أيضا :

كم ضاع للنعمان من مذهب فى عصرنا لما تولى فلان

تبّا له من قاضٍ أهوج أحكامه مشهورة بالجنان

- وفى يوم الأربعاء سلخ شهر شعبان كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فلم يحضر ٢١ من قضاة القضاة أحد إلى المدرسة المنصورية على جارى العادة ، فإنهم كانوا منفصلين عن القضاة ، فحضر بعض نواب القضاة ، منهم : شمس الدين الجولى الشافى ، وشهاب (٣) رآه : أراه . (٩) تجوز : جوز .

الدين أحمد بن شيرين الحنفى ، وفتح الدين الوقاى المالكي، ونظام الدين الحلبي الحنبلى ، وحضر القاضى بركات بن موسى المحتسب ، فلما روى الهلال ركب من هناك القاضى المحتسب وشقّ [من] بين القصرين فى موكب حافل ، وقدّامه عدّة فوانيس ومشاعل على جارى (٢٥٤ب) العادة فى كل سنة .

فلما كانت ليلة الخميس أهلّ شهر رمضان ، فلم يطلع من قضاة القضاة أحد للتهنئة بالشهر ، وكانت الناس فى غاية الاضطراب بسبب المعاملة ، فإن الدينار السليم شامى صار يصرف بخمسة وأربعين نصفاً من الفضة العتيقة ، والدينار السليمانى صار يصرف بخمسة وستين نصفاً من الفضة الجديدة ، حساباً عن كل نصف بنصفين وربيع من الفضة الجديدة ، فوقف حال الناس بسبب ذلك ، ولا سيما حال الفلاحين فى البلاد ، فإن العمال يحاسبونهم عن النصف عند القبض بنصفين وربيع من الفضة الجديدة ، وقيمونه عليهم وقت الحساب بنصف واحد ، نخرب غالب البلاد بسبب هذه المعاملة .
وغير ذلك كانت أحوال الناس فى غاية الاضطراب بسبب الرزق الأحباسية التى أدخلها نحر الدين بن عوض فى ديوان السلطان ، وصار ملك الأمراء كل من طلع له بمكتوبه أو مربمته يأخذ ذلك منه ويقول له : هذا دخل ديوان السلطان . فحصل للناس غاية الضرر من كل وجه .

ومن الحوادث أن ملك الأمراء طلب التجار قاطبة ، وكتب عليهم قسائم أن لا يتعاملوا إلا بالذراع العثمانى فى البيع والشرى ، وأبطل الذراع القديم الهاشمى وكتب القسائم على التجار بذلك . وهذا الذراع يزيد عن الذراع الهاشمى نحو ربع ذراع - وأهلّ شهر رمضان وقضاة القضاة منفصلون عن القضاء ، والمباشرون فى الترسيم بالقلمة من حين جرى عليهم ما جرى . - وفى يوم الخميس ليلة الجمعة ثامنه رأوا الناس كوكبا عظيماً جاء من نحو الغرب ، وخلفه شرار كمثل العمود النار ، فاستمرّ ماشياً فى السماء إلى نحو الشرق فاخفى ، وقد شاع خبره بين الناس لما طلع النهار .
وفى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان ، فيه كان (٢٥٥آ) وفاء النيل

البارك ، ووافق ذلك ثالث عشر مسرى ، وفتح السدّ في يوم الخميس خامس عشر رمضان ، الموافق لرابع عشر مسرى ، فأوفاه الله الستة عشر ذراعا وزاد ثلاثة أصابع من الذراع السابع عشر . فلما أوفى نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجّه إلى المقياس ٣ وخلق العمود ، ونزل في الحراقة وصحبته الأمراء العثمانية ففتح السدّ الذي عند رأس المنشية ، ثم ركب من هناك . وتوجّه الوالى إلى فتح السدّ الثانى الذى عند قنطرة السدّ ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، وكان ذلك آخر فتح ملك الأمراء للسدّ ومات بعد ذلك بشهرين ، قال الناصرى محمد بن قانصوه :

- خليج السدّ يوم الكسر جبر بقاء للعيون يرى بهيجا
وهذا اليوم يوم الجبر فاسرع بنا لنرى به هذا الخليجا ٩
- وفيه قدم ألاق من البحر الملح وأخبر عن السلطان سليمان أنه في المحاصرة مع الفرنج ، وكثر القال والقليل بين الناس بسبب ذلك . - وفيه جاءت الأخبار بأن ابن سوار قد قُتل ، وسبب ذلك قد بلغ السلطان سليمان بن عثمان بأن ابن سوار قد ١٢ التفت على شاه إسماعيل الصوفى وصار يكاتبه في الدسّ ، فندب إليه الأمير فرحات الذى كان توجّه إلى جان بردى الغزالى نائب الشام ، فتوجّه إلى ابن سوار وأظهر له أنه يقصد التوجّه إلى ديار بكر بسبب عسكر الصوفى ، فأضافه ابن سوار وأركن إليه، ١٥ فلما جلسا هو وإياه على مجلس الشراب في نفر قليل من أصحابه ، وثب على ابن سوار جماعة من العثمانية من حاشية الأمير فرحات ، فقتلوا ابن سوار وهو على سفرة الشراب على حين غفلة ، ولم يشعر به أحد من عسكره . فلما أشيع قتله اضطربت أحوال ١٨ السوارية بقتله ، وقيل إن فرحات قتل بعد ذلك ثلاثة من أولاد ابن سوار ، وقتل جماعة من أمرائه ، ثم مضى عنهم وقد تمتّ حيلته على ابن سوار حتى قتله .
- ومن الحوادث أن حضر إلى القاهرة شخص قيل إن أصله من الشرق ، وقيل ٢١ كان بمكة وأقام بها مدة ، فلما حضر ادّعى أنه المهدي ، فلما طلع إلى ملك الأمراء استمرّ راكبا على (٢٥٥ب) بنلته حتى دخل إلى الحوش السلطاني ، وجلس بين يدي

ملك الأمراء ، وقال له : أنا المهدي . وكان حاضرا في ذلك المجلس القاضي شهاب الدين بن شيرين الحنفي ، فسأله عن مسائل في العلم فلم يجب بشيء . وكان صفتة أنه شيخ طاعن في السن قصير القامة جدا ، ولم يكن فيه من علامات المهدي شيء ، فلما أغلظ على ملك الأمراء في الكلام رسم ملك الأمراء بالقبض عليه وتوجهوا به إلى البيارستان ، وأن يضعوه في الحديد ويسجنوه عند المجانين . فقبضوا عليه وتوجهوا به إلى نحو البيارستان ، فكشفوا رأسه ووضعوه في الحديد . فلما بلغ الشيخ إبراهيم الذي في الجامع المؤيدي والشيخ حسن العثماني طلعا إلى ملك الأمراء وشفعا فيه ، فرسم ملك الأمراء بإطلاقه من البيارستان ، فأتى إليه الشيخ حسن العثماني وحمله على أكتافه وأخرجه من البيارستان . وكان هذا الرجل معظما عند العثمانية ، وفي خدمته جماعة كثيرة من الأعاجم نحو خمسين إنسانا ، فلما خرج من البيارستان ازدحمت عليه الناس ليروا المهدي ، فكان ذلك اليوم مشهودا بسبب الفرجة عليه لما شق من القاهرة . فاستمر على أكتاف الشيخ حسن حتى توجه به إلى المؤيدية ، ثم بدا للملك الأمراء أن يرسل المهدي إلى بيت الوالي ، فقبضوا عليه وتوجهوا به إلى بيت الوالي ، فاستمر به مدة ثم شفع فيه .

وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه قبض ملك الأمراء على يوسف بن أبي الفرج ابن الجاكية وسلمه إلى القاضي بركات بن موسى ليقيم حسابه مما دخل إليه من المال بسبب الرزق ، فلما نزل إلى بيت المحتسب هم أن يعرّبه ويضربه بالمقارع وقال له : قم حسابك من حين قررت في هذه الوظيفة . فقبل إنه أورد سبعمائة دينار ، فقال له القاضي المحتسب : جلبت الدعاء على ملك الأمراء لأجل (٢٥٦ آ) هذا التقدر الهين لا جزاك الله خيرا .

وفي يوم الجمعة ثالث عشرين شهر رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى نحو جامع الأزهر ليصلي هناك صلاة الجمعة ، وكان صحبته الأمراء العثمانية الذين بمصر ، وجماعة من الأمراء الجراكسة ، منهم الأمير أرزمك الناشف . فلما انقضى أمر الصلاة وقصد

أن يركب ، وقف إليه رضى الدين بن الدهانة وجماعة من الفقهاء ، وقالوا له : يا ملك الأمراء انظر في أحوال الرعية . فقال : نعم . ثم ركب بسرعة وخرج من باب الجامع وتوجه إلى القلعة . وقيل إن ملك الأمراء تصدق في ذلك اليوم على مجاورين جامع الأزهر بمخمسائة دينار ، وكان الذى تولى أمر الصدقة شهاب الدين أحمد المحلى إمام أمير آخور كبير قانى باى قرا ، فما قاسى من الناس خيرا بسبب تلك الصدقة ، وحصل له غاية البهولة من الناس .

وفى يوم السبت رابع عشرينه نودى فى القاهرة عن لسان ملك الأمراء بأن جميع القضاة والشهود يحضرون بدقارهم إلى المدرسة الصالحية ويسلموهم إلى القاضى صالح العثمانى نائب قاضى العسكر ، فلم يوافق أحد من الشهود على ذلك وأبطلوا هذا الأمر . - وفيه أشيع أن العربان قطعوا جسر الحلفاية ، فنقص البحر فى تلك الليلة ثمان أصابع ، وكان فى قوة الزيادة ، فاضطربت أحوال الناس بسبب ذلك ، وارتفع سعر القمح وسائر الغلال بعد ما كان انحطّ السعر ، وأقام النيل أربعة أيام لم يزد شيئا ، فاضطربت أحوال الناس . ثم فى اليوم الخامس زاد الله فى النيل المبارك أصبعين من النقص ، فسكن ذلك الاضطراب ، واستمرت الزيادة عمالة الى بابه .

وفى شهر شوال كان مستهلّه يوم السبت ، وهو يوم عيد الفطر ، فكان أكثر العسكر مسافرا فى غزوة رودس ، وكذلك الأمير قايتباى الدوادر ، وجماعة من الأمراء ، فلما صلى ملك الأمراء صلاة العيد ، مدّ مدّة حافلة فتنهايتها الانكشارية والأصبهانية ، وكان هذا العيد خامدا . - (٣٥٦ب) وفى يوم الأحد ثانيه حضر ألاق من البحر وعلى يده كتاب من عند الأمير جانم الحزاوى إلى ملك الأمراء ، فقرأ بحضرة القاضى شهاب الدين بن شيرين ، فكان من مضمونه أن الأمير قايتباى الدوادر ومن معه من الأمراء والماليك الجراكسة قد وصلوا إلى رودس فى ثالث عشر شهر رمضان ، فوجدوا السلطان سليمان فى جزيرة تجاه رودس ، فأقاموا ثلاثة أيام لم يجتمعوا بالسلطان ، ثم فى اليوم الثالث أوكب السلطان سليمان وجلس للعسكر جلوسا (٣) مجاورين : كذا فى الأصل . (٨) يحضرون : يحضروا . // ويسلموهم : كذا فى الأصل .

عاما في ذلك اليوم ، فلما نظر إلى الأمير قايتباي الدوادر عظّمه وأكرمه ، وكذلك
 الأمراء الذين صحبته ، ووقفت المالك الجراكسة قدّامه فشكرهم وأثنى عليهم . وقيل
 ٣ إن السلطان سليمان لما رأى المالك الجراكسة استقلّ عقل والده سليم شاه الذى قتل
 المالك الجراكسة ، وقال : مثل هذا المالك كانت تُقتل ؟ وقيل إنه أنزل المسكر
 المصرى في وطاقه عند الوزير الأعظم من وزرائه . وأخبر الأمير جانم الحزاوى في
 ٦ كتابه إن إلى الآن لم يقع بين السلطان وبين أهل رودس قتال ، وأنه مقيم بجزيرة تجم
 رودس ، واليماد بعد العيد .

وفي يوم الاثنين ثالث الشهر قدم الخواجا ابن عباد الله من إسطنبول ، فنزل إليه
 ٩ ملك الأمراء ولاقاه من عند تربة العادل ، وأخلع عليه قفطان حرير . فلما حضر
 ابن عباد الله أشيع أن السلطان قرره ناظر الأوقاف قاطبة التى بمصر والشام ، وأنه
 يكشف على سائر أوقاف الجوامع والمدارس قاطبة ، فيعزل من الصوفية من يشاء ويبقى
 ١٢ من يشاء ، وأشيع عنه أنه يخرج الوظائف عن الفقهاء ولا يبقى بيدى فقيه وظيفتين
 فى التصوف ، وأن يقرر (٢٥٧) الوظائف لجماعة أفاقية من الأروام ، فلما بلغ الفقهاء
 ذلك عن ابن عباد الله اضطربت أحوالهم قاطبة . - وفيه قدمت الأخبار من دمشق
 ١٥ بأن الأمير فرحات نائب الشام قبض على جماعة من التجّار أتوا من بلاد شاه إسماعيل
 الصوفى ، وزعم أنهم دواسيس من عند الصوفى ، فلما قبض عليهم أخذ جميع أموالهم
 من البضائع والأصناف التى أتوا بها ، ثم ضرب أعناقهم أجمعين . وبعمايثور من هذه
 ١٨ الواقعة فتنة عظيمة بين العثمانية وبين الصوفى بسبب ذلك ، فإنه مسدود بقشة .

ومن الحوادث أن جماعة من النصارى كانوا فى بيت عند جامع المقسى على الخليج
 يسكرون ، فلما قوى عليهم السكر تزايد عليهم الضجيج والتجّاهر بالسكر ، وكان فى
 ٢١ جامع المقسى ابن الشيخ محمد بن عنان مقيا به ، فنقل عليه أمرهم ، فأرسل إليهم من
 ينهام عن ذلك ، فأغلظ عليهم فى القول ، وقال لهم : أما تستحوا من الشيخ
 ابن عنان ؟ فسبّوا له الشيخ ابن عنان سبّا قبيحا ، فطلع الشيخ إلى ملك الأمراء

وشكاه من النصارى ، فأرسل ملك الأمراء بالقبض على النصارى ، فهربوا ، فقبضوا على واحد منهم ، فرسم ملك الأمراء بحرقه ، فلما رأى ذلك النصراني عين الجدة فأسلم من خوفه من الحرق ، فألبسوه عمامة بيضاء ، فلما جرى ذلك خاف بقية النصارى على أنفسهم واختفوا عند الشيخ يونس النصراني حتى تخمد هذه الواقعة عنهم .

- وفى يوم الجمعة قدم قاصد من عند الأمير جانم الجزاوى وأخبر [أن] العسكر برز للقتال مع الفرنج الذين برودس ، وأشيع أنهم أشرفوا على أخذ السور الأول من مدينة رودس ، ولكن قُتل في هذه المعركة من المساكين ما لا يحصى عددها . -
- وفى يوم الجمعة المقدم ذكره كان يوم النوروز ، وهو أول توت من الشهور القبطية ، وأول سنة ثمان وعشرين وتسعمائة إقبطية ، فكان النيل يومئذ فى عشرين (٢٥٧ب) أصبعا من ثمانية عشر ذراعا ، وكان سائر النمل جيمه فى غاية الرخص ، بمد ما كان السعر قد اشتط لما توقف النيل عن الزيادة كما تقدم . - ومن الحوادث [أن] والى القاهرة شتى فى يوم واحد أربعة وعشرين إنسانا ، وخوزق منهم جماعة وعلقهم فى أماكن متفرقة ، وكان أكثرهم حرامية وزغلية ومن عليه دم ، فأخرم الوالى فى السجن حتى مضى شهر رمضان فأتلفهم فى يوم واحد . - وفى ليلة السبت خامس عشره خسف جرم القمر خُسُوفًا كاملا ، حتى أظلم الجو وصار القمر كالقنطرة السوداء ، فأقام فى ذلك الخسوف نحو خمسين درجة ، وكان ذلك نصف الليل .

- وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمّل عظيم ، وكان يوما مشهودا . وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم السيفى دولات باى الأتابكى ، وهذه ثالث سفرة إلى نحو الحجاز سافرها الأمير جانم كاشف القيوم ، فشق من القاهرة فى موكب حافل ، وطلب طلبا كأطلاب الأمراء المقدمين ، وكان فى طلبه ست عجلات تسحبها الأكاديش ، وفى كل عجلة مكحلة نحاس برسم المدافع ، فإن درب الحجاز كان فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان . ولم يركب قدام المحمل أحد من القضاة

(٦) الذين : الذى . (١٣) فأخرم : فأخر . (١٥) كالقنطرة : كالقنطرة .

(٢١) تسحبها : تسحبوها

- الأربعة غير قاضى المحمل شمس الدين محمد بن النقيب . وأُشيع أن كسوة الكعبة الشريفة أرسلها ملك الأمراء من البحر الملح إلى مكة ، وكذلك المال الذى بعث به السلطان سليمان بن عثمان إلى مكة والمدينة النبوية ، لأجل الصدقة على مجاورى الحرمين الشريفين ، حجة قاضى العسكر لما توجه إلى مكة من البحر الملح ، وسبب ذلك من فساد العربان في الطريق واضطراب درب الحجاز في هذه الأيام المشيطة (٢٥٨ آ) .
- ٦ وفي يوم الاثنين رابع عشرينه حضر قاصد من البحر وأخبر أن السلطان سليمان في المحاصرة مع الفرنج الروادسة ، وأحضر كتابا من عند الأمير جاتم الجزاوى يذكر فيه أن العسكر في انشحات من الفلاء بسبب القمح والدقيق وقد عزت الأقوات هناك .
- ٩ فلما بلغ ملك الأمراء ذلك نزل إلى الشون التى بمصر المتيقة وأخرج ثلاثين ألف أردب من القمح ليجهزها للسلطان والعسكر ، ثم أرمى على الطواحين عشرة آلاف أردب قمح يطحنونها دقيقا . فاستمرّ ينزل إلى الشون بسبب ذلك أربعة أيام متوالية حتى جهز في الراكب ثلاثين ألف أردب قمح وخمسمائة حمل دقيق وخمسمائة أردب أرز ، وقيل مثلها خمص وبسلة ، وقيل أرسل مع ذلك أشياء كثيرة من البصل وغير ذلك مما استحسنته ، فجهز ذلك بسرعة وأرسله من البحر إلى السلطان والعسكر الذين هناك .
- ١٥ وفي شهر ذى القعدة كان مستهلّه يوم الأحد ، وقيل يوم الاثنين ، وكانت القضاء الأربعة منفصلين عن القضاء كما تقدّم ، فلم يطلع منهم أحد إلى التهنته بالشهر في ذلك اليوم . - وفي يوم الثلاثاء ثلثه عزل الأمير جاني بك من كشف الشرقية ، واستقرّ به الأمير أينال السيفى طراباى . - وفي يوم الاثنين ثامننه توفيت أصيل القلعية ، وكانت من أعيان مفانى البلاد ، وكان لها إنشاد لطيف ، وكانت بارعة في غناء الخفايف التى هى فرج الزمان ، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والإحسان لها .
- ٢١ وفيه نودى في القاهرة بإبطال الفضة المتيقة من المعاملة قاطبة ، وأن الفضة الجديدة تصرف كل نصف بنصفين وربيع ، فازداد وقوف الحال على الناس ثانيا بإبطال الفضة المتيقة من المعاملة ، والفلوس الجدد كانوا كل اثنين بدرهم ، فنادوا عليهم
- (١) النقيب : النقية . (٣) مجاورى : المجاورين . (١٤) الذين : الذى .

كل واحد بدرهم ، فازداد الحال وقوفا ثالثا .

وفيه أشيع أن ملك الأمراء خير بك قد مرض ولزم الفراش ، وتزايد به

(٢٥٨ ب) المرض من يومه وانقطع عن المحاكمات ، فلما قوى عليه المرض صار ٣

يتصدق على الأطفال الذين في المسكاتب بالقاهرة قاطبة ، لكل صغير منهم بنصف فضة كبير بنصفين وربيع ، وصار أحد الخازنارية وابن الظريف المقرئ يدفع لكل صغير

النصف في يده ، ويعطون الفقيه خمسة أنصاف كبار ، والعريف ثلاثة أنصاف كبار ، ٦ ويقولون لهم : اقرأوا الفاتحة وادعوا للملك الأمراء بالشفاء والمافية . وقد تكررت

الأقوال بأن به ثلاثة أمراض ، منها فرخة جرة طلعت له في مشعره ، ومنها انحدار

انصب له في أعضائه ، وهو من أنواع الفالج ، ومنها كتم البول ، فصارت الحكماء ٩

تبات عنده في كل ليلة وقد أعيام أمره في هذا المارض الذي به ، وقيل إنه مشغول من حين نزل إلى الشونة .

وفي هذا الشهر ثبت النيل المبارك على إحدى وعشرين أصبعا من تسعة عشر ١٢

ذراعا ، وكان نيلا متوسطا ، وكان في العام الماضي ثبت على عشرين ذراعا إلا أصبعا واحد . - وفي يوم الثلاثاء تاسعه أفرج ملك الأمراء عن القضى الشرفي شرف الدين

الصغير كاتب الماليك ، وأفرج عن القاضي شرف الدين بن عوض ، وألبسهما قفطانين ١٥

حرير مذهب ، وأركبهما فرسين من الاسطبل السلطاني ، ونزلا من القلعة إلى دورهما ،

فكان لهما موكب حافل لما شقوا من القاهرة ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فتخلقت

عيالهما بالزعفران ، فإنهما خلصا من فم موت ، وقد قاسوا شدائد ومخنا من ضرب ١٨

وبهدلة وسجن في المرقانة ، وقد أقاموا في هذه الشدة نحو أربعة أشهر ، وقسى قلب

ملك الأمراء عليهما ، فلما أفرج عليهما قال في ذلك الناصري محمد بن قانصوه من

صادق ، وهو قوله (٢٥٩ آ) : ٢١

بالشرقي المقر أضحى ديوان ذي الملك في انضباط

لا زال فيه إلى العالي بالسعد يرق بلا انهباط

- فلما نزل القاضي شرف الدين الصغير إلى بيته لم يقيم به إلا ساعة يسيرة وركب وتوجه إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فزاره ثم طلع إلى القلعة ثانيا هو والقاضي
- ٣ بركات بن موسى المحتسب ، فاجتمعوا على ملك الأمراء وتكلموا معه بسبب المقر الشهابي أحمد بن الجيخان ، فإن ملك الأمراء توقف في الإفراج عنه ، وكان قد عول على شقيقه على باب زويلة ، فنجاه الله تعالى من كيده ، ولولا اشتغل ملك الأمراء بنفسه
- ٦ لكان شقيق الشهابي أحمد بن الجيخان لا محالة ، فلما تكلم القاضي شرف الدين الصغير والقاضي بركات المحتسب ، وقيل ساعدهما خير الدين نائب القلعة في أمر الشهابي أحمد ابن الجيخان ، فرسم ملك الأمراء بالإفراج عنه بعد جهد كبير ، وكان ملك الأمراء على خطة وبأن عليه لوايح الموت ، فلما أفرج عنه ألبسه قفطان حرير ، وأركبوه على فرس من الاسطبل السلطاني ، ونزل من القلعة وشق من القاهرة فرجت له ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وتخلقت جماعته وعياله بالزعفران ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة ، فإن الشهابي أحمد كان محببا للناس ، فشق من القاهرة بعد العصر ، فكان له موكب حافل ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، فتوجه إلى داره بعد ما قد قاسى شدائد ومحن وأوعد بالشق من ملك الأمراء فكفاه الله مؤنته ،
- ١٥ وقد قال فيه الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه ، وهو قوله فيه :

الحمد لله بكم عيننا قرت وقرت فرحة في سرور

لما خلصتم ونزلتم إلى منازل العزّ وزال الشرور

- ١٨ وفي يوم الخميس حادى عشره أشيع بين الناس أن ملك الأمراء بطلت شقيقته وعجز عن القيام ، وتزايد به ألم تلك الفرخة (٢٥٩ ب) الجمرة ، واشتد عليه مخرج البول والغائط من الورم من تلك الجمرة . وهذا العارض بعينه وقع للخوندكار سليم شاه بن عثمان ومات به . ثم إن قضاة القضاة ركبوا وطلعوا إلى ملك الأمراء وعادوه وسلموا عليه ، فلم يع لهم ولم يلتفت إليهم ، فقرأوا له الفاتحة ونزلوا إلى دورهم . فلما تزايد الأمر بملك الأمراء أعتق جميع جواريه ومماليكه وعبيده . ثم إنه دفع للقاضي

بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة ، ورسم بإخراج عشرة آلاف أردب قح من الشونة ، ورسم للمحتسب بأن يفرق ذلك على مجاورين جامع الأزهر والمزارات والزوايا التي بالقرافتين قاطبة ، ومجاورين مقام الإمام الشافعي والليث رضى الله عنهما ،^٣ ويفرق باقى ذلك على الفقراء والمساكين ومن عليه دين ، فنزل القاضي المحتسب وفرق ذلك كما رسم له ملك الأمراء . ثم إن ملك الأمراء رسم بإخراج مراسيم إلى القاضي نضر الدين بن عوض بأن يفرج لأصحاب الرزق الأحباسية التي كان أدخلها إلى الديوان السلطاني ، وكان قدرها نحو ألف وثمانمائة رزقة ، فأفرج عنها لأصحابها ، وأعاد مكاتب الرزق الجيشية التي كان أخرجها المفتش يوسف بن الجاكية ، فأعادها إلى أصحابها ، ثم صار يقول للباشيرين الذين شوش عليهم : حاللوني واربوا ذمتي . فخاللوه غصبا .^٩ ثم في يوم الجمعة ثاني عشره رسم بإطلاق المحاييس من رجال ونساء ، فتوجه القاضي شرف الدين الصغير والقاضي المحتسب إلى بيت الوالي وعرضوا من في سجن الديلم والرجة ، فطلقوا بالمحاييس في زناجير مشاة وتوجهوا بهم إلى بيت الوالي ،^{١٢} فلما عرضهم هناك صار القاضي شرف الدين الصغير والقاضي المحتسب يصالحون أصحاب الديون الذي عليه من أربعين أشرفيا ونازل فيقولون لأصحاب الديون : أتركوا لأجل ملك الأمراء الباقي . (٢٦٠ آ) فصالحوا أرباب الديون بقدر يسير ، ففعلوا^{١٥} مثل ذلك بجماعة كثيرة من المديونين ، وفيهم جماعة من أعيان الناس ، وأطلقوا جماعة كثيرة من الضمان وجماعة من الفلاحين ، فقبل أطلقوا من سجن الرجبة أربعين إنسانا ، وأطلقوا من سجن الديلم دون ذلك ، ولم يتركوا بالسجنين غير^{١٨} الحرامية ومن عليه دم . ولم يروا الناس في أيام ملك الأمراء خير بك أحسن من هذه الأيام ، فإنه جاد مع الناس وبرّ الفقراء والمساكين ، ولم يعرف الله إلا وهو تحت الحمل ، فلم يفده من ذلك كله شيء . ويأبى الله إلا ما أراد .^{٢١}

ويقرب من هذه الواقعة ما وقع للأشرف النورى لما أن حصل له عارض في عينه ، فجاد مع الناس إلى الناية وأفرج عن من بالسجون ، وعن جماعة من الباشيرين (٣٢) مجاورين : كذا في الأصل . (٩) الذين : الذي . (١٣) يصالحون : يصالحوا .

من كان في الترسيم ، وتصدق بمال له صورة ، وكانت تلك الأيام خيار أيام دولته على الإطلاق . ويقرب من ذلك ما وقع للملك الأشرف قايتباي ، لما وقع من على الفرس وانكسر فخذه ، وأقام وهو منقطع في القاعة التي بجوار الدهيشة ، وجلس على سرير مقور ، وصارت الناس تدخل عليه وتسلم عليه ، فجاد مع الناس وأفرج عن جماعة كثيرة من المباشرين كانوا في الترسيم ، وتصدق بمال له صورة على الفقراء وعلى المساكين ، وفعل أشياء كثيرة من أنواع البر والصدقات ، وكانت تلك الأيام خيار أيام دولته ، وغالب هؤلاء الملوك ما يعرفون الله إلا وهم تحت الحسل ، إذا جرى عليهم مصيبة يجودون في حق الناس ويفعلون الخير .

٩ وفي يوم السبت ثالث عشره أشيع أن ملك الأمراء قد دخل عليه النزاع ، وأنه أرسل خلف الأمير سنان بك العثماني ، فلما طلع إليه وجده في حال التلف ، فدفع إليه خاتم الملك الذي كان السلطان سليم شاه أعطاه له ، ثم أنه قال له على قدر الأموال التي في الخزائن ، وقال له : أنت تكون النائب على مصر من بعدى . ثم أوصاه على أولاده ، وعلى عياله ، وعلى جماعته ، وعلى حاشيته ، وعلى الشيخ يونس النصراني ، وعلى (٢٦٠ب) ممالكه ، وقال له : كما كنت في حقكم كونوا في حق جماعتي كذلك .

١٠ فلما نزل الأمير سنان من عنده قوى عليه النزاع وصار يتسكلم في الغيبيات ، ويقول : أين المال؟ أين الملك؟ وصار يصمق حتى خاف منه من كان حوله ، وقد فتنه الدنيا كما فتن من قبله ، فكان كما يقال في المعنى .

١٨ قد نادى الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمعكم واثق بالمر خيئته وجامع بددت ما يجمع

وفي يوم الأحد رابع عشره أرجفت القاهرة بموت ملك الأمراء خير بك ، وأشيع أنهم أدخلوه إلى دور الحريم وقد أغمى عليه ، وأقاموا نعيه بالقلمة بعد الظهر ، ثم إنه بعد ذلك أفاق بعد المصير فطلب الحكماء ، فلما طلوعوا إليه وجدوه قد أفصل

(٧) هؤلاء : هذا . || يعرفون : يعرفوا . (٨) يجودون : يجودوا . (١٢) التي : الذي .

(تاريخ ابن إياس ج ٥ - ٣١)

- وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فبات تلك الليلة بالقلمة . - فلما كان يوم الاثنين خامس عشره شرعوا في تجهيزه ففسلوه وكفنوه وقدّموا إليه النعش عند باب الستارة ، وحملوه وصلّوا عليه عند باب القلّة ، وكان الذى صلّى عليه هناك الشيخ إبراهيم شيخ الجامع المؤيدى ، ثم نزلوا به من سلّم المدرّج ، ومشى قدّام نعشه المسكر العثماني من الأمراء وغيرها ، وكذا الأمراء الجراكسة والماليك ، وكانت جنازته مشهودة ، ثم لاقتة قضاة القضاة الأربعة من عند مدرسة أيتمش التى عند باب الوزير ، فصلّى عليه ثانيا قاضى القضاة الشافى كمال الدين الطويل على قارعة الطريق عند مدرسته ، ثم توجهوا به إلى مدرسته التى أنشأها هناك فدفن على إخوته .
- وقد أظهر جماعة من مماليكه الحزن والأسف عليه ، وقطعوا وجوههم حتى سال منها الدم ، ولبسوا السواد ، منهم برسبای الخازندار وجان بلاط (٢٦١ آ) وقانصوه أمير آخور ومحمد المهندار ، وغير ذلك من مماليكه ، ومهتاره محمد ، وجميع غلمانه . فانقضت أيام دولته كأنها لم تكن ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير . فكانت ١٢ مدّة نيابته على مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، فإنه ولى نيابة مصر عن الخوندكار سليم شاه فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وتوفى فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، ١٥ وكانت أيامه كلها ظلم وجور ، وقد قلت فيه :

عجبوا من نائب فى مصرنا خانه الدهر وجزاه العمل

- زال عنه الملك والمال معا وأتاه الموت يسمى بالمجمل ١٨
- وعاش من العمر نحو ستين سنة ، وكان ملكا جليلا معظمًا كفوا للسلطنة ، عارفا بأحوال المملكة ، ولولا ما حصر فى أيامه من المظالم والحوادث المقدم ذكرها لكان خيار من ولى على مصر . وكان صفته أبيض اللون مستدير اللحية ، كما وكزه ٢١ الشيب فى لحيته ، وكان طويل القامة ، نحيف الجسد ، فصيح اللسان بالبرية ، حسن الشكل ، عربى الوجه ، رقيق الطباع ، منهمكا على شرب الخمر وسماع الآلات ،
- (٩) وجوههم : وجههم . (٢٠) والحوادث : والحادث . (٢١) مستدير : مستدير .

ومات عن ثلاث نسوة ، منهم خوند مصر باى وجان حبيب وأم أولاده التى كانت
بإسطنبول ، وعدة سرارى بيض وحبش ، وخلف من الأولاد من ذكور وإناث عدة
٣ ما يحضرنى عددهم ، وقيل وجد عنده من الأموال ستمائة ألف دينار ذهب عين ،
ههنا خارجا عما كان فى بيت المال من المال ، وخلف من الخيول والجمال والبغال
ما لا ينحصر ، [ومن] الفلال ومن الأغنام والأبقار أشياء كثيرة ، ومع وجود هذه
٦ الأموال التى تركها كان يكسر جوامك الممالك الجراكسة ستة أشهر لم يعطهم شيئا ،
ويشكى أن بيت المال مشحوت من المال .

أقول : وكان أصل ملك الأمراء خير بك من ممالك الملك الأشرف قايتباى ،
٩ وهو جركسى الجنس أباضا ، وكان أبوه اسمه ملباى الجركسى ، ولهذا كان يدعى خير بك
من ملباى ، (٢٦١ ب) وكان له أربعة إخوة ، وهم : كسباى وخضر بك وجان بلاط
وقانصوه ، فقدّمهم أبوهم إلى الملك الأشرف قايتباى . فأما خير بك فإنه ولد بقرية
١٢ يقال لها صمصوم ، وهى بالقرب من بلاد الكرج ، ولم يولد ببلاد جركس ، فلما كبر
قدّمه أبوه ملباى إلى الأشرف قايتباى ولم يدخل تحت رقّ قط . وأما أخوه كسباى
فإنه مات بالطاعون فى دولة الملك الأشرف قايتباى ، ومات أيضا أخوه خضر بك .
١٥ وأما أخوه جان بلاط فإنه بقى مقدّم ألف ومات فى دولة الملك الناصر محمد بن الأشرف
قايتباى ، مات بالطاعون . وأما أخوه قانصوه فإنه كان يعرف بقانصوه الحممدى
البرجى ، فارتقى حتى ولى نيابة الشام ، ومات فى دولة الأشرف الغورى .

١٨ وأما خير بك فإنه أقام بالطبقة وصار من جملة الممالك السلطانية ، ثم أخرج له
السلطان خيلا وقاشا وصار من جملة الممالك الجدارية ، ثم بقى خاصكيا دودار سكين ،
ثم بقى أمير عشرة فى سنة إحدى وتسعمائة فى دولة الملك الناصر بن الأشرف قايتباى ،
٢١ ثم بقى أمير طبلخاناه فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ، وأرسله قاصدا إلى الخوندكار
أبى يزيد بن عثمان ملك الروم فى سنة ثلاث وتسعمائة ، ثم بقى أمير مائة مقدم ألف

(٤) عما : عما . (٦) التى : الذى . (٨) الأشرف : الأشرفى

(١٢) يولد : يلد . (١٣) الأشرف : الأشرفى . (١٤) كسباى : كسباه .

في دولة الأشرف جان بلاط ، وخرج صحبة المسكر إلى الشام بسبب قتال قصره
 نائب الشام ، فلما تسلطن العادل طومان باي هناك سجن خاير بك في قلعة الشام ،
 فلما حضر العادل إلى مصر أرسل بالإفراج عنه ، فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف ٣
 كما كان ، فلما تسلطن الأشرف الفوري جعله حاجب الحجاب ، واستمرّ على ذلك
 حتى توفي أخوه قانصوه المحمدي البرجي نائب الشام ، فنقل السلطان الأمير سييبي
 من نيابة حلب إلى نيابة الشام عوضا عن قانصوه البرجي ، وأخلع على الأمير خاير بك ٦
 وقرّره في نيابة حلب عوضا عن سييبي ، وذلك في سنة عشر (٢٦٢٢ آ) وتسعمائة .
 واستمرّ على ذلك حتى تحرّك الخوندكار سليم شاه بن عثمان على السلطان الفوري
 وانكسر ، وكان خاير بك نائب حلب سببا لكسرة الفوري ، فلما ملك سليم شاه ٩
 الديار المصرية وجرى منه ما جرى ، فلما أراد اتوجه إلى بلاده أخلع [على] يونس
 باشاه وقرّره نائبا على مصر ، ثم بدا له أن يقرّر خاير بك نائب حلب على نيابة مصر
 عوضا عن يونس باشاه ، فأخلع عليه في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث ١٢
 وعشرين وتسعمائة ، ودفع إليه خاتم الملك ، فاستمرّ على نيابته بمصر إلى أن مات
 في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، فكانت مدة نيابته
 على مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، بما فيه من مدة توعكه وانقطاعه ١٥
 عن المحاكمات ، انتهى ذلك .

وأما ما عُدّ من مساوئه فإنه كان جبارا عنيدا عسوقا سفاكا للدماء ، قتل في مدة
 ولايته على مصر ما لا يحصى من الخلائق ، وشنق رجلا على عود خيار شنبر أخذه ١٨
 من جنينة ، وشنق ووسط وخوزق من الناس جماعة كثيرة ، واقترح لهم أشياء
 في عذابهم ، فكان يخوزقهم من أضلاعهم ويسميها شكّ الباذنجان ، فقتل بمصر وحلب
 فوق العشرة آلاف إنسان ، وغالبهم راح ظلما . ومنها أنه أتلف معاملة الديار المصرية ٢١
 من الذهب والفضة والفلس الجدد ، وسلط إبراهيم اليهودي معلّم دار الضرب على أخذ
 أموال المسلمين . ومنها أنه قرب شخصا من النصاري يقال له الشيخ يونس ، وجعله

متحدثاً على الدواوين ، وصارت المسلمون تقف في خدمته ويخضعون إليه . ومنها أنه كان يكره الفقهاء وطلبة العلم بالطبع ، وعزل القضاة الأربعة ونوابهم قاطبة ، ومنع الشهود أن لا يجلسوا في الحوانيت ويتقاضوا أشغال الناس . ٣

ومنها أنه كان يكره المالك الجراكسة ، ويموّق جوامكهم ستة أشهر ، ثم يصرف لهم شهرين بألف جهد . ومنها أنه شوّش على جماعة من أعيان المبشرين وضربهم وبهدلهم ، وعوقبهم في (٢٦٢ ب) الترسيم نحو خمسة أشهر ، ولا سيما ما جرى على الشهابي أحمد بن الجيعان ، فإنه أسلب نعمته وأخذ منه فوق السبعين ألف دينار ، حتى باع جميع أملاكه وقاشه ورزقه ، وبقي على الأرض البيضاء . ومنها أنه نذب يوسف بن أبي الفرج وقرّره في وظيفة يقال لها مفتش الرزق الجيشية ، فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل . ومنها أنه أرسل نحر الدين بن عوض إلى بلاد الصعيد ومسح الرزق الأحباسية وأدخلها في الديوان ، ولم يفرج عنها ، وحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر ، فقيل إنه أخرج ألفاً وثمانمائة رزقة ، منهم من كان على الزوايا والمساجد والترب وغير ذلك . ٩

ومنها أنه كان سبياً لخراب الديار المصرية ، ودخول سليم شاه بن عثمان إلى مصر ، وحسن له عبارة بأخذ مصر ، وضمن له أخذها من غير مانع ، وعرفه كيف يصنع ، حتى ملكها وجرى منه ما جرى ، وقتل الأمراء والمالك الجراكسة ، وشنق السلطان طومان باي على بابي زويلة ، وكل ذلك بترتيبه ودولته . وكان كثير الحيل والخداع والكر ، وكان من دهاء العالم ، لا يعلم له حال ، ولو ذكرت مساوئه كلها لطال الشرح في ذلك . وقد قلت فيه هذه الأبيات عن لسان خاير بك . ١٥

أصبحتُ بقعر حفرة مرتها
لا أملك من دنياي إلا كفنا
يا من وسعت عباده رحمته
من بعض عبيدك السيئين أنا ٢١

فلما تحقق الناس موت ملك الأمراء ارتجت المدينة ، وأشيع أن التركان ينهبون الأسواق ، فانتقل سكان الجسر من بركة الرطلى على ملح البصر ، ووزع الناس أمتعتهم (٦) وعوقبهم : ويعوقهم . (١٦) والمالك : ومالك . (١٨) دهاء : دهاء .

في الحواصل . ثم طلع الأمير سنان بك إلى القلعة ، وحضر الأمير خير (٢٦٣ آ)
الدين نائب القلعة والأمير خضر ، والكواخي أغاوات الأنكشارية . فلما اجتمعوا
ضربوا مشورة في أمر الملكة وما يكون من أمر جماعة العثمانية ، فالتزم خير الدين ٣
نائب القلعة والكواخي بأمر الأنكشارية ، والتزم الأمير سنان بك والأمير خضر
بأمر الأصبهانية وغير ذلك من الكمولية ، ثم حضر الأمير أرزمك الناشف
فألزمه بأمر المالك الجراكسة وما يحصل منهم . ثم ختم نائب القلعة والأمير سنان ٦
على الحواصل التي بالقلعة .

ثم إن الوالي والقاضي بركات بن موسى المحتسب نزلا من القلعة ونادوا في القاهرة
بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن أحدا لا يفلق له دكانا ، والدعاء ٩
للسلطان سليمان بالنصر ، فارتفعت له الأصوات من [الناس] قاطبة بالدعاء ، فكررُوا
هذه المنادة يوم الأحد ويوم الاثنين . وكان عند العثمانية عادة إذا مات صاحب المدينة
تُنهب المدينة عن آخرها ، ففنعوا الأمراء التركان من ذلك ، وقالوا : متى نهبتوا المدينة ١٢
تقتلكم أعوام مصر ، ويحصل بينكم وبينهم فتنة عظيمة ، وتخرب مصر عن آخرها .
فسكن الاضطراب قليلا .

ثم في يوم الاثنين ، لما دفن خير بك ، تحول الأمير سنان وطلع إلى القلعة من ١٥
يومه وسكن بها ، فوقع بين الأمير سنان والأمير خضر تشاجر بسبب النيابة ، فأظهر
الأمير سنان مرسوما ، وعليه علامة السلطان سليمان ، بأن إذا توفي ملك الأمراء
خير بك يكون عوضا عنه في نيابة مصر ، فوقع الاتفاق بينهما بأن يستمر بالقلعة ، ١٨
ويكتب السلطان بموت خير بك ، وينتظر الجواب بما تقتضيه الآراء الشريفة في
ذلك . ثم إن الأمير سنان عرض ما في بيت المال من المال ، فوجد خير بك خلف ٢١
من المال عما قيل سبائة ألف دينار ، خارجا عما كان ببيت [المال] .

ثم إن الأمير سنان أدخل على القاضي شرف الدين الصغير واستقر به متحدثا
[على] جهات الغربية . وأدخل على الشهابي أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض

وجعلهما متحدتين على جهات الشرقية ، فامتنع الشهابي أحمد بن الجيمان كل الامتناع من لبس (٢٦٣ ب) القفطان ، وقال : أنا أصبحت رجل فقير لا أملك من الدنيا شيئاً ، وأنا ما بقيت أبأشر شيئاً ، فارسلوني إلى إسطنبول أو إلى مكة . وردت ٣ على الأمير سنان ذلك القفطان . وأخلع على القاضي بركات بن موسى المحتسب وجعله متحدنا على جميع جهات الشرقية قاطبة ، من دمياط إلى المطرية على عادته . وأخلع ٦ على محي الدين بن أبي أصبع وجعله متحدنا على ديوان الوزارة وديوان الخالص على عادته كما كان . - وفي ذلك اليوم نزل حريم خاير بك من القلعة على وجوهمهم وهم في غاية النذل .

٩ وفي يوم الأربعاء سابع عشره رسم الأمير سنان بتوسيط شخص من الأصبهانية فوسطه في الرملة ، وسبب ذلك أنه خطف خرقة جوخ ثمنها نحو مائة وعشرين ديناراً ، فطلع صاحب الجوخ إلى الأمير سنان وشكى له من ذلك الشخص الأصبهاني ، فقال له الأمير سنان : لك عليه بيّنة بأنه خطف منك الخرقة الجوخ ؟ فقال : نعم . وأحضر ١٢ من شهد عليه بذلك ، فأرسل خلف الأصبهاني وسأله عن ذلك ، فاعترف وأحضر الخرقة الجوخ ، فأعادها الأمير سنان إلى صاحبها ومضى ، ثم إنه رسم بتوسيط الأصبهاني فوسطه في الرملة عند باب الميدان ، وهذا أول حكم الأمير سنان في القتل . ١٥ ثم إن الأمير سنان رسم بأن يقيم جماعة من الأنكشارية في بيت المحتسب ، يضبطون ما يتحصل من أموال الحسبة في يوم ، وجعل مثل ذلك في بيت الوالي ، ١٨ وبيت محي الدين بن أبي أصبع كون أنه متحدث في ديوان الوزارة والخاص . وجعل مثل ذلك في ديوان الموارث ، يضبطون ما يتحصل في كل يوم . وجعل مثل ذلك على المكاسّة الذين ببولاق ومصر المتيقة ، وغير (٢٦٤ آ) ذلك من القباض . - وفي ٢١ يوم الخميس سابع عشره سافر الأمير أينال السيفي طراباي ، الذي ولي كاشف الشرقية ، إلى محل ولايته بها .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شخص من ممالك الأمير قايتباي الدوادار في

بعض أشغال أستاذه ، وعلى يده كتب ، فكان من مضمونها أن السلطان سليمان نازل على رودس وأنه يحاصر مدينة رودس أشد المحاصرة ، وقد قُتل من العسكر العثماني والعسكر المصري ما لا يحصى ، من البندق الرصاص ومن المدافع التي هي عمالة ٣ في كل يوم نازلة من قلعة رودس ، وكلما هُدم من سورها شيء فتبنيه الفرنج تحت الليل بالحجر الفص ، وقد أعيام أمر الفرنج وقوة بأسهم ، وقد كُتِم موت من مات من الأمراء الجراكسة والمماليك .

وفي يوم السبت عشرينه رسم الأمير سنان للمليك ملك الأمراء خاير بك بأن ينزلوا من الطباق التي بالقلعة ، فشق ذلك عليهم ، فلما نزلوا من الطباق طلع إليها جماعة من الأصهبانية ممن هو من جماعة الأمير سنان ، فصارت الأصهبانية من عصبة ٩ الأمير سنان ، والأنكشارية من عصبة خير الدين نائب القلعة . ثم أشيع أن وقع بين الأمير سنان والأمير خضر العثماني تشاجر بسبب النيابة ، فوقع الاتفاق على ما يرد من جواب السلطان عن ذلك . - وفيه أشيع أن الأمير أينال الذي استقر كاشف ١٢ الشرقية تحول عنها إلى كشف الغريبة ، وأعيد الأمير جاني بك إلى كشف الشرقية كما كان أولا .

وفي شهر ذي الحجة كان مستهل يوم الثلاثاء ، فكان المتحدث على الديار المصرية ١٥ يومئذ الأمير سنان بك العثماني ، نائبا على مصر عوضا عن خاير بك بحكم وفاته ، وكانت قضاة القضاة منفصلين عن القضاء كما تقدم ، فلم يطلع (٢٦٤ ب) إلى التهنئة بالشهر أحد . - وفي يوم السبت خامسه فيه توفي الشيخ أمين الدين بن النجار خطيب ١٨ جامع العمري ، وكان ديننا خيرا من أهل المسلم والدين ، وكان من أعيان الشافعية . وفي عقيب موته توفي القاضي جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن كميل أحد نواب الشافعية ، وكان عالما فاضلا وله نظم جيد ، وكان [من] أعيان نواب الشافعية . ٢١ وفي يوم الخميس عاشره كان عيد النحر ، فصنع الأمير سنان مدة حافلة بالقلعة لأجل

(٢) يجاصر : كذا في الأصل . (٣) عمالة : عماليه . (٨) التي : الذي .
(٩) الأصهبانية : أصهبانية .

الأصبهانية والأنكشارية والكمولية ، فأنهبوا تلك المدّة على لمح البصر ، وقد ذاق الأمير سنان طعم المملكة ، ودخل حلاوتها في أسنانه .

٣ وفي يوم الخميس سابع عشره نادى الأمير سنان بعد العصر في القاهرة ، بأن السلطان سليمان استقرّ بالوزير الأعظم مصطفى باشا بأن يكون نائبا على مصر ، عوضا عن خاير بك بحكم وفاته ، وقد وصل ذلك النائب إلى ثغر الإسكندرية . ثم نادى ٦ في ذلك اليوم للناس بالأمان والاطمان والبيع والشري ، وأن لأحدا يكتر كلاما فيما لا يمينه . فلما تحقّق الناس ذلك خرجت المباشرون وأعيان الناس إلى ملاقة ذلك النائب ، وأشيع أن الأمير جانم الحزاوى قادم صحبة النائب وأنه قد وصل إلى قليوب ، ٩ فخرج غالب المسكر العثماني إلى ملاقاته .

فلما كان يوم الأربعاء ثالث عشرين ذى الحجة ، وصل الوزير الأعظم مصطفى إلى ساحل بولاق ، فلما أشيع ذلك نزل الأمير سنان من القلعة والأمير خير الدين نائب القلعة ، وأتى إليهم الأمير خضر العثماني ، وأتى إليهم الكواخى (٢٦٥ آ) ١٢ أغوات الأنكشارية ، وأتى الأمير أرزمك الناشف أغات المالك الجراكسة ، ثم توجه المسكر العثماني والمالك الجراكسة ، وسائر الأصبهانية والأنكشارية ١٥ والكمولية قاطبة ، فتوجهوا إلى بولاق لأجل ملاقة النائب مصطفى . فلما وصلوا إلى بولاق أحضروا للنائب فرسا من الخيول الخاص ، ولبس خلمة السلطان ، وهي تماسيح على أحمر ، وأحضروا لجماعته نحو أربعائة فرس ، فركب النائب من هناك ١٨ وجماعته ، ومشت الأنكشارية قدّامه والكمولية قاطبة ، يرمون بالنفوط ، وركب قدّامه جميع الأصبهانية وأمرأؤهم ، وجميع المالك الجراكسة وأمرأؤهم ، وأعيان الناس قاطبة ، فدخل من باب البحر واستمرّ إلى باب القنطرة ، فشقّ من سوق ٢١ مرجوش ، ثم شقّ من القاهرة في موكب حافل مثل مواكب ملك الأمراء خاير بك ، وكان الأمير سنان عن يمينه ، والأمير جانم الحزاوى عن يساره وعليه خلمة تماسيح مذهب ، والأمير خير الدين نائب القلعة والأمير خضر قدّامه ، وعلى رأسه صنجق

حرير أحر بطلمة فضة ، ومن ورائه طبلان وزمران عثماني ، وخلفه جماعة من مماليكه
بطراطير حمر بمصابب ذهب . فلما شق من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء من
الناس قاطبة ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكان ذلك اليوم مشهودا .
وكانت صفته أنه أبيض اللون عربي الوجه حليق اللحية ، ليس له غير شارين
صُفر ، معتدل القامة وعليه حشمة وخفر . وقيل هذا أعظم وزراء ابن عثمان حتى أطلق
عليه : وزير الوزراء . واستمر في هذا المكتب الحافل حتى شق من الرملة ودخل
إلى الميدان ، ثم صعد إلى القلعة . وفيه يقول الناصري محمد بن قانصوه من صادق ،
وهو قوله :

- ٩ لا تحزني مصر على موت الأمير خير بك
بل افرحي بمصطفى ستنتظريه خير بك
- ولما قدم النائب مصطفى باشا إلى مصر ، أشيع أن الأخبار وردت على السلطان
سليمان بوفاة ملك الأمراء خير بك وهو على (٢٦٥ ب) رودس في يوم الخميس ثالث
ذى الحجة ، فلما تيقن موته أخلع على وزيره الأعظم مصطفى باشا وقرره في نيابة
مصر عوضا عن خير بك بحكم وفاته ، فاستقر في النيابة يوم السبت خامس ذى الحجة
سنة ثمان وعشرين وتسماية ، وكانت ولايته في يوم الخميس وهو يوم نحس مستمر ،
وكان السلطان على رودس . فكانت مدة ولايته من حين ولي برودس إلى أن دخل
إلى ثغر الإسكندرية تسعة عشر يوما ، وكانت مدة سفره في البحر أربعة أيام ، ودخل
إلى شاطئ بولاق يوم الأربعاء ثالث عشرين ذى الحجة ، فيكون مدة ولايته من
حين ولي برودس إلى أن دخل إلى الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما .
- فلما طلع النائب مصطفى باشا إلى القلعة في يوم الأربعاء مد له الأمير سنان مدة
حافلة بالقلعة ، ثم سلمه مفاتيح بيت المال ، ودفع إليه خاتم الملك الذي كان السلطان
سليم شاه أعطاه لملك الأمراء خير بك ، ثم تحول الأمير سنان ونزل إلى داره التي
بدرب ابن البابا ، فكانت مدة نيابته على القاهرة إلى أن حضر مصطفى ثمانية وثلاثين
- (١٥) الخميس : الخامس .

يوما ، كأنها أضغاث أحلام .

- ٣ ثم في يوم الخميس رابع عشرينه نزل النائب مصطفى باشاه إلى الميدان ، وحضر الأمير سنان والأمير خضر والأمير خير الدين نائب القلعة ، وحضرت الكواخي أغوات الأنكشارية ، وقرئ عليهم مرسوم السلطان الذي حضر على يدي النائب مصطفى باشاه ، فكان براعة استهلال ذلك المرسوم : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قبا ، ثم تمت فيه النائب مصطفى باشاه بأنعام عظيمة ، بأنه وزير (٢٦٦ آ) الوزراء وأمير الأمراء وما أشبه ذلك من الأنعام الحسنة ، ثم رسم له بأن يُعطى في كل سنة من خراج أراضي مصر مائة ألف دينار ، له وللمالكة وحاشيته . ومن مضمون ذلك المرسوم بأن لا يُصرف لطائفة الأصهبانية والأنكشارية أكثر من أربعة أنصاف في كل يوم ، فشق عليهم ذلك ، وكان ملك الأمراء خاير بك رتب لجماعة من الأصهبانية فجعل له أشرفين كل يوم ، وشي أشرفي كل يوم ، وكانت [في] طائفة الأنكشارية من كان له في كل يوم عشرون نصفا ، وشي عشرة أنصاف ، وشي ثمانية ، فبطل ذلك جميعه واستقرت على أربعة أنصاف كل يوم . ومن مضمون المرسوم الوصية بالرعية قاطبة ، والمالكة الجراكسة ، وإصلاح المعاملة ، والنظر في أحوال المسلمين بما فيه إصلاحهم ، وكان من مضمونه أشياء كثيرة يطول الشرح في ذكرها .

- ١٨ ثم في ذلك اليوم طلعت القضاة الأربعة يسلمون عليه فوجدوه في الأشرفية التي بالقلعة ، فلم يكتنوا في الدخول إليه غير القضاة الأربعة من غير نوابهم ، فلما دخلوا على النائب وجدوه ملقى على ظهره ، فلم يلتفت إليهم ولا قام لهم ولم يعدم من البشر ، ثم قال لهم على لسان ترجمانه : النائب يقول لكم لولا أنه ضعيف لقام لكم . فقرأوا الفاتحة بسرعة وانصرفوا .

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه نزل النائب مصطفى باشاه إلى الميدان وجلس به ، وعرض موجود ملك الأمراء خاير بك من الجمال والخيول والبغال ، فوجد له من ذلك

أشياء كثيرة لا تنحصر، ثم تحول وطلع إلى الحوش السلطاني وعرض ممالك خاير بك، ثم عرض الحواصل التي فيها موجود خاير بك من القماش وتحف ونحاس وصيني وغير ذلك، فوجد له أشياء كثيرة أعظم من موجود الأشرف قايتباي، ووجد له من الذهب ٣ المين عما قيل ستمائة ألف دينار، وقد حاز هذا الموجود العظيم في هذه (٢٦٦ ب) المدة اليسيرة.

- ٦ وفي يوم السبت سادس عشرينه نزل النائب مصطفى باشا إلى الميدان وجلس به، وحوله الأمير سنان والأمير خضر والأمير خير الدين نائب القلعة والأمير أوزمك الناشف، وجماعة آخرون من الأمراء، فأظهر التعاطف في ذلك اليوم ومشى على طريقة الخوندكار سليم شاه بن عثمان كواحد منهم. وكان النائب مصطفى هذا متزوجا بابنة الخوندكار سليم، وهي أخت السلطان سليمان، فوقف الوالي قدّامه بالعصاة، وكذلك نقيب الجيش أيضا، واصطفت قدّامه الأنكشارية والكمولية والأصبهانية وبأيديهم العصى. ثم ترادفت عليه القصص بحوايج الناس فلم يفهم منها شيئا، وصار الترجمان يقول له معنى ما في القصص بالتركي وهو كالخشبة. ثم رسم بالمناداة في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشري، وأن كل من ظلم من بعد ملك الأمراء خاير بك فعليه بالأبواب العالية. ثم أشيع أنه نادى بأن المال في البلاد يقبضون الخراج من الفلاحين على حكم أن النصف من القضة الجديدة بنصفين، ويقام عليهم عند الحساب بنصفين وربيع، ففرحت الفلاحون بهذه الإشاعة، ثم بعد ذلك تبين أن هذه الإشاعة ليس لها صحة، وكل شيء على حكه في المعاملة. ثم [إن] النائب قام وطلع إلى القلعة. وهذا أول الديوان في أيامه، ١٨ وأول محاكماته بين الناس، وأول جالوسه للناس عامة.

- وفي يوم الأحد سابع عشرينه أشيع في القاهرة بأن القاضي بركات بن موسى قد انفصل من الحسبة، واستقرّ بها شخص من العثمانية من أقارب النائب مصطفى ٢١ يقال له قاسم باشا، فاضطربت القاهرة بسبب ذلك، وشقّ على الناس عزله. - وفي ذلك اليوم أشيع أن النائب قد أخذ مفاتيح الحواصل جميعها التي بالقلعة وسأماها

إلى جماعة من الأروام (٢٦٧ آ) من حاشيته ، وطرده البوابين والعلماء والركابة
والبايية والركب دارية والفرّاشين والعلماء السلطانية قاطبة ، حتى وأبطل الطبّاخين
من المطبخ ، حتى أبطل السقّايين ، وأقام جماعة من الأروام عوضهم ، وأبطل المقرئين
الذين كانوا يقرأون بالقائمة قاطبة ، حتى أبطل من كان في القلمة من المؤذنين وجعل
لجامع الحوش فرد مؤذن واحد ، وأبطل جميع نظام القلمة الذي كانت عليه قديما ،
ومشى على القانون العثماني وهو أشأم قانون . ثم إنه شرع في بيع موجود ملك الأمراء
خاير بك ، فطلب التجار قاطبة ، فطلعو إلى القلمة بسبب المبيع .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر منه طلع أعيان المباشرين إلى القلمة فطردهم ، وقال لهم :
انزلوا إلى بيت الدفتردار . فنزلوا من القلمة وتوجّهوا إلى بيت الدفتردار ، فاجتمعوا
هناك وشرعوا في أمر تقسيط البلاد . وأشيع أنهم قد أفردوا للنائب مصطفى باشا
في كل شهر ثمانية آلاف دينار ، له وللمالكة خاصة ، ولجاعته وحاشيته ومطبخه
وإنعاماته وغير ذلك . - ومما حكم به الزمان الخبيث على الناس أن المعلم الحلواني
العجّمي ، الذي دكانه تجاه المدرسة الناصرية التي بين القصرين ، قد صار من خواص
النائب مصطفى باشا وصار من المقرئين عنده ، ويتقاضى حوايج الناس من عنده ،
 واجتمعت فيه الكلمة وصار هو المرجع إليه في تلك الأيام ، حتى بقى كنزلة الدوادار
الكبير ، فكان كما يقال في المعنى :

ما كنت أحسب أن يمتدّ بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر منه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وأن
الغلاء وموت الجمال موجود مع الحجاج ، ولم يكن لما قالوه من أمر الفتن التي وقعت
بمكة صحة ، والله الحمد على ذلك . - وفي ذلك اليوم أخلع النائب مصطفى باشا على
القاضي شرف الدين الصغير ، وأقرّه على ما كان عليه من التحدّث على جهات الغربية ،
وأخلع على القاضي نحر الدين بن عوض ، وأقرّه على ما كان عليه من التحدّث على

(٣) حتى أبطل السقّايين : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش وأشار إلى مكانها هذا في المتن .

(٤) الذين : الذي . (٦) أشأم : أشيم . (١٠) باشاه : شاه .

جهات الصعيد ، (٢٦٧ب) وأُخلع على القاضي بركات بن موسى والقاضي شرف الدين ابن عوض ، واستقرّ بهما في التحدّث على جهات الشرقية قاطبة كما كانا في الأول ، فزلوا من القلعة وشقوا من القاهرة في موكب حافل . ثم أشيع أن القاضي بركات ٣ ابن موسى لم يُعد إلى الحسبة كما كان ، فتشوّش الناس لذلك ، وقيل إنه رتب لذلك الشخص المثنى الذي قرّر في الحسبة أشرفين كل يوم .

ثم في يوم الأربعاء سلخ الشهر ترشّح أمر القاضي بركات بن موسى في عوده إلى ٦ الحسبة ، فنأدى في القاهرة بعد العصر حسبما رسم الزيني القاضي بركات بن موسى بأن كل شئ على حاله ، وأن جميع السوق والمتسبّين يحضرون باكر النهار إلى بيت القاضي بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وناظر الذخيرة الشريفة ، فهو على حاله في ٩ الحسبة ، وفرح غالب الناس بذلك .

انتهى ما أوردناه في هذا الجزء من الأخبار المعجبة والوقائع الغريبة ، وقد اشتمل على أخبار سبع دول كانت بالديار المصرية ، وقد تقدّم ذكرها في أول الجزء وإلى هلم . ١٢ وقد وقع لي من المحاسن في هذا الجزء ، ما لم يقع لغيري من المؤرخين فيما أوردوه في تواريتهم القديمة ، وقد أعان الله تعالى على انتهائه على خير ، ولله الحمد على ذلك ، وفيه أقول :

١٥ اغفر لمنشيه واعف عما جنى بالتهامى
أحسنّت لي في ابتداء يا ربّ فلحسن ختامى
وقولي أيضا :

١٨ تاريخنا بهجة المجالس يطرب من لفظه المُجالس
سماعه للورى سرور يشرح صدرا لكل عابس

وغیره :

٢١ ألقته نعم المجلس إذا تغيّرت البشر
يبقى على سنن الوفا أبدا ويقنع بالنظر

(٤) لم يعد : لم يعاد . (٨) يحضرون : يحضروا .

(١٥) لمنشيه : لمنشيه . // عما : عنا . (١٦) ختامى : ختام . (٢١) ألقته : ألقته .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤/١٨٩٥

ISBN ٩٧٧-٠١-٠٢٩٣-٨

I N H A L T

	Seite
Vorwort	IX
Das Jahr 922	4
Das Jahr 923	148
Das Jahr 924	233
Das Jahr 925	286
Das Jahr 926	323
Das Jahr 927	376
Das Jahr 928	426

Unterricht in der Südregion der VAK sowie auch die Ägyptische Historische Gesellschaft, Kairo, in freundlicher Weise sich bei der Herausgabe aller Bände dieses Werkes zu beteiligen bereit erklärt haben, wodurch sein Erscheinen gesichert ist.

Kairo, am 9. Juni 1961.

MOHAMED MOSTAFA.

Tatsache ist, dass Ibn Ijäs—wie auch andere Historiker des 9. Jhdts. a. h. (16. Jhd. a. d.)—einen eigenen sprachlichen Stil hatte, und eine leichte, einfache Sprache führte, die der Volkssprache näherstand als der Hochsprache.

Er war nicht sehr um die Regeln der Orthographie bemüht, verwechselte den Plural mit dem Singular, das Maskulinum mit dem Femininum, den Nominativ mit dem Genitiv und Akkusativ, wiewohl er um die richtigen Regeln der Orthographie wusste und sie auch meistens in seinem Buche anwandte; manchmal jedoch liess er sich durch die Nachricht, die er mitteilte, hinreissen und schrieb, wie er sprach, nicht aber, wie es ihm die grammatischen Regeln vorschreiben.

Ich habe mich bemüht, die Sprache dieses Buches getreu wiederzugeben und habe daher nichts ausgebessert, als was ich mit Sicherheit als ein Versehen des Autors feststellen konnte. Darauf habe ich in den Fussnoten verwiesen. Im übrigen wahrte ich die Sprache des Buches mit allen Ausdrücken und Eigenheiten der Volkssprache ohne irgendwelche Veränderungen oder Verbesserungen daran, um auf diese Weise Beispiele zu bieten für den Forscher, der sich mit der Sprache und ihrer Entwicklung beschäftigt. Vielleicht wird man feststellen, dass eine Vielzahl der Wörter unserer heutigen Umgangssprache—sei es in Ausdruck oder Orthographie—auf die Zeit des Ibn Ijäs und seiner Zeitgenossen zurückgeht oder sogar noch weiter zurückreicht. Wir kommen darauf noch einmal in der Einleitung zu dem Gesamtwerk zurück.

An dieser Stelle möchte ich auch nicht versäumen, meinen aufrichtigsten Dank meinem Lehrer, Herrn Professor Dr. Paul Kahle, auszusprechen, der mir in grosszügiger Weise alle ihm erreichbaren Fotokopien des Urtextes zur Verfügung stellte. Seinen Bemühungen gebührt das grössere Verdienst an der Veröffentlichung dieses Buches. Ich danke auch dem Herrn Dr. Hans Ernst, dem Vertreter der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft in Kairo, für seine unermüdliche Hilfeleistung bei der Drucklegung dieses Bandes der Chronik des Ibn Ijäs.

Es ist mir auch eine angenehme Pflicht, meinen Dank bei dieser Gelegenheit den verschiedensten Institutionen in mehreren Ländern zu wiederholen, die zum Erscheinen dieses Bandes beigetragen haben, was einen guten Geist internationaler, wissenschaftlicher Zusammenarbeit bekundet.

Dabei möchte ich auch nicht versäumen, darauf hinzuweisen, dass das Ministerium für Kultur und Nationale Orientation, das Ministerium für Erziehung und

dieses Bandes « am Mittwoch, dem letzten Tag des Monats Dū-l-Ḥiġġa des Jahres 928 ». Dieses hat er mit eigener Hand im Anschluss an die Nachrichten, die er über denselben Tag mitteilt, niedergeschrieben. Der Autor zeichnete in diesem Abschnitte seines Lebens Tag um Tag die Nachrichten und Ereignisse auf, die er hörte oder deren Zeuge er war. Es besteht kein Zweifel, dass er am folgenden Tage, d. h. am 1. Muḥarram 929 mit der Niederschrift seiner Chronik fortfuhr, nämlich mit der Abfassung des nach seiner eigenen Einteilung zwölften Bandes. Bisher haben wir jedoch noch nichts von diesem Bande aufgefunden; was die Vermutung nahelegt, dass er verloren gegangen ist. Ibn Ijās war Ende des Jahres 928 noch im vollen Besitz seiner geistigen Kräfte und wohl kaum zu sehr von Altersschwäche angegriffen—denn er wurde am 6. Rabīʿ II 852 (8. 6. 1448) geboren—vorausgesetzt, dass er nicht plötzlich, bevor er noch mit der Niederschrift des zwölften Bandes seines Werkes begonnen hatte, vom Tode ereilt worden ist.

In der Einleitung meiner *ṣafahāt lam tunṣar* (p. 10) habe ich ausgeführt, dass der im zweiten Bande der Chronik des Ibn Ijās der Būlāqer Ausgabe veröffentlichte Text auf der Grundlage einer Abschrift ausgeführt worden ist, die den Text so verkürzt wiedergibt, dass er sich ausserordentlich weit von dem Urtext entfernt.

Ich möchte hier nun noch einmal feststellen, dass der Text des dritten Bandes unseres Werkes, wie er im Būlāqer Druck vorliegt, auf der Grundlage einer Abschrift ausgeführt wurde, deren Abschreiber versucht hat, den sprachlichen Ausdruck des Autors und die Orthographie zu verbessern, wodurch eine Entstellung des Textes an zahlreichen Stellen entstanden ist, sowie Änderungen in der Schreibweise der Namen und auch eine Mangelhaftigkeit bei der Schreibung von Ausdrücken.

So heisst es u. a. im Būlāqer Druck p. 204 Z. 13 « *Dakākin al-ḥaššāsīn* » statt « *Dakākin al-ḥaššābīn* » (hier p. 315 Z. 14), ferner p. 223 Z. 6 « *wa kāna yaġlisu ʿinda ṣaḥṣin bis-sūq al-baṣṭiyīn* » statt « *wa kāna yaġlisu ʿalā qafaṣin ʿinda sūq al-bāṣiṭiyya* » (hier p. 344 Z. 1-2), p. 238 Z. 20 « *Quṭṭān ḥarīr ṣārī* » statt « *Quṭṭān ḥarīr burṣawī* » (hier p. 366 Z. 20); es handelt sich hier um die nisbe der Stadt Bursa; p. 306 Z. 12 « *ṣafaqat an-nisāʾ wa raqaṣat wa qulna fī kalāmihinna* » statt « *ṣannafat an-nisāʾ raqṣat^m fa-qālū* » (hier p. 469 Z. 5).

Darüber hinaus ist Ibn Iyās—für den Zeitraum, den der fünfte Band behandelt—der einzige uns bekannte Historiker, der während dieses Zeitabschnittes in Kairo lebte, und als Zeitgenosse und Augenzeuge die Ereignisse berichtet und Nachrichten mitteilt. Er berichtet von sich selbst, als er den Aufzug des malik al-umarā' Hāir Beg beschreibt : « Ich habe diesen Aufzug mit eigenen Augen gesehen ; er gehörte zu den berühmten, grossartigen Aufzügen » (S. Text, p. 434, Z. 11).

Der Veröffentlichung des fünften Bandes habe ich die Handschrift Fatih 4199 (Istanbul) zugrundegelegt ; und zwar handelt es sich hierbei um ein Autograph. So lesen wir auf der Titelseite :

« الجزء الحادى عشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تأليف كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد بن إياس الحنفى ، عامله الله تعالى بلطفه الحنفى ، وغفر له وللمسلمين اجمعين »

Der Autor schliesst diesen Band mit den Worten :

« يتلوه الجزء الثانى عشر من بدائع الامور (كذا!) فى وقائع الدهور ، وكان الفراغ من هذا الجزء فى يوم الاربعاء سلخ (٢٦٨ هـ) ذى الحجة الحرام سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه ومؤلفه ، فقير رحمة ربه تعالى ، محمد بن احمد بن إياس الحنفى ، عامله الله بلطفه الحنفى .

وإن تجد عيبا فسد الخلا

جل من لافيه عيب وعلا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله اجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين — تم ذلك بعون الله وتوفيقه .

Aus dem Vorstehenden geht hervor, dass dieser fünfte Band dem elften Band der Einteilung des Ibn Ijās entspricht⁽¹⁾. Ibn Ijās schloss die Niederschrift

(1) S. : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ص ٢٢-٢٥ من المقدمة .

VORWORT

Im Vorwort zu dem vierten Band der «*Badā'i' az-zuhūr fī waqā'i' ad-duhūr*», der den Zeitabschnitt von 906-921 a. h. (1501-1516 a. d.) behandelt, d. h. jener Zeit, die der osmanischen Eroberung Syriens und Ägyptens vorausgeht, habe ich dargetan, weshalb ich mit der Veröffentlichung des vierten Bandes begonnen habe. Dieses geschah, weil der darin enthaltene historische Stoff einen Zeitabschnitt behandelt, der in dem Bülāqer Druck gänzlich fehlt; denn dort wird nichts von den wichtigen historischen Ereignissen dieses Zeitabschnittes ausgeführt.

Ich habe dort auch angekündigt, dass ich nach dem vierten Band dieser Chronik mit der Veröffentlichung des fünften Bandes fortfahren, und mich daraufhin den ersten drei Bänden zuwenden werde. Dort werde ich auch eine ausführliche Einleitung zu diesem Buche und zu seinem Autor geben. Ferner habe ich einen sechsten Band für sehr detaillierte Indices des Werkes vorgesehen, die u. a. auch die sprachlichen termini technici, die in der Chronik vorkommen, enthalten. Diese Reihenfolge in der Veröffentlichung der einzelnen Bände der Chronik habe ich mit Rücksicht auf die Wichtigkeit der Mitteilungen des Ibn Ijās vorgenommen.

Der fünfte Band, den ich hiermit der Öffentlichkeit vorlege, berichtet über die Ereignisse der Jahre 922-928 a. h. (1516-1522 a. d.).

Es handelt sich hierbei um einen entscheidenden Abschnitt in der Geschichte Ägyptens und Syriens, und wir erhalten Nachrichten über die osmanische Eroberung dieser beiden Länder. Wir erfahren auch, was an Veränderungen und Umwälzungen im Verwaltungswesen, Gerichtswesen, auf dem Gebiete der Münzprägung, der Masse und Gewichte, der Sitten und Bräuche, der Art der Kleidung und dergleichen mehr vor sich ging.

DIE CHRONIK DES IBN IJAS

DRITTE AUFLAGE
BEARBEITET UND MIT EINLEITUNG
UND INDICES VERSEHEN VON

MOHAMED MOSTAFA

FÜNFTER TEIL
A.H. 922-928 / A.D. 1516-1522



GENERAL ÄGYPTISCHE BUCHORGANISATION
1984



عزود
٥٢

DIE CHRONIK DES IBN IJĀS

مركز تحقيق التراث

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى

حَقَّقَهَا وَكَتَبَ لَهَا الْمَقْدِّمَةَ وَالْفَهَارِسَ

محمد مصطفى

الجزء الخامس

من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ

(١٥١٦ - ١٥٢٢ م)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

١٤٠٤ - ١٩٨٤

طبعة ثالثة
مصورة عن الطبعة الثانية

تصدير

فى كلمة التصدير للجزء الرابع من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، وهو الجزء الذى يشمل تاريخ الفترة من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١هـ (١٥٠١-١٥١٦) ، التى تسبق الفتح العثمانى لسوريا ومصر ، ذكرت أننى بدأت بنشر الجزء الرابع نظرا إلى أن متن تاريخ الفترة التى يتضمنها ينقص تماما فى طبعة بولاق ، إذ لم يرد فيها ذكر أى شىء عن هذه الفترة الهامة من التاريخ .

وذكرت أيضا أننى سوف أنشر الجزء الخامس بعد الجزء الرابع من تاريخ ابن إياس ، ثم أعود إلى نشر الأجزاء الثلاثة الأولى منه ، مع مقدمة وافية عن الكتاب ومؤلفه ، وأننى سوف أخصص جزءا سادسا لفهارس الكتاب ، يكون أحدها للمصطلحات اللغوية التى وردت فيه . وقد عمدت إلى هذا الترتيب فى نشر أجزاء الكتاب اعتبارا لأهمية ما يرويه ابن إياس فى كل منها .

والجزء الخامس ، الذى أقدمه هنا ، يحوى ما كتبه ابن إياس عن المدة من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨هـ (١٥١٦-١٥٢٢) ، وهى فترة جاسمة من التاريخ ، تتضمن أخبار الفتح العثمانى لسوريا ومصر ، وما تبع ذلك من تعديل وتغيير فى شئون الإدارة والقضاء والسكة والموازين والمقاييس والعادات والتقاليد والزي والملابس وغير ذلك .

هذا إلى جانب أن ابن إياس - فى خلال الفترة التى يتضمنها متن الجزء الخامس - كان المؤرخ الوحيد المعروف لنا الذى عاش طوال هذه المدة فى القاهرة ، وعاصر وشاهد بنفسه ما يرويه من أحداث وأخبار ، فيقول عن نفسه وهو يصف موكبا

لملك الأمراء خاير بك : « وقد شاهدت هذا الموكب بالمعينة ، وكان من المواكب المشهودة الجليلة » (انظر هنا فيما يلى ص ٤٣٤ س ١١) .

وقد اعتمدت فى نشر الجزء الخامس على المخطوط رقم ٤١٩٩ المحفوظ فى مكتبة جامع الفاتح بإستانبول ، وهو بخط المؤلف . ونقرأ فى صفحة العنوان : « الجزء الحادى عشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تأليف كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ، عامله الله تعالى بلطفه الحفى ، وغفر له وللمسلمين أجمعين » .

واختتم المؤلف هذا الجزء بقوله : « يتلوه الجزء الثانى عشر من بدائع الأمور (كذا !) فى وقائع الدهور ، وكان الفراغ من هذا الجزء فى يوم الأربعاء سلخ (٢٦٨ آ) ذى الحجة الحرام سنة ثمان وعشرين وتسماية ، وذلك على يد كاتبه ومؤلفه ، فقير رحمة ربّه تعالى ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ، عامله الله بلطفه الحفى .

وإن تجد عيبا فسدّ الخلالا جلّ من لا عيب فيه وعلا
« وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين . تمّ ذلك بعون الله تعالى وتوفيقه » .

ومما تقدم يتبيّن أن الجزء الخامس هذا هو الجزء الحادى عشر فى التقسيم الذى أراه ابن إياس لكتابه^(١) ، وأن ابن إياس أتم كتابة هذا الجزء « فى يوم الأربعاء سلخ ذى الحجة سنة ٩٢٨ » ، وقد كتب ذلك بخط يده فى ذيل ما دوّنه

(١) انظر : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ص ٢٢-٢٥ من المقدمة.

من أخبار اليوم ذاته . وكان المؤلف ، فى هذه الفترة من حياته ، يدون يوما بعد يوم الأخبار والوقائع التى يسمعا أو يشاهدا . ومما لا شك فيه أنه قد استمرّ فى اليوم التالى ، أى فى أول المحرم سنة ٩٢٩ ، فى كتابة مذكراته ، وتأليف الجزء الثانى عشر من كتابه ، وفقا للتقسيم الذى رسمه له .

غير أننا لم نثر على أى قسم من مسودات هذا الجزء ، ويغلب على الظن أنها فقدت ، وكان ابن إياس فى نهاية سنة ٩٢٨ ما زال يعرف تماما ما يقول وما يكتب ، ولم يكن بعد قد بلغ من الهرم أشده ، فإنه ولد فى ٦ من ربيع الآخر سنة ٨٥٢ (٨ من يونيه سنة ١٤٤٨) ، هذا إذا لم تكن قد عاجلته المنية فجأة قبل أن يبدأ فى تحرير الجزء الثانى عشر من كتابه .

وقد بينت فى كلمة الفاتحة التى كتبها لكتاب « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » (ص ١٠) ، أن المتن المنشور فى الجزء الثانى من تاريخ ابن إياس فى طبعة بولاق ، يعتمد فى طبعه على نسخة اختصر فيها المتن إلى حدّ أنه صار بعيدا كل البعد عن متن الأصل الذى كتبه ابن إياس بخطه .

وأعود فأقول إن المتن فى الجزء الثالث من طبعة بولاق ، الذى يتضمن الفترة ذاتها المنشورة هنا فى الجزء الخامس ، قد اعتمد فيه على نسخة حاول ناسخها أن يصحح الأسلوب اللغوى للمؤلف وأخطاء الإملاء ، فنتج عن ذلك تحريف فى المتن فى كثير من المواضع ، وتغيير فى الأسماء ، ونقص فى العبارات .

ومن أمثلة ذلك قوله فى الجزء الثالث من طبعة بولاق ص ٢٠٤ س ١٣ « دكاكين الحشاشين » بدلا من « دكاكين الخشابين » (هنا ص ٣١٥ س ١٤) ، وقوله ص ٢٢٣ س ٦ « وكان يجلس عند شخص بسوق ... » بدلا من « وكان يجلس على قفص عند سوق ... » (هنا ص ٣٤٤ س ١ - ٢) ، وقوله

ص ٢٣٨ س ٢٠ « قفطان حرير صارى » بدلا من « قفطان حرير برساوى »
(هنا ص ٣٦٦ س ٢٠) وبرساوى نسبة إلى مدينة برسا ، وقوله ص ٣٠٦
س ١٢ « صفقت النساء ورقصت وقلن فى كلامهن » بدلا من « صَنَّت النساء
رقصة فقالوا » (هنا ص ٤٦٩ س ٥) .

والواقع أن ابن إياس - مثل غيره من المؤرخين فى القرن التاسع الهجرى
(١٦ م) - له أسلوب لغوى خاص ، ولغة سهلة بسيطة أقرب إلى العامية
منها إلى الفصحى ، لا يمتأ كثيرا بقواعد الإملاء ، يخلط بين الجمع والمفرد ،
والذكر والمؤنث ، والرفع والجر والنصب ، مع أنه يعرف القواعد الصحيحة
للإملاء ، ويكتب بمقتضاها فى أغلب مواضع الكتاب ، ولكنه يتحمس أحيانا
لخبر يورده ، فيكتب كما ينطق لا كما يجب أن تكون عليه قواعد اللغة .

وقد حاولت جهدى أن أحافظ على لغة الكتاب ، فلم أصحح من الهنات سوى
ما ثبت لى أنه وقع سهوا من المؤلف ، وأشارت إلى ذلك فى الحواشى . أما فى غير
ذلك فإننى تركت لغة الكتاب ، وما فيها من كلمات وقواعد عامية ، كما هى دون أى
تغيير فيها أو تصحيح ، لتكون مثالا يبعثه المشتغلون باللغة وتطور أساليبها ،
ولعلمهم يثبتون أن الكثير من كلمات اللغة العامية وقواعدها فى عصرنا الحاضر ترجع
إلى عصر ابن إياس ومعاصريه من المؤرخين ، أو إلى ما قبل ذلك . وسوف تكون لنا
عودة فى هذا الشأن فى مقدمة الكتاب .

ولا يفوتنى هنا أيضا أن أكرر أخلص الشكر لأستاذى الدكتور باول كاله ،
الذى تفضل متطوعا بتقديم لى جميع ماله من الصور الفوتوغرافية المأخوذة عن نسخة
الأصل ، فكان لجهوده أكبر الفضل فى نشر هذا الكتاب . وأشكر السيد الدكتور
هانس إرنست ، مندوب جمعية المستشرقين الألمانية بالقاهرة ، لماؤنته الصادقة فى شئون

طبع هذا الجزء من الكتاب .

وإنه لي شرفنى فى هذه المناسبة أيضا أن أكرر الشكر للهيئات المختلفة فى شتى
الأقطار ، التى أسهمت فى إخراج هذا الجزء من الكتاب ، مما يبرزه فى مظهر تعاونى
علمى ، له الصفة الدولية . ولا يفوتنى أن أنوه بأن وزارة الثقافة والإرشاد القومى
ووزارة التربية والتعليم بالإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، وكذلك الجمعية
المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، قد قبلت كلهما الاشتراك فى جميع ما يصدر
من أجزاء هذا الكتاب ، فأكدت بذلك أمر صدوره .

القاهرة فى ٩ من يونيه سنة ١٩٦١

محمد مصطفى

المحتويات

الصفحة	
٩	تصدير
٤	سنة ٩٢٢
١٤٨	سنة ٩٢٣
٢٣٣	سنة ٩٢٤
٢٨٦	سنة ٩٢٥
٣٢٣	سنة ٩٢٦
٣٧٦	سنة ٩٢٧
٤٢٦	سنة ٩٢٨

